

دكتور محمد بيومي البربري

فلسفة نعمة الخفاء في الدين والعلم

وأثرها في العقيدة الإسلامية

اسم الكتاب: فلسفة نعمة الخفاء في الدين والعلم
وأثرها في العقيدة الإسلامية.

اسم المؤلف: دكتور محمد بيومي البربري.

رقم الإيداع: (2024 / 23972).

الترقيم الدولي: 978-977-8877-12-0

سنة الإنتاج: 2025.

جميع الحقوق محفوظة

يطلب الكتاب على العنوان التالي:



دار عقل للنشر

واتساب وتلغرام: 00963932832010

aklpublishing@gmail.com



الثقافة الروسية للنشر

واتساب وتلغرام: 00201060253858

russianculture.egypt@gmail.com

القاهرة - دمشق

التمهيد

التعريف بمصطلحات الكتاب

أولاً: التعريف بالمصطلحات

تحديد مصطلح (فلسفة)

معنى فلسفة في اللغة: "الفلسفة الحكمة أعجمي، وهو الفيلسوف"⁽¹⁾، و"الفلسفة مشتقة من كلمة يونانية، وهي فيلاسوفيا وتفسيرها: محبة الحكمة فلما أعربت قيل: فيلسوف ثم اشتقت الفلسفة منه ومعنى الفلسفة: علم حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح"⁽²⁾.

وفي الاصطلاح: "مجموعة دراسات تتعلق بالروح أو بالعقل من حيث هو متميز عن موضوعاته وتدرج في هذا دراسة نقدية تأملية كما تطرحه العلوم"⁽³⁾ "وهي التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية؛ لتحصيل السعادة الأبدية"⁽⁴⁾، وعلى هذا، فإن مفهوم الفلسفة له دلالة لغوية في معاجم اللغة، مما يدل على أن هذا المصطلح ليس دخيلاً على المسلمين، وإنما هو نابع من علومهم وإذا كان الأمر كذلك فإن الفلسفة تعني دراسة الكون كله على قدر طاقة الإنسان وحسب قدراته العقلية، "وكلمة فلسفة تعني دراسة الحكمة، ولسنا نقصد بالحكمة مجرد الفطنة في الأعمال، بل معرفة كاملة بكل ما في وسع الإنسان معرفته، بالإضافة إلى تدبير حياته وصيانة صحته واستكشاف الفنون، ولكي تكون هذه المعرفة كما وصفنا، فمن الضروري أن تكون مستنبطة من العلل الأولى"⁽⁵⁾.

(1) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منطور (المتوفى: 711هـ) دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414هـ، 9 / 273.

(2) مفاتيح العلوم، للخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي (المتوفى: 387هـ) تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة: الثانية، 1 / 153.

(3) تبسيط الفلسفة، الدكتور / رجب بو دبوس، الدار الجماهيرية - الطبعة الأولى، 1425م، ص 17.

(4) التعريفات، للشيخ الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين (المتوفى: 816هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م، 1 / 169.

(5) المرجع السابق، 1 / 62.

ويراد بالعلل (العلل الأربع) المعروفة⁽¹⁾ عند الفيلسوف اليوناني أرسطو وتبحث عن حقيقة الموجودات حتى تصل إلى معرفة واجب الوجود⁽²⁾ الذي لا علة لوجوده، وإذا كانت الفلسفة تعني البحث عن حقائق الأشياء، فإن هذا البحث يؤدي بالإنسان إلى (الحكمة)، وبناء على ذلك فإن تعريف الفلسفة قد جاء مشتقاً من كلمة (سوفيا) اليونانية، التي تعني: "محبة الحكمة. ويطلق على العلم بحقائق الأشياء، والعمل بما هو أصلح⁽³⁾ وإذا كانت الفلسفة تعني الحكمة؛ فإن هذا الأمر يتطلب أن نعرف الحكمة ودلالاتها اللغوية والاصطلاحية حتى تكمل الفائدة من التعريف بهذا المصطلح.

تحديد مصطلح (الحكمة)

في اللغة "الحكمة: "بالكسر العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن والإنجيل، وأحكمه أتقنه فاستحكم، ومنعه عن الفساد"⁽⁴⁾.

أما مفهومها في الاصطلاح فالنظر إليه يأتي من خلال اتجاهين هما:

1- في المنظور الإسلامي:

إن مفهوم الحكمة في المنظور الإسلامي قد ذكر في القرآن الكريم في أكثر من آية، ومن الآيات التي قد ورد فيها ذكر هذه الكلمة قول الله تعالى - إخباراً

(1) علة الشيء: ما يتوقف عليه ذلك الشيء، السابق نفسه، 1/ 154.

(2) ومصطلح واجب الوجود يشير إلى وجودين: وجود أصلي ثابت لا يتغير سبب لكل موجود سواه، وهو واجب الوجود بذاته، الموجود الذي وجوب وجوده من ذاته ولذاته، أي لم يكتسبه من شيء آخر هو الضروري الوجود الذي يترتب على عدم وجوده استحالة وجود، أي شيء هو الأزلي الأبدى " نظرات في العقيدة الإسلامية، د/ محمد الأنور حامد عيسى، بدون نشر، الطبعة الثالثة 1434هـ، 2013م. ص 61.

(3) المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا، 2/ 160.

(4) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426هـ - 2005م 3/ 98.

عن دعوة إبراهيم لأهل الحرم - قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽¹⁾، وعلى هذا فإن معنى الحكمة (الإتقان والإحكام) ووضع كل شيء في موضعه دون زيادة أو نقصان والمراد بها في الآية الكريمة: الإصابة في القول والعمل ولا يسمى حكيماً إلا من اجتمع له الأمران، وقيل: أصلها من أحكمت الشيء أي رددته فكأن الحكمة هي التي ترد عن الجهل والخطأ، وذلك إنما يكون بما ذكرنا من الإصابة في القول والفعل، ووضع كل شيء موضعه⁽²⁾.

2- عند الحكماء:

من المعروف لدى الدارسين أن النقل والعقل متفقان وليس بينهما تناقض ومن ثم "فإن الحكمة صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة، فالأذية ممن ينسب إليها أشد الأذية مع ما يقع بينهما من العداوة والبغضاء والمشاجرة، وهما المصطحبتان بالطبع المتحابان بالجواهر"⁽³⁾.

والحكمة في عرف الفلاسفة لها عدة معان:

لفظة الحكمة لها عدة معان تطلق "على إحدى الفضائل الأصلية وهي: الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة، ثم أطلق بعد ذلك على العلم مع العمل؛ لذلك قيل: الحكمة هي استعمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية، واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة قدر الطاقة البشرية. وقيل: الحكمة معرفة الحقائق على ما هي عليه بقدر الاستطاعة، وهي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة ما للإنسان وما عليه، أو هي

(1) سورة البقرة، الآية: 129.

(2) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (المتوفى: 606هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الثالثة - 1420 هـ، 4 / 50.

(3) فصل المقال أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: 595هـ) دراسة وتحقيق: محمد عمارة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ص 67.

معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لأجل العمل به" ⁽¹⁾، ومن هنا فإن الحكمة تعني معرفة الفضائل كلها، وهي من العلوم النافعة للإنسان التي تتفع الإنسان في معاشه ومعاده، وهي علم كلي، ويعني به العلم الشامل الذي يندرج تحته العلوم الأخرى كالطب، والفلك، والموسيقى، وغير ذلك من العلوم العقلية.

و"يرى الفيلسوف (ديكارت) أن الفلسفة هي دراسة الحكمة، والحكمة علم واحد كلي هي تفسير جامع للكون، أو هي نظام شامل للمعرفة البشرية" ⁽²⁾.

من خلال ما سبق نرى أن الفلسفة تعني البحث عن الموجودات وعن عللها وذلك من أجل الوصول إلى واجب الوجود الذي لا علة لوجوده، بل وجوده لذاته، وعلى ذلك فإن البحث في موضوعات الفلسفة وهي (الله - الكون - الإنسان) هي الموضوعات التي شغلت عقول الفلاسفة قديماً وحديثاً، وهذه الموضوعات جاء مجملها في القرآن في قول الله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ⁽³⁾، وهذه ضمن مسائل عالجتها الفلسفة وتناولتها بالدراسة فما سبق ذكره هو خاص بمبحث الوجود ⁽⁴⁾ إلى جانب مباحث المعرفة ⁽⁵⁾ الموصلة إلى معرفة هذا الوجود.

(1) المعجم الفلسفي، الدكتور /جميل صليبا: 1 / 492.

(2) ديكارت مبادئ الفلسفة، د / عثمان أمين دار الثقافة للنشر والتوزيع بدون تاريخ، 1 / 12.

(3) سورة فصلت، الآية: 53.

(4) الوجود هو: الأنطولوجيا علم الوجود أو الأنطولوجيا قسم من الفلسفة، وهو يبحث في الموجود في ذاته مستقلاً عن أحواله وظواهره، أو هو علم الموجود من حيث هو موجود، والأبستمولوجيا إذن نظرية العلوم، أو فلسفة العلوم، أعني دراسة مبادئ العلوم، وفرضياتها، ونتائجها، دراسة انتقادية توصل إلى إبراز أصلها المنطقي، وقيمتها الموضوعية. فالأبستمولوجيا تختلف إذن عن دراسة طرق العلوم من جهة، وعن دراسة تركيب القوانين العلمية من جهة ثانية. لأن الدراسة الأولى قسم من المنطق التطبيقي، والثانية قسم من الفلسفة الوضعية، أو فلسفة التطور، المعجم الفلسفي، د/ جميل صليبا: 1 / 33، 2 / 506.

(5) سورة فصلت الآية: 53.

تحديد مصطلح (نعمة)

في اللغة: "النعمة: ما ينعم الله تعالى على عبده به من مال وعيش. يقال: لله تعالى عليه نعمة. والنعمة: المنة، وكذا النعماء. والنعمة: التمتع وطيب العيش. قال تعالى: ﴿وَنِعْمَ كَانُوا فِيهَا فَكَهِنَ﴾⁽¹⁾، ويقولون: نعم ونعمى عين، ونعمة عين، أي قرّة عين، ونعم الشيء من النعمة"⁽²⁾ "والنعمة: المنة، وكذلك النعماء. والنعمة: المال، يقال: هو واسع النعمة. والنعمة: التمتع. ونعم الشيء، من النعمة. وقد نعم فلان أولاده: ترفهم. والمتنعم: المترف"⁽³⁾. "والنعمة بالفتح التنعيم. ويقال: نعمه الله (تتعيماً) وناعمه فتنعم. وأنعم الله عليه من النعمة. وأنعم الله صباحه من النعومة. وأنعم له قال له: نعم. وفعل كذا وأنعم أي زاد"⁽⁴⁾ ومن هنا فإن التعريفات اللغوية لمصطلح النعمة إنما تفيد السعة والخير على الإنسان سواء أكانت هذه النعم ظاهرة أم باطنة.

وفي الاصطلاح: "النعمة: هي ما يقصد به الإحسان والنفي لا لغرض ولا لعوض"⁽⁵⁾، والنعمة في الأصل هي الحالة التي يستلذّها الإنسان، وقيل: النعمة بالفتح من التنعّم وبالكسر من الإنعام والنعمة مرادفة للطف، وهو ما أنعم الله به على عباده بمحض فضله وإحسانه"⁽⁶⁾. وقد جاءت هذه اللفظة متضمنة الحركات

(1) سورة الدخان الآية: 27.

(2) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، باب نعم، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م، 5/ 446.

(3) مجمل اللغة، لأحمد بن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - 1406 هـ - 1986 م، باب النون والعين وما يثلثها، 1 / 874

(4) مختار الصحاح، للرازي زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (المتوفى: 666هـ)، باب (ن ع م) تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م، 1 / 314.

(5) التعريفات، للجرجاني، باب النون، 1 / 241.

(6) المعجم الفلسفي، للدكتور /جميل صليبا: 80/2 - 81.

الثالث وكلها ترجع إلى معنى النعمة بالمعنى المعروف وعلى ذلك فالنعمة بالفتح-
التنعم . وبالكسر: الإنعام . وبالضم: المسرة . يقال: نعم . ونعمة عين . وهم صناديد
قريش . وكانوا أهل تنعم وترفه⁽¹⁾ فهذه نعم ظاهرة ومدركة لكن هناك نعم يخفيها
الحق (ﷻ) عن الإنسان رحمة به، ولطفًا منه، وذلك أن النفس البشرية لا تستطيع
رؤيتها.

وبعد عرض التعريفات السابقة لمصطلح (نعمة) نجد أن الدلالة اللغوية
والاصطلاحية مفادهما أن هذه اللفظة يراد بها الخير والبركة التي يسوقها الله تعالى
إلى عباده، وهذه النعم منها ما هو ظاهر ومنها ما هو باطن وكلا النوعين من الله
تعالى ومن أعظم النعم على الإنسان نعمة الخفاء.

تحديد مصطلح (الخفاء)

عندما نبحث عن كلمة "الخفاء" في اللغة ينبغي أن نرجعها إلى الفعل الثلاثي
(خفي) وعليه جاءت كلمة (خفاء) بألفاظ متعددة، وذات معان كثيرة في معاجم
اللغة العربية للدلالة على أن هذه الكلمة أصيلة، وليست دخيلة على الفكر
الإسلامي عامة.

الدلالة اللغوية لكلمة (خفاء أو الخفاء):

"الخفاء الاسم خفي يخفى خفاء . والخفاء، مقصور، الشيء الخافي والموضع
الخافي، قال: وعالم السر وعالم الخفاء... لقد مددنا أيديا بعد الرجا . والخفاء: رداء
تلبسه المرأة فوق ثيابها، قال: جر العروس جانبي خفائها ويجمع الخفاء في أدنى
العدد أخفيه . وكل شيء غطيت به شيئاً فهو خفاء . والخفية: غيضة ملتفة من
النبات، يتخذ فيها الأسد عرينه، والخفية: بئر كانت عادية فادفنت ثم حفرت،

(1) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله
(المتوفى: 538هـ) دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ، 4 / 640.

ويجمع: خفايا"⁽¹⁾، وقد ذهب ابن فارس أن الفعل الثلاثي (خفي) له معنيان: فالأول خفي الشيء يخفى؛ وأخفيته، وهو في خفية وخفاء، إذا سترته، ويقولون: برح الخفاء، أي وضح السر وبدأ، والمعنى الثاني يدل على الوضوح يقال خفيت (الشيء) بغير ألف، إذا أظهرته. وخفا المطر الفأر من جحرتها: أخرجهن"⁽²⁾، في حين ذكر الزمخشري: "خفا البرق: لمع بضغف خفوا وخفوا. وأخفيت الشيء، وخفي الشيء واختفى واستخفى وتخفى: استتر. وهو يخفي صوته. وأمر خاف وخفي. والله عالم الخفيات والخفايا. ولا يخفى عليه خافية"⁽³⁾.

أما ابن منظور، فقد عرف الخفاء بأنه "خفا الشيء خفو خفوا: ظهر. وخفي الشيء خفيا وخفيا: أظهره واستخرجه. يقال: خفي المطر الفأر إذا أخرجهن من أنفاقهن أي من جحرتها، وقرئ قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾"⁽⁴⁾، أي أظهرها؛ وخفيت الشيء أخفيه: كتمته. وخفيته أيضًا: أظهرته، وهو من الأضداد. وأخفيت الشيء: سترته وكتمته. وشيء خفي: خاف، ويجمع على خفايا. وخفي عليه الأمر يخفى خفاء، وخفي الشيء خفاء، فهو خاف وخفي: لم يظهر. وخفاه هو وأخفاه: ستره وكتمه"⁽⁵⁾.

الخفاء في الاصطلاح:

"من المعروف لدى الدارسين أن كلمة الخفاء لها مدلول لغوي ويعني الستر وقد جاء هذا المدلول في الاصطلاح بمعنى الستر أيضًا يقال "خفي الشيء خفية:

(1) كتاب العين، للخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170 هـ) تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، مادة (خفي) دار ومكتبة الهلال، 4 / 313.

(2) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، باب (خفت)، 2 / 202.

(3) أساس البلاغة، للزمخشري، باب (خ ل ج)، 1 / 260.

(4) سورة طه، من الآية: 15.

(5) لسان العرب، فصل الحاء المعجمة، 14 / 235.

استتر، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾⁽¹⁾، والخفاء: ما يستتر به كالغطاء، وخفيته: أزلت خفاءه، وذلك إذا أظهرته، وأخفيته: أوليته خفاء، وذلك إذا سترته، ويقابل به الإبداء والإعلان، قال تعالى: ﴿إِنْ تُبَدُّوْا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾⁽²⁾، وقال تعالى: ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾⁽³⁾، ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ﴾⁽⁴⁾، والاستخفاء: طلب الإخفاء، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتَوْنَ صُدُورُهُمْ لَيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾⁽⁵⁾، والخوافي: جمع خافية⁽⁶⁾. "الخفي: هو ما خفي المراد منه بعارضٍ في غير الصيغة"⁽⁷⁾، ويقال "خفي عليه الأمر: استتر، و"خفي" له: ظهر، وإنما يقال ذلك فيما يظهر عن خفاء أو عن جهة خفية"⁽⁸⁾ و"الخفي هو المستتر، أي ما خفي المراد منه. ويرادفه السري والباطني، مثل قولنا: لهذا الشيء تأثير خفي. ويطلق الخفي على كل ما نجعل أسبابه، أو على كل كيفية لا يتمثلها العقل تمثلاً واضحاً لعجزه عن إرجاعها إلى غيرها"⁽⁹⁾.

(1) سورة الأعراف من الآية: 55.

(2) سورة البقرة من الآية: 271.

(3) سورة الممتحنة من الآية: 1.

(4) سورة الأنعام من الآية: 2.

(5) سورة هود، من الآية: 5.

(6) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (المتوفى:

502هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي، باب خفي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت -

الطبعة: الأولى - 1412 هـ، 1 / 289.

(7) التعريفات، للجرجاني: 1 / 100.

(8) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو

البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ) تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري: مؤسسة الرسالة -

بيروت، بدون سنة نشر، 1 / 434.

(9) المعجم الفلسفي، د / جميل صليبا: 1 / 536.

وبعد سرد التعريفات السابقة، يتضح أنه ليس هناك فرقاً بين التعريفات اللغوية، والاصطلاحية؛ لأنها كلها تؤدي نفس المعنى من المصطلح وهو "الستر"، أو التواري. وليس بينهما تعارض في المعنى المتفق عليه عند أهل اللغة أو الاصطلاح.

تحديد مصطلح (قضايا)

من المعروف لدى الدارسين أن كلمة قضية⁽¹⁾ لها صلة وثيقة بالبحث فلا بد من تعريفها تعريفاً جامعاً مانعاً⁽²⁾ حتى تكمل الفائدة من التعريف بهذا المصطلح.، وكلمة (قضايا) في اللغة: يقال قضى يقضي قضاء وقضية أي حكم⁽³⁾. " ويقال "قضى: القضاء: الحكم، وأصله قضاي، والجمع الأقضية، والقضية مثله، والجمع القضايا. وقضى الأمير قاضياً: كما تقول أمر أميراً. وتقول: قضى بينهم قضية وقضايا. والقضايا: الأحكام، واحداثها قضية⁽⁴⁾.

تعريفها في الاصطلاح: للقضايا تعريفات عدة والذي يهمنا منها التعريف المنطقي سيما أن المنطق من العلوم العقلية التي تبحث عن صحيح الفكر من

(1) والقضية: لها أسماء كثيرة أوردها الدكتور /محمد محيي الدين عبد الحميد في كتابه (آداب البحث والمناظرة) فقال في معنى التصديق "هو: المركب التام الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته وقد سمي "قضية ودعوى ومدعى ويسمى المركب التام دعوى ومدعى من حيث إنه يشتمل على الحكم المقصود إثباته بالدليل أو إظهاره بالتنبيه، ويسمى مسألة أو مبحثاً من حيث إنه يرد عليه، أو على دليله السؤال والبحث، ويسمى نتيجة من حيث إنه يستفاد من الدليل "يراجع: د/ محمد محيي الدين عبد الحميد، رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة الطبع 1427هـ - 2007م ص46.

(2) من شروط التعريف المنطقي، أن يكون جامعاً مانعاً، بمعنى أن يكون مساوياً للمعرف، ومعنى هذا أن يكون شاملاً لجميع أفراده، ويسمى جامعاً، وأن يكون مانعاً من دخول غير المعرف فيه "ويسمى مانعاً". يراجع: المرشد السليم في المنطق القديم والحديث الدكتور/ عوض الله جاد حجازي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الرابعة. ص77، 78.

(3) كتاب العين، الخليل ابن أحمد، 5/ 185.

(4) لسان العرب. باب القاف، 186/15. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، باب القاف، 1

فاسده وأيضًا البحث عن المجهول سواء كان تصورًا أم تصديقًا، ومن هنا فإننا نتعرض لبعض تعريفات القضية من خلال ما ذكره العلماء في هذا الشأن.

فالقضية: "قول يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب. والمراد من القول هنا الكلام المركب مطلقًا أعم من أن يكون ملفوظًا، كما في القضية الملفوظة أو معقولًا، كما في القضية المعقولة وهي الأصل في القضية؛ ذلك أن المنطق إنما يبحث في المعقولات"⁽¹⁾، ومن هنا فإن التعريفات التي ذكرتها سابقًا عن القضية سواء أكانت في اللغة أم في الاصطلاح فإنها لا تتعارض مع بعضها البعض، بل تصب في معين واحد وتدل دلالة صريحة على أن القضية قول مركب من موضوع ومحمول أو مسند ومسند إليه أو مبتدأ وخبر، وهذا القول إما أن يكون صادقًا أو كاذبًا لذات القول بغض النظر عن قائل هذا القول سواء أكان صادقًا أم كاذبًا.

تحديد مصطلح (الدين)

الدين في اللغة: له معان متعددة منها "الجزاء والمكافأة يقال: (دانه) يدينه (دينًا) أي جازاه..، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا لِلدِّينِ عَاقِبَةُ الْأَمْرِ﴾⁽²⁾ أي لمجزيون محاسبون..، ومنه (الديان) في صفة الله تعالى وبمعنى: الطاعة تقول: (دان) له يدين (دينًا) أي أطاعه، ومنه (الدين) والجمع (الأديان)⁽³⁾، وعلى هذا فإن كلمة الدين قد وردت بمعنى الطاعة، والانقياد، والاستسلام لله تعالى وحده دون سواه.

أما عن مفهومه في الاصطلاح فهو: "وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند رسول الله (ﷺ). الدين والملة: متحدان بالذات، ومختلفان

(1) المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، الدكتور عوض الله حجازي: ص 88 - 89.

(2) سورة الصافات، من الآية: 53.

(3) مختار الصحاح، للرازي زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، باب (د)

ي ن)، 110/ 1

بالاعتبار؛ فإن الشريعة من حيث إنها تطاع تسمى: دينًا، ومن حيث إنها تُجمع تسمى: ملة، ومن حيث إنها يُرجع إليها تسمى: مذهبًا⁽¹⁾. ويعرف أيضًا بأنه "وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات"⁽²⁾. ومن خلال ما سبق يظهر أن الدين له مفهوم شامل وجاء هذا المفهوم في القرآن الكريم في أكثر من آية وكل هذه المعاني التي جاءت في القرآن تدل على أنه من عند الله تعالى وليس من صنع البشر فالمتدين هو المقر والمستسلم لأمر الله تعالى وعلى هذا فإن الدين معناه الانقياد والخضوع والاستسلام لله رب العالمين ومن هنا فالدين "بمعنى الطاعة والانقياد. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾"⁽³⁾، وقد يرد بمعنى الحساب يوم المعاد والتناد، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾"⁽⁴⁾ فالمتدين هو المسلم المطيع المقر بالجزاء والحساب يوم التناد والمعاد⁽⁵⁾، ومن معانيه أنه "بمعنى الحكم كقوله: ﴿مَا كَانَ لِأَخَاهُ فِي دِينِ أَلَمَلِكِ﴾"⁽⁶⁾ أي في حكمه وقد يكون الدين بمعنى الدينونة بالمذاهب والملل، ومنه قولهم فلان يدين بالإسلام أو اليهودية، أي إنه يتدين بذلك على معنى أنه يعتقد وينطوي عليه ويتقرب به، والدين أيضًا بمعنى الانقياد والاستسلام لله (ﷻ)⁽⁷⁾.

(1) التعريفات، للجرجاني، باب الدال، 1/ 105.

(2) الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، الدكتور / محمد عبد الله دراز، دار القلم، بدون ط، ولا سنة نشر. ص33.

(3) سورة آل عمران من الآية: 13.

(4) سورة يوسف من الآية: 40.

(5) الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ)، مؤسسة الحلبي، 1/ 36، 37.

(6) سورة يوسف من الآية: 76.

(7) تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، للباقلاني محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم (المتوفى: 403هـ)، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، الطبعة: الأولى، 1407هـ.

- 1987م، 1/ 387

تحديد مصطلح (العلم)

في اللغة بمعنى "اليقين"، يقال: علم يعلم إذا تيقن، وجاء بمعنى المعرفة أيضًا كما جاءت بمعناه ضمن كل واحد معنى الآخر؛ لاشتراكهما في كون كل واحد مسبوقًا بالجهل؛ لأن العلم وإن حصل عن كسب فذلك الكسب مسبوق بالجهل، وفي التنزيل: ﴿مَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾⁽¹⁾ أي علموا وقال تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾⁽²⁾ أي لا تعرفونهم⁽³⁾. ويقال علم الشيء: بعلامة تعرف بها. علمه، علمًا: عرفه حق المعرفة. وبه: شعر وعلم وعلم هو في نفسه. والرجل عالم وعليم. والأمر: أتقنه. والرجل: خبره. ووقفه: تعلم ووقفه. علم- علمًا: صار أعلم أي مشقوق الشفة، فهو أعلم، وهي علماء. علم فلان وقفه: ساد العلماء، فهو عليم⁽⁴⁾. ومن خلال هذين التعريفين اللغويين يتضح أن مفادهما واحد وإن كانت الألفاظ متفاوتة إلا أن المعنى المستفاد منهما "المعرفة".

أما تعريف العلم في الاصطلاح:

"هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل، والأول أخص من الثاني، وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به، وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه، وقيل: هو مستغن عن التعريف، وقيل: العلم: صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات"⁽⁵⁾، وعلى هذا

(1) سورة المائدة من الآية: 83.

(2) سورة الأنفال من الآية: 63.

(3) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ) المكتبة العلمية - بيروت - بدون سنة الطبع، 427 / 3.

(4) معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق) دار مكتبة الحياة - بيروت، عام النشر: [1377 - 1380هـ] 1379هـ - 1960م، 2 / 194.

(5) التعريفات للجرجاني، باب العين، 1 / 155.

فإن العلم يطلق ويراد به " المعرفة، ويطلق أيضًا ويراد به (الإدراك)⁽¹⁾. والمتكلمون يعرفون العلم بأنه "صفة حقيقية ذات تعلق والقائل به جماعة من الأشاعرة وهم الذين عرفوه بأنه صفة توجب تمييزًا لا يحتمل النقيض"⁽²⁾، ومن هنا نجد أن العلم عند الفلاسفة يختلف مفهومه عن المتكلمين، ومن ثم فإن الفلاسفة يرون أن العلم هو الوجود الذهني، وهو العلم والمعلوم، وقد يوجد في الخارج أي خارج الذهن ما يطابقه وما لا يطابقه.

أما العلم في لسان الشرع فيطلق على: " العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله في عبادته وخلقه، وقد تصرفوا فيه أيضًا بالتخصيص حتى شهره في الأكثر بمن يشغل بالمناظرة"⁽³⁾ مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها، فيقال هو العالم على الحقيقة"⁽⁴⁾، وعلى هذا فإن علم الله تعالى علم شامل يشمل (الكليات والجزئيات) لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض؛ لأن العلم صفة كشف كما في عرف المتكلمين وهي من الصفات الواجبة في حق الله تعالى إذ يستحيل

(1) وللعلم تعريفات أخرى تختلف تبعًا لرؤية أصحابها وتوجهاتهم الفكرية، فعند الحكماء هو " الوجود الذهني إذ قد يعقل ما هو نفي محض وعدم الصرف والتعلق إنما يتصور بين شيئين فإذا لا حقيقة له إلا الأمر الموجود في الذهن وهو العلم والمعلوم، ثم قد يطابقه أمر في الخارج وقد لا يطابقه وبهذا الاعتبار تلحقه الأحكام الخارجية، وأما من حيث هو موجود فلا حكم عليه إلا بأن يتصور مرة ثانية من حيث إنه في الذهن فيحكم عليه بأحكام آخر، ويسمى مثل ذلك معقولات ثانية" كتاب الموافقات، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د/عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، 1997م، 2/ 49.

(2) كتاب الموافقات، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، 2/ 49.

(3) المناظرة مأخوذة من النظر بمعنى الانتظار بمعنى أن مأخذها شيء واحد، ومن النظر بمعنى الإبصار أو بمعنى التفات النفس إلى المعقولات والتأمل فيها، أو بمعنى الانتظار - أو بمعنى المقابلة، ووجه المناسبة غير خفي، وفي الاصطلاح: توجه المتخصصين في النسبة بين الشيتين إظهارًا للصواب، يراجع: شرح كتاب الرشيدية في شرح الرسالة الشريفة في آداب البحث والمناظرة للشيخ عبد الرشيد الجونفوري الهندي المتوفى سنة 1083هـ - شرح فضيلة الشيخ عبد الرشيد مولوي - حفظه الله - بدون سنة نشر - طبعة المطبع المصطفائي سنة 1886 م. ص7.

(4) إحياء علوم الدين، الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، باب ما يدل من ألفاظ العلوم، دار المعرفة - بيروت، 1/ 33.

ضدها على الله تعالى ومن هنا "قصفة العلم ويراد به ما به انكشاف شيء عند من ثبتت له تلك الصفة أي مصدر ذلك الانكشاف منه؛ لأن العلم من الصفات الوجودية التي تعد كمالات في الوجود، ويمكن أن تكون للواجب، وكل ما كان كذلك وجب أن يثبت له فواجب الوجود عالم"⁽¹⁾.

فهو (ﷻ) عالم بجميع الأشياء أزلاً وأبداً، ولا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الأرض " وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الأرضين إلى أعلى السموات، وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويدرك حركة الذر في جو الهواء، ويعلم السر وأخفى، ويطلع على هواجس الضمائر، وحركات الخواطر، وخفيات السرائر، بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفاً به في أزل الآزال، لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال"⁽²⁾. ومن هنا فصفة العلم ثابتة لله تعالى أزلاً وأبداً؛ لأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما هو كائن في علمه المكنون، وهذه الصفة تتعلق بالواجبات والممكنات والممتنعات، وتعلقها بهذه الأمور تعلق انكشاف وإحاطة، وهو أساس كل ما في الكون من نظام وإتقان.

تحديد مصطلح (الأثر)

معناه في اللغة: "بقية الشيء، والجمع آثار وأثور. وخرجت في إثره وفي أثره أي بعده. وأثرتّه وتأثرتّه: تتبعت أثره؛ عن الفارسي. ويقال: أثر كذا وكذا بكذا وكذا أي أتبعه إياه، والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء. وأثر في الشيء: ترك فيه

(1) رسالة التوحيد، محمد عبده بن حسن خير الله (المتوفى: 1323هـ) دار الكتاب العربي، 19.

(2) قواعد العقائد، الغزالي، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب - لبنان، الطبعة: الثانية، 1405هـ - 1985م، ص56.

أثرًا. والآثار: الأعلام. والأثيرة من الدواب: العظيمة الأثر في الأرض بخفها أو حافرها بينة الإثارة⁽¹⁾ والأثر بالضم: أثر الجراح يبقى بعد البرء؛ وقد يتقل مثل عسر وعسر. قال الشاعر: غضب مضاربها باق بها الأثر والأثرة أيضًا: أن يسحى باطن خف البعير بحديدة ليققص أثره⁽²⁾.

أما في الاصطلاح فله "ثلاثة معانٍ: الأول، بمعنى: النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني بمعنى العلامة، والثالث بمعنى الجزء"⁽³⁾. أقول بعد سرد هذه التعريفات السابقة لهذا لمصطلح (الأثر) نجد أنه يأتي بمعنى النتيجة، وبمعنى العلامة، وبمعنى الخبر، وكل هذه المعاني تتدرج تحت هذا المصطلح، وإن كانت تختلف في ألفاظها إلا أن المعنى واحد.

تحديد مصطلح (العقيدة)

العقيدة لغة: الفعل "عَقَدَ" العين والقاف والdal أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها. من ذلك عقد البناء، والجمع أعقاد وعقود. والعقدة في البيع: إيجابه. والعقدة: الضيعة، والجمع عُقد. يقال اعتقد فلان عقدة، أي اتخذها. واعتقد مالا وأخا، أي اقتناه. وعقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه⁽⁴⁾. ويقال "عقدتُ الحبل والعهد فأنعقد، والعقد: العهد، والجمع عقود، وهي أوكد العهود. ويقال عاهدت إلى فلان في كذا وكذا: وتأويله ألزمته ذلك. فإذا قلت عاقدته أو عقدت عليه فتأويله أنك ألزمته ذلك باستيثاق والمعاقدة: المعاهدة. وعاقده عهده

(1) لسان العرب: 4 / 6.

(2) منتخب من صحاح الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ) باب (أثر)، 1 / 26.

(3) التعريفات، للجرجاني: 9/1.

(4) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس 4 / 86، 87.

وتعاهد القوم تعاهدوا. وقوله تعالى: ﴿يَتَّيْنَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾⁽¹⁾ قيل هي العهود وقيل هي الفرائض التي ألزموها⁽²⁾.

والعقيدة في الاصطلاح: تطلق ويراد بها الاعتقاد والمعتقد و"العقائد: ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل"⁽³⁾ ومن هنا فإن كلمة العقيدة تعني العهود أو ما يعتقده الإنسان من الأشياء سواء أكان حقاً أم باطلاً مثل اعتقاد الإنسان بوجود الله تعالى والملائكة والجن وغيرهما من الأمور الغيبية.

تحديد مصطلح (الإسلامية)

الإسلام في اللغة: (أسلم) انقاد وأخلص الدين لله ودخل في دين الإسلام⁽⁴⁾. والإسلام في الشرع على ضربين:

أحدهما: دون الإيمان، وهو الاعتراف باللسان، وبه يحقن الدم، حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل، وإياه قصد بقوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾⁽⁵⁾

والثاني: فوق الإيمان، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب، ووفاء بالفعل، واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر، كما ذكر عن إبراهيم (عليه السلام) في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽⁶⁾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾⁽⁷⁾.

(1) سورة المائدة: من الآية: 1.

(2) لسان العرب، 3 / 296.

(3) المواقف، للإيجي، 1 / 31، التعريفات، باب العين، 1 / 152.

(4) المعجم الوسيط: 1 / 446.

(5) سورة الحجرات من الآية: 14.

(6) سورة البقرة من الآية: 131.

(7) سورة آل عمران من الآية: 19.

وقوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾⁽¹⁾ أي: اجعلني ممن استسلم لرضاك، ويجوز أن يكون معناه: اجعلني سالمًا عن أسر الشيطان حيث قال: ﴿قَالَ فِعْرَنُكَ لَأَعُوْبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ⁽²⁾، وقوله: ﴿إِنْ تَسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽³⁾ أي: منقادون للحق مذعنون له وقوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾⁽⁴⁾، أي: الذين انقادوا من الأنبياء الذين ليسوا من العزم لأولي العزم الذين يهتدون بأمر الله، ويأتون بالشرائع⁽⁵⁾، ومن هنا فإن الإسلام كما جاء عند الراغب معناه الانقياد والخضوع والاستسلام لله تعالى فأليه وحده الخضوع "والمولى تعالى . يختصر لنا قصة خضوعنا له - تعالى - من آخرها بقوله تعالى: ﴿وَالِيَهُ يَرْجِعُونَ﴾⁽⁶⁾ إليه وحده دون غيره سترجع قهراً، ولو خير العبد الأبق عن سيده أن يرجع إليه لما اختار، فإذا كنت سترجع إليه رغماً عنك، فلماذا لا ترجع إليه بإرادتك؟ إن هذا هو الإسلام المطلوب من المكلف المختار: أن يسلم باختياره، كما أسلم في جانبه القهري، وكما أسلم الكون كله من حوله، حتى يضمن السلامة الحقيقية التي إن فاتته فلا سلامة بعدها"⁽⁷⁾.

(1) سورة يوسف من الآية: 101.

(2) سورة الحجر الآيتان: 41-42.

(3) سورة النمل من الآية: 81.

(4) سورة المائدة من الآية: 44.

(5) المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني: 1 / 422، وما بعدها.

(6) سورة آل عمران من الآية: 83.

(7) الإنسان والغيب، أ د / حبيب الله حسن أحمد. مصر للخدمات، القاهرة، حقائق القبة، ص 18.

ثانيًا: مرادفات مصطلح (الخفاء)

1. الموارد القرآنية لمفهوم الخفاء في القرآن الكريم

من يدقق النظر يجد أن مادة (خفي) قد وردت في القرآن الكريم بصيغ مختلفة في أربعة وثلاثين موضعاً⁽¹⁾ وعلى هذا فإن هذه اللفظة لها دلالة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وفي معاجم العربية مما يدل على كون تلك الكلمة أصيلة وليست دخيلة على الفكر الإسلامي، ولقد وردت كلمة الخفاء في القرآن الكريم في عدة مواضع منها:

○ في قول الله - تعالى -: ﴿بَلْ بَدَأْتُمْ مَا كَانُوا يَخْفَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾⁽²⁾.

○ و في قوله سبحانه: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾⁽³⁾.

○ و في قوله (ﷺ): ﴿إِذَا نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا﴾⁽⁴⁾.

○ وفي قول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾⁽⁵⁾.

○ و في قوله - سبحانه - : ﴿وَرَبُّهُمْ يُعْرِضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾⁽⁶⁾.

○ وقول الله - جل وعلا - : ﴿يَوْمَئِذٍ يُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾⁽⁷⁾.

(1) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، مادة (خفي)، ص236.

(2) سورة الأنعام من الآية: 28..

(3) سورة الأعراف من الآية: 55.

(4) سورة مريم الآية: 3.

(5) سورة غافر الآية: 19.

(6) سورة الشورى الآية: 45.

(7) سورة الحاقة الآية: 18.

2. الألفاظ المترادفة لكلمة (خفاء)

إن كلمة الخفاء من الألفاظ المترادفة في المعاجم العربية، ولها عدة مترادفات، منها على سبيل الحصر لا الاستقراء: (الاستبطان - أغطش - أفل - التبس - توارى - جن - حجاب - خبأ - خسف - خنس - كنس - دسّ - دساها - دفين - الستر - سرّ - طمس - ظلة وظلل - عتّم - غرّب - غطى - الغموض - غيابة الجب - الغيب - فج - كتم - كُفر - بطن - الكمون - كنن - كنه - أكنأنا) - مجهول - مغلق - همس - وقي - ولج). وهذه الكلمات قمت بترتيبها آنفاً حسب الترتيب الأبجدي على سبيل الإجمال وسأقوم بتعريف كل مصطلح في اللغة والاصطلاح حتى تتحقق الفائدة من ذكره.

الأول: (الاستبطان)

ومعناه في اللغة: "استبطنت الشيء وتبطنت الكلاً: جولت فيه. وابتطنت الناقة عشرة أبطن أي نتجتها عشر مرات. ورجل بطين الكرز إذا كان يخبأ زاده في السفر ويأكل زاد صاحبه"⁽¹⁾.

أما في الاصطلاح: وهو انعكاس الإنسان على ذاته ليتأمل حالاته الشعورية ويدرسها بنفسه"⁽²⁾ فهو أمر خفي لجعل الإنسان يدرك ذاته دون مساعدة الآخرين " وهو الخفي المخصص بمعرفة الأسرار والخفيات، كعلم الجفر"⁽³⁾، أو علم الحروف، وهو علم يدعي أصحابه أنهم يعرفون به الحوادث إلى انقراض العالم

(1) لسان العرب، 13 / 57.

(2) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، دار الجنوب - تونس، 2004م، ص 33.

(3) الجَفْرُ: بالفتح ثم السكون، وهي البئر الواسعة القعر لم تطو: موضع بناحية ضرية من نواحي المدينة، كان به ضيعة لأبي عبد الجبار سعيد بن سليمان بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخزومة المدائني، كان يكثر الخروج إليها فسمي الجفري، ولي القضاء أيام المهدي وكان محمود الأمر مشكور الطريقة. يراجع: معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ) دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1995 م، 2 / 146.

(الخفي)⁽¹⁾، وقد جاء ذكر هذه الكلمة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ سُورًا لِّمَنِ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾⁽²⁾ والملاحظ على التعريفين السابقين يجد أن الاستبطان يدور معناه حول الشيء الباطني أو ما يدور داخل النفس البشرية، ويدور أيضًا معناه على الشيء الذي بداخل البطن فهو مبطن أي غير مرئي وغير ظاهر، يقول تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾⁽³⁾، والظاهر والباطن من أسمائه وهما "أيضًا من المضافات فإن الظاهر يكون ظاهرًا لشيء وباطنًا لشيء ولا يكون من وجه واحد ظاهرًا وباطنًا، بل يكون ظاهرًا من وجه بالإضافة إلى إدراك وباطنًا من وجه آخر، فإن الظهور والبطن إنما يكون بالإضافة إلى الإدراكات"⁽⁴⁾.

الثاني: (أَغْطَشَ)

تستعمل هذه الكلمة بمعنى الستر والتغطية وعدم الوضوح جاء ذلك في كتاب العين للخليل بن أحمد حيث قال " غطش الليل، وليل غاطش مطلق⁽⁵⁾ بينما ذهب بن فارس إلى أن (الغين والطاء والشين) أصل واحد صحيح، يدل على ظلمة، وما أشبهها. من ذلك الأغطش، وهو الذي في عينه شبه العمش، وغطش الليل: أظلم، والمتغاطش: المتعامي عن الشيء"⁽⁶⁾ وجاء ذكر هذه الكلمة (أغطش) في قول الله

(1) المعجم الفلسفي، د / جميل صليبا: 1 / 195.

(2) سورة الحديد من الآية: 13.

(3) سورة الحديد من الآية: 3.

(4) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي، قبرص، الطبعة: الأولى، 1407 - 1987م، ص136.

(5) كتاب العين، للخليل ابن أحمد، 4 / 358.

(6) معجم مقاييس اللغة، باب غطش، 4 / 429، معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ) المحقق: أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد

تعالى ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾⁽¹⁾ والمعنى: والله -سبحانه- هو الذي أغطش، أي أظلم ليلها، أي ليل هذه السماء، وفي إضافة الليل إلى السماء، إشارة إلى أن الليل إنما يرى كونا معتما، مطبقا على الأرض.. فهو ليل السماء، التي أطفئ سراجها، وهو الشمس⁽²⁾ وبناء على هذا فإن كلمة غطش تفيد الخفاء والتغطية.

الثالث: (أفل)

معناه في اللغة: يقال: "أفل أي غاب. وأفلت الشمس تأفل وتأفل أفلاً وأفولاً: غربت، وفي التهذيب: إذا غابت فهي آفلة وآفل، وكذلك القمر يأفل إذا غاب، وكذلك سائر الكواكب⁽³⁾. وأفل النجم: غاب واستتر، أفل اسمه: لم يعد حديث الناس - أفل نجمه: خمل بعد اشتهار، فقد شهرته أو بريقه. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾⁽⁴⁾

و"الأفول: غيبوبة النيرات كالقمر والنجوم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾⁽⁵⁾، وقال: ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾⁽⁶⁾، والإفال: صغار الغنم، والأفيل: الفصيل الضئيل⁽⁷⁾، وتدل كلمة (أفل) على التواري والخفاء وعدم الظهور، كما

الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر - الطبعة: الأولى، 3 / 233، المفردات في غريب القرآن، ص608.

(1) سورة النازعات، الآية: 29.

(2) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ) دار الفكر العربي - القاهرة، 16 / 1441.

(3) لسان العرب: 11 / 18.

(4) معجم اللغة العربية المعاصر، د/أحمد مختار عبد الحميد عمر، 1 / 103 والآية من سورة الأنعام: 76.

(5) سورة الأنعام من الآية: 78.

(6) معجم اللغة العربية المعاصر، د/أحمد مختار عبد الحميد عمر: 3 / 1990.

(7) المفردات في غريب القرآن، ص80.

يقال "أفل أي غاب. وأفلت الشمس تأفل وتأفل أفلاً وأفولاً: غربت، وفي التهذيب: إذا غابت فهي آفلة وآفل، وكذلك القمر يأفل إذا غاب، وكذلك سائر الكواكب⁽¹⁾. ويقول ابن فارس "الهمزة والفاء واللام أصلان: أحدهما الغيبة، والثاني الصغار من الإبل. فأما الغيبة فيقال: أفلت الشمس غابت، ونجوم أفل. وكل شيء غاب فهو آفل"⁽²⁾ ولقد وردت كلمة (أفل) في القرآن الكريم أربع مرات⁽³⁾ قال (عليه السلام) في قصة إبراهيم (عليه السلام): ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾⁽⁴⁾ فمعنى "أفل أراهم النقص الداخل على النجم بالأفول، لأنه ليس ينبغي لإله أن يزول ولا أن يغيب، فقال: لا أحب الآفلين واعتبر مثل ذلك في الشمس والقمر، حتى تبين للقوم ما أراد، من غير جهة العناد والمبادأة بالتنقص والعيب"⁽⁵⁾، ومن هنا فإن المعنى المراد من كلمة (أفل) إنما هو الغياب وعدم الظهور "يعني التي تغيب. يقال: أفلت النجوم: إذا غابت. وقد أفلت تأفل وتأفل"⁽⁶⁾، وقد بين الفخر الرازي القول الواضح في أن النجوم حادثة؛ لأنها متغيرة، وحادثة وبالتالي "لا قدرة لها على الإيجاد والإبداع، فلهذا السبب استدل إبراهيم (عليه السلام) بأفولها على امتناع كونها أرباباً وآلهة لحوادث هذا العالم"⁽⁷⁾.

(1) لسان العرب، 11 / 18.

(2) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (أفل) 1 / 119.

(3) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص 34.

(4) سورة الأنعام من الآية: 76.

(5) تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ) المحقق: إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص 202.

(6) الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى 401 هـ) تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعته: أ. د. فتحي حجازي، ص 84، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999 م، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) المحقق: سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1403 هـ - 1983 م، ص 47.

(7) مفاتيح الغيب، للرازي: 13 / 44.

الرابع: (أندلس)

التدليس في اللغة "بمعنى خفي (تدلس) الرجل تكتم والشيء خفي والدابة لحست الشيء القليل في المرتع وفلان الطعام أخذه قليلاً قليلاً"⁽¹⁾. وفي الاصطلاح:

"مأخوذ من الدلس بالتحريك وهو اختلاط الظلام الذي هو سبب لتغطية الأشياء عن البصر ومنه التدليس في البيع يقال دلس فلان على فلان أي ستر عنه العيب الذي في متاعه كأنه أظلم عليه الأمر"⁽²⁾.

وفي علم الحديث: "أن يروي عن لقيه ما لم يسمع منه، موهماً أنه سمعه منه، أو عن عاصره ولم يلقه موهماً أنه قد لقيه وسمعه منه، ثم قد يكون بينهما واحد وقد يكون أكثر"⁽³⁾.

الخامس: (التبس)

معناه في اللغة: "يقال 'التبس عليه الأمر: لبس؛ أشكل واختلط واشتبه، كان غير واضح" أعاد صياغة فكرته منعا للالتباس -التبس عليه الحق بالباطل- المشكلة ملتبسة على الطرفين - رفع الالتباس عن الموضوع" التبس به: خولط في عقله"⁽⁴⁾.

(1) المعجم الوسيط: 1 / 293.

(2) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، الصنعاني محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كآسلافه بالأمر (المتوفى: 1182هـ) تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1417هـ/1997م: 1 / 315.

(3) معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين (المتوفى: 643هـ)، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر - سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت، سنة النشر: 1406هـ - 1986م، 1 / 73.

(4) سورة الأنعام من الآية: 76.

ويقول الراغب: "لبس الثوب استتر به وألبسه غيره ومنه ﴿وَلْيَبْسُوتَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾⁽¹⁾ واللباس واللبوس واللبس ما يلبس، قال تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُمُ﴾⁽²⁾، وجعل اللباس لكل ما يغطي من الإنسان عن قبيح فجعل الزوج لزوجته لباساً من حيث إنه يمنعها ويصدها عن تعاطي قبيح، قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾⁽³⁾ فسماهن لباساً، وجعل التقوى لباساً على طريق التمثيل والتشبيه، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ الْقَوَى﴾⁽⁴⁾ وقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾⁽⁵⁾ يعنى به الدرع وقوله ﴿فَإَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾⁽⁶⁾، وجعل الجوع والخوف لباساً على التجسيم والتشبيه تصويراً له، وذلك بحسب ما يقولون تدرع فلان الفقر ولبس الجوع ونحو ذلك. وقرأ بعضهم ﴿وَلِبَاسُ الْقَوَى﴾⁽⁷⁾ من اللبس أي الستر وأصل اللبس ستر الشيء⁽⁸⁾.

السادس: (بطن)

مادة بطن تدل على الخفاء وعدم الظهور يقول الخليل ابن أحمد "البطن في كل شيء خلاف الظهر، كبطن الأرض وظهرها، وكالباطن والظاهر، وكالبطانة والظهارة، يعني: باطن الثوب وظهره"⁽⁹⁾ بينما ذكر صاحب كتاب

(1) سورة الكهف من الآية: 31.

(2) سورة الأعراف من الآية: 26.

(3) سورة البقرة من الآية: 187.

(4) سورة الأعراف من الآية: 26.

(5) سورة الأنبياء من الآية: 80.

(6) سورة النحل من الآية: 112.

(7) سورة الأعراف من الآية: 26.

(8) المفردات في غريب القرآن، ص 447.

(9) كتاب العين، الخليل ابن أحمد، باب (الطاء والنون والباء)، 7 / 440.

القاموس المحيط معنى بطن بأنها خلاف الظهر... وبطن: خفي، فهو باطن⁽¹⁾. ويقول الراغب: "ويقال لكل غامض: بطن، ولكل ظاهر: ظهر، ومنه: بطنان القدر وظهرانها، ويقال لما تدركه الحاسة: ظاهر، ولما يخفى عنها: باطن"⁽²⁾. وقد وردت كلمة (بطن) في القرآن الكريم في ستة وعشرين موضعاً⁽³⁾ ومن المواضع التي ذكرت فيها كلمة (بطن) في قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا تَوَدُّ...﴾⁽⁴⁾.

السابع: (التواري)

التواري في اللغة بمعنى الخفاء والستر "واری يوارى، وار، مواراة، فهو موار، والمفعول موارى، واری الحقيبة وغيرها: أخفاها، سترها" ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤْوِي سَوْءَ تِكْمٍ﴾⁽⁵⁾ "واری الميت: دفنه" وأراه التراب الثرى - ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ، كَيْفَ يُؤْوِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾⁽⁶⁾ وري الشيء: أخفاه وستره وأظهر غيره⁽⁷⁾.

جاء في كتاب معجم الصحاح "واراه: أخفاه وستره؛ فتواري أي استخفى"⁽⁸⁾.

(1) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، 1/ 1180، فصل الباء.

(2) المفردات في غريب القرآن، الراغب، باب (بطن)، ص130.

(3) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، ص124.

(4) سورة آل عمران من الآية: 35.

(5) سورة الأعراف، من الآية: 26.

(6) سورة المائدة، من الآية: 31.

(7) معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر: 3/ 2429.

(8) معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق) دار مكتبة الحياة - بيروت - عام النشر: 1377 - 1380 هـ، 5 / 745.

وقيل في معناها "استخفيت منك أي تواريت"⁽¹⁾، ويقال "وواراه: أخفاه، قال الله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوْءَ تِكُمْ﴾"⁽²⁾ وتوارى: اختفى، قال تعالى: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾"⁽³⁾ ووراه تورية: أخفاه"⁽⁴⁾. ويقول الراغب: "واريت كذا: إذا سترته. قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوْءَ تِكُمْ﴾"⁽⁵⁾ وتوارى: استتر"⁽⁶⁾ "وقد جاءت هذه اللفظة في القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سَوْءَ مَا بُشِّرَ﴾"⁽⁷⁾ "أي يختفي ويتغيب من سوء ما بشر به"⁽⁸⁾.

الثامن: (جَنّ)

معناها في اللغة "يقال جنّ النبت جنونا إذا اشتد وخرج زهره. فهذا يمكن أن يكون من الجنون استعارة كما يجن الإنسان فيهيح، ثم يكون أصل الجنون ما ذكرناه من الستر. والقياس صحيح. وجنان الناس معظمهم، ويسمى السواد. والمجننة الجنون. فأما الحية الذي يسمى الجان فهو تشبيه له بالواحد من الجان. والجن سموا بذلك لأنهم متسترون عن أعين الخلق"⁽⁹⁾. وقد وردت كلمة (جن) في

(1) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي، 1 / 176.

(2) سورة الأعراف من الآية: 26.

(3) سورة ص من الآية: 32.

(4) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: 817هـ) المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 5 / 200.

(5) سورة الأعراف من الآية: 26.

(6) المفردات في غريب القرآن، ص 866.

(7) سورة النحل من الآية: 59.

(8) مفاتيح الغيب، للرازي: 20 / 225.

(9) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (جه) 1 / 422.

القرآن الكريم في أحد ومائتي مرة⁽¹⁾ فمن صيغها الجنة وهي "كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض، قال (عَلَّكَ): ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾⁽²⁾، ﴿يَجْنَتُهُمْ جَنَّتَيْنِ﴾⁽³⁾ ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾⁽⁴⁾ قيل: وقد تسمى الأشجار الساترة جنة"⁽⁵⁾ وقيل إنها "البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنة إذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها"⁽⁶⁾ ومن دلالات (جنن) الجنين ومعناه "الولد ما دام في بطن أمه، وجمعه أجنة، والجنين القبر؛ لأنه يستر ويواري نازله"⁽⁷⁾. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قول الله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾⁽⁸⁾ ومن هنا فقد تبين أن كلمة (جنن) تدل على الخفاء وعدم الظهور.

التاسع: (حجاب)

ومعناه في اللغة: "الستر. حجب الشيء يحجبه حجباً وحجاباً وحجبه: ستره. وقد احتجب وتحجب إذا اكتن من وراء حجاب. وامرأة محجوبة: قد سترت بستر.

(1) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص179 - 182.

(2) سورة سبأ من الآية:15.

(3) سورة سبأ من الآية:16.

(4) سورة الكهف، من الآية:39.

(5) المفردات في غريب القرآن، ص204.

(6) مفاتيح الغيب، للرازي، 358/2.

(7) الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (812 - 893هـ) المحقق: سعيد بن غالب كامل المجيدي، أصل الكتاب: رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1429هـ - 2008م: 4 / 271.

(8) سورة النجم، من الآية:32.

وحجاب الجوف: ما يحجب بين الفؤاد وسائر⁽¹⁾.

وفي الاصطلاح: الحجاب: كل ما ستر المطلوب أو منع من الوصول إليه، ومنه قيل للستر حجاب لمنعه المشاهدة، وقيل: للبواب حاجب لمنعه من الدخول. وأصله جسم حائل بين جسدين ثم استعمل في المعاني فقول: العجز حجاب بين الرجل ومراده، والمعصية حجاب بين العبد ورب⁽²⁾. وقيل هو: "كل ما يستر المطلوب ويمنع من الوصول إليه فهو حجاب، كالستر والبواب والجسم والعجز والمعصية"⁽³⁾.

ومن هنا فإن كلمة (الحجاب) ترادف كلمة الستر والخفاء، وقد جاءت هذه اللفظة في القرآن الكريم، ومعناها الستر والغطاء، يقول تعالى: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونُ﴾⁽⁴⁾.

"وعلى هذا فإن "الحجاب هو الذي يمنع من الرؤية"⁽⁵⁾ وقد ذكرت كلمة (حجب) في القرآن الكريم في ثمانية مواضع⁽⁶⁾ وقد دلت على الاستتار والخفاء فمن هذه المواضع قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾⁽⁷⁾ والمعنى "إذا سألتموهن متاعا شيئا ينتفع به. فسألوهن المتاع. من وراء

(1) لسان العرب، 1/ 298.

(2) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ) عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، 1410هـ-1990م.، فصل الجيم: 1/ 176.

(3) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحنفي، فصل الحاء، 1/ 360.

(4) سورة فصلت من الآية: 5.

(5) مفاتيح الغيب، للرازي، 540/27.

(6) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص193.

(7) سورة الأحزاب من الآية: 23.

حجاب ستر"⁽¹⁾ ومن المواضع التي ذكرت فيها كلمة (حجاب) في قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾⁽²⁾ "أي: من حيث ما لا يراه مكلمه ومبلغه"⁽³⁾ ومن هنا فإن الحجاب معناه الساتر وهذا المعنى هو المستفاد من خلال الأقوال السابقة..

العاشر: (خبأ)

ومعناه في اللغة "استتر والشيء ستره"⁽⁴⁾، وقيل اختبأ أي استتر "خبأ {الخبء} المستتر. وخبء السموات: المطر، وخبء الأرض: النبات" (5) وجاء - أيضا - بمعنى الخفاء "خبأ كنزاً في الأرض: ستره، دفنه، حفظه، أخفاه" خبأ أوراقاً سرية - كما يخبئ الدهر للإنسان "غافل عما تخبئه له الأيام: يجهل ما سيحدث له مستقبلاً"⁽⁶⁾ وتدل كلمة الخبء على الخفاء والستر فقل أن "الخباء والباء والحرف المعتل والهمزة يدل على ستر الشيء. فمن ذلك خبأت الشيء أخبؤه خبأ"⁽⁷⁾. وقد جاءت لفظة (الخبء) في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة النمل على لسان هدهد

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418هـ - 237/ 4.

(2) سورة الشورى من الآية: 51.

(3) المفردات في غريب القرآن، ص210

(4) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط (إبراهيم مصطفى وآخرون) دار الدعوة. 213/1.

(5) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تحقيق: سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1403هـ - 1983م، 1/ 110.

(6) معجم اللغة العربية المعاصر، د /أحمد مختار عبد الحميد عمر: 1 / 603.

(7) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: 2 / 242- اتفاق المباني وافتراق المعاني، سليمان بن بنين بن خلف بن عوض، تقى الدين، الدقيقي المصري (المتوفى: 613هـ) المحقق: يحيى عبد الرؤوف جبر، دار عمار - الأردن، الطبعة: الأولى، 1405هـ - 1985م، ص109..

سليمان (عليه السلام) قال تعالى ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾⁽¹⁾ ومعنى الخبء "أي المستتر. وخبء السموات: المطر، وخبء الأرض: النبات"⁽²⁾. بينما قال الفراء أن المراد بالخبء "وهو الغيب غيب السموات وغيب الأرض"⁽³⁾. ومن هنا يظهر أن لفظة (الخبء) يراد بها الغيب الخفي الذي لا يعلمه أحد إلا الله جل وعلا.

معناها في الاصطلاح: "هو ما يوجده الله ويخرجه من العدم إلى الوجود فهو بهذه المنزلة فخبء السماء الأمطار والرياح، وخبأ الأرض الأشجار والنبات"⁽⁴⁾، ومن هنا نلاحظ أن المدلول اللغوي والاصطلاحي يدلان على أن معنى "الخبء" هو الخفاء أو ما استتر تحت الأرض فلا يعلمه إلا علام الغيوب وحده.

الحادي عشر: (خسف)

معناها في اللغة: سؤوخ الأرض بما عليها من الأشياء.. انخسفت به الأرض، وخسفها الله به. وعين خاسفة: فقئت، وغابت حدقتها⁽⁵⁾. وقد ذهب ابن فارس إلى أن الخسف معناه الغموض وعدم الوضوح فقال: "الخاء والسين والفاء أصل واحد يدل على غموض وغوور، وإليه يرجع فروع الباب. فالخسف والخسف. غموض ظاهر الأرض. قال الله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾⁽⁶⁾،... ومنه: بات على الخسف، إذا بات جائعا، كأنه غاب عنه ما أراده من طعام.

(1) سورة النمل، الآية: 25.

(2) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، ص110.

(3) معاني القرآن، للفراء: 2/ 291.

(4) التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد ابن الحسن الطوسي المتوفى سنة 460 هـ تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، 8/ 89.

(5) كتاب العين، للخليل ابن أحمد، مادة (خ س ف)، 4/ 201.

(6) سورة القصص من الآية: 81.

ورضي بالخسف، أي الدنية. ويقال: وقع الناس في أخاسيف من الأرض، وهي اللينة تكاد تغمض ليلنها⁽¹⁾. وقد وردت لفظة (خسف) في القرآن العظيم بصيغة الماضي في أربعة مواضع، وبصيغ المضارع أيضًا في أربعة مواضع⁽²⁾ وهذه المواضع تدل على الخفاء، وقد جاءت هذه الكلمة (خسف) للحديث عن يوم القيامة فقال الله تعالى ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ⁽³⁾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ⁽⁴⁾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ⁽⁵⁾ يَقُولُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ⁽⁶⁾﴾⁽³⁾ والمراد من خسوف القمر ذهاب ضوئه كما نعقله من حاله إذا خسف في الدنيا⁽⁴⁾ ومن هنا فإن كلمة خسف تدل على الغياب وعدم الظهور.

الثاني عشر: (خُنس - كُنس)

وهاتان الكلمتان سيأتي الحديث عنهما في ثنايا البحث خاصة في الباب الثاني منه وهاتان الكلمتان تتعلقان بالمجموعة الشمسية من حيث الخفاء لذا فقد أقسم الله تعالى بهما وذلك لعظمتهم والمدلول اللغوي لكلمة (خنس) الخفاء والستر والتغطية، يقول ابن سيده: "خنس يخنس خنوسًا ومنه الكواكب الخنس؛ لأنها تخنس أحيانًا حتى تخفى تحت ضوء الشمس"⁽⁵⁾.

بينما المدلول اللغوي لكلمة (كنس) "النجوم التي تستمر في مجاريها. وتكنس في مخاويها، أي: مغاييها ومساقطها. خوت النجوم خيا، لكل نجم خوي يقف فيه، ويستدير، ثم ينصرف راجعا، فكنوسه مقامه في خويه. وخنوسه أن يخنس بالنهار

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: 2/ 179، 180.

(2) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص232، 233.

(3) سورة القيامة، الآيات: 7 - 10.

(4) مفاتيح الغيب، للرازي، 30 / 724.

(5) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (المتوفى: 458هـ) المحقق: خليل إبراهيم جفال، 95/5، دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1996م، مقاييس اللغة، 2 / 223.

فلا يرى" (1)، وقد جاء ذكرهما في القرآن ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ (2) وقد "أقسم بالنجوم التي تجري بالليل وتخس بالنهار" (3)، وجاء معناهما عند الفراء بأنهما "النجوم الخمسة تخس في مجراها، ترجع وتكنس: تستتر كما تكنس الأطباء في المغار" (4).

الثالث عشر: (دس)

تدل كلمة (دس) على خفاء الشيء عن أعين الناظرين ومن ثم فقد عرفها الخليل بن أحمد بقوله: "دس: دسست شيئاً في التراب، أو تحت شيء أي أخفيت، قال الله (سبحان): ﴿أَيْمِسْكُهُ، عَلَى هُوْبٍ أَمْ يَدُسُّهُ، فِي التُّرَابِ﴾" (5) أي يدفنه (6) وأصل الكلمة "من دسها أي أخفاها، يعني نفسه عن الصدقة" (7) وقد جاء ذكر كلمة (دساها) في قول الله تعالى ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ (8) "أي نقصها وأخفاها بترك عمل البر، وبركوب المعاصي. والفاجر أبداً خفي المكان، زمر المروءة، غامض الشخص،

(1) كتاب العين، مادة (كنس): 312 / 5.

(2) سورة التكويد، الأيتان: 15، 16.

(3) الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: 285هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة - الطبعة: الطبعة الثالثة 1417 هـ - 1997 م. 2 / 221.

(4) معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ) المحقق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر - الطبعة: الأولى: 3 / 242.

(5) سورة النحل من الآية: 59.

(6) كتاب العين: باب السين والذال (س د) 158 / 7.

(7) كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: 370هـ) مطبعة دار الكتب المصرية (1360هـ - 1941م) ص 102.

(8) سورة الشمس، الآية: 10.

ناكس الرأس⁽¹⁾. ومن هنا فإن كلمة (دساها) تفيد خفاء الخير وعمل البر عن النفس وبهذا يستحق الخسران.

الرابع عشر: (دساها)

معناها في اللغة "دسًا إذا استخفى. دسّي من قوله (دسّي): ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا" (2) أي أخفاها" ودسّي فلان نفسه إذا أخفاها وأخملها لؤمًا مخافة أن يتنبه له فيستضاف" (3) و" (دسّي) نفسه أخفاها وأخملها لؤمًا مخافة أن يتنبه له فيستضاف وأغواها وأفسدها وغيره أغواه وأفسده وعنه حديثًا احتمله" (4).

الخامس عشر: (دفين)

جاء في لسان العرب "الدَّفْنُ" الستر والموارة، دفنه (دفنه) يدفنه دفنًا وأدفنه فاندفن وتدفن فهو مدفون ودفين. والدفن والدفين: المدفون، والجمع أدفان ودفناء⁽⁵⁾. وقيل: "هو صفة ثابتة للمفعول من دفن: مدفون، مستور مخفي "بقى الخبر في صدره سرًا دفينًا - علة دفيئة - داء دفين" فيه داء دفين: هو الذي لا يعلم به حتى يظهر شره⁽⁶⁾.

(1) تأويل مشكل القرآن، بن قتيبة الدينوري، ص205.

(2) سورة الشمس، الآيتان: 9-10.

(3) لسان العرب: 14 / 256، مختار الصحاح، 1 / 104، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الفارابي: 6 / 2336، مقاييس اللغة: 2 / 277، تاج العروس من جواهر القاموس: 38 / 45.

(4) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1 / 284.

(5) لسان العرب: 13 / 155.

(6) معجم اللغة العربية المعاصر د / أحمد مختار عمر، باب دفن، 1 / 756، ومختار الصحاح، الرازي، 1 / 106.

السادس عشر: (الستر)

ومعنى الستر في اللغة: "بالفتح: مصدر سترت الشيء أستره، إذا غطيته، فاستتر هو. وتستر، أي تغطي. وجارية مُسترة، أي مُحَدَّرَة. وقوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾⁽¹⁾ أي حجابًا على حجاب، والأول مستور بالثاني، يراد بذلك كثافة الحجاب؛ لأنه جعل على قلوبهم أَكِنَّةً وفي آذانهم وقْرًا"⁽²⁾ "وكلُّ ما ستر شيئاً، فهو له خفاء"⁽³⁾.

أما الستر في الاصطلاح: فهو " إخفاء العيب وعدم إظهاره، فمن كان معروفًا بالاستقامة وحصل منه الوقوع في المعصية نوصح وسُتر عليه"⁽⁴⁾ وقد وردت في السنة كلمة الستر في حديث أبي هريرة " قال: قال رسول الله (ﷺ): ((مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ))"⁽⁵⁾. والملاحظ على التعريفين سواء اللغوي أم الاصطلاحي يجد أن المعنى المستفاد منهما واحد وهو (الخفاء والستر والتواري)، فمن ستر شيئاً فقد أخفى عيبه عن الناظرين.

(1) سورة الإسراء من الآية: 45.

(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري الفارابي، باب ستر: 2 / 67، وجمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م: 2 / 256.

(3) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (المتوفى: 458هـ) باب خفي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت- الطبعة: الأولى، 1421 هـ، 2 / 256.

(4) فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتنمة الخمسين للنووي وابن رجب -رحمهما الله -، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، دار ابن القيم، الدمام المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1424هـ-2003م: 1 / 122.

(5) أخرجه بهذا اللفظ: ابن ماجة في سننه، كتاب "الحدود"، باب من ستر مسلم (850/2)(2544) ط: عيسى الحلبي، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، وأخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" كتاب "البر والصلة والأداب" باب: بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا، بأن يستر عليه في الآخرة (2002/4) (2590) ولكن بلفظ: ((لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا، إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).

السابع عشر: (سرّ)

السر في اللغة هو "ما يكتم وهو خلاف الإعلان والجمع الأسرار وأسررت الحديث إسراراً أخفيته"⁽¹⁾، وجاء في معجم مقاييس اللغة "سر السين والراء يجمع فروعه إخفاء الشيء. وما كان من خالصه ومستقره. لا يخرج شيء منه عن هذا. فالسر: خلاف الإعلان. يقال أسررت الشيء إسراراً، خلاف أعلنته"⁽²⁾.

وفي الاصطلاح: السرّ لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن، وهو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة، والقلب محل المعرفة، وسر السر: ما تفرّد به الحق عن العبد، كالعلم بتفصيل الحقائق في إجمال الأحدية وجمعها واشتمالها على ما هي عليه"⁽³⁾. وقيل إن الكنن هو: الحديث المكتت، وقيل هو: الحديث المكتتم في النفس، وكنى عن النكاح بالسر من حيث إنه يخفى"⁽⁴⁾.

ويتبين مما سبق أن السر معناه الكتمان وعدم ظهوره أي إخفاؤه شيمة من شيم الصالحين، وكتمانه يدل على خفائه فالمعنى اللغوي والاصطلاحي يدلان على معنى واحد وإن اختلفت الألفاظ.

الثامن عشر: (ضمّر)

معناها في اللغة: "الضاد والميم والراء أصلان صحيحان، أحدهما: يدل على دقة في الشيء، والآخر: يدل على غيبة وتستر"⁽⁵⁾، وفي كتاب شمس العلوم نجد أن كلمة الإضمار معناها الإخفاء والتستر فيقال "أضمره فضمّر، وخيل

(1) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي، باب (س ر ر) 1 / 273..

(2) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، باب (سرّ): 3 / 73.

(3) التعريفات، للجرجاني: 1 / 118.

(4) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي فصل الراء، 1 / 193.

(5) مقاييس اللغة، ابن فارس: 13 / 371.

مضمرة. وأضمرته الأرض: أي غيبته. وأضمره في نفسه: أي أسره، ومنه المضممر من الأسماء، وهو نقيض المظهر⁽¹⁾، وفي كتاب غريب الحديث أيضًا أن معنى ضمارة الشيء أي غيابه وعدم ظهوره فقال "الضمار: الغائب الذي لا يرجى، وإذا رجي فليس بضمار، من أضمرت الشيء إذا غيبته"⁽²⁾ "والمضمرة: الموضع الذي يضم فيه. والضمير: ما ينطوي عليه القلب، ويدق على الوقوف عليه، وقد تسمى القوة الحافظة لذلك ضميرًا"⁽³⁾.

التاسع عشر: (طمس)

قال الخليل الفراهيدي: "طمس النجم: ذهب ضوؤه، والقمر مثله. وخرق طامس، وجبل طامس: لا نبات فيه ولا مسلك"⁽⁴⁾. ويقال: "انطمس الشيء وتطمس: امحى ودرس. قال شمر: طموس البصر ذهاب نوره وضوئه، وكذلك طموس الكواكب ذهاب ضوئها... والنجوم الطوامس، وهي التي تخفى وتغيب"⁽⁵⁾. هذا وقد وردت كلمة (طمس) في القرآن الكريم في خمسة مواضع⁽⁶⁾ كلها تدل على الخفاء والزوال ومما من شأنه أن يختفي ويزول.

(1) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: 573هـ) تحقيق: د/ حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) الطبعة: الأولى، 1420هـ - 1999م. 6 / 4000.

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (المتوفى: 606هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م. 3 / 99.

(3) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: 1 / 512.

(4) كتاب العين، باب (السين والطاء والميم)، 7 / 221.

(5) لسان العرب، فصل الطاء: 6 / 126.

(6) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص428.

يقول الراغب: "الطمس: إزالة الأثر بالمحو. قال تعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾⁽¹⁾ ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ﴾⁽²⁾ أي: أزل صورتها"⁽³⁾.

العشرون: (ظلة وظلل)

تدل كلمة ظلة على التغطية، جاء ذلك عند ابن فارس حيث قال "الطاء واللام أصل واحد، يدل على ستر شيء لشيء، وهو الذي يسمى الظل، فالظل: ظل الإنسان وغيره، ويكون بالغداة والعشي، والفيء لا يكون إلا بالعشي. وتقول: أظلتني الشجرة. وظل ظليل: [دائم]. والليل ظل"⁽⁴⁾ كما نجد الراغب الأصفهاني قد ذكر معنى ظل فقال "ويقال لكل موضع لم تصل إليه الشمس: ظل، ولا يقال الفيء إلا لما زال عنه الشمس"⁽⁵⁾ وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في ثلاثة وثلاثين موضعاً في القرآن الكريم"⁽⁶⁾ وقد وردت في قول الله تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾⁽⁷⁾ والمعنى كما يقول الزمخشري "وظل بمعنى صار كما يستعمل بات وأصبح وأمسى بمعنى الصيرورة. ويجوز أن يجيء ظل، لأن أكثر الوضع يتفق بالليل، فيظل نهاره مغتما مربد الوجه"⁽⁸⁾ كما وردت كلمة (ظلل) في قول الله تعالى

(1) سورة المرسلات، الآية: 8.

(2) سورة يونس، من الآية: 88.

(3) المفردات في غريب القرآن، ص524- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان، مادة طمس، 213/1.

(4) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (ظل)، 461/3.

(5) المفردات في غريب القرآن، الراغب، مادة (ظلل)، ص535.

(6) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، ص434.

(7) سورة النحل من الآية: 58.

(8) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، 612/2.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾⁽¹⁾، و(الظل): جمع ظلة بضم الظاء، وهي كل ما أظلك، مثل ظلال جمع ظل. (الغمام): السحاب الأبيض الرقيق، وهو مظنة الرحمة، ويغطي السماء ويغير لونها. ومن عجيب أمر الغين والميم أنهما إذا وقعتا فاء وعينا للكلمة دلّتا على معنى التغطية وحجب الشيء وإخفائه، ومنه غمد السيف أي قرابه الذي يخفيه، وتغمد الله فلانا برحمته ستره⁽²⁾.

الحادي والعشرون: (عَتَمَ)

في معاجم اللغة "عَتَمَ الأنوارَ: أطفأها، أخفاها بشدة" عَتَمَ أضواء المدينة لتوقّع غارة جويّة " عَتَمَ الصورة عَتَمَ المشهدَ، وعَتَمَ على الخبر: أخفاه، تجاهله " عَتَمَ العدو على أخبار هزيمته" والتعتيم الإعلامي: إخفاء الأخبار عن الجمهور عن طريق الرقابة - سياسة التعتيم: ستر الحقائق وشئون البلاد عن الرعية والتكتم في اتخاذ القرارات المهمة والخطيرة⁽³⁾.

الثاني والعشرون: (غُرِبَ)

المدلول اللغوي لها الستر والتغطية والاعتراب من الوطن، يقول الخليل بن أحمد معنى الغروب "وهو غيبوبة الشمس. ويقال: لقيته عند مغيربان الشمس. وقوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾⁽⁴⁾، الأول أقصى ما تنتهي إليه الشمس في الصيف، والآخر أقصى ما تنتهي إليه في الشتاء، وبين الأقصى ما تنتهي إليه

(1) سورة البقرة من الآية: 210.

(2) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: 1403هـ) دار الإرشاد للشنون الجامعية - حمص - سورية - بيروت، الطبعة: الرابعة، 1415هـ، 1 / 308.

(3) معجم اللغة العربية المعاصرة، د/أحمد مختار عبد الحميد عمر: 1455 / 2.

(4) سورة الرحمن الآية: 17.

الشمس في الصيف، والآخر أقصى ما تنتهي إليه في الشتاء، وبين الأقصى والأدنى مائة وثمانون مغرباً. قال الله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾⁽¹⁾ وقال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾⁽²⁾. والغربة: الاغتراب من الوطن. وغرب فلان عنا يغرب غرباً أي تتحى، أغربته وغربته أي نحيتة. والغربة: النوى البعيد، يقال: شقت بهم غربة النوى⁽³⁾. والمراد بالغروب عند الراغب "أي غيبوبة الشمس، يقال: غربت تغرب غرباً وغروباً، ومغرب الشمس ومغربانها"⁽⁴⁾. وقد جاء النظم القرآني في مادة غُرْبَ للدلالة على الاختفاء والستر من هذه الآيات الدالة على الخفاء ما ورد في سورة الكهف في قصة ذي القرنين حيث قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾⁽⁵⁾ ومعنى مغرب أي "منتهى الأرض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن أحد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربي"⁽⁶⁾ ومن هنا فإن الغروب يدل على الخفاء وعدم الرؤية أي الستر عن أعين الناس عامة.

الثالث وعشرون: (غطى)

جاء في معاجم العربية غطى "الشيء" غطيا وغطى عليه إذا (ستره وعلاه)⁽⁷⁾ غطى الشيء وعليه: ستره وواراه. هو مغطى القناع: خامل الذكر أغطي

(1) سورة الرحمن من الآية: 17.

(2) سورة المعارج الآية: 40.

(3) كتاب العيذ باب (الغين والباء والراء)، 410/4.

(4) المفردات في غريب القرآن، للراغب، باب (رغب)، ص 604.

(5) سورة الكهف من الآية: 86.

(6) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، 5 / 242.

(7) تاج العروس، الزبيدي: 39 / 74.

الكرم: جري الماء فيه وزاد ونما، فهو غاط⁽¹⁾.

وفي الاصطلاح "الغطاء: ما يجعل فوق الشيء من طبق ونحوه، كما أن الغشاء ما يجعل فوق الشيء من لباس ونحوه، وقد استعير للجهالة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾⁽²⁾.

الرابع والعشرون: (الغموض)

معناه في اللغة: إنها من السתר والخفاء "أغمض الحقيقة: أخفاها.. منها بالثمن نفسه" ﴿وَلَسْتُمْ بِتَآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾⁽³⁾ لا تفعلوا مع الله ما لا ترضونه لأنفسكم⁽⁴⁾ وجاء معنى الغموض بمعن الخفاء وعدم الوضوح في المعجم الوسيط "الغامض الخفي يقال حسب غامض غير معروف وكلام غامض غير واضح ورجل غامض فاتر عن الحملة خامل (الغمض) المنخفض من الأرض انخفاصًا شديدًا حتى لا يرى ما فيه وخلاف الواضح (ج) أغماض وغموض"⁽⁵⁾ "والغموض، هو الخفاء يقال: هذا الكلام غامض أي خفي الإدراك والغمض المتطامن الخفي من الأرض"⁽⁶⁾ ومن هنا فإن الشيء الغامض هو الشيء الخفي الذي لا يدرك إدراكًا تامًا أو يشاهد مشاهدة تامة أو واضحة فهو مرادف للفظ (الخفاء).

(1) معجم متن اللغة، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق): 4 / 307.

(2) سورة ق، الآية: 22، ويراجع: المفردات في غريب القرآن، للراغب، ص 609.

(3) سورة البقرة من الآية: 267.

(4) معجم اللغة العربية المعاصر، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، مادة (غمض)، 2 / 1642.

(5) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: 2 / 662.

(6) التفسير الكبير، للفخر الرازي: 7 / 55.

الخامس والعشرون: (غَمَضَ)

معناه في اللغة: يقال: غمض الحق غموضًا من باب قعد خفي مأخذه⁽¹⁾، وأغمض الحقيقة: أخفاها⁽²⁾.

وفي الاصطلاح: الغامض ما خفي والفكرة، إما بسيطة، وإما مركبة. فالفكرة البسيطة، تكون غامضة في حالتين:

1 - إذا كان الشيء المدرك حاضرًا كان غموض الفكرة البسيطة التي تمثلها ناشئًا عن ضعف الحواس، أو عن ضالة الأثر الذي تتكره صورة ذلك الشيء في النفس.

2 - وإذا كان الشيء غائبًا كان غموض الفكرة التي تمثلها ناشئًا عن عجز الذاكرة عن حفظ دقائق ذلك الشيء، حتى إنها إذا استطاعت أن تستعيد صورته جاءت هذه الصورة خافتة الضياء، حائلة اللون. أما الفكرة المركبة فإنها تكون غامضة إذا كانت مركبة من فكر بسيطة غامضة، أو كانت هذه الفكر البسيطة الداخلة في تركيبها غير محددة العدد، غير ظاهرة الترتيب⁽³⁾.

السادس والعشرون: (غِيَابَةُ الْجَب)

يقول صاحب مقاييس اللغة: غابت الشمس تغيب غيبة وغيوبا وغيابا. وغاب الرجل عن بلده. وأغابت المرأة فهي مغيبة، إذا غاب بعلمها. ووقعنا في غيبة وغيابة، أي هبطة من الأرض يغاب فيها. قال الله - تعالى - في قصة يوسف (عليه السلام): ﴿وَأَلْقَوْهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ﴾⁽⁴⁾ والغابة: الأجمة، والجمع غابات وغاب. وسميت لأنه

(1) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، 2 / 453.

(2) معجم اللغة العربية المعاصرة، د / أحمد مختار عبد الحميد: 2 / 1642.

(3) المعجم الفلسفي، د / جميل صليبا: 2 / 119.

(4) سورة يوسف من الآية: 10.

يغاب فيها⁽¹⁾ ومعنى غيابة الجب "أي جوف البئر، والجب: هو البئر الذي قطع من الأرض دون بناء يحميه من الانهيار"⁽²⁾ وقيل "سُمي بذلك إما لكونه محفورا في جبوب، أي: في أرض غليظة، وإما لأنه قد جب، والجب: قطع الشيء من أصله كجب النخل"⁽³⁾ ومن هنا فقد تبين أن غيابة الجب يراد بها المكان الخفي لكونه محفورا في الأرض.

السابع والعشرون: (الغيب)

معناه في اللغة: "ما غاب عن العيون، وإن كان محصلاً في القلوب. ويقال: سمعت صوتاً من وراء الغيب أي من موضع لا أراه. وقد تكرر في الحديث ذكر الغيب، وهو كل ما غاب عن العيون، سواء أكان محصلاً في القلوب، أم غير محصل، وغاب عني الأمر غيباً، وغيباً، وغيبة، وغيبوبة، وغيوباً، ومغاباً، ومغيباً، وتغيب: بطن. وغيبه هو، وغيبه عنه. كل مكان لا يدري ما فيه، فهو غيب؛ وكذلك الموضع الذي لا يدري ما وراءه، وجمعه: غيوب"⁽⁴⁾. وعلى هذا فإن المراد من الغيب في اللغة الشيء الذي لا تراه العيون ولا تدركه الحواس.

أما في الاصطلاح: "قال الغيب: مصدر غابت الشمس وغيرها إذا استترت عن العين، يقال: غاب عني كذا. قال تعالى: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾⁽⁵⁾، واستعمل في كل غائب عن الحاسة، وعما يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب، قال: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾⁽⁶⁾، ويقال للشيء: غيب وغائب

(1) معجم مقاييس اللغة، باب (غير)، 4/ 403.

(2) السراج في بيان غريب القرآن، محمد بن عبد العزيز بن أحمد الخضير، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، ص 98.

(3) المفردات في غريب القرآن، للراغب، ص 182.

(4) لسان العرب: 1/ 654.

(5) سورة النمل من الآية: 20.

(6) سورة النمل الآية: 75.

باعتباره بالناس لا بالله تعالى، فإنه لا يغيب عنه شيء، كما لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض. وقوله: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾⁽¹⁾ أي: ما يغيب عنكم وما تشهدونه⁽²⁾ "وحقيقته ما غاب عن الحواس مما لا يوصل إليه إلا بالخبر دون النظر"⁽³⁾.

ومن خلال التعريفين السابقين أرى أن الغيب هو ما غاب عن الإنسان أو الحواس من الآجال والأرزاق وغيرها من الأمور التي استأثرها الله بعلمه فلا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، وقد وردت كلمة الغيب في القرآن الكريم في ستة وخمسين موضعاً⁽⁴⁾.

الثامن والعشرون: (فج)

كلمة (فج) من الكلمات المترادفة للفظة (خفاء) وسيأتي الحديث عنها في الباب الثاني من هذا البحث، وقد جاء معناها في اللغة بأنها "المضرب البعيد، وقيل: هو الشعب الواسع بين الجبلين، وقال ثعلب: هو ما انخفض من الطرق"⁽⁵⁾ وقد جاء ذكرها في أكثر من موضع⁽⁶⁾ يقول الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾⁽⁷⁾ "والفج الطريق بين

(1) سورة الأنعام، من الآية: 73.

(2) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، باب غيب، 1 / 616.

(3) أحكام القرآن، الاشبيلي القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري المالكي (المتوفى: 543هـ)، يراجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م: 1 / 15.

(4) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، (غ ي ب) ص 507.

(5) لسان العرب، فصل الفاء، 2 / 338..

(6) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص 512.

(7) سورة الحج، الآية: 27.

الجبليين، ثم يستعمل في سائر الطرق اتساعاً⁽¹⁾ "وقيل هو المسلك"⁽²⁾، وقيل هو "الشق بين جبليين تسير فيه الركاب، فغلب الفج على الطريق لأن أكثر الطرق المؤدية إلى مكة تسلك بين الجبال"⁽³⁾. ومن هنا فإن الفج معناه الطريق العميق أو المسلك الخفي الذي ليس واضحاً تماماً تمام الوضوح للمارة.

التاسع والعشرون: (كَتَمَ)

معنى (كتم) الخبر في اللغة: أي أخفاه ولم يفشه وكان شديد التحفظ عليه، أو ستره وطمسه، ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ﴾⁽⁴⁾ - ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾⁽⁵⁾ تخفوها" كتم الشخص الحديث، وكتم عن الشخص الحديث: أخفاه عنه"⁽⁶⁾.

وفي الاصطلاح: "الكتمان: ستر الحديث"⁽⁷⁾، ومن هنا فإن معناه إخفاء الشيء وعدم ظهوره، وهذا ما نراه واضحاً من خلال أي الذكر الحكيم التي تشير إلى ذلك، فالمعنى اللغوي والاصطلاحي يدلان على معنى واحد فلا فرق بينهما من حيث الدلالة".

(1) مفاتيح الغيب، للرازي، 23 / 220.

(2) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان، ص 243.

(3) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393 هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: 1984 هـ، 17 / 245.

(4) سورة غافر، من الآية: 28.

(5) سورة البقرة، من الآية: 283.

(6) معجم اللغة العربية المعاصر: 3 / 1936، وأبو نصر الفارابي، معجم الصحاح، باب كتم: 5 / 2018.

(7) المفردات، الراغب الاصفهاني: 1 / 702.

الثلاثون: (كُفِّرَ)

ومعنى الكفر في اللغة يقال: " كفر نعمة الله يكفرها كفورًا، وكفرانًا، وكفر بها: جردها وسترها. وكافره حقه: جرده ورجل كافر: جاحد لأنعم الله، مشتق من الستر. وقيل: لأنه مغطى على قلبه⁽¹⁾، وقيل "إن الكفر يراد به الجحود والستر والتغطية، ومنه كُفِرَ النعمة أي سترها وجردها، وكفر النعمة وكفرانها: سترها بترك أداء شكرها، ولما كان الكفران يقتضي جحود النعمة صار يستعمل في الجحود، قال: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرِيهِ﴾⁽²⁾ أي: جاحد له وساتر⁽³⁾. وعلى هذا فإن المراد بكلمة الكفر في التعريفين السابقة (التغطية والستر، وعدم الوضوح.

وفي الاصطلاح يعرفه صاحب الفصل في الملل والأهواء بقوله "الكفر في اللغة التغطية وسمى الزراع كافرًا لتغطيته الحب وسمى الليل كافرًا لتغطيته كل شيء قال الله (عَلَيْكَ) ﴿فَاسْتَغْلَظْ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾⁽⁴⁾ وقال تعالى ﴿كَشَلْ غَيْثٍ أَحَبَّ الْكُفَّارِ نَبَأُهُ﴾⁽⁵⁾ يعني الزراع، ثم نقل الله تعالى اسم الكفر في الشريعة إلى جحد الربوبية وجحد نبوة نبي من الأنبياء صحت نبوته في القرآن، أو جحد شيء: مما أتى به رسول الله (ﷺ) مما صح عند جاحده بنقل الكافة أو عمل شيء قام البرهان بأن العمل به كفر"⁽⁶⁾، ومن خلال التعريفين السابقين لمعنى الكفر نرى أنه يدور بين معنى التغطية والستر والخفاء، فالتعريفان اللغوي

(1) المحكم والمحيط الأعظم، بن سيده، 7 / 3.

(2) سورة البقرة من الآية: 41.

(3) المفردات في غريب القرآن: الراغب الاصفهاني 1 / 714.

(4) سورة الفتح من الآية: 29.

(5) سورة الحديد من الآية: 20.

(6) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ) مكتبة الخانجي - القاهرة، 3 / 118.

والاصطلاح معناه واحد، وإن اختلفت العبارات أو الألفاظ إلا أن المعنى واحد، وقد وردت كلمة (كُفِّر) في القرآن (536) في ستة وثلاثين وخمسة مئة موضع⁽¹⁾.

الحادي والثلاثون: (كَمَّ)

ومعناه في اللغة: بمعنى الستر والخفاء والتغطية ففي المعجم الوسيط " (كم) الناس كمًا وكمومًا اجتمعوا والشيء كما غطاه وستره يقال كم الدن سد رأسه والشهادة أخفاها والبعير جعل على فيه الكمام (أكمت) النخلة أخرجت كامها وقميصه جعل له كمين (كملت) النخلة أكمت والشيء ستره أو سده يقال كم النخلة غطاها لترطب، وكمم الدن ونحوه طينه وسده، وكمم فم الحيوان سده بالكمامة، والقميص أكمه (تكمم) بثيابه تغطي بها"⁽²⁾.

الثاني والثلاثون: (الكمُون)⁽³⁾

معناه في اللغة: "يقال" كمن كمونًا: اختفى. وكمن له يكمن كمونًا وكمن: استخفى. وكمن فلان إذا استخفى في مكن لا يفطن له. وأكمن غيره: أخفاه. ولكل حرف مكن إذا مر به الصوت أثاره. وكل شيء استتر بشيء فقد كمن

(1) المعجم المفهرس، ص 605، 606.

(2) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: 2 / 799.

(3) الكمون والظهور هو من أقوال الفلاسفة الدهريين المنكرين للخالق وذلك أنهم زعموا أن الأعراض قديمة في الأجسام إلا أنها تمكن في الأجسام إلا أنها تكمن في الأجسام وتظهر فإذا ظهرت الحركة في الجسم كمن السكون وإذا ظهر السكون كمن في الحركة. وقد أخذ بالكمون والظهور النظام من المعتزلة إلا أنه قال: "إن الله خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن، معادن، ونبات وحيوان، وإنسان، ولم يتقدم خلق آدم (عليه السلام) خلق أولاده غير أن الله تعالى أكمن بعضها في بعض فالتقدم والتأخر إنما يقع في ظهورها من مكانها". والمراد هنا باستحالة الظهور والكمون عليها هو إثبات حدوثها وخلقها. ينظر: أصول الدين، الأستاذ أبي منصور عبد القاهر ابن طاهر التميمي البغدادي المتوفى سنة 429 هـ، استانبول، مطبعة الدولة، ط1، 1346 هـ، 1928 م ص56، شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار ابن أحمد الهمداني، ت، أحمد ابن الحسين بن أبي هاشم، حققه وقدم له، الدكتور / عبد الكريم عثمان مكتبة وهبة، ط3، 1416 هـ، 1996 م، ص104.

فيه كمونًا. الكمين في الحرب الذين يكمنون. وأمر فيه كمين أي فيه دغل لا يفتن له⁽¹⁾.

وفي الاصطلاح "الكمون هو استتار الشيء عن الحس كالزبد في اللبن قبل ظهوره، وكالدهن في السمسم"⁽²⁾.

وقد يكون الشيء خفيًا لا تدركه الحواس كالأشياء الروحية أو الأشياء التي يجهل العلماء الوقوف على عللها أو أسبابها، والعلوم الخفية تتمثل في السحر، والتنجيم، وعلوم الكيمياء القديمة وغيرها. "ويطلق الخفي أيضًا على القوى المادية أو الروحية التي يجهل العلماء أسبابها، أو على طرق البحث في هذه القوى، أو على الأساليب المستعملة في إظهارها. فبينما نحن نجد العلماء يقيدون أنفسهم بطرق البحث الموضوعي، نجد الباحثين في هذه القوى الخفية يحتقرون الطرق الموضوعية ويجاوزونها. إنهم يشفقون من دأب العلماء في البحث، ودبيب عقولهم على الأرض، ويريدون أن يحلقوا في الفضاء، حتى يحيطوا بكل ما كان، وبكل ما يكون. والعلوم الخفية هي السحر، والتنجيم، والعرافة، وعلم الكيمياء القديمة، والعلوم الروحانية وغيرها. والنزوع إلى الخفاء اتجاه عقلي يسلم بالأمور الخفية ويزعم أن إدراكها ممكن⁽³⁾. وعلى هذا فإن كلمة (الكمون) مرادفة لكلمة خفاء، وإن اختلفت العبارات فإن المفهوم واحد، وأيضًا مطابقة المعنى اللغوي للمعنى الاصطلاحي في أن كلاً منهما يؤدي نفس المعنى، وبه قال النظام من المعتزلة⁽⁴⁾ واعتمد على

(1) لسان العرب، 13 / 359.

(2) مفاتيح العلوم، للخوارزمي، 1 / 161.

(3) المعجم الفلسفي، د / جميل صليبا: 1 / 536.

(4) يقول الشهرستاني: "من مذهبه أن الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن: معادنًا ونباتًا، وحيوانًا، وإنسانًا، ولم يتقدم خلق آدم (عليه السلام) خلق أولاده؛ غير أن الله تعالى أكمّن بعضها في بعض، فالتقدم والتأخر إنما يقع في ظهورها من مكانها دون حدوثها ووجودها. وإنما أخذ هذه المقالة من أصحاب الكمون والظهور الفلاسفة وأكثر ميله أبداً إلى تقرير مذاهب الطبيعيين منهم دون الإلهيين. يراجع: الملل والنحل، للشهرستاني، 1 / 56.

هذا بقوله "أن الغالب على العالم السفليّ الماء والأرض، وهما جميعا باردان، وفي أعماقهما وأضعافهما من الحر ما يكون مغمورا ولا يكون غامرا، ويكون مقموعا ولا يكون قامعا؛ لأنه هناك قليل، والقليل ذليل، والذليل غريب، والغريب محقور. فلما كان العالم السفلي كذلك، اجتذب ما فيه من قوة البرد وذلك البرد الذي كان في العود عند زوال مانعه"⁽¹⁾.

الثالث والثلاثون: (كُنْ)

الكنُ في اللغة: "الستر والجمع أكنان، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَنًا﴾"⁽²⁾. والأكنة الأغشية، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾"⁽³⁾ والواحد كنان. الكسائي: كن الشيء ستره وصانه من الشمس وبابه رد وأكنه في نفسه أسره. وقال أبو زيد: "كنه" وأكنه بمعنى واحد في الكن وفي النفس جميعا، اكنن واستكن استنن⁽⁴⁾.

أما الكنُ في الاصطلاح "بمعنى الستر والخفاء وتدل على الأحوال المتوارية التي لا تراها العيون "كنّ الشيء ستره وأخفاه، والمكنون المستور البعيد عن الأعين أو المخفي الذي لا تصل إليه الأيدي في الحاضر، كأحوال اللاشعور التي تؤثر في الأحوال النفسية الظاهرة تأثيراً خفياً، فهي من الأحوال المكنونة المتوارية عن العيان. وزمان الكنون في علم النفس هو الفترة الفاصلة بين تأثير المنبه والجواب

(1) الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناي بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، 1424 هـ، 5 / 9.

(2) سورة النحل من الآية: 81.

(3) سورة الأنعام من الآية: 25.

(4) مختار الصحاح، أبو بكر الرازي باب كن، 1 / 274. والمعجم الوسيط، باب الكاف، 2 / 801 د / أحمد مختار عمر، ومعجم اللغة العربية المعاصر، باب (ك - نُ - نَ)، 3 / 1964.

عنه، وعند علماء التحليل النفسي هو الزمان الفاصل بين نهاية الأحوال الجنسية الخاصة بزمان الطفولة الأولى وبداية الأحوال الجنسية المتعلقة بزمان البلوغ⁽¹⁾.

الرابع والثلاثون: (كنّه - أكنائاً)

كلمة كُنن من الكلمات التي تفيد الخفاء⁽²⁾ يقال: "ستره، واكتنّ واستكنّ: استتر، وأكننته في نفسي: أضمرته. واجعله في كنّ، وربّ البيت ذي الأكنان. ونثر كنانته وكنائنه. وبنى على باب داره كَنَّةً: سترة مثل الجناح⁽³⁾. وقد جاء ذكر هاتين اللفظتين في القرآن الكريم في أكثر من موضع فقد جاءت اللفظة (أكننتم) بمعنى الستر والتغطية والخفاء، وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾⁽⁴⁾ ومعنى: "أكننت الشيء إذا سترته"⁽⁵⁾ وقيل في معناه الإضمار والستر كما جاء في تفسير الكشاف حيث قال: "أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسننكم لا معرضين ولا مصرحين"⁽⁶⁾ وقد جاءت لفظة (أكنة) في سورة الأنعام في قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾⁽⁷⁾ وجاء معناها في الآية بأنها "جمع كنان وهو الغطاء، مثل عنان وأعنة"⁽⁸⁾ وجاءت هذه اللفظة في قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ

(1) المعجم الفلسفي، د / جميل صليبا: 2 / 246.

(2) سيأتي الحديث عن هذه الكلمة في أنواع الخفاء في الفكر الإسلامي.

(3) أساس البلاغة، للزمخشري، باب (ك - ن - ن)، 2 / 148، مقاييس اللغة، مادة (كنن)، 5 / 123.

(4) سورة البقرة من الآية: 235.

(5) معاني القرآن، للفراء، ص 252.

(6) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، 1 / 283.

(7) سورة الأنعام من الآية: 25.

(8) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ) المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت - الطبعة: الأولى 1408هـ - 1988م، 2 / 236، المحرر

أَكُنَّا ﴿⁽¹⁾ يقول القرطبي " الأكنان: جمع كن، وهو الحافظ من المطر والريح وغير ذلك، وهي هنا الغيران في الجبال، جعلها الله عدة للخلق يأوون إليها ويتحصنون بها ويعتزلون عن الخلق فيها" ⁽²⁾. والكنان في الآية يراد به "والكنان: الغيران ونحوها يستكن فيها، واحدها كن. واكتنت المرأة: غطت وجهها حياء من الناس" ⁽³⁾. وقيل هي "مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها" ⁽⁴⁾، ومن هنا فإن كلمتي (أكنان، وتكن) تفيدا معنى الخفاء سواء أكان حسياً أم معنوياً.

الخامس والثلاثون: (مجهول)

ومعناه في اللغة " جهل يجهل، جهلاً وجهالة، فهو جاهل و جهل الشخص: جفا وتسافه وحمق وأظهر الطيش "لا يستوي عالم وجهول- ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ⁽⁵⁾ جهل عليه: تصرف معه بحمق جهل حقيقة الشيء، جهل بحقيقة الشيء: لم يعلم به، لم يعرفه "كثير من الناس يجهلون أمور دينهم" ⁽⁶⁾. وفي الاصطلاح: " الجهل: هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه" ⁽⁷⁾ ومن هنا فإن الجهل يراد به عدم العلم بالشيء معرفة تامة وعلى هذا فالجهل نقيض العلم الذي معناه المعرفة أو الإدراك، ومن ثم فهو مرادف لكلمة الخفاء.

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، 2 دار الكتب العلمية – بيروت - الطبعة: الأولى - 1422 هـ، 279 / الغريبين في القرآن والحديث، للهروي، 1382/ 4.

(1) سورة النحل من الآية: 81.

(2) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، 10 / 159.

(3) تاج العروس من جواهر القاموس، 36 / 68.

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، 3 / 226.

(5) سورة البقرة، من الآية: 67.

(6) معجم اللغة العربية المعاصر، د / أحمد مختار عبد الحميد عمر، 1 / 413.

(7) التعريفات، الجرجاني، باب الجيم، 1 / 80.

السادس والثلاثون: (مغلق)

معناه في اللغة: "أغلق الباب ونحوه: غلقه؛ أوصده، أقفله، عكس فتحه" أغلق نافذة غرفة ممراً - أغلق على المجوهرات" أغلق الملف: ختم القضية - أغلق عليه الأمر: لم يستطع حله، تعذر عليه إدراكه - أغلق فمه: منعه من الكلام - اجتماع مغلق: ممنوع على الجمهور حضوره - سر مغلق: لا يعرفه أحد - كلام مغلق: مشين، مبهم - يغلق عينيه: يرفض الأخذ في الاعتبار أو الاعتراف⁽¹⁾.
أما في الاصطلاح فقد ذكر الراغب الأصفهاني أن: "الغلق والمغلق: ما يغلق به، وقيل: ما يفتح به لكن إذا اعتبر بالإغلاق يقال له: مغلق ومغلق، وإذا اعتبر بالفتح يقال له: مفتوح ومفتاح، وأغلقت الباب، وغلقته على الكثير، وذلك إذا أغلقت أبواباً كثيرة، أو أغلقت باباً واحداً مراراً، أو أحكمت إغلاق باب، وعلى هذا ﴿وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ﴾⁽²⁾. وللتشبيه به قيل: غلق الرهن غلوفاً، وغلق ظهره دبراً، والمغلق: السهم السابع لاستغلقه ما بقي من أجزاء الميسر، ونخلة غلقة: ذويت أصولها فأغلقت عن الإثمار، والغلقة: شجرة مرة كالسم⁽³⁾. ويظهر لي أن المراد بهذه الكلمة سواء كان في اللغة أم في الاصطلاح فإنها يراد بها الخفاء.

السابع والثلاثون: (همس)

والهمس في اللغة: "حبس الصوت في الفم مما لا إشراب له من صوت الصدر، ولا جهازة في المنطق، ولكنه كلام مهموس في الفم كالسر. وهمس الأقدام: أخفى ما يكون من صوت الوطء"⁽⁴⁾. و"الهمس: الصوت الخفي. وهمس الأقدام:

(1) معجم اللغة العربية المعاصر، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر: 2 / 1636.

(2) سورة يوسف من الآية: 23.

(3) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: 1 / 611، 612.

(4) كتاب العين 4 / 10.

أخفى ما يكون من صوت القدم. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾⁽¹⁾.
والهمس: الصوت الخفي. وهمس الأقدام: أخفى ما يكون من صوتها⁽²⁾.

الثامن والثلاثون: (وقي)

معناه في اللغة من الستر والبعد عن الأذى، "وقاه يقيه وقيا، بالفتح، ووقاية، بالكسر، ووقاية، على فاعلة: (صانه) وستره عن الأذى وحماه وحفظه، فهو واق؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾⁽³⁾ أي من دافع"⁽⁴⁾.
وفي الاصطلاح "الوقاية: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره. يقال: وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاء. قال تعالى: ﴿فَوْقَهُمْ اللَّهُ﴾⁽⁵⁾، ﴿عَذَابُ الْجَحِيمِ﴾⁽⁶⁾، ﴿هُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾⁽⁷⁾، ﴿فَوَافِسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾⁽⁸⁾، والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف، هذا تحقيقه"⁽⁹⁾.

التاسع والثلاثون: (ولج)

ومعناها في اللغة: يقال "ولج الناس عن سؤاله. أولجه: أدخله. اتلج الظبي في الكناس: دخل. ويقال: اتلج فلان موالج أي دخل مداخل. تولج عليه: دخل.

(1) سورة طه، من الآية: 108.

(2) مجمل اللغة، بن فارس: 1 / 909.

(3) سورة الرعد، من الآية: 34.

(4) تاج العروس، الزبيدي: 40 / 226.

(5) سورة الإنسان، من الآية: 11.

(6) سورة الدخان، من الآية: 56.

(7) سورة الرعد، من الآية: 34.

(8) سورة التحريم، من الآية: 6.

(9) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: 1 / 881.

الولج: الطريق في الرمل: شيء يكون بين يدي فناء الدار. الولجة: كهف تستتر فيه المارة من مطر وغيره: ما ولجت فيه من كهف أو شعب⁽¹⁾. وجاء في غريب القرآن معنى "الولج الدخول في مضيق، قال: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾"⁽²⁾ وقوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ﴾"⁽³⁾، فتنبه على ما ركب الله (ﷻ) عليه العالم من زيادة الليل في النهار وزيادة النهار في الليل، وذلك بحسب مطالع الشمس ومغاربها، والولجة كل ما يتخذها الإنسان معتمداً عليه، وليس من أهله، من قولهم فلان وليجة في القوم إذا لحق بهم⁽⁴⁾. وعلى هذا فإن كلمة ولج مرادفة لكلمة خفاء حيث إن معناها الولج والدخول في باطن الشيء والتواري فيه.

الأربعون: (يغشي)

معناها الغشاوة في اللغة "ما غشي القلب من رين الطبع غشي: غاشية السيف والرحل غطاؤه، والرجل يستغشي ثوبه كي لا يسمع ولا يرى كقوله تعالى ﴿وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾"⁽⁵⁾ والغاشية القيامة"⁽⁶⁾ وقد جاءت هذه اللفظة في القرآن الكريم في قول الله تعالى ﴿يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾"⁽⁷⁾ ومعنى يغشي "أي يجعله كالغشاء، أي يذهب نور النهار ليتم قوام الحياة في الدنيا بمجيء الليل.

(1) معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، باب ولج، دار مكتبة الحياة - بيروت، 1380 هـ 1960 م، 5 / 812.

(2) سورة الأعراف من الآية: 40.

(3) سورة الحديد من الآية: 6.

(4) المفردات في غريب القرآن، 1/ 532.

(5) سورة نوح من الآية: 7.

(6) كتاب العين، للفرهيدي، مادة (غشي)، 4/ 429.

(7) سورة الأعراف جزء من الآية: 54.

فالليل للسكون، والنهار للمعاش⁽¹⁾. وقيل في معنى يغشي أي "يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به"⁽²⁾ ومن هنا فإن لفظة (يغشي) إنما معناها التغطية والستر والخفاء. وعلى هذا فإن الألفاظ التي ذكرتها آنفا توضح أن موضوع الخفاء من الموضوعات المهمة في الفكر الإسلامي، وذلك لمعالجة الأمور العقيدية عند كل إنسان، وحينما يؤمن الإنسان بهذه القضايا الخفية عن مداركه فيؤمن بها، ويعتقد في وجودها فإنه بالأحرى أن يؤمن بخالفها الذي لا تدركه العيون ولا تحويه الظنون ولا يصفه الواصفون، ومن هنا فإن عالم الخفاء مليء بالأمور الغيبية التي من أهم مبادئها "أن الوجود لم يخلق عبثاً وله غاية أخلاقية خيرة من خلال علاقات أزلية لا تدركها طاقة العقل الإنساني، وأهم معطيات عالم الغيب الإنساني هو وجود الله تعالى الواحد الأحد الذي خلق الحياة الدنيا والدار الآخرة وخلق الإنسان ووهبه إرادته، ووهبه العقل وكرمه بمركز الخلافة في الأرض متقدماً على سائر الكائنات التي سخرها له"⁽³⁾.

وبعد أن حصرت المترادفات لكلمة (الخفاء) أرى أن هذه الكلمة أصيلة في لغة العرب، ومن ثم فإن ما تحمله هذه الكلمة من معان كثيرة فإنها تصب في معنى الخفاء، والستر، والتغطية، والتواري... إلخ، ومن هنا فإن الخفاء قد يكون نعمة، وهو الخفاء المحمود، ويتعلق هذا النوع بما يخفيه الله عن عباده من أمور الغيب كالأجال والأرزاق وغيرها، وقد يكون الخفاء نقمة أو غير محمود، ولقد تعرض القرآن الكريم لهذا النوع الأخير وذلك عند الحديث عن أهل الكتاب حينما أخفوا نبوة رسول الله (ﷺ) وعند حديثه عن أولئك الذين يكتمون العلم والنصح للمسلمين وغير ذلك مما كشفه القرآن الكريم في أكثر من موضع سنتحدث عنه تباعاً عند الحديث عن أنواع الخفاء في الفكر الإسلامي في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى.

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 221/7.

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، 16/3.

(3) قضية المنهجية في الفكر الإسلامي، د/ عبد الحميد أبو سليمان، المعهد العالي للفكر الإسلامي، سنة النشر 1409 هـ، 1989 م. ص14.

ثالثاً: أنواع الخفاء في الفكر الإسلامي

أنواع الخفاء ودلالاته العقدية

الخفاء منه ما هو محمود، ومنه ما هو غير محمود، والخفاء المحمود نعمة من الله تعالى على عباده.

النوع الأول: الخفاء المحمود

ويتمثل هذا النوع فيما يلي على سبيل الإجمال:

1. الغيب المطلق وإخفاؤه عن العباد.
 2. عبادة الله في الخفاء ودلالاتها العقدية.
 3. الخفاء المحمود في العلم الحديث بعدم إضرار الإنسان.
- وبعد سرد أنواع الخفاء المحمود على سبيل الإجمال يقوم الباحث بالشرح والتوضيح لما سبق ذكره حتى تتحقق الغاية من ذكر هذا النوع.

(1) الغيب المطلق وإخفاؤه عن العباد:

ويتمثل هذا الخفاء في عدم رؤية البشر الذات الإلهية في الدنيا على حقيقتها؛ لأن البشر لا يطيقون رؤيتها على الإطلاق، ومن أسمائه تعالى (الظاهر، والباطن) فهذان الاسمان في مقام يسمى بمقام التجلي مع كون ذاته تعالى غيب لا يطلع على كنه ذاته أحد من الخلق فـ"الظاهر والباطن" من أسماء الحق في مرحلة التعيين والتنزل على الإطلاق الذاتي. يصبح معنى غيب مقام الذات إن هذا المقام في مقام خفاء ما قبل مقام التعيين والتجلي والظهور، وهذا الظهور نفسه "أي التجلي" على نوعين: ظاهر وباطن، فهنا الظاهر يقابل الباطن وبهذا يكون اسمين في مرتبة التجلي والظهور مع كون ذات الحق غيب قبل التجلي، ولا شك في أن هذا المعنى من الغيب مفاده الإطلاق وعدم التعيين، وبناء عليه لا يكون انتسابه إلى مقام الذات موجباً للتعين والتقييد، بل يخبر عن الوجود المطلق من جهة وهو الخفاء قبل الظهور⁽¹⁾.

(1) العرفان النظري مبادئه وأصوله، يد الله بزدان بناه، ترجمة: على عباس الموسوي، انتشارات مؤسسة أموزشي، الطبعة الأولى بيروت، 2014م، ص304.

ومن هنا فعظمة الله ورحمته واسعة؛ وذلك؛ لأن الله تعالى قد أخفى عنا أشياء كثيرة لا ندركها ولا نعرفها (رحمة بنا ولطفًا)، وهذا الغيب المطلق لا يعلمه إلا الله تعالى وحده، وهو غيب عن كل البشر استأثر الله به، وليس له مُقَدِّمات وأسباب تُوصِّل إليه، هذا الغيب، قال تعالى في شأنه: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝﴾ (1).

فإذا ما أعلنا الرسول غيبًا من الغيبات فلا نقول: إنه يعلم الغيب..؛ لأنه لا يعلم إلا ما أعلمه الله من الغيب.. إذن: هذا غيب لا يدركه أحد بذاته أبدًا. ومن هذا الغيب المطلق غيب استأثر الله به، ولا يُطلع عليه أحدًا حتى الرسل (2).

(2) عبادة الله في الخفاء ودلالاتها العقدية:

لقد شرع الإسلام العبادات وطلب من الإنسان أن يحافظ عليها، وأن يخلص في النية في أدائها بعيدا عن الرياء والسمعة، وبذلك تسلم عقيدته من الشرك الخفي الذي يفسدها، والعبد يحتاج إليها، في جميع أحواله، وذلك كالخوف والرجاء والتوجه إلى الله تعالى في كل الأوقات. ومن هنا فإنه لا راحة للقلب إلا في طاعة الله والمحافظة عليها بعيدًا عن الرياء والنفاق، فالأولى إخفاء العبادات صونًا لعمله عن البطلان وإن كان قد بلغ في الصفاء وقوة اليقين إلى التمكين بحيث صار مباينًا شائبة الرياء كأن الأولى في حقه الإظهار لتحصل فائدة الاقتداء به (3).

وعبادة الخفاء تجعل العبد في حالة اطمئنان دائمًا وأبدًا، وبهذا تظهر ثمرة العبادات على صاحبها؛ لأنه أخفاها يريد بها ابتغاء مرضاة الله عليه فأصبح الناس يتحدثون بالثناء عليه، وهذا دليل على أن الله لا يضيع عمل عامل من ذكر أو

(1) سورة الجن الآيتان: 26 - 27.

(2) الخواطر، الشيخ محمد متولى الشعراوي: 18 / 1806.

(3) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ) تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1415هـ، 2 / 211.

انثى فالكل ينال ما عند الله تعالى من الجزاء، ومن أعظم عبادات الخفاء عبادة السر، وهي أن يتعلق القلب بمولاه فلا ينشغل بغيره بل يجعل همه وهدفه هو رضا الله عنه في كل وقت، وذلك بطهارة الباطن مع الظاهر حتى تستقيم العبادة وتكون مقبولة عند الله تعالى، "وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى، وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخبار، فذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق، وأنجاس الأوصاف"⁽¹⁾.

ومن العبادات الخفية (صدقة السر):

وصدقة السر من أعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى خالقه وإخفاؤها أفضل وأعظم عند الله تعالى جاء ذلك جلياً في قول الله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾⁽²⁾، فالآية الكريمة تشير إلى نعمة إخفاء صدقة السر؛ لأن "الإخفاء نقيض الإظهار وقوله (فهو) كناية عن الإخفاء؛ لأن الفعل يدل على المصدر، أي الإخفاء خير لكم، وقد ذكرنا أن قوله: ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾⁽³⁾ يحتمل أن يكون المراد منه أنه في نفسه خير من الخيرات، كما يقال: الثريد خير، وأن يكون المراد منه الترجيح، وإنما شرط تعالى في كون الإخفاء أفضل أن تؤتوها الفقراء؛

(1) إحياء علوم الدين، للغزالي: 47 / 1

(2) سورة البقرة الآية: 271. وجاء في أسباب نزول هذه الآية كما يقول النيسابوري في كتابه أسباب

النزول: قال الكلبي: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ الآية. قالوا: يا رسول الله،

صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية. قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ

وَلَا يَكُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة البقرة، من الآية: 272]، يراجع: أسباب نزول القرآن، أبو

الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ) تحقيق:

كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، 1411 هـ. 3، 67

(3) سورة البقرة من الآية: 271.

لأن عند الإخفاء الأقرب أن يعدل بالزكاة عن الفقراء إلى الأحاب والاصدقاء الذين لا يكونون مستحقين للزكاة، ولذلك شرط في الإخفاء أن يحصل معه إيتاء الفقراء، والمقصود بعث المتصدق على أن يتحرى موضع الصدقة، فيصير عالماً بالفقراء، فيميزهم عن غيرهم، فإذا تقدم منه هذا الاستظهار ثم أخفاها حصلت الفضيلة⁽¹⁾. وعلى هذا فإن إخفاء الصدقة أولى من إبدائها وفي ذلك إشارة إلى أن في إخفائها خير يعود على الإنسان في الدنيا والآخرة.

ومن الأحاديث الدالة على نعمة إخفاء الصدقة ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة "أن رسول الله (ﷺ) قال: ((... وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ))"⁽²⁾.

والحديث فيه إشارة إلى أن في إخفاء الصدقة ينال به الإنسان الأجر العظيم وهو أن يكون ضمن السبعة المستظلون في ظل الله (ﷻ)؛ ولأنه (ﷺ) عد كما مر من جملة السبعة الذين يستظلون بالعرش، يوم لا ظل إلا ظله، من أخفى صدقته حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، نعم الوجه وفقاً للغزالي وغيره إن أظهرها ولم يقصد رياء⁽³⁾ ولا سمعة، وإنما قصد أن يقتدى به، ولم يتأذ به الآخذ بالإظهار، كان الإظهار أفضل، لما فيه من المصلحة، فإن اختل شرط من ذلك، فالإسرار أفضل، لما فيه من المصلحة، فإن اختل شرط من ذلك، فالإسرار أفضل إلا عند قصد نحو الرياء فإنه حرام"⁽⁴⁾.

(1) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: 64 / 7.

(2) أخرجه الإمام البخاري في "صحيحه" كتاب "الزكاة" باب: الصدقة باليمين (111/2) (1423) ط: دار طوق النجاة، وأخرجه الامام مسلم في صحيحه، كتاب "الزكاة" باب: فضل إخفاء الصدقة (715/2) (1031) ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(3) الرياء: ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه. التعريفات، الجرجاني، 113 / 1.

(4) إتحاف ذوي المروة والإنافة بما جاء في الصدقة والضيافة، شهاب الدين أحمد بن محمد، ابن حجر الهيتمي (المتوفى: 974 هـ) تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، 1 / 160.

وعلى هذا فإن في إظهار الصدقة قد يكون سبباً في إيذاء السائل أو المحتاج فحثت الشريعة الإسلامية على إخفائها وذلك للمحافظة على العلاقة الإنسانية بين الناس.

(3) الخفاء المحمود في العلم الحديث بعدم إضرار الإنسان:

ومن أنواع الخفاء المحمود أيضاً إخفاء أشياء كثيرة أثبتها العلم الحديث⁽¹⁾ مثل (البكتريا، والميكروبات والفيروسات، وكورونا كوفيد-19) التي لا يراها الإنسان بعينه، وغيرها، ولكن يراها عن طريق الأجهزة الحديثة كالميكروسكوب وغيره من الأجهزة التي يستخدمها أصحاب المعامل؛ ليكتشفوا من خلالها ما يدور وما يحدث في جسم الإنسان عن طريقها، وجسم الإنسان نفسه يتكون من خلايا لا تراها العيون، وتموت تلك الخلايا ويولد غيرها. "وجسم الإنسان البالغ به نحو 60 مليون خلية هكذا قدروا وهم قدروا كذلك أنه يموت من جسم الإنسان كل ثانية 50 مليون خلية فبينما يولد مكانها في الثانية 50 مليون خلية، وقد يوجد بجسم الإنسان كائناً حياً يسمى بالأمبية، والأمبية تتراعى تحت المسمى كتلة من

(1) في كتاب العلم يدعو للإيمان ذكر مؤلفه قوله "أشرق على الناس العلم الحديث منذ ثلاثة قرون. وهو بعد ما بلغ الضحى. وكشف العلم من عجيب ما صنع الصانع. كشفه في النبات، وهو صنوف لا عداد لها. وكشفه في الحيوان، وهو أجناس لا حصر لها. وكشفه في الإنسان، أسمى حيوان. وكشف عن أنساق واحدة في كل هذه الصنوف والأجناس جميعاً. وكشف عن قوى في كلها تعمل واحدة، على اختلاف في درجات، ولكن على اتحاد في غاية. وهدى المنطق، وهدت الفطرة، إلى أن صاحب هذه الأنساق لا بد واحد، ومجرى هذه القوى لتعمل على هذه الأساليب الواحدة لا بد واحد. ونسق العلم ما بين الأرض الجامدة وما عليها من أحياء. ونسق ما بين الأرض، جامدها والحي، وبين هذه الشمس وذاك القمر، وأثبت أن المعدن واحد والأصل واحد، وأثبت أن الذي صمم عين الإنسان، بعدستها ومائتها، وما وراء الماء من شبكة تلقى عليها الصور، هو لا بد الذي صمم هذه الشمس وأخرج منها تلك الأشعة ووجهتها إلى الأرض. فهذه العين تكون عبثاً لولا هذا الضياء وجاء العلم، وجاء العلماء بألف ألف دليل على وحدة الأرض، وما عليها، ووحدة السماء. ومن هذه الوحدة درج الناس والعلماء إلى وحدة رب هذه الأرض ورب السماء. ومع هذا بقيت في العلماء بقية تقول بالخلق والتخلق طبعاً، وتنكر وجود الله. العلم يدعو للإيمان، كريسي موريسون، المترجم: محمود صالح الفلكي: 14/1.

البروتوبلازما⁽¹⁾ وهي المادة الحية الأساسية في الخلايا⁽²⁾. وكذلك الكون وما فيه فهو مشحون بأشياء لا تراها الأبصار من نجوم وكواكب التي تزيد على عدة بلايين ما يمكن رؤيتها بالعين المجردة وما يستخدمه الإنسان من أكسجين من خلال الرئتين ويدخل على الدورة الدموية لتوزعه على الجسم وكل ذلك لا يقع تحت بصر العباد، "وهذه النجوم والكواكب التي تزيد على بلايين نجم ما يمكن رؤيته بالعين المجردة، وما لا يرى إلا بالمجاهر والأجهزة، وما يمكن أن تحس به الأجهزة دون أن تراه، هذا كلها تسبح في الفلك الغامض، ولا يوجد احتمال مغناطيسي لنجم من مجال نجم آخر أو يصطدم كوكب بآخر، إلا كما يحتمل تصادم مركب في البحر الأبيض المتوسط بآخر في المحيط الهادي يسيران في اتجاه واحد، وهو احتمال بعيد وبعيد جدا إن لم يكن مستحيلاً..."

ويقرر العلم الحديث أن سرعة الضوء هي (186) ألف ميل في الثانية، ومن النجوم ما ترسل ضوءها فيصل إلينا في دقائق، ومنها ما يصل في شهور، وهناك نجوم أرسلت ضوءها - وأمكن معرفة ذلك بأجهزة خاصة - من ملايين السنين ولم يصل إلينا ضوءها بعد فكم بذلك يبلغ اتساع الكون؟⁽³⁾

فهذا الكون يشمل المنظور وغير المنظور ما ندركه وما لا ندركه لا نعلم عنه أي الغير منظور إلا القليل، ولكن العلم الحديث قد اكتشف أشياء أثبت من خلالها أن الكون فيه أشياء عظيمة أخفاها الله عن الإنسان؛ ليتدبر بعقله عظم الخالق الذي خلق كل شيء بقدر.

(1) وحدة بناء الأحياء من نبات أو حيوان، صغيرة الحجم لا ترى بالعين المجردة، وتتألف المادة الحية الخلية وهي البروتوبلازم، من النواة والسييتوبلازم وغشاء بلازمي يحيط بها، ويحيط بالخلية النباتية كذلك جدار خلوي يتكون معظمه من السليلوز "يتألف جسم الإنسان من مجموعة خلايا".
يراجع: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، ص 693.

(2) في سبيل موسوعة علمية، الدكتور / أحمد زكي، دار الشروق، 1971م. 1 / 59.

(3) الله والعلم الحديث، عبد الرازق نوفل، مكتبة طابع، دار الجيل قصر اللؤلؤة - الفجالة، ص 33..

فإذا ما تناولنا الغيب من منظور الكون أي السموات السبع التي تكلم الله عنها في كتابه العزيز في مئات الآيات الكريمة هو علم عظيم بقي غامضاً على البشرية إلى فترة قريبة من الزمن، فلا أحد يعلم من قبل كم يبعد القمر عن الأرض؟ وكم تبعد الشمس عن الأرض؟ وكم يبعد النجم الذي يعدو عقدة الأصبع الذي يسبح في السماء، ولا أحد يعلم ما القمر، وما الشمس وما النجم بالصيغة العلمية المعاصرة. كانوا يعلمون أن هذه السماء فيها نجوم وكواكب وشموس وأقمار ولكن لا يعلمون كم هي الأعداد؟ وما هي الأعداد؟ وما هي الأحجام؟ ولكن المؤمنون كانوا يدركون عظيم أمر السماء وعظيم أمر السماوات السبع وقدره الله (ﷻ) فيها ويعتبر أن هذه القدرة من غيب الله تعالى⁽¹⁾.

وهناك نوعٌ من الخفاء المحمود قد اكتشفه العلم الحديث وهو التصوير بالأشعة فوق البنفسجية التي لا ترى بالعين المجردة، وهذه الأشعة تختلف من شخص لآخر، وقدرة عين الإنسان محدودة، وقد جاء هذا في كتاب " تصوير ما لا تراه العين بالأشعة غير المرئية نصه "تشغل الأشعة فوق البنفسجية . في سلسلة الموجات الكهرو مغناطيسية . تلك المنطقة التي تلي الأشعة البنفسجية وتقل عنها طولاً، وبالرغم ما هو معلوم من أن قدرة الإنسان على الإحساس بالموجات الضوئية محدودة بتلك التي يبلغ طولها 3900 وحدة أنجستروم تقريباً إلا أنه يقال إن لعمر الإنسان تأثيراً في قدرته على الإحساس برؤية الأشعة فوق البنفسجية فهؤلاء الذين تتراوح أعمارهم بين 15 . 30 سنة قادرون على الإحساس بالموجات الضوئية التي يبلغ طولها 3130 أنجستروم بينما لا يحس من يكبرونهم سناً إلا بالموجات

(1) الموسوعة الكونية الكبرى آيات الله في نشأة الكون والحياة في السماء الدنيا والسموات السبع، د / ماهر أحمد الصوفي، قدم لهذه الموسوعة، د/ محمد رمضان البوطي، وآخرون، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 3/ 168.

الضوئية التي يتجاوز طولها 3650 أنجستروم⁽¹⁾، ومن هنا فإن الدلالة العقدية لهذه الأمور الخفية عن مدارك الإنسان إنما هو رحمة الله تعالى بهذا الإنسان الضعيف الذي لا يتحمل إدراك هذه الأمور، ولو أدركها ورآها لما استقرت حياته بعد، فكيف وقد صعق نبي الله موسى حينما رأى المتجلى عليه فكيف لو رأى المتجلى؟

النوع الثاني: الخفاء الغير محمود ودلالاته العقدية

الخفاء الغير محمود ويتمثل في بعض الأمور التي نهى عنها الشرع الحنيف ويمكن ذكر هذه الأمور على سبيل الإجمال فيما يلي:

أولاً: إخفاء أهل الكتاب نبوة الرسول (ﷺ).

ثانياً: كتمان الحق وعدم ظهوره.

ثالثاً: من أنواع الخفاء المذموم (الكفر)

رابعاً: إخفاء العدو والبعضاء في الصدور.

وبعد ذكر هذه الأنواع سألنا الذكر على سبيل الإجمال يجدر بالباحث أن يتطرق الشرح والتحليل لما سبق ذكره حتى نصل إلى الفائدة من ذكر هذه الأنواع واليك الجواب المفصل.

أولاً: إخفاء أهل الكتاب نبوة الرسول (ﷺ):

والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾⁽²⁾. فهؤلاء قد أخفوا كثيراً من التوراة والإنجيل، لكن القرآن قد جاء وبين الحقائق التي كانوا يخفونها من قبل.

(1) f r p s تصوير ما لا تراه العين بالأشعة غير المرئية فوق البنفسجية - تحت الحمراء - أشعة X أشعة الجاما، لواء / عبد الفتاح رياض، دار النهضة العربية - القاهرة، ص 19.

(2) سورة المائدة الآية: 15.

ثانيًا: كتمان الحق وعدم ظهوره:

وكتمان الحق معناه عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما من أوصاف هذه الأمة الإسلامية، وبه تنال الخيرية المذكورة في قول الله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾⁽¹⁾.

"ففي هذه الآية "قدم ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان في هذه الآية مع أن الإيمان هو الأصل الذي تقوم عليه أعمال البر والدوحة التي تنفجر عنها أفنان الخير تشريعًا لتلك الفريضة وإعلاء لمنزلتها بين الفرائض بل تنبئها على أنها حفاظ الإيمان وملاك أمره ثم شد بالإنكار على قوم أغفلوها وأهل دين أهملوها فقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾⁽²⁾ ﴿وَكَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾⁽³⁾ فقذف عليهم اللعنة وهي أشد ما عنون الله به على مقتته وغضبه"⁽⁴⁾. ومن هنا فإن الله -تعالى- قد ذم هذا النوع من الكتمان وعدم التصريح بفعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ بهما قوام الأمر وملاكه.

"وهذا الباب أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جدا وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطارح"⁽⁴⁾.

(1) سورة آل عمران من الآية: 110.

(2) سورة المائدة الآيتان: 78، 79.

(3) رسالة التوحيد، الإمام محمد عبده: 1 / 93.

(4) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1392هـ، 2 / 93.

ثالثاً: من أنواع الخفاء المذموم (الكفر)⁽¹⁾

سبق وقد ذكرنا في مطلع البحث المتردفات لكلمة (الخفاء) كلمة (الكفر) "فَهُوَ مَنْ قَوْلِكَ كَفَرْتَ الشَّيْءَ إِذَا غَطَيْتَهُ وَمِنْهُ يُقَالُ تَكْفَرُ فَلَانَ فِي السِّلَاحِ إِذَا لَبَسَهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ وَمِنْهُ كَافُورُ النَّخْلِ وَهُوَ قَشْرُ الطَّلْعَةِ تَقْدِيرُهُ فَاعُولٌ؛ لَأَنَّهُ يُغْطِي الْكَفْرَى وَمِنْهُ قِيلَ لَيْلٌ كَافِرٌ لَأَنَّهُ يَسْتُرُ كُلَّ شَيْءٍ"⁽²⁾.

والكفر معناه عدم الإيمان بالله فصاحبه يخفي الإيمان ويظهر الكفر، وبالتالي فإن صاحبه يستر كل شيء، وهذه الأمور أي الكفر وما يترتب عليه من أمور خفية قد نهى عنها الشرع الحنيف عامة.

والعلة في تسمية الكفر بهذا الاسم؛ "لأنه يغطي على كل شيء وهو في الدين صفة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه بقلبه دون لسانه أو بلسانه دون قلبه، أو بهما معاً أو عمل جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان"⁽³⁾.

فالكفر يخرج صاحبه من الملة⁽⁴⁾، فمن نطق بكلمة الكفر فإنه يكون كافراً

(1) لقد أشرت إلى مدلول هذه الكلمة فيما سبق في ص 35.

(2) غريب الحديث، ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم (المتوفى: 276هـ) تحقيق: د/ عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، الطبعة: الأولى، 1397هـ. 1/ 248.

(3) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ) ضبطه، محمد محمد تامر - دار الكتب العلمية، 1/ 68.

(4) يقول ابن أبي العز الحنفي: "الكفر الحقيقي هو الذي ينقل عن الملة. وكذلك يقول في تسمية بعض

الأعمال بالإيمان، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [سورة البقرة: 143] أي صلاتكم إلى بيت المقدس، إنها سميت إيماناً مجازاً، لتوقف صحتها عن الإيمان، أو لدلالاتها على الإيمان، إذ هي دالة على كون مؤديها مؤمناً. ولهذا يحكم بإسلام الكافر إذا صلى صلاتنا. فليس بين فقهاء الأمة نزاع في أصحاب الذنوب، إذا كانوا مقرين باطناً وظاهراً بما جاء به الرسول وما تواتر عنهم أنهم من أهل الوعيد. يراجع: شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأزرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: العاشرة، 1417هـ - 1997م، 2/ 445.

ظاهراً وباطناً، وعلى هذا فهو من الأمور المنهي عنها شرعاً لما فيه من إخفاء الإيمان وتغطيته.

وعلى هذا فإن الكفر نوع من أنواع الخفاء الباطني وهو غير محمود وبالتالي فقد نهى القرآن عنه في أكثر من آية وهو مناف لعقيدة التوحيد التي جاء بها الأنبياء والمرسلون. قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾⁽¹⁾، ورغم ذلك إلا أن اللفظ العربي له دلالة مشتركة بين الذم والحمد فقد طالبنا الله (ﷻ) بأن نكفر بالطواغيت والأوثان وكل ما يُعبد من دون الله، وهذا من باب التخلية قبل التحلية وأيضاً من باب درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁽²⁾.
رابعاً: إخفاء العداوة والبغضاء في الصدور:

لقد تعرض القرآن الكريم لهذه المواقف التي منها أن المشركين كانوا يضمرون العداوة للرسول (ﷺ) ولأصحابه جاء ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾⁽³⁾، ومعنى (تكُن) (4) يقال كننت الشيء وأكننته إذا سترته وأخفيته، يعني أنه تعالى يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة الرسول ومكايدهم⁽⁵⁾، وقد أنكر المشركون نبوة سيدنا محمد (ﷺ) وأخفوا ذلك ولكن الله تعالى سيظهر ذلك الإخفاء وذلك على رؤوس الأشهاد يوم القيامة حيث يقول الله تعالى: ﴿بَلْ

(1) سورة الزمر، من الآية: 7.

(2) سورة البقرة، من الآية: 256.

(3) سورة النمل الآية: 74.

(4) هذه الكلمة من المتردفات لكلمة (الخفاء) وقد أشرت الحديث عنها في ص36.

(5) مفاتيح الغيب، للرازي: 24 / 570، الكشاف، الزمخشري: 3 / 383.

بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾، "ومعنى الآية أنهم كانوا يضمرون للرسول (ﷺ) العداء ومن هنا فقد "ظهر لهم ما كانوا يخفونه في الدنيا، وفيه أقوال: 1- أنه أعمالهم السيئة وقبائحهم الشائنة ظهرت في صحائفهم، وشهدت بها عليهم جوارحهم. 2- أنه أعمالهم التي كانوا يغترون بها، ويظنون أن سعادتهم فيها إذ يجعلها الله تعالى هباءً منثوراً. 3- أنه كفرهم وتكذيبهم الذي أخفوه في الآخرة من قبل أن يوقفوا على النار. 4- أنه الحق أو الإيمان الذي كانوا يسرونه ويخفونه بإظهار الكفر والتكذيب عناداً للرسول واستكباراً عن الحق، وهذا إنما ينطبق على أشد الناس كفراً من المعاندين" (2). ولقد ذكر صاحب كتاب مجمع البيان في تفسير القرآن عدة معانٍ للخفاء المذكور في الآية السابقة وهي: أحدها: أن معناه . بل بدا لبعضهم من بعض ما كان من علماؤهم يخفونه عن جهالهم وضعفائهم مما في كتبهم فبدا للضعفاء عنادهم.

ثانيها: أن المراد بل بدا لهم من أعمالهم فأظهره الله وشهدت به جوارحهم..

ثالثها: أن المعنى ظهر الذين اتبعوا الغواية ما كان الغواية يخفونه من أمر البعث والنشور .

رابعها: أن المراد بل بدا لهم وبال ما كانوا يخفونه من الكفر" (3). وقيل المراد من الآية: أنه ظهر لهم في الآخرة ما أخفوه في الدنيا. وقد اختلفوا في ذلك الذي أخفوه على وجوه: منها "إن المشركين في بعض مواقف القيامة يجحدون الشرك فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فينطق الله

(1) سورة الأنعام الآية (28).

(2) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م، 7/ 294.

(3) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي أمين الإسلام أبي الفضل ابن الحسن، دار المرتضى بيروت، الطبعة الأولى، 1427 هـ - 2006 م، 4 / 27 وما بعدها.

جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر، فذلك حين بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل⁽¹⁾. ومن أشد أنواع الخفاء الغير محمود (النفاق)⁽²⁾ الذي يشكل أكبر خطر على العقائد الإيمانية ومعناه جاء في معجم الصحاح معنى "نافق" ينافق، نفاقًا ومنافقة، فهو منافق نافق الشخص: أظهر خلاف ما يبطن "لا تتخذ به فإنه ينافق - نافق رؤساءه أظهر إيمانه بلسانه وستر كفره في قلبه"⁽³⁾.

"والمنافق: من يظهر خلاف ما يبطن، وفي الحديث الشريف: ((آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ))⁽⁴⁾ من يُسر الكفر. ويظهر الإسلام، وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾⁽⁵⁾ قال العلماء: جعلهم شرًا من الكافرين في العذاب لاستهزائهم بالدين⁽⁶⁾.

والنفاق شرعًا: هو إظهار الخير، وإسرار الشر، وهو أنواع: اعتقادي، وهو

(1) مفاتيح الغيب: 510/12، الكشف: 3 / 383.

(2) النفاق: وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص، وهو من يستركفره ويظهر إيمانه وإن عرف أصله في اللغة كنافق منافقة، أخذ من النافقاء: أحد جحر اليربوع، إذا طلب من واحد خرج من الآخر، وقيل: من النفق وهو سرب يستتر فيه. وفيه: "نافق" حنظلة! أراد أنه إذا كان عنده (ﷺ) أخلص وزهد في الدنيا وإذا خرج عنه كان بخلافه، فكأنه نوع من الظاهر والباطن ما كان يرضى أن يسامح به نفسه، يراجع: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، الكجراتي جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتني (المتوفى: 986هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، 1387 هـ - 1967م، 4 / 759.

(3) معجم اللغة العربية المعاصر، د / أحمد مختار عبد الحميد عمر: 3 / 2260.

(4) أخرجه البخاري، كتاب "الإيمان"، باب علامة المنافق (16/1) (33)، وأخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب "الإيمان" باب: بيان خصال المنافق (78/1) (59) كلاهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه.

(5) سورة النساء من الآية: 145.

(6) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، الدكتور / سعدي أبو حبيب، دار الفكر. دمشق - سورية، الطبعة: الثانية 1408 هـ = 1988 م، تصوير: 1993م، 1 / 357.

الذي يخلد صاحبه في النار، وعمليّ وهو أكبر من الذنوب، قال ابن جريج: المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه⁽¹⁾، والنفاق أشد خطراً على العقائد الإيمانية؛ لأن صاحبه يُظهر خلاف ما يُبطن فهو يخفي الكفر ويظهر الإسلام فليس بمسلم وليس بكافر فهو مذبذب كما قال تعالى: ﴿مُذَبِّذِينَ

بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾⁽²⁾

والمعنى أنهم "ليسوا بمسلمين مخلصين ولا مشركين مصرحين. وهو - أيضاً- قول قتادة. وقال مقاتل: ليسوا مع اليهود فيظهرون ولايتهم لهم، وليسوا مع المؤمنين في التصديق مع الولاية. ويحتمل غير هذا: وهو أنه لم يظهر لكل واحد من الفريقين منهم الموافقة لهم والكون معهم؛ بل ظهر منهم الخلاف عند كل فريق؛ لأنهم كانوا أصحاب طمع، عبّاد أنفسهم، يكونون حيث رأوا السعة معهم؛ فلا إلى هَؤُلَاءِ في حقيقة الدّين عند أنفسهم، ولا إلى هَؤُلَاءِ، فذلك - والله أعلم - تأويله⁽³⁾.

أثر النفاق على العقيدة الإسلامية

والنفاق كالداء الخبيث الذي لا علاج له؛ لأن صاحبه لم يتذوق طعم الإيمان، فأخفى القبيح وأظهر الجميل يريد بذلك تدمير المسلمين والنيل منهم فظاھر الإيمان والإصلاح وباطنه الكفر والفساد، وقد ظهر النفاق على عهد النبي ﷺ⁽⁴⁾ وجاء

(1) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م، 1/ 271.

(2) سورة النساء، الآية: 143.

(3) تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي: 3 / 397.

(4) ولما علم الصحابة خطورة هذا المعتقد أخذ كل صحابي الحذر منه والبعد عنه لما فيه من اختلاف السر مع العلن وفي الوقت نفسه يجمع صاحبه بين النقيضين كما في " صحيح مسلم " عن حنظلة

القرآن الكريم فكشف عن نفاقهم وبواطنهم الخبيثة، وحذر المؤمنين أشد تحذير من الجلوس معهم أو موالاتهم في جميع شئونهم؛ لأنهم متناقضون في كلامهم ومعتقداتهم فكان النفاق أشد خطراً على المسلمين آنذاك.

ومعناه "أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويُبطن ما يُناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد النبي (ﷺ)، ونزل القرآن بدم أهلهم وتكفيرهم، وأخبر أن أهلهم في الدرك الأسفل من النار"⁽¹⁾، وعاقبة المنافقين وخيمة كما ذكرها القرآن الكريم في أكثر من آية⁽²⁾، وذلك ليكشف أسرارهم، وذكرهم في القرآن وأنزل فيهم سورة تسمى بسورة المنافقون.

الأسدي أنه مرَّ بأبي بكر وهو يبكي، فقال: ما لك؟ قال: نافق حنظلة يا أبا بكر، نكون عند رسول الله (ﷺ) يُذكرنا بالجنة والنار كأننا رأي عين، فإذا رجعنا، عافسنا الأزواج والضيعة فنسينا كثيراً، قال أبو بكر: فو الله إنا لذلك، فانطلقا إلى رسول الله (ﷺ)، فقال: ((مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟)) قال: نافق حنظلة يا رسول الله، وذكر له مثل ما قال لأبي بكر، فقال رسول الله (ﷺ): ((لَوْ تَدْرُسُونَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي تَقُومُونَ بِهَا مِنْ عِنْدِي لَصَافَحْتُمْ الْمَلَائِكَةَ فِي مَجَالِسِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَعَلَى فُرُشِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً)). الحديث أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب "التوبة"، باب دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة (2106/4) (2750)، وابن ماجه في "سننه" كتاب "الزهد" باب: مداومة على العمل (1416/2) (4239) كلاهما من حديث حنظلة الأسدي (ﷺ).

(1) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، (المتوفى: 795هـ) تحقيق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1424هـ - 2004 م، 3 / 1250.

(2) من هذه الآيات التي ذكرها القرآن ليكشف لنا عن سوء أعمالهم قول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة البقرة: 12] وقوله ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيمٌ ﴿الآيتان من سورة التوبة: 67، 68.

إن الخفاء منه ما هو محمود وذلك مثل النعم التي أخفاها الله علينا مثل رؤية ذاته الشريفة، وأيضًا خفاء بعض الشعائر التعبدية مثل خفاء ليلة القدر وعدم تحديد وقتها وموعدها وكل ذلك من أجل أن يتنافس المتنافسون ويتسارع المتسارعون إلى الله تعالى كي يصححوا عقيدتهم وسلوكهم، وذلك بقيمة الإيمان بالأمور الغيبية التي لا يرونها، بل سلموا بها عن طريق السماع من الصادق المصدوق، فآمنوا بها دون نقاش أو جدال حولها؛ لأنه تعالى ما أخفاها عنهم إلا نعمة لهم ورحمة بهم، وكذلك أخفى علينا أمورًا عديدة منها معرفة الإنسان بأجله ورزقه، والأرض التي سيدفن فيها وكل ذلك مراعاة لقدرة الإنسان الضعيف إذ إن الإنسان لو علم موعد موته والأرض التي سيدفن فيها، ما تهنأ على عيش قط، ولترتب على ذلك اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى.

ولو علم الإنسان أيضًا رزقه، ما سعى في أرض الله، وهذا يعطل قانون الحياة المتمثل في المشي والسعي والأكل من رزق الله والشكر على ذلك قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾⁽¹⁾.

وعقول البشر لا تتحمل معرفة هذه الأمور الخفية التي لم يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب فأخفاها الله عنهم رحمة بهم، وإخفاؤها إنما هو نعمة من الله تستحق الشكر على ذلك.

ولأن "الله برحمته لا يكشف الغيب لكل المؤمنين، فلو اطلع المؤمن على الغيب لفسدت أمور كثيرة في الكون. وهب أن الله أطلع الإنسان على غيب حياته، فعرف الإنسان ألف حادثة سارة ثم حادثة واحدة مكدره؛ فإن كدر الإنسان بالحادثة الواحدة المكدره التي تقع بعد عشرين عامًا يفسد على الإنسان تنعمه بالأحداث السارة.

(1) سورة الملك الآية: 15.

وإن كان الإنسان يريد أن يطلع على غيب الناس فهل يقبل أن يطلع على غيبه أحد؟ فلماذا تريد أيها الإنسان أن تعرف غيب غيرك؟ أيرضى أي واحد منا أن يعرف الناس غيبه؟ لا. إذن فستر المعلومات عن الناس وجعلها غيبًا هي نعمة كبرى⁽¹⁾.

(1) الخواطر، الشيخ الشعراوي: 3 / 1895.

البَابُ الْأَوَّلُ

نعمة الخفاء في بعض قضايا الدين

الفصل الأول

نعمة خفاء الذات العلية من فرط العظم

مدخل

نجد أن فكرة الذات الإلهية شغلت عقول المفكرين قديماً وحديثاً، لاسيما في المدارس المختلفة خاصة عند المعتزلة⁽¹⁾، وهذه الفرقة هي التي عالجت هذه المشكلة، وأتت فيها بالجديد "ولا نظن أن هذه الفكرة عولجت في سعة قط لدى مدرسة لاهوتية مثلما عولجت على أيدي المعتزلة، أداروا فيها نحو قرن أو يزيد، وقلبوها على وجوهها المختلفة، وأتوا فيها بالجديد والطريف"⁽²⁾، وتتلخص في مشكلة الصفات التي أثارها من قبل الجعد بن درهم⁽³⁾، والجهم بن صفوان⁽⁴⁾، وغذوها

(1) المعتزلة هم: أصحاب واصل بن عطاء الغزال اعتزل عن مجلس الحسن البصري، وأخذ يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، وبثبت له المنزلة بين المنزلتين، فقال الحسن: قد اعتزل عنا واصل، وواصل بن عطاء البصري، الغزال المتكلم، البلوغ المتشدق، الذي كان يلبغ بالراء. فلبلاغته هجر الراء وتجنبها في خطابه. سمع من الحسن البصري وغيره. وقال أبو الفتح الأزدي: رجل سوء كافر. قلت: كان من أجداد المعتزلة. ولد سنة ثمانين بالمدينة ومما قيل فيه: ويجعل البر قمحا في تصرفه، هم أتباع واصل بن عطاء الغزال تلميذ الحسن البصري، وكان زمنه بين أيام عبد الملك بن مروان وأولاده الثلاثة وعمر بن عبد العزيز، وكان اعتزل الحسن البصري بسبب قوله في مرتكب الكبيرة، وذلك أنه جاء رجل إلى حلقة الحسن البصري فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة. يراجع: شرح المواقف، للإيجي، الموقف الخامس، 652/3. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1382 هـ - 1963 م، 4/ 329. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: 558هـ) المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1419هـ/1999م، 1/ 68.

(2) قال أبو بكر: الطريف والطرفة عند العرب: الشيء المحدث الذي لم يكن عُرف. وهو مشتق من الطريف والطارف: وهما المال المستحدث الذي اكتسبه الرجل وجمعه. الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: 328هـ) تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 1992 م، باب "لا تمازحن صبيا، ولا تفاكهن أمة"، 157/1.

(3) الجعد بن درهم هو أول من أظهر مقالته بخلق القرآن أيام هشام بن عبد الملك، فأخذه هشام وأرسله إلى خالد القسري، وهو أمير العراق، وأمر بقتل درهم، فإنه يقول: ما كلم الله موسى، ولا اتخذ إبراهيم خليلا، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا. ثم نزل وذبحه. يراجع: الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1997م، 4/ 283.

(4) أبو محرز الراسبي مولاهم، السمرقندي، الكاتب، المتكلم، أس الضلالة، ورأس الجهمية. كان صاحب ذكاء وجدال. وكان ينكر الصفات وينزه الباري عنها بزعمه ويقول: بخلق القرآن ويقول: إن الله في

بغذاء كان مدادًا لكل من جاء من بعدهم من المتكلمين⁽¹⁾.

وفكرة الذات الإلهية عند المتكلمين تقوم على التنزيه المطلق فـاللهـ تعالى - ليس بجسم، ولا جوهر، ولا عرض، ولا يحده زمان، ولا مكان؛ لأنه تعالى هو الذي خلق الزمان والمكان، فهو منزّه عن الجهات الست المعروفة، وأيضًا منزّه عن الحلول والاتحاد، ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ومن هنا فقد "أجمعت المعتزلة على أن الله واحد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾"⁽²⁾، وليس بجسم"⁽³⁾، ولا شبح، ولا جثة، ولا صورة، ولا لحم، ولا دم، ولا شخص، ولا جوهر"⁽⁴⁾، ولا عرض"⁽⁵⁾، ولا بذّي لون، ولا طعم، ولا رائحة، ولا مجسمة"⁽⁶⁾، ولا بذّي حرارة، ولا برودة، ولا رطوبة، ولا يبوسة، ولا طول، ولا عرض، ولا عمق، ولا اجتماع، ولا افتراق، ولا يتحرك، ولا يسكن، ولا يتبعض، وليس بذّي أبعاد وأجزاء، وجوارح وأعضاء، وليس بذّي جهات- ولا بذّي يمين وشمال، وأمام وخلف، وفوق وتحت، ولا يحيط به مكان، ولا يجري عليه زمان"⁽⁷⁾، ولا تجوز عليه المماسّة، ولا العزلة،

-
- الأمكنة كلها. يراجع: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) دار الحديث- القاهرة، الطبعة: 1427هـ - 2006م، 6/ 204.
- (1) الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، د/ إبراهيم مذكور، سميركو للطباعة والنشر، 39/2.
- (2) سورة الشورى من الآية: 11.
- (3) الجسم هو الجوهر الممتد القابل للأبعاد الثلاثة، الطول والعرض والعمق، وهو ذو شكل ووضع وله مكان إذا شغله منع غيره من الدخول فيه معه " يراجع: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، دار الجنوب - فلسطين، ص 135.
- (4) الجوهر.. هو كل ما وجود ذاته ليس في موضوع، أي في محل قريب قد قام بنفسه دونه لا بتقويمه ويقال جوهر.. لكل ذات وجوده ليس في موضوع، وعليه اصطلاح الفلاسفة القدماء منذ عهد أرسطو. المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا، 1/ 424.
- (5) العرض: الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع، أي محل، يقوم به، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به، والأعراض على نوعين: قار الذات، وهو الذي يجتمع أجزاءه في الوجود، كالبياض والسوداء، وغير قار الذات، وهو الذي لا يجتمع أجزاءه في الوجود، كالحركة والسكون، العرض اللازم: هو ما يمتنع انفكاكه عن الماهية، كالكتابة بالقوة بالنسبة إلى الإنسان يراجع: التعريفات: 1/ 148.
- (6) جسده بيده جسا من باب قتل واجتسه ليتعرفه وجس الأخيار وتجسها، والجمع الجواس. يراجع: المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ) المكتبة العلمية - بيروت، باب (ج س س) 1/ 101.
- (7) يقول ابن رشد: "إن المتكلمين يسلمون أن الزمان غير متقدم عليه، أو يلزمهم ذلك، إن الزمان عندهم شيء مقارن للحركات والأجسام. وهم أيضًا متفقون مع القدماء على أن الزمان المستقبل

ولا الحلول⁽¹⁾ في الأماكن، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدثهم ولا يوصف بأنه متناه ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب في الجهات وليس بمحدود، ولا والد ولا مولود، ولا تحيط به الأقدار، ولا تحجبه الأستار، ولا تدركه الحواس، ولا يقاس بالناس، ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ولا تجري عليه الآفات، ولا تحل به العاهات، وكل ما خطر بالبال وتصور بالوهم فغير مشبه له، لم يزل أولاً سابقاً متقدماً للمحدثات، موجوداً قبل المخلوقات⁽²⁾.

ومن هنا فالذات العلية لا يشبهها شيء؛ لأنها لو كانت مشابهة للأشياء لكانت محتاجة والاحتياج علة الإمكان، وإذا كان الأمر كذلك فإنها أيضاً لا تتصف بالأعراض المحسوسة الظاهرة والباطنة وغيرها من الكيفيات النفسانية المستلزمة للتركيب المنافي للوجوب الذاتي، وهذا ما اتفق عليه العقلاء وقد اتفق العقلاء على أنه تعالى لا يتصف بشيء من الأعراض المحسوسة بالحس الظاهر أو الباطن كالطعم واللون والرائحة والألم مطلقاً، وكذا اللذة الحسية وسائر الكيفيات النفسانية من الحقد والحزن والخوف ونظائرها فإنها كلها تابعة للمزاج المستلزم للتركيب المنافي للوجوب ثم إن كماله تعالى أجل الكمالات وإدراكه أقوى الإدراكات فوجب أن تكون لذاته أقوى الذات⁽³⁾.

غير متناه، وكذلك الوجود المستقبل، وإنما يختلفون في الزمان الماضي، والوجود الماضي: فالمتكلمون يرون أنه متناه، وهذا هو مذهب أفلاطون وشيعته. وأرسطو وفرقته يرون أنه غير متناه كالحال في المستقبل، فصل المقال، 41/.

(1) الحلول السرياني: عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى الساري: حالاً، والمسري فيه: محلاً. والحلول الجواني: عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر، كحلول الماء في الكوز، ويعرفه صاحب المواقف بقوله "الحلول هو الحصول على سبيل التبعية، وأنه ينفي الوجوب الذاتي، التعريفات، للجرجاني، 1/ 92، كتاب المواقف، للإيجي: 45/ 3.

(2) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ)، عنى بتصحيحه: هلموت ريتز، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا) الطبعة الثالثة، 1400هـ - 1980 م، 155/ 1 - 156.

(3) المواقف، للإيجي، 59/ 3.

المبحث الأول

الذات الإلهية [تعريفها، وصفاتها، وأفعالها]

مفهوم الذات الإلهية

الذات في اللغة:

"ذات مؤنث (ذو) بمعنى صاحب، يقال: هي ذات مال، وذات أفنان، ومثناها ذواتا، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ﴾ (٤٦) فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾" (١)، وجمعها (ذوات)، والذات النفس والشخص " (٢)، وقيل "الذات: نفس الشيء وجوهره" (٣).

المفهوم الاصطلاحي للذات:

"حينما نريد أن نعطي مفهوماً عن الذات فإن الذات الإلهية" موصوفة بالعلم غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهو موجود بحقائق الإيمان على الإيقان بلا إحاطة إدراك، بل هو أعلم بذاته، وهو موصوف غير مجهول وموجود غير مدرك ومرئي غير محاط به لقربه كأنك تراه، يسمع ويرى، وهو العلي الأعلى، وعلى العرش استوى تبارك تعالى، ظاهر في ملكه وقدرته، قد حجب عن الخلق كنه ذاته، ودلهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه والعقول لا تكيفه، وهو بكل شيء محيط، وعلى كل شيء قدير (٤). ومن هنا فإن الذات الإلهية لا يستطيع العقل أن يدرك كنهها أو حقيقتها على الإطلاق؛ لأنها فوق مدركات العقل

(١) سورة الرحمن، الآيات: ٤٦ - ٤٨.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، باب الذال، ١/ 703.

(٣) مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي (المتوفى: 387هـ) المحقق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة: الثانية، ص44.

(٤) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التنبلي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: 535هـ) المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية - السعودية / الرياض، الطبعة: الثانية، 1419هـ - 1999م. ص185.

لكن يستطيع الإنسان الاستدلال عليه من خلال آثارها.

وبناء على ذلك فإن كلمة (الذات) لها عدة إطلاقات متنوعة وهذا التعريف السابق يفيد أن الذات تقابل الجوهر والذي معناه (ما قام بنفسه)، وهي الموضوع الذي يقابل المحمول، وكلمة الذات لا بد أن تكون مضافة فتقول ذات زيد، وذات قدرة... إلخ.. ولأن "ذات" في أصل معناها لا تستعمل إلا مضافة، أي: ذات وجود، ذات قدرة، ذات عز، ذات علم، ذات كرم، إلى غير ذلك من الصفات. ف"ذات كذا" بمعنى صاحبة كذا: تأنيث ذو. هذا أصل معنى الكلمة. فعلم أن الذات لا يتصور انفصال الصفات عنها بوجه من الوجوه، وإن كان الذهن قد يفرض ذاتا مجردة عن الصفات، كما يفرض المحال⁽¹⁾.

ومن هنا فإن كلمة (ذات) تكون مضافة إلى غيرها، فإذا كان هناك ذات فلا بد أن تكون لها صفة ملازمة لها. كما نقول ذات الله، والذات الإلهية، وذات زيد وغيرها... إلخ، وكما أن الذات لها صفة فلا بد أن تكون لها اسمًا؛ وذلك؛ لأن الصفة تستلزم وجود اسم لها يطابق عين الذات، ومن هنا فإن الأسماء ترجع إلى الذات. "فلكل ذات اسمًا يطابق عين ذلك الذات، ولكل ذات أوصاف تبدئ خفايا ذلك الذات، ولكل وصف اسم ينبئ عن ذلك الوصف، وكما ترجع الأوصاف إلى الذات وجودًا، فكذلك ترجع أسماء تلك الأوصاف إلى ذلك الاسم بناء، فكما أن الذات العظيمة الأوصاف، فكذلك الاسم هو أعظم أسماء الأوصاف، فكل اسم وصف مستند لاسم الذات استناد الأوصاف إلى الذات"⁽²⁾.

وقد "ذهب المحققون من الإسلاميين وغيرهم من أهل الشرائع الماضين وطوائف الإلهيين إلى القول بوجوب وجود موجود له لذاته غير مفتقر إلى

(1) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر: وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث، العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ص49.
(2) تذكرة المحبين في شرح أسماء سيد المرسلين، الشيخ أبي عبد الله محمد ابن قاسم الرصاع، (المتوفى سنة 894هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص12.

ما يسند وجوده إليه وكل ما سواه، فوجوده متوقف في إبداعه عليه، ومبدأ النظر ومجال الفكر ينشأ من الحوادث الموجودة بعد العدم، فإن وجودها إما أن يكون لها لذاتها أو لغيرها، لا جائز أن يكون لها لذاتها، وإلا لما كانت معدومة وإن كان لغيرها، فالكلام فيها، وإذ ذاك فإما أن يقف الأمر على موجود هو مبدأ الكائنات ومنشأ الأحداث⁽¹⁾، والآمدي رحمه الله في هذه الإشارة السابقة يبطل الدور والتسلسل الذي أبطله المتكلمين، والفلاسفة وهذا يدل على أن هذا الموجود غير حادث لنخرج من قضية الدور والتسلسل المحالين. وإذا كان الأمر كذلك فإن جملة الممكنات تحتاج إلى سبب أو علة ويستحيل أن يكون هذا السبب هو نفسها؛ لأنه لو كان نفسها لاستلزم أن يكون علة ومعلولاً في آن واحد، وهذا بديهي البطلان فثبت أن يكون هذا الشيء خارج عنها غير ممكن، إذ ليس وراء هذه الممكنات بأسرها إلا المستحيل والواجب، والمستحيل لا يوجد فثبت أن الوجود لواجب الوجود واجب لذاته⁽²⁾، ومن هنا فإن هذه الذات قد اتصفت بعدة صفات وهذه الصفات ليست كصفات البشر على الإطلاق.

الصفات الإلهية الواجبة للذات الإلهية

البارئ - جل شأنه - له صفات لا يشابهه أحد في صفاته تعالى، فهي ليست كصفاتنا⁽³⁾، فهو (ﷻ) واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله، ومن

(1) غاية المرام في علم الكلام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: 631هـ)، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 9 / 1.

(2) هوامش على العقيدة النظامية، لإمام الحرمين الجويني، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى، 1405هـ - 1984م، ص164، بتصرف.

(3) إما أن يكون المراد ليس كمثل شيء في ماهيات الذات، أو أن يكون المراد ليس كمثل شيء في الصفات شيء، والثاني باطل، لأن العباد يوصفون بكونهم عالمين قادرين، كما أن الله تعالى يوصف بذلك، وكذلك يوصفون بكونهم معلومين مذكورين، مع أن الله تعالى يوصف بذلك، فثبت أن المراد بالمماثلة المساواة في حقيقة الذات، فيكون المعنى أن شيئاً من الذوات لا يساوي الله تعالى في

هنا فقد اتصفت الذات العلية بصفات وهذه الصفات ثابتة له تعالى بخلاف من نفاها عنه (عليه السلام)⁽¹⁾.

أولاً: تعريف الصفة:

"الصفة: هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات، وذلك نحو طويل، وقصير، وعاقل، وأحمق، وغيرها. وهي الأمانة اللازمة بذات الموصوف الذي يعرف بها"⁽²⁾، وقيل "بأنها هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات، أو الحالة التي يكون عليها الشيء: كالسواد، والبياض، والعلم، والجهل إلخ..."⁽³⁾.

ثانياً: أقسام الصفات:

الذات الإلهية قد اتصفت بصفات وهذه الصفات تنقسم إلى صفات نفسية،

الذاتية، فلو كان الله تعالى جسماً، لكان كونه جسماً ذاتاً لا صفة، فإذا كان سائر الأجسام مساوية له في الجسمية، أعني في كونها متحيزة، يراجع: مفاتيح الغيب، الرازي، 27 / 582.

(1) يقول الشهرستاني: "فالمعتزلة مشبهة الأفعال، والمشبّهة حولية الصفات، وكل واحد منهم أعور بأي عينيه شاء، فإن من قال: إنما يحسن منه ما يحسن منا، ويقبح منه ما يقبح منا، فقد شبه الخالق بالخلق؛ ومن قال: يوصف البارئ تعالى بما يوصف به الخلق، أو يوصف الخلق بما يوصف به البارئ تعالى، فقد اعتزل عن الحق. وسنخ القدرية طلب العلة في كل شيء، وذلك من سنخ اللعين الأول؛ إذ طلب العلة في الخلق أولاً، والحكمة في التكليف ثانياً، والفائدة في تكليف السجود لأدم (عليه السلام) ثالثاً. وعنه نشأ مذهب الخوارج، إذ لا فرق بين قولهم: لا حكم إلا الله ولا نحكم الرجال، وبين قوله: لا أسجد إلا لك، ﴿لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدْ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ مِنْ حَمَلٍ مُسْتَوْنٍ﴾ [سورة الحجر: 33] وبالجمله "كلا طرفي قصد الأمور ذميم" فالمعتزلة غلوا في التوحيد بزعمهم حتى وصلوا إلى التعطيل بنفي الصفات. والمشبّهة قصرُوا حتى وصفوا الخالق بصفات الأجسام. والروافض غلوا في النبوة والإمامة حتى وصلوا إلى الحلول. والخوارج قصرُوا حتى نفوا تحكيم الرجال. وأنت ترى -إذا نظرت- أن هذه الشبهات كلها ناشئة من شبهات اللعين الأول، وتلك في الأول مصدرها، وهذه في الآخرة مظهرها. وإليه أشار التنزيل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة البقرة: 168]. وشبه النبي (صلى الله عليه وآله) كل فرقة ضالة من هذه الأمة بأمة ضالة من الأمم السالفة، فقال: (القدرية مجوس هذه الأمة) وقال: (المشبّهة يهود هذه الأمة، والروافض نصارها) الملل والنحل أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ)، مؤسسة الحلبي، 18/1.

(2) التعريفات، الجرجاني: 133/1

(3) المعجم الفلسفي، د/جميل صليبا: 1 / 228.

وهي صفة (الوجود)، وصفات سلبية وهي (القدم، والبقاء، والقيام بالنفس، والمخالفة للحوادث، والوحدانية)، وصفات المعاني المعروفة عند الأشاعرة (القدرة - الإرادة - العلم - السمع - البصر - الكلام - الحياة)، وصفات معنوية، وهي: (كونه تعالى عالمًا - كونه سميعًا بصيرًا... إلخ)⁽¹⁾.

ونرى من خلال ما تقدم: أن هذه الصفات ثابتة لله تعالى بالعقل والنقل، وعلى هذا فالذات الإلهية لها صفات، وهذه الصفات ليست زائدة على الذات فهي قائمة بها، هذا بخلاف من نفى عن البارئ هذه الصفات ويقيم دليلاً على دعواه، إن إثبات الصفات يقتضي التجسيم والتركيب، وهذا محال على الله تعالى، لكن إثبات هذه الصفات لله تعالى لا يستلزم ذلك؛ لأنه إذا كانت هناك ذات فلا بد أن تكون هناك صفة، إذ استحيل وجود ذات بدون صفة، وهذا ما أقره العقلاء من أرباب علماء الكلام وغيرهم، ومن هنا فالذات الإلهية واحدة، ونعني بالوحدة⁽²⁾ بفتح الحاء، وحدانية الذات، ووحدانية الصفات، ووحدانية الأفعال، والذات الإلهية، يجب الإيمان بها لذلك

(1) يقسم الإمام البيجوري الصفات إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما لا يصح الاستدلال عليه إلا بالدليل العقلي، وهو ما توقفت عليه المعجزة من الصفات كوجوده تعالى، وقدرته، وبقائه، وقيامه بنفسه، ومخالفته للحوادث، وقدرته، وإرادته، وعلمه، وحياته.

والثاني: ما لا يصح الاستدلال عليه إلا بالدليل السمعي، وهو كل ما لا تتوقف المعجزة عليه من الصفات كالسمع، والبصر، والكلام.

والثالث: ما اختلف فيه، وهو الوحدانية، والأصح أن دليلها عقلي ويقول الإمام أبو البركات النسفي "إنما الصفات على جهتين (صفات الذات، وصفات الفعل) ثم يبين هذه الصفات فيقول: "وأما صفات الذات (كالحياء، والقدرة، والسمع، والعلم، والكلام، والمشينة، والإرادة)، وأما صفات الفعل (كالخلق، والترزيق، والإفضال، والإنعام، والإحسان والرحمة، والمغفرة، والهداية)، ثم يقول: "الله تعالى وبجميع صفاته وأسمائه قديم أزلي من غير تفصيل فصفات الله وأسماءه لا هو ولا غيره كالواحد من العشرة، ولو قلنا إن هذه الصفات هو الله يؤدي إلى أن يكون إلهين اثنين، والله تعالى واحد لا شريك له، ولو قلنا إن هذه الصفات غير الله تعالى لكانت هذه الصفات محدثة وهذا لا يجوز" بحر الكلام، الإمام أبو البركات النسفي، تحقيق: محمد السيد البرسيحي، دار الفتح للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1435 هـ - 2014م، ص 106، حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، دار السلام للطباعة والتوزيع، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2002م، ص 72.

(2) الوحدة: كون الشيء بحيث لا ينقسم من حيث إنه واحد والكثرة بأنها كون الشيء بحيث ينقسم من حيث إنه كثير، يراجع: دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق 12 هـ) عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000م، 3/ 310.

" فإن الحس والعقل والوعي والبدئية جميعًا تستقيم على سواء الخلق حين تستقيم على الإيمان بالذات الإلهية، وأن هذا الإيمان الرشيد هو خير تفسير لسر الخليفة بعقله المؤمن، ويدين به الفكر، ويتطلع إليه العقل السليم"⁽¹⁾.

ومن صفات المعاني التي اتصف بها البارئ جلّ وعلا، صفات (السمع، والبصر، والكلام)⁽²⁾

صفتا السمع والبصر:

تعريف صفة السمع: هي "صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالموجودات، أي الأصوات"⁽³⁾، ومن خلال التعريف السابق نجد أن صفة السمع صفة أزلية، تتعلق بالموجودات، وصفة أزلية "خرج بقولنا أزلية السمع الحادث، وهي قوة مودوعة في العصب المفروش في مقعر الصماغ"⁽⁴⁾.

تعريف صفة البصر:

بصر الله تعالى: "صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالموجودات الذوات وغيرها"⁽⁵⁾.

فإذا كان الأمر كذلك فإن العباد يسمعون ربهم في كل وقت وكل حين، لا يخفى عليه شيء من أمرهم، فالله تعالى يسمع ويرى، وخلق الخلق، فكيف لا

(1) الله، كتاب في نشأة العقيدة الإلهية، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون سنة نشر، ص-173.

(2) وإنما ذكرت هذه الصفات دون غيرها؛ لأن لها تعلق جوهرى بمضمون هذا الفصل حيث نتحدث عن صفة السمع باعتبار أن البارئ يسمع كل شيء عن مخلوقاته، فهل البشر يسمعون البارئ؟، وأيضًا نتحدث عن صفة البصر بالنسبة للذات العلية، فالبارئ يبصر العباد فهل العباد يرونه؟ وأيضًا صفة الكلام التي اختص بها البارئ، فهل البارئ يُكلم عباده بدون حجاب؟ أم أن البارئ تعالى أخفى نفسه عنهم؟ لأن العباد لا يطبقون رؤيته على حقيقته جلا وعلا.

(3) حاشية البيجوري على التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرية التوحيد، الإمام البيجوري، حققه وعلق عليه وشرح غريب ألفاظه، الدكتور / على جمعة محمد الشافعي، دار السلام، ص-131.

(4) شرح الناظم على الجوهرية وهو الشرح الصغير المسمى هداية المريد لجوهرية التوحيد، برهان الدين إبراهيم اللقاني المالكي المتوفى سنة 1041هـ، حققه: مروان عبد الصالحين السخاوي، دار البيضاء، درب الأثر، الطبعة الأولى، 1430هـ، 2009م، 1 / 395.

(5) حاشية البيجوري على التوحيد، ص-132.

يسمع الخلق ولا يراهم؟ فهذا لا يقبله العقل والمنطق، فالصانع لابد أن يكون أتم من الصنعة، وكما عقل الإنسان كون البارئ تعالى عالماً مريدًا قادرًا بلا جارحة، فكذلك هو سميع وبصير بدون جارحة يسمع بها أو حدقة يُبصر بها "إنه تعالى سميع بصير، لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير، وخفايا الوهم والتفكير، ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، وكيف لا يكون سميعًا بصيرًا والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص؟ فكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق والمصنوع أسنى وأتم من الصانع؟ وكيف تعادل القسمة مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعته، أو كيف تستقيم حجة إبراهيم (عليه السلام) على أبيه إذ كان يعبد الأصنام جهلاً وغيلاً فقال له ﴿لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾⁽¹⁾ ولو انقلب ذلك عليه في معبوده لأضحت حجته داحضة، ودلالته ساقطة، ولم يصدق قوله تعالى: ﴿وَلَيْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾⁽²⁾، وكما عقل كونه فاعلاً بلا جارحة، وعالماً بلا قلب ودماغ، فليعقل كونه بصيرًا بلا حدقة، وسميعاً بلا أذن إذ لا فرق بينهما"⁽³⁾.

ومن هنا فإن البارئ -تعالى - حي، وسميع، وبصير؛ لأنه لو لم يكن كذلك لاتصف بأضداد هذه الصفات من الموت، والصمم، والعمى، وهذه الصفات محالة على الله تعالى "وقد علم بالضرورة من الدين وثبت في الكتاب والسنة بحيث لا يمكن إنكاره ولا تأويله أن البارئ تعالى حي سميع بصير، وانعقد إجماع أهل الأديان بل جميع العقلاء على ذلك، وقد يستدل على الحياة بأنه عالم قادر لما مر، وكل عالم قادر حي بالضرورة، وعلى السمع والبصر بأن كل حي يصح

(1) سورة مريم، من الآية: 42.

(2) سورة الأنعام من الآية: 83.

(3) قواعد العقائد، الغزالي، ص58.

كونه سميعًا بصيرًا، وكل ما يصح للواجب من الكمالات يثبت بالفعل لبراءته عن أن يكون له ذلك بالقوة والإمكان، وعلى الكل بأنها صفات كمال قطعاً، والخلو عن صفة الكمال في حق من يصح اتصافه بها نقص، وهو على الله تعالى محال⁽¹⁾.

صفة الكلام الإلهي وإخفاؤها عن سمع البشر:

اختلف آراء أهل الملل والمذاهب في معنى كلامه تعالى فقال أهل السنة: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، ليست بحرف ولا صوت منزهة عن التقدم والتأخر، والإعراب والبناء، ومنزهة عن السكوت النفسي بأن لا يدبر في نفسه الكلام مع القدرة عليه⁽²⁾، ومعنى ذلك أن صفة الكلام صفة قديمة قد اتصف البارئ بها، ومن ثم فالبارئ تعالى منزّه عن السكوت، وعن صفات النقص التي تعتري البشر، من التعب والإجهاد وغيرهما ومنزه أيضاً "عن الآفات الباطنية بأن لا يقدر على ذلك كما في حال الخرس والطفولية"⁽³⁾.

ويجب الاعتقاد بأن البارئ تعالى قد اتصف بها تباعاً، ولما ورد في الشرع على أنه تعالى قد كلم بعض أنبيائه فمصدر الكلام أنه تعالى متكلم وكلامه قديم ليس بحادث، "ويجب الاعتقاد بأنه -جل شأنه- متصف بها اتباعاً لما قرره الشرع، وتصديقاً لما أخبر به فمن تلك الصفات صفة الكلام، فقد ورد أن الله كلم بعض أنبيائه ونطق القرآن بأنه كلام الله فمصدر الكلام المسموع عنه -سبحانه- لا بد أن يكون شأنًا من شؤونه قديماً بقدمه"⁽⁴⁾.

(1) شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي (المتوفى: 793هـ)، دار المعارف النعمانية - باكستان، الطبعة: الأولى، 1401هـ - 1981م، 2 / 98.

(2) شرح جوهرة التوحيد، اتحاف المريد بجوهرة التوحيد العلامة عبد السلام ابن ابراهيم اللقاني، ومعه النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد للمرحوم/محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار الصلاح - حلب، أمبول، الطبعة الأولى، سنة 1411هـ - 1990م، ص 101.

(3) شرح جوهرة التوحيد: 102

(4) رسالة التوحيد محمد عبده، ص 24.

تنزيه كلام الله تعالى عن صفات الحوادث:

إن كلام الله تعالى ليس بصوت ولا حرف، فهو يختلف عن الصفات الأخرى من حيث التعلق⁽¹⁾، وذلك أن تعلق صفتي القدرة والإرادة (الممكنات)، بينما تعلق صفتي العلم، والكلام (بالواجبات والممكنات والممتنعات)، وهذا التعلق على سبيل الانكشاف دون أن يسبقه خفاء، وصفة الكلام الإلهي تتعلق بالأمور السابقة الذكر تعلقاً على سبيل الدلالة والإفهام بينما تعلق صفتي السمع والبصر (بالموجودات)، ومن هنا فقد "ذهب أهل الحق من الإسلاميين إلى كون الباري -تعالى- متكلمًا بكلام قديم أزلي نفساني إحدى الذات ليس بحروف ولا أصوات، وهو مع ذلك ينقسم بانقسام المتعلقات مغاير للعلم والقدرة والإرادة وغير ذلك من الصفات"⁽²⁾.

كلام الله تعالى ليس بصوت ولا حرف:

إن كلام الله تعالى ليس لفظاً؛ لأنه لو كان لفظاً لاحتاج إلى آلة كاللسان وغيرها مما يحتاجه الإنسان إليه عند التكلم، وكونه محتاج هذا يستلزم التركيب، والتركيب في ذاته تعالى محال عليه⁽³⁾.

(1) أهل السنة يذهبون إلى أن كلام الله صفة واحدة لا تعدد فيها لكن لها أقسام من حيث متعلقاتها بها فمن حيث تعلقها بطلب فعل الصلاة أمر، ومن حيث تعلقها بطلب ترك الزنا نهي، ومن حيث تعلقها بأن فرعون فعلاً مثلاً خبر، ومن حيث تعلقها بأن الطائع له الجنة وعد، ومن حيث تعلقها بأن العصي يدخل النار وعيد وهكذا". شرح جوهرة التوحيد، الشيخ عبد السلام اللقاني: ص102.

(2) غاية المرام في علم الكلام، الأمدي، ص88.

(3) ويمكن الاستدلال على استحالة تركيب الذات الإلهية من أمور التركيب بأمور: منها: أن المركب مفتقر في وجوده إلى جزء من أجزائه بحيث لو تخلف أي جزء واحد فقط عن الانضمام إلى باقي الأجزاء لما وجدت ذات المركب والفقر والحاجة نقص منزه عنه واجب الوجود؛ لأنه الغني المطلق. ومنها: أن الذات الإلهية لو كانت مركبة من أجزاء؛ لاحتاجت في تركيبها والتأليف بينها إلى مركب ومؤلف، وبالتالي لاحتاج الوجود التركيبي المزعوم للذات الإلهية إلى موجد، وهذا خلاف فرض الله واجب الوجود بذاته ولذاته، يراجع: دراسات في العقيدة الإسلامية، محمد جعفر شمس الدين، دار التعاون للمطبوعات، الطبعة الرابعة 1413 هـ - 1993 م، ص145.

هل العباد يسمعون الذات الإلهية مباشرة؟⁽¹⁾

جاء في كتاب مقالات الإسلاميين ما نصه واختلفوا في كلام الله سبحانه هل يسمع أم لا يسمع؟ فقال قائلون: ليس يسمع كلام الله إلا بمعنى أنا نفهمه وإنما نسمعه متلوًا أي نسمع تلاوته وأن موسى (عليه السلام) سمعه من الله (صلى الله عليه وسلم). وقال قائلون: لسنا نسمع كلام الله بأسماعنا ولا نسمع أيضًا كلام البشر بأسماعنا وإنما نسمع في الحقيقة الشيء المتكلم متكلمًا فموسى سمع الله - سبحانه - متكلمًا ولا سمع كلامًا في الحقيقة وأنه يستحيل أن يسمع ما ليس بقائم بنفسه. وقال قائلون: المسموع هو الكلام أو الصوت وكلام البشر يسمع في الحقيقة وكذلك كلام الله نسمعه في الحقيقة إذا كان متلوًا، وأنه هذه الحروف التي نسمعها ولا نسمع الكلام إذا كان محفوظًا أو مكتوبًا⁽²⁾. ومن هنا فإن كلام الله تعالى المتلو والمسموع غير كلام الله تعالى الذي له صوت وهذا ما حدث لكليم الله موسى (عليه السلام) فنبي الله (صلى الله عليه وسلم) قد سمع كلامًا لكن لا يستطيع السماع المباشر من الله تعالى كما يسمع بعضنا بعضًا. "وذلك أن نبي الله موسى (صلى الله عليه وسلم) وكل من تولى الله تعالى خطابه

(1) الاحتياج لنا إلى الآلة بسبب عجزنا وقصورنا وذات الباري - تعالى - لبراءته عن القصور يحصل له بلا آلة ما لا يحصل لنا إلا بها. فتلك الأشياء التي ندركها نحن بالحواس الظاهرة والباطنة وبذلك القوى الجسمانية يدركها الواجب أيضًا بهذا الوجه الذي ندركها لكن لا بالآلات المذكورة، لغنائه - جل شأنه - عنها، وفقرنا إليها إنما هو لأجل نقصاننا. ثم إن القائلين بكونهما نفس العلم الحضوري الجزئي احتجوا بأن كونهما زائدين على نفس العلم بالمسموعات على الوجه الجزئي لا يتصور إلا بأن يكون إدراك المسموعات والمبصرات بالإحساس - إذ غير الإحساس في إدراك المبصرات والمسموعات على الوجه الجزئي ليس إلا العلم بهما على الوجه الشهودي الإشراقي -، وحقيقة الإحساس لا يحصل إلا بتأثير الحاسة وهو في حقه - سبحانه - محال، وإذا كان هذا محالًا فلا يبقى لإدراكهما على الوجه الجزئي معنى آخر سوى العلم بهما على الوجه الحضوري الإشراقي. والحاصل: إن السمع والبصر إما مجرد الإحساس، أو العلم بالمحسوسات، وقد علم أن مناط الجزئية أما الإحساس - وهو لا يحصل إلا بتحقيق الآلة وتأثير الحاسة ولا يتصور ذلك في الواجب -، وإما الشهود الإشراقي، فهو لا ينافي التجرد عن المواد والآلات. وقد علم أنه - تعالى - عالم بجميع الجزئيات على جزئيتها وماديتها ومن جملتها المسموعات من الحروف والأصوات والمبصرات من الأجسام والأضواء والألوان، فثبت منه أن الواجب - سبحانه - يعلم الأصوات والألوان علما حضوريا إشراقيا وينكشف لديه انكشافا شهوديا نوريا بنفس ذاته المقدسة التي به يظهر ويتنور جميع الأشياء، فذاته - تعالى - بهذا الاعتبار سمعه وبصره بلا تأويل. وأما عدم وصفه بالشام والذائق مع علمه بالمشمومات والمذوقات علما حضوريا شهوديا على الوجه الجزئي، تراجع: جامع الأفكار ونافذ الأنظار، محمد مهدي بن أبي ذر النراقي، مؤسسة انتشارات حكمت، 399/2.

(2) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للأشعري، ص 587.

بلا واسطة ولا ترجمان يعلم خالق العالم هو المتولى لخطابه من أربعة أوجه. أحدها: أن الله سبحانه الذي يخاطب به من يشاء من خلقه ليس من جنس كلام آدميين ولا شبيهاً لكلام المخلوقين بل هو مخالف لسائر الأجناس والأصوات وأبنية اللغات وإن كان مسموعاً بحاسة السمع⁽¹⁾ وبناء على ذلك فإن كلام الله تعالى مخالف لسائر الأجناس وكذا الأصوات وذلك أن هناك فرقاً بين كلام الله تعالى وكلام البشر؛ لأن كلام البشر إنما هو عرض والأعراض متغيرة وبالتالي فإن كلامه تعالى منزّه عن هذه الأمور المستلزمة الجسمية وهي محالة على الله تعالى.

ومن هنا فقد أخفى الله تعالى عن العباد سماع كلامه مباشرة؛ لأن العباد لا يطيقون ولا يتحملون أن يسمعوا منه مباشرة وذلك أن صفوة الخلق وهم الأنبياء لا يستطيعون أن يسمعوا الذات الإلهية كما يسمع بعضنا بعضاً بطريق مباشر، أو غير مباشر. "ولقائل أن يقول: أليس كون السمع والبصر مدركين للمسموع والمبصر، موقوف على حضور المبصر والمسموع؟ وهذا الإدراك الذي هو موقوف على حضور المسموع والمبصر، مغاير لتلك الصفة التي هي غير موقوفة على حضور المسموع والمبصر، فيلزمكم أن يكون كون الله تعالى مدرّكاً للمسموعات والمبصرات، صفة متجددة"⁽²⁾.

ومعنى ذلك أن الخصم يريد أن يجعل الذات الإلهية تتأثر بالأشياء المدركة، وهذه الأشياء متغيرة من وقت لآخر، وبالتالي فإن الذات الإلهية تتغير تبعاً للأشياء المتغيرة، ويلزم من هذا أن الذات ليست واجبة الوجود لذاتها، بل هي واجبة لغيرها وهذا غير معقول؛ لأن هناك أشياء في الوجود ثابتة وليست متغيرة، ولا يلزم فيها الاشتراط أي وجود التابع للمتبوع، وذلك مثل (القدرة) فإنها تحصل عند المزاج لكن بالنسبة للذات الإلهية، فليست تابعة للمزاج فصفة السمع والبصر لا يلزم منهما

(1) كتاب التمهيد، الإمام القاضي أبي بكر محمد ابن أبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي، عني بتصحيحه الأب تشارد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية - بيروت، 1957م، ص109.

(2) الأربعين في أصول الدين، الإمام فخر الدين الرازي، مكتبة الكليات الأزهرية 1986م، تحقيق: أحمد حجازي السقا، 239 / 1.

التغير، كما لا يلزم من وجودهما وجود الآلة أو الحاسة؛ لأن هذا يستلزم الجسمية، والجسمية عليه محالة.

"إنكم ما ذكرتم دليلاً على أن الإبصار والسمع مشروطان بحصول تأثير الحاسة، بل نجد في الشاهد أن الإبصار والسمع لا يحصلان إلا عند هذا التأثير، ولكن مجرد الاقتران⁽¹⁾ لا يدل على الاشتراط. بدليل: أن الحياة والقدرة لا تحصلان إلا عند المزاج، ثم إنا نثبتهما في حق الله تعالى مع القطع بكونه تعالى منزهاً عن الجسمية والمزاج، فعلمنا: أن مجرد المقارنة لا تدل على الاشتراط⁽²⁾.

والبارئ - جلّ وعلا - سميع بصير يرى كل شيء، ويدرك كل شيء، ولا يغيب عن سمعه وبصره شيء، فإذا كان البارئ يدرك الأشياء، فهل هذا الإدراك متعددًا أم إدراكًا واحدًا؟ هذا ما أورده الخصم، "فإن قيل: قد وصفتُم البارئ تعالى بكونه سميعًا بصيرًا، والسمع والبصر إدراكان، ثم تثبت شاهدًا إدراكات سواهما: إدراك يتعلق بقبيل الطعوم، وإدراك يتعلق بقبيل الروائح، وإدراك يتعلق بالحرارة والبرودة، واللين والخشونة؛ فهل تصفون الرب تعالى بأحكام هذه الإدراكات، أم تقتصرون على وصفه بكونه سميعًا بصيرًا؟"⁽³⁾.

فالبارئ تعالى قد تقدس عن صفات البشر التي هي إدراكات عن طريق الحواس المعروفة، فالبصر يدرك المدركات والسمع يدرك المسموعات وأيضًا المس يدرك الملموسات، والشم يدرك المذوقات، والبارئ تعالى ليس له هذه الإدراكات التي تخبر عن ضروب الاتصالات والتي هي أيضًا بالنسبة للبشر بمثابة وسيلة من وسائل الحياة التي لا يستغني عنها أي إنسان على قيد الحياة "وكما عقل كونه

(1) الاقتران: كالازدواج في كونه اجتماع شيئين أو أشياء في معنى من المعانييرراجع: التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعيد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ) عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة - الطبعة: الأولى، 1410هـ-1990م، ص58.

(2) الأربعين في أصول الدين، الإمام فخر الدين الرازي: 1/ 239.

(3) الإرشاد، أبي المعالي عبد الملك ابن عبد الله ابن يوسف الجويني، المتوفى سنة 478هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ، 1/ 36.

فاعلا بلا جراحة، وعالما بلا قلب ودماغ، فليعقل كونه بصيرًا بلا حدقة، وسميًا بلا أذن إذ لا فرق بينهما⁽¹⁾. فالبارئ تعالى منزّه عن النقص وهو موصوف بكل كمال يليق بذاته المقدسة. "ومن هنا" فالصحيح المقطوع به عندنا وجوب وصفه بأحكام الإدراكات، إذ كل إدراك ينفيه ضد فهو آفة، فما دل على وجوب وصفه بأحكام السمع والبصر فهو دال على وجوب وصفه بأحكام الإدراكات. ثم يتقدس الرب (ﷻ) عن كونه شامًا دائئًا لامسًا، فإن هذه الصفات منبئة على ضروب من الاتصالات، والرب يتعالى عنها. ثم هي لا تنبئ عن حقائق الإدراكات؛ فإن الإنسان يقول شممت تقاحة فلم أدرك ريحها؛ ولو كان الشم دالًا على الإدراك، لكان ذلك بمثابة قول القائل: أدركت ريحها ولم أدركه، وكذلك القول في الذوق واللمس⁽²⁾.

والبارئ جل وعلا يسمع ويبصر فلا يخفى عليه شيء من مخلوقاته صغر أم عظم، وليست له جراحة ولا حدقة يبصر بهما؛ لأنه سبحانه ليس مماثلاً للحوادث، وقد شاء الله أن يقدّر قدر تحمل البشر في سمعه أو رؤيته بطريقة مباشرة وذلك؛ لعلمه بأن البشر لهم قدرات محدودة؛ ولأن هاتين الصفتين مغايرتان للعلم، وإذا كانتا هكذا فلا داعي لوجود الحدقة وتأثرها بسبب ارتسام صورة المبصر فيها "فإننا إذا سمعنا صوتًا علمنا جهته وذلك يدل على أننا أدركنا الصوت في الخارج، ولأننا نسمع كلام الإنسان من وراء الجدار، ولو كنا لا نسمع الكلام إلا عند وصوله إلينا وجب أن لا نسمع الحروف من وراء الجدار؛ لأن ذلك التموّج لما وصل إلى الجدار لم يبق على شكله الأول، فيثبت بما ذكرنا أن الإبصار والسماع نوعان من الإدراك مغايران للعلم"⁽³⁾. وعلى هذا فسمع الله تعالى وبصره مغايران للعلم، الذي معناه الإدراك حيث إن العلم يتعلق بالأشياء تعلق انكشاف وإحاطة يغاير صفتي

(1) قواعد العقائد الغزالي: ص 182.

(2) الإرشاد، الجويني: 1 / 36.

(3) معالم أصول الدين، الفخر الرازي، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي - لبنان، ص 60.

السمع والبصر، وعلى هذا فالله تعالى يدرك الأشياء على الحقيقة، ويتعالى عما تتصف به الحواس "ونحن نقطع باستحالة اتصافه بالإحساس والتحديق والإصاغة، وإن أنكر منكر كونه مدرّكًا حقيقة الأشياء فقد أثبت للمخلوق في الإحاطة والدرك مزية على الخالق ولا خفاء ببطلان ذلك"⁽¹⁾.

الآثار العقدية على إخفاء سمع الله ورؤيته عن العباد

إن كلام الله -تعالى- أفضل الكلم على الإطلاق، ومن ثم فإن البشر لم ولن يستطيعوا رؤية الذات على حقيقتها، ولا يسمعه إلا من ارتضى من رسول؛ وذلك؛ لأن كلام الله تعالى لا يجوز أن يكون البارئ تعالى متكلمًا مكلماً؛ لأن هذا يستدعي أن يكون كلام البارئ تعالى مخلوقًا، وهذا ما ينادي به الجهمية⁽²⁾ في أن كلام الله مخلوق، وهذا مخالف للعقل معًا. "ولا يجوز أن يكون كلام المتكلم قائمًا بغيره، ثم يكون هو به متكلمًا مكلماً دون ذلك الغير، كما لا يجوز ذلك في العلم والسمع والبصر"⁽³⁾.

من الآثار العقدية نفي كون القرآن الكريم مخلوقًا:

من المعلوم لدى الدارسين أن مسألة كلام الله -تعالى- أخذت حيزًا كبيرًا بين الفرق الكلامية في أن كلام الله قديم أم حادث، وهذا ليس مجاله في هذا

(1) العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية الجويني، تحقيق وتعليق: محمد زاهر الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، 1412هـ - 1998م، ص31.

(2) أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله سلم بن أحوز المازني بمرور في آخر ملك بني أمية. وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء، وهذه الفرقة قالت لا قدرة للعبد أصلاً لا مؤثرة ولا كاسية بل هو بمنزلة الجمادات والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلها حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى "يراجع: الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ) ص 86، مؤسسة الحلبي، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، 1/ 291.

(3) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458 هـ)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1401هـ، 1/ 95.

البحث، ولكن ما أردنا التعرض إليه هو سماع البشر جميعاً لكلام الله ونقصد بالسمع هنا السمع الحقيقي كما يسمع الإنسان من حوله من الأصوات لكن الذات العلية بخلاف ذلك فليس كمثله شيء، وعندما أخبرنا الله بأنه كلم موسى قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾⁽¹⁾، وهذا استثناء لموسى استأثره بهذه الخاصية وحده دون غيره من الأنبياء، ولا نعقل كيفية الاستماع وذلك لتتزه كلام الله عن كلام الحوادث فكلامه لا يوصف بالهجاء ولا بالحروف. معنى قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ لا أن كلمه بكلامه، ولا ندري كيف كان؟ سوى أنا نعلم أنه أحدث صوتاً لم يكن، فأسمع موسى ذلك كيف شاء، وما شاء، وممن شاء؛ لأن كلامه الذي هو موصوف به في الأزل لا يوصف بالحروف، ولا بالهجاء، ولا بالصوت، ولا بشيء مما يوصف به كلام الخلق بحال. وما يقال: هذا كلام الله - إنما يُقال على الموافقة⁽²⁾ والمجاز⁽³⁾؛ كقوله: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَمَ اللَّهِ﴾⁽⁴⁾، ولا سبيل له أن يسمع كلام الله الذي هو موصوف به بالأزل؛ ولكنه على الموافقة والمجاز يقال ذلك⁽⁵⁾ بينما ذهب نصير الدين الطوسي إلى أن كلام الله تعالى ليس بصوت ولا حرف فالأمر والنهي والخبر عند الأشاعرة أمور معقولة فهي مغايرة لجميع اللغات وعلى هذا فالأمر يختلف عن الإرادة عندهم "ولم يقل به أحد إلا أصحابنا، قالوا: الأمر والنهي والخبر أمور معقولة يعبر عن كل واحد منها في كل لغة بلفظة أخرى، فهي متغايرة لهذه اللغات. وليس عبارة عن تخيل الحروف، لأن تخيلها

(1) سورة النساء من الآية: 164.

(2) الموافقة في معنى المصادفة والاتفاق. تقول: وافقت فلانا في موضع كذا، أي: صادفته. ووافقت فلانا على أمر كذا، أي: اتفقتنا عليه معاً. كتاب العبد للفرهيدي، 5 / 226، المعجم الفلسفي، د/ جميل صليبا: 440 / 2.

(3) المجاز: ما جاوز وتعدى عن محله الموضوع له إلى غيره؛ لمناسبة بينهما؛ إما من حيث الصورة، أو من حيث المعنى اللازم المشهور، أو من حيث القرب والمجاورة، كاسم الأسد للرجل الشجاع، وكألفاظ يكنى بها الحديث. التعريفات، الجرجاني، 1 / 203.

(4) سورة التوبة، من الآية: 6.

(5) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) أبو منصور الماتريدي، 3 / 240.

تابع لها ومختلف باختلافها. وهذه الماهيات لا تختلف ألبتة، وليس الأمر عبارة عن الإرادة، لأن الله تعالى يأمر بما يريد، ويريد ما لا يأمر به. وظاهر أنه ليس عبارة عن العلم والقدرة والحياة، فلا بدّ من نوع آخر⁽¹⁾.

وكلام الله لموسى (عليه السلام) خصوصية خصّ الله بها نبيه موسى دون غيره من الأنبياء وهي أدنى مراتب الوحي، وهذا ليس قدحاً في نبوة غيره من الأنبياء، جاء هذا المعنى في تفسير أبي السعود عند تفسيره لهذه الآية حيث قال "والمعنى أن التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خصّ به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحاً في نبوة سائر الأنبياء فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه (عليه السلام) جملةً قادحاً في صحة نبوة من أنزل عليه الكتاب مفصلاً مع ظهور أن نزولها كذلك لما آمنوا بها، وقد فضل الله تعالى نبينا محمد (ﷺ) بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم (ﷺ) تسليماً كثيراً⁽²⁾، وقد خص موسى بالتكليم، لكن كلام الله تعالى له يدخل ضمن قول الله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾⁽³⁾ وتكليم الله لموسى ليس عن طريق المشافهة وإنما معنى يسمع صوت الملك دون رؤيته "مثل أي، كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب، فيسمع صوته ولا يرى شخصه، وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة. وإما على أن يرسل إليه رسولاً من الملائكة فيوحي الملك إليه كما كلم الأنبياء غير موسى⁽⁴⁾.

من الآثار المترتبة على إخفاء سمع الله عن البشر (محدودية العقل):

والعقل لم ولن يستطيع الوقوف على كنه ادراك سمع الله تعالى على حقيقته؛ لأن ذلك فوق حدوده ومن ثم فإن هناك أشياء كثيرة في الكون العريق لا يستطيع

(1) تلخيص المحصل المعروف بنقد المحصل، ومعه بعض الرسائل لنصير الدين الطوسي، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، 1405هـ- 1985م، ص 170.

(2) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 2 / 256.

(3) سورة الزمر من الآية: 51.

(4) الكشف، للزمخشري، 4 / 233.

الإنسان إدراكها ولا الوقوف على حقيقتها "فكان من لطف الله بالإنسان أن جعل لعقله حدًا يقف عنده، وينتهي إليه، ليسلم من هذا الخطر: خطر الإعجاب بالعقل ففي آيات الله الكونية حقائق كثيرة تقف العقول حيارى أمامها، وقد تشهد آثارها، ولا تستطيع أن تعرف كنهها، كحقيقة الكهرباء في الكون، وحقيقة الروح والعقل في الإنسان فمثل هذه الحقائق المنغلقة التي يرتد عقل الإنسان إليه عنها خاسئًا وهو حسير، هي التي تعرفه بقدره، وبعظمة هذا الكون، وفخامة أمره، فيقف بعقله عند حد النظر والاعتبار، والاستدلال ببديع الصنعة وعظيم النعمة على حكمة الله البالغة، ومنته السابغة، دون خلط للأوهام بالحقائق، ولا فتنة بالمخلوق عن الخالق⁽¹⁾.

وخلاصة القول: إن الله تعالى متكلم باتفاق العقلاء، ولكن كلامه تعالى ليس بصوت ولا حرف ولا يشبه كلامه كلام البشر كما لا يشبه وجوده وجود البشر وكلامه ليس بصوت؛ لأن الصوت له دلالات وإذا كان الأمر كذلك فإن كلام الله تعالى لا يشبه كلام البشر على الإطلاق.

فهو " (ﷻ) متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره، كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وإنما الأصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات"⁽²⁾، ومن هنا فإن نبي الله موسى (ﷺ) لم يسمع صوت الملك مباشرة كما يسمع بعضنا بعضا؛ لأن حاسة السمع التي ركبها الله في الإنسان لم ولن تستطيع أن تسمع صوت الملك مباشرة أما بالنسبة لسمع الله تعالى فإنه من المستحيل أن نحدد كيفية سمعه؛ لأن هذا من الغيبيات التي لا يعلمها أحد من

(1) تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ) المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية بيروت- لبنان. الطبعة: الأولى، 1416هـ-1995م، 1 / 284.

(2) قواعد القواعد، الغزالي، 1 / 182.

البشر سواء أكان ملكاً مقرباً أم نبياً مرسلًا. "ونحن لا ندري كيفية السمع عند الله -سبحانه- ولا داعي للتخيلات التي تقوم على أساس فهذه من الغيبيات وموقفنا من هذه الغيبيات أن نتلقاها كما هي ونؤمن بمدلولها دون البحث عن كيفيتها التي لا تقيدنا معرفتها في شيء فضلاً عن أنها غير داخلية في حدود تجاربنا ولا معارفنا البشرية"⁽¹⁾، ومن هنا فإننا سنذكر في الباب الثاني من هذا البحث، مدى قدرة سمع الإنسان من ذبذبات تتلقاها أذنه بقدر محدد لو زادت عليه لحدث تلف وإصابة لأذنه وعقله.

(1) إعجاز القرآن في حواس الإنسان دراسة في الأنف والأذن والحنجرة في ضوء الطب وعلوم القرآن والحديث، الدكتور/ محمد كمال عبد العزيز- مكتبة القرآن - بولاق - القاهرة، ص25.

المبحث الثاني

خفاء الذات الإلهية عن سمع وبصر العباد وأسبابه والآثار العقدية المترتبة على ذلك

إخفاء الذات الإلهية عن سمع وبصر العباد

نجد أن الذات الإلهية لا يستطيع أحد أن يراها على كنهها أو على حقيقتها؛ لأن طاقة البشر لا تتحمل أن تراها في الدنيا على حقيقتها، ومن هنا فإننا في هذا المبحث سنبين حقيقة إدراكها وكيفية اختفائها عن سمع وبصر العباد كلهم عدا المستثنين من هذه القاعدة.

وعلى ذلك فالذات الإلهية ليست جسمًا ولا متحيزة؛ لأن الجسم هو ما يشغل حيزًا من الفراغ، فالذات الإلهية ليست مساوية للذوات الأخرى. فالله تعالى لا يشبه الخلق؛ لأن الخلق لا يشبه بعضهم بعضًا من جميع الوجوه، وعلى ذلك فالذات الإلهية لا يشبهها أحد من كل الوجوه وبالتالي، لا يشبهها أحد من بعض الوجوه؛ لأن نفي الكل يستلزم نفي الجزء، "والخلق وإن كانوا ذا أمثال وأشكال وأشباه، فليس يشبه بعضهم بعضًا من جميع الوجوه وكل الجهات، ولكن إنما يشبه بعضهم بعضًا لا من جميع الوجوه، أو بوجه أو بصفة، أو بجهة أو بنفس، ثم صار بعضهم أمثالا لبعض وأشباهًا بتلك الجهة وبذلك الوصف؛ فدل أن الله -تعالى- ليس يشبه الخلق، ولا له مثال منهم بوجه من الوجوه، ولا له شبه منهم، لا ما يرجع إلى النفس، وهو يتعالى عن جميع معاني الخلق وصفاتهم، ودل قوله -تعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁽¹⁾ أنه شيء؛ لأنه نفى عن نفسه المثلية ولم ينف الشئئية، لكن يقال: شيء لا كالأشياء ينفي عنه شبه الأشياء، والشيء إثبات، وفي الإثبات توحيد، ولو

(1) سورة الشورى، من الآية: 11.

لم يكن شيئاً لكان يقول: ليس هو شيئاً؛ دل أنه ما ذكر⁽¹⁾. ومن هنا فالله تعالى لا يشبهه أحد لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

خفاء الذات الإلهية والإيمان بها

إن العقل السليم يؤمن إيماناً بأن هناك قوة مستترة خفية لا تراها الأبصار، وهي التي تسيطر على هذا الكون كله، فيجب الإيمان بها، وهذا ما أجمع عليه العقلاء من أن الله تعالى أزلي، حي سميع بصير ومتكلم... إلخ الصفات الواجبة له تعالى ومن هنا "نعلم أنه موجود لا يشبه الكائنات أزلي أبدى حي عالم مريد قادر متفرد في وجوب وجوده وفي كمال صفاته وفي صنع خلقه وأنه متكلم سميع بصير وما يتبع ذلك من الصفات التي جاء الشرع بإطلاق أسمائها عليه"⁽²⁾.

أسباب إخفاء الذات الإلهية

هناك عدة أسباب تمنع الإنسان من إدراك الذات الإلهية، وهذه الأسباب لا يستطيع أحد من البشر على الإطلاق أن يتجاوزها مهما بلغ من العلم أو التقدم وغيرهما وهي:

أولاً: ذات الله تعالى توصف ولا تدرك

القرآن الكريم أرشدنا إلى أن هناك إلهاً عالماً مريداً يعلم حالنا ومآلنا، ولا يخفى عليه شيء من أمرنا، وهذا الإله له صفات ومن هذه الصفات صفة المخالفة للحوادث، فليس مماثلاً للحوادث ولا يحل في أحد ولا يتحد في أحد على الإطلاق.

(1) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) 110/1.

(2) التوحيد، محمد عبده، ص27.

"فالقرآن الكريم حينما أراد أن يرشد الإنسان إلى الله تعالى الخالق كان هدفه الهداية إلى معرفته بآثاره الدالة على صفاته وكمال جلاله وجماله وتنزهه عن المماثلة لخلقه أو الاتحاد أو الحلول في شيء مما خلق وأوصد أمامه باب التطلع إلى معرفة حقيقته وذاته تعالى وصرفه عن محاولة التفكير في هذا الجانب قال تعالى ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ (١)، وقصّ علينا القرآن أن موسى طلب من ربه أن يريه نفسه لينظر إليه، فقال له: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا بَلَغَ رَجْعَهُ لَاجِبِ جَبَلٍ، دَخَا وَخَرَّ مُوسَى صَعْقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٤٣) قَالَ يَمُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَاءً آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ (٢)، ومن هنا كان العجز عن إدراك حقيقة الذات الأقدس عقيدة من عقائد الإيمان بالله، وكان في الوقت نفسه برهاناً على سمو الألوهية الحقّة عن الدخول في دائرة التفكير العقلي المحدود بطبيعته الذي لا يجد مجالاً لتخطي ما وراء الكون الذي يتناوله وتجري فيه مقارناته واستنباطاته، وكان الإرشاد إلى معرفته، وإلى الإيمان بوجوده من جانب النظر في آثاره، ومن جانب الإحساس الداخلي (٣).

ثانياً: عدم قدرة الحواس الظاهرة من بصر وسمع وخلافة عن إدراك الذات العلية فالذات الإلهية لا تدرك بالحواس؛ لأنها تقع على كل ما هو محسوس وملموس، والله تعالى ليس جسماً لكي يدرك بالحواس المعروفة، وليس عرضاً من

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ١٤٢، ١٤٣.

(٣) الإسلام عقيدة وشريعة، الإمام الأكبر محمود شلتوت، دار الشروق، الطبعة الثامنة عشر، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ص ٢٦، ٢٧.

الأعراض المعروفة⁽¹⁾ لكي يدرك بالكيفيات⁽²⁾، فهو فوق كل شيء ولا تحويه الجهات المعروفة ومنزه أيضًا عن المكان. "وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات، وأنه مستوي على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزلها عن المماسمة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته"⁽³⁾، ولذلك نجد أن القرآن الكريم نفى عن الأبصار⁽⁴⁾ أن تدرك الذات الإلهية فقال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾⁽⁵⁾ فلقد تمدح تعالى بأن كل راء يجوز أن يرى، لكن هو تعالى مع جواز رؤيته منعنا من الإدراك له، بأن يحدث في أبصارنا مانعًا يمنعنا من رؤيته؛ فالمدح وقع بكونه قادرًا على ذلك دون غيره من الخلق⁽⁶⁾، "فالآية نفت أن تراه الأبصار، وذلك يتناول جميع الأبصار في جميع الأوقات"⁽⁷⁾.
والرؤية في حد ذاتها ممكنة لكن الله تعالى أحدث في أبصارنا مانعًا⁽⁸⁾،

-
- (1) العرض: الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع، أي محل، يقوم به، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به، التعريفات، للجرجاني، ص148.
- (2) يقول صاحب المواقف "الكيفيات المحسوسة والكيفيات النفسانية والكيفيات المختصة بالكميات والاستعدادات أي الكيفيات الاستعدادية" ثم قسم الكيفيات المحسوسة" فقال: "وهي إن كانت راسخة سميت انفعاليات وإلا فانفعالات". "راجع: المواقف، للإيجي، 585/1، 588".
- (3) قواعد العقائد للغزالي، باب التنزيه، ص52.
- (4) الأبصار جمع بصر يطلق كما قال الراغب على الجارحة النازرة وعلى القوة التي فيها وعلى البصيرة وهي قوة القلب المدركة وإدراك الشيء عبارة عن الوصول إلى غايته والإحاطة به، وجمع البصر أبصار، وجمع البصيرة بصائر، قال تعالى: ﴿فَمَا آغَى عَنْهُمْ سَمْعَهُمْ وَلَا أَبْصَرَهُمْ وَلَا أَفَعَدْتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الأحقاف من الآية: 26]، راجع: المفردات في غريب القرآن، 127/1.
- (5) سورة الأنعام الآية: 103
- (6) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطبيب (المتوفى: 403 هـ) دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1 / 71.
- (7) المواقف، الإيجي، 3 / 169.
- (8) والمانع: هو وصف ظاهر منضبط، يستلزم وجوده حكمة، تستلزم عدم الحكم، أو عدم السبب، كوجود الأبوة، فإنه يستلزم عدم ثبوت الاقتصاص للابن من الأب؛ لأن كون الأب سببا لوجود الابن، يقتضي أن لا يصير الابن سببا لعدمه، راجع: "إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250 هـ) المحقق: الشيخ

فكونه تعالى نفى أن تدركه الأبصار أي إدراكًا كليًا، كما يدرك بعضنا بعضا بأبصارنا لكن الذات الإلهية تختلف عن الذات الأخرى؛ لأنها لا يشبهها شيء من الحوادث فالأبصار لا تدركه " أي لا تحيط به ولا تكتنفه من جوانبه كما تحيط الرؤية بالأجسام، وذلك حق، أو هو عام فأريد به في الدنيا، وذلك أيضًا حق، وهو ما أراد به بقوله سبحانه: ﴿قَالَ لَنْ تَرَنِى﴾ في الدنيا⁽¹⁾.

ثالثًا: عجز العقول عن إدراك الغير محدود اللامتناهي بإدراكه لعظم شأنه وكبر جاهه

الذات الإلهية لا تراها الأبصار وهذا ما أقر به العقلاء؛ لأن الأبصار لا تستطيع رؤيتها، والإدراك لا يكون إلا للمحدود والله تعالى يتعالى عن الحد⁽²⁾؛ لأن العقول لها حدود، فهي بالتالي لها وجه تدرك به ويحيط بها من جميع الجهات، "والله يتعالى عن وصف الحد؛ إذ هو نهاية وتقدير عما هو أعلى منه على أنه واحد الذات، والحد وصف المتصل الأجزاء حتى ينقضي مع إحالة القول بالحد؛ إذ كان كل ما يحد أو به يحد، فهو على ذلك لا يتغير، على أن لكل شيء حدًا يدرك سبيله نحو الطعم واللون والذوق والحد، وغير ذلك من الحدود وخاصة الأشياء، جعل الله لكل شيء من ذلك وجهًا يدرك ويحاط به، حتى العقول والأعراض، وأخبر الله تعالى أنه ليس بذي حدود وجهات من طرق إدراكه بالأسباب الموضوعة لتلك الجهات"⁽³⁾، وهذا لا يمنع الإيمان بها؛ لأن العقل القاصر المحدود

أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور / ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م، 1 / 27.

(1) الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، 1 / 47.

(2) التوحيد، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333 هـ) تحقيق: د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية - الإسكندرية، 1 / 81.

(3) "الحد: قولٌ دال على ماهية الشيء، وعند أهل الله: الفصل بينك وبين مولاك، كتعبك وانحصارك في الزمان والمكان المحدودين، الحد: في اللغة: المنع، وفي الاصطلاح: قولٌ يشتمل على ما به الاشتراك، وعلى ما به الامتياز. الحد المشترك: جزءٌ وضع بين المقدارين يكون منتهى لأحدهما، ومبتدأ للآخر، ولا بد أن يكون مخالفًا لهما، يراجع التعريفات، 1 / 83

لا يدرك كل من ليس محدودًا فهناك أشياء ننتفع بها ولا نراها، وهي في الحسبان موجودة لا ينكرها أي عاقل فما بالك بالذات الإلهية؟

"ولا يتوقف الإيمان على إدراك ذات الإله وذلك " أن إدراك ذاته فوق طاقة البشر ولا يستطيع العقل القاصر المحدود أن يصل إلى كنهه الإله، وحقيقة ذلك؛ لأن الله هو الموجود الذي لا حدود له ولا نهاية ومن كان هذا شأنه فكيف يحيط به العقل المحدود، وإذا كنا نجهل الكثير من الحقائق الموجودة بيننا الآن مثل (الكهرباء، والمغناطيس⁽¹⁾، والذرة⁽²⁾ والإلكترون) وغيرها من الحقائق التي لا نعلم عن حقيقتها وذواتها شيئًا ونكتفي بمجرد الانتفاع بآثارها ومعرفتها عن طريق تلك الآثار وما نتج عنها إذا كان هذا شأننا في الأمور التي نلمسها ونحسها فما بالك بذات الله تعالى وحقيقته التي تعجز العقول البشرية عن الإحاطة بها مهما بلغت من العلو والإدراك"⁽³⁾ ومن هنا فإن هناك أشياء لا نراها ولكن ننتفع بآثارها كما ورد ذلك في النص السابق، إلى جانب إدراكنا للجاذبية الأرضية⁽⁴⁾ التي نحن على يقين من وجودها في الأرض دون رؤيتها بانجذاب كل الموجودات ورسوخها عليها، وبناء على ذلك "فإن ذات الله تعالى أكبر من أن تحيط بها العقول البشرية أو

-
- (1) المغناطيس: نوع من الحديد يجذب غيره ويتجه إلى الشمال والجنوب. سمي به؛ لأنه أول ما وجد في بلد اسمه مغنيسية من أعمال الأناضول في أسية الصغرى. التتويم المغناطيسي وهو بالفرنسية: ذهول نفسي يخضع النائم فيه لإرادة المنوم (المعالجة به تسمى المسمرزم نسبة إلى من عرفه سنة 1870 م واسمه (مسمر) معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق) دار مكتبة الحياة - بيروت، عام النشر 1380هـ - 1960 م، 5 / 327
- (2) الذرة في الأصل هي الجزء الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ، ويطلق المحدثون لفظ الذرة على أصغر جزء من عنصر مادي ما، يصح أن يدخل في التفاعلات الكيماوية. وهذه الأجزاء المادية ثابتة الكيفيات، منها الذرة الكيماوية، وهي أصغر جزء في العنصر الكيماوي. قالوا إنها أصغر جزء فيه؛ لأنهم لم يكشفوا حتى الآن عن جزء أصغر منها، ولكنهم لا ينكرون أن يؤدي التحليل العلمي العميق، والتقسيم الفيزيائي الدقيق في المستقبل، إلى الكشف عن جزء أصغر منها وأدق. يراجع: المعجم الفلسفي، 1 / 588.
- (3) العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث، الدكتور/ سعد الدين صالح، دار الصفاء، الطبعة الثانية، 1411هـ، 1991م، ص72.
- (4) في الباب الثاني من هذا الكتاب (نعمة إخفاء الجاذبية الأرضية عن مدارك البشر وكذا الآثار العقيدية المترتبة على إخفائها).

تدركها الأفكار الإنسانية؛ لأن العقول والأفكار مهما بلغت فهي محدودة القوة محصورة القدرة وها نحن ننتفع بكثير من الأشياء ولا نعلم حقيقتها كالكهرباء والمغناطيس وغيرهما قوى نستخدمها وننتفع بها ولا نعلم شيئاً من حقيقتها ولا يستطيع أكبر عالم إلا أن يفيدنا عنها بشيء غير ظواهرها وآثارها فإذا كان هذا شأننا في الأمور التي نلمسها ونحسها فما بالنا بذات الله⁽¹⁾، "وهذه الحقائق التي خفيت عن العقل البشري، فلم يدرك كنهها، لم تقدح في دلالة آيات الأكوان، على ما دلت عليه من وجود الخالق ووحدانيته، وقدرته، وعلمه، وحكمته، وفضله، وإحسانه، ورحمته. فكذلك لم يقدح في بيان القرآن ودلالة آياته، خفاء معاني بضع عشرة كلمة من كلماته. وكما كان خفاء تلك الحقائق في الآيات الكونية، إيقافاً للعقل عند حده، وتعريضاً له بقدره، وتنبيهاً له على عظم آيات ربه"⁽²⁾.

ومن هنا فإن الذات الإلهية لا تراها العيون ولا يدركها الإنسان بأي حاسة من الحواس المعروفة؛ "لأن العين لا تدرك في الدنيا الأنوار المخلوقة على حقائقها؛ لأن الإنسان لو حدق ينظر إلى عين الشمس فأدام النظر إلى عينها لذهب أكثر نور بصره، فإذا كان الله سبحانه حكم في الدنيا بأن لا تقوم العين بالنظر إلى عين الشمس فأحرى أن لا يثبت البصر للنظر إلى الله تعالى في الدنيا، إلا أن يقويه الله تعالى"⁽³⁾.

رابعاً: خفاء الذات الإلهية فيه رعاية لطاقة البشر

إن من حكمة الله تعالى أن خلق البشر وركب فيهم حواساً ومن خلالها يدركون الأشياء، وعلى هذا فالإنسان لو حدق بعينه في شعاع الشمس لضعف

(1) الإيمان بالله، أحمد عز الدين البيانوني، دار السلام، الطبعة الثانية، 1405 هـ، 1985 م، ص27.

(2) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص284.

(3) الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324 هـ) تحقيق: د. فؤاد حسين محمود، دار الأنصار - القاهرة الطبعة: الأولى، 1397 هـ، 1 / 50.

بصره؛ لأنه لا يستطيع أن يدقق النظر فيها بضعة ثوان، فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لشعاع الشمس فما بالك برؤية الذات الإلهية، فإن البشر لم ولن يستطيعوا رؤية الذات الإلهية، وعلى هذا فإن عدم رؤيتها إنما هو لطف من الله تعالى ودليل على عظمته تعالى.

"قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾⁽¹⁾، يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾⁽²⁾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ⁽³⁾ فلم ينف موسى الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به علما، بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه⁽⁴⁾ وأجهزة الإنسان لا تتواءم مع رؤية كثير مما حوله، فهناك العناصر الأربعة المعروفة وهي (الماء، والهواء، والتراب والنار) فالهواء يحس به الإنسان ويتنفس منه ولكنه لا يراه، والشمس لا يستطيع الإنسان أن يدقق فيها النظر لبضعة ثوان فما بالك بالذات العلية.

لذلك فإن "أجهزة الإنسان لا تتلائم مع رؤية كثير مما حوله فهذا الهواء نحس به ولا نراه ولا نستطيع مواجهة ضوء الشمس للحظة فما بالك بمالك الملك، ولقد صعق موسى لما تجلى ربه على الجبل فجعله دُكًّا سبحانه ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾⁽⁴⁾ لم يرض الإسلام أن يكون مفهوم الذات ماديًّا؛ لأنه لو كان كذلك لتجسد ولو تجسد لتحدد، ولم يرض أن

(1) سورة الأنعام من الآية: 103.

(2) سورة الشعراء الآية: 61، وجزء من الآية: 62.

(3) شرح العقيدة الطحاوية، محمد ابن أبي العز الحنفي، 215/1.

(4) سورة الأنعام، الآية: 103.

يكون معنويًا وفكرة معنوية لا يدل عليها وصف، ولو كان كذلك لما أمسك بها عقل، ولما اطمأن إليها قلب وإنما اختار مقامًا وسطًا⁽¹⁾.

خامسًا: لطفه تعالى⁽²⁾ المتمثل في خفاء ذاته تعالى عن عباده

وحدُّ اللطف "هو البر وجميل الفعل من قولك فلان يبرني ويلطفني ويسمى الله تعالى لطيفًا من هذا الوجه أيضًا؛ لأنه يواصل نعمة إلى عبادة"⁽³⁾، وعلى هذا فاللطف الإلهي هو ما يقرب الإنسان من فعل الطاعة، ويبعده عن المعصية فله غرض يعود على المكلف ولا يتمكن من الوصول إليه أحد، فالله تعالى هو الذي امتنع إدراكه بالأبصار فهي لا تدركه؛ لأنه سبحانه يتعالى عن الجهات والأقطار، وهو مع ذلك أقرب إلينا من جميع المدركات، وهو أيضًا أقرب للأشياء من ذواتها، ومعنى اللطيف "هو الذي امتنع إدراكه بالأبصار ومنزه عن المكان فلا يتحيز في الجهات والأقطار، وهو مع ذلك أقرب إلى الأشياء من ذواتها وأظهر عليها من صفاتها غاية الإظهار"⁽⁴⁾.

وبناء على ذلك فإن من لطف الله تعالى ورحمته بعباده أن امتنع عن الظهور لهم حتى لا يهلكوا من ظهوره لهم كما حدث لنبي الله موسى عندما تجلى الله للجبل فأصبح دُكًا وانعكس ذلك سلبًا على عدم تحمل كليم الله موسى

(1) عالم الغيب وأسراره، عبد المعز خطاب، دار الاعتصام، بدون سنة نشر، ص 11 - 12.
(2) الحق ما ذهب إليه أهل السنة ومن وافقهم من فرق المسلمين من أنه لا يجب عليه شيء؛ لأنه هو المالك على الإطلاق، وله التصرف في ملكه كيف يشاء، ولا حاكم عليه، ولا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل. ولأنه لو وجب اللطف عليه تعالى لوجب عليه سبحانه أن يريد إيمان كل مكلف، والنصوص تدل على خلاف ذلك، فإنها ناصة على أن انتفاء إيمان الكل مبني على انتفاء مشيئته سبحانه، يراجع في ذلك "السيوف المشرقة ومختصر الصواعق المحرقة، وهو: مختصر لكتاب الصواعق المحرقة لإخوان الشياطين والزندقة، نصير الدين محمد الشهير بخواجه نصر الله الهندي المكي، اختصره وشذبه: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (المتوفى: 1342هـ) تحقيق: الدكتور مجيد الخليفة، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، ص 382.

(3) عالم الغيب وأسراره، عبد المعز خطاب، ص 11 - 12.
(4) الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، الشيخ عبد الكريم ابن إبراهيم الجبلي المتوفى سنة 832هـ، ضبطه وصححه وعلق عليه الشيخ الدكتور / عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي، دار الكتب العلمية، 2004م، ص 53.

لهذا المنظر المخيف ومن هنا وعلى ذلك فإنه. "ما احتجب إلا رحمة بنا لبقاء أعيننا فإنه في بقاء الكون ظهور الحضرة الإلهية وأسمائها الحسنى وهو جمال الكون"⁽¹⁾.

"والحق أنه لا يُرى بأعمال الحاسة إنما يرى بقوة يخلقها بمحض قدرته في العبد"⁽²⁾ فهو غير مدرك بالحواس المعروفة، والملاحظ أن كون اللفظ (اللفظ) يدل على كونه مقابلًا للكثافة إلا أن هذا المعنى فيه إيهام؛ لأنه يتعالى عن مشابهة الصور والأمثال التي تستلزم الجسمية؛ لأن الجسمية يلزمها الكثافة، وإنما لطافتها بالإضافة، فاللطافة المطلقة لا يبعد أن يوصف بها النور المطلق الذي يجل عن إدراك البصائر، فضلاً عن الأبصار ويعز عن شعور الأسرار، فضلاً عن الأفكار ويتعالى عن مشابهة الصور والأمثال وينزه عن حلول الألوان والأشكال فإن كمال اللطافة إنما يكون لمن هذا شأنه ووصف الغير بها لا يكون على الإطلاق بل القياس إلى ما هو دونه في اللطافة ويوصف إليه بالكثافة، والمرجح أن إطلاق اللطيف بمعنى مقابل الكثيف على ما ينساق إلى الذهن على الله تعالى ليس بحقيقة أصلاً كما لا يخفى⁽³⁾.

ومن هنا فخفاؤه تعالى عن عباده إنما هو من باب اللطف بهم فلا تراه العيون "بل تخساً"⁽⁴⁾ الأبصار دون إدراك حقيقته، على أنه الظاهر بآياته التي

(1) ديوان ترجمان الاشواق، الشيخ: محي الدين ابن علي ابن العربي، اعتنى به - عبد الرحمن المصفاوي، دار المعرفة - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1425هـ، 2005م، ص128.

(2) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسمّاة: عناية القاضى وكفاية الرّاضى على تفسير البيضاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: 1069هـ) دار صادر - بيروت، 4 / 107.

(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ) دار إحياء التراث العربي بيروت، 7 / 248.

(4) يقول حبر الأمة عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما في معنى (حَاسِبًا) صاغراً ذليلاً قبل أن ترى شَيْئًا" يراجع: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ينسب: لعبد الله بن عباس (f) (المتوفى: 68هـ) جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: 817هـ) دار الكتب العلمية - لبنان، 1 / 479.

تعرفه بها العقول بطريق البرهان⁽¹⁾ الظاهر في مجال ربوبيته لأهل العرفان، بتجلياته التي تكمل في الآخرة فيكون العلم به رؤية عيان، وهو في الأشياء ولطائفها، بحيث لا يعزب عن إدراكه ألطف أرواحها وقواها ولا أدق جواهرها وأعراضها⁽²⁾، وبناء على ذلك فإن خفاء الذات الإلهية عن العباد إنما هو من باب اللطف بهم وفي خفائه عنهم إنما هو من باب التنبيه على تعدد النعم عليهم لذلك فإن " في كلام الله، ما يخفى على العقول إدراك حقيقته، أو حكمته، أو معناه، لطفًا من الله بالإنسان وتنبيهًا له وقد قامت الحجة عليه فيما جهل بما عرف، وتجلت له بدائع الخلقة وجلائل النعمة فيما ظهر، فأمن بوجود مثلها فيما خفي. إذ الرب الحكيم الرحيم، لا يكون منه إلا ما هو حكمة، وفيه نعمة"⁽³⁾.

وإذا كان الأمر كذلك فإن الله تعالى قد خلق أشياء تقع عليها المحسوسات دون أن ترى كنهها أو جوهرها، وذلك مثل (الظل)⁽⁴⁾ فقد خلقه الله ولا يدرك الإنسان حقيقته علما بأن الحواس تقع عليه، وكذلك المحسوسات مثل: السمع، والبصر، والعقل، والنطق، فكل هذه المحسوسات لا يراها الإنسان، فإذا كان الأمر كذلك فإن منشأ هذه الأشياء أحق ألا يدرك ولا يحاط به، وهذا لطف من الله تعالى، والظل،

(1) البرهان: هو القياس المؤلف من اليقينيات، سواء كانت ابتداءً؛ وهي الضروريات، أو بواسطة؛ وهي النظريات. والحد الأوسط فيه لا بد أن يكون علةً لنسبة الأكبر إلى الأصغر؛ فإن كان مع ذلك علة لوجود تلك النسبة في الخارج أيضًا، فهو برهان لمي، كقولنا: هذا متعفن الأخلاط، وكل متعفن الأخلاط محموم، فهذا محموم، فتعفن الأخلاط، كما أنه علة لثبوت الحمى في الذهن، كذلك علة لثبوت الحمى في الخارج، وإن لم يكن كذلك كان لا يكون علة للنسبة إلا في الذهن، فهو برهان إني، كقولنا: هذا محموم، متعفن الأخلاط، فهذا متعفن الأخلاط، فالحمى، وإن كانت علة لثبوت تعفن الأخلاط في الذهن، إلا أنها ليست علة له في الخارج، بل الأمر بالعكس. وقد يقال على الاستدلال من العلة إلى المعلول: برهان لمي، ومن المعلول إلى العلة: برهان إني، التعريفات، للرجاني، ص44.

(2) (تفسير المنار)، محمد رشيد، 543/7.

(3) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص284.

(4) (الظل) ضوء شعاع الشمس إذا استتر عنك بحاجز (ج) ظلال وأظلال ومن كل شيء شخصه ومن الشيء أوله يقال ظل الشباب وظل الشتاء وظل الليل سواده يقال أتانا في ظل الليل ومن السحاب ما وارى الشمس، يراجع: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، باب الظاء، 2/ 577.

هو لا يؤذي ولا يضر ولا يحس، ولا يشعر به أحد بكونه فيه ولا يثقل ولا يخف، ولا يستر ولا يكشف عن وجوه الأشياء، إنما النور هو الكاشف عن وجوه الأشياء، والظلمة هي الساترة لذلك، ونحو ذلك ما يكثر ذكره مما يحيط بالخلائق كلها؛ ليعلم أن من المحسوسات التي يقع عليها الحواس ما لا يدرك حقيقة من نحو الظل الذي ذكرنا هو ما لا يدرك حقيقة، ومن نحو السمع والبصر والعقل والنطق باللسان، ونحو ذلك من المحسوسات؛ ليعلم أن الذي سبيل معرفته الاستدلال وهو منشئ هذه الأشياء - أحق ألا يدرك ولا يحاط بتدبيره ولطفه؛ وليعلم أن من بلغ تدبيره ولطفه هذا المبلغ لا يحتمل أن يعجزه شيء أو يخفى عليه شيء؛ يخبر عن قدرته وتدبيره ولطفه؛ ليعلم أنه قادر ومدبر بذاته لطيف⁽¹⁾ فهو سبحانه لا يخفى عليه شيء من أمر العباد محيط بكل شيء "قأما إحاطته بالدقائق والخفايا فلا يمكن تفصيل ذلك بل الخفي مكشوف في علمه كالجلي من غير فرق وأما رفقته في الأفعال ولطفه فيها فلا يدخل أيضًا تحت الحصر إذ لا يعرف اللطف في الفعل إلا من عرف تفاصيل أفعاله وعرف دقائق الرفق فيها"⁽²⁾.

سادسًا: شدة ظهوره الذات الإلهية، سبب من أسباب احتجابها

إن الذات الإلهية لا تدرك ولا تعرف إلا من خلال آثارها في الكون الفسيح، فالله تعالى حاضر لا يغيب لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾⁽³⁾، وذلك يعلم كل شيء ما صغر وما كبر كل ذلك يعلمه ولا يخفى عليه شيء من أمر العباد فيعلم الجزئيات والكلييات كل في كتاب مبين؛ "لأنه ما كان غائبًا عن أحوالهم بل كان عالما بها وما خرج عن علمه شيء منها وذلك يدل على أن الإلهية لا تكمل إلا إذا كان الإله عالما بجميع الجزئيات حتى يمكنه أن يميز المطيع عن المعاصي

(1) (تأويلات أهل السنة)، أبو منصور الماتريدي، 30/8.

(2) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنی، أبو حامد الغزالي، ص 101.

(3) سورة الأعراف من الآية: 7.

والمحسن عن المسيء⁽¹⁾ "وإنما حجبه شدة قربيه كما في قول الله تعالى ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾⁽²⁾ ومثلوا على شدة قربيه تعالى بمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنو، وكلما دنا منها تزايد ريحها فلما دخل البيت الذي فيه المسك ونقطعت رائحته عنه، وحجبه عظيم نوره كما في حديث مسلم في قصة الإسراء والمعراج ((عن أبي ذر، قال: سألت رسول الله ﷺ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قال: نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ))⁽³⁾ بلفظ الاستفهام أي غلبنى النور فكيف أراه وفي رواية (فقال: رأيت نورا) فيمكن على أنه ﷺ رأى نورا ثم لم يطق مشاهدته بالبصر مع تحقيق شهوده بالبصيرة، ومثلوا على عظيم نوره بالبرق الخاطف فإن البصر لا يطيق رؤيته⁽⁴⁾.

ومن هنا فإن ظهور الذات الإلهية من خلال آثارها الناطقة على وجودها دليل على عدم رؤيتها كما ذكر ذلك النبي ﷺ بعدم رؤيته لها وذلك؛ لأن كيفية إدراكها ليست مدركة بالحواس على الإطلاق ومن ثم فقد أخفى نفسه عنا وترك لنا آثاره الكونية لنتعرف عليه تعالى من خلالها.

سابعاً: حجاب القهرية ورداء العزة والكبرياء هو الذي منع الأبصار من رؤيته هناك حجب بين الخالق والمخلوق هي التي منعت الأبصار من رؤيته تعالى وهذه الحجب ليست كالحجب المعهودة والتي تكون ساترة وتقتضي الجسمية، فحجابه خلاف الحجب المعهودة فهو محتجب عن الخلق بأنوار عزه وجلاله وأشعة عظمتة وكبريائه وذلك هو الحجاب الذي تدهش دونه العقول وتبهت الأبصار وتتحير البصائر فلو كشفه فتجلى لما وراءه بحقائق الصفات وعظمة الذات لم يبق

(1) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، 14 / 201.

(2) سورة ق من الآية: 16.

(3) الحديث أخرجه الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب ((نور أني أراه))، رقم الحديث (362) 1 / 111.

(4) الدرر الغزالية في شرح الحكم العطائية، فضيلة الشيخ المربي العلامة - الشيخ حازم نابف أبو غزالة، دار الياقوتة للطباعة والنشر، المملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة الأولى، سنة 1335هـ، 2014م، ص92.

مخلوق إلا احترق ولا منظور إلا اضمحل"⁽¹⁾، وعلى هذا فحجابه تعالى عن الخلق لو كشفه لأحد لأحترق من سبحات نور وجهه تعالى. "وقال النووي: أصل الحجاب المنع من الرؤية والحجاب في حقيقة اللغة الستر وإنما يكون في الأجسام والله سبحانه منزّه عن ذلك فعرف أن المراد المنع من رؤيته وذكر النور لأنه يمنع من الإدراك في العادة لشعاعه والمراد بالوجه الذات وبما انتهى إليه بصره جميع المخلوقات؛ لأنه سبحانه محيط بجميع الكائنات"⁽²⁾.

"ومن أسمائه تعالى (القهار) ومن مظاهر قهره احتجابه في ظهوره وظهوره في بطونه وبطونه في ظهوره، ومما يدل لك أيضًا على وجود قهره تعالى أن احتجب بلا حجاب وقرب بلا اقتراب بعيد في قربه قريب في بعده احتجب عن خلقه في حال ظهوره لهم وظهر لهم في حال احتجابه عنهم فاحتجب بشيء ليس بموجود وهو الوهم"⁽³⁾، وهو أمر عديم مفقود فما حجبته إلا شدة ظهوره وما منع الأبصار من رؤيته إلا قهارية نوره"⁽⁴⁾ فالنور الإلهي لا يستطيع البشر رؤيته؛ لأن هذا النور لو ظهر لاحترقت المخلوقات من هذا النور، ومن هنا فإنه تعالى قال لموسى كلمه ﴿لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِي﴾ فلَمَّا جَعَلَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا⁽⁵⁾ وعدم رؤية موسى ربه مباشرة

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، 431 / 13.

(2) السابق نفسه، 431 / 13.

(3) الوهم: هو قوة جسمانية للإنسان محلها آخر التجويف الأوسط من الدماغ، من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات، كشجاعة زيد وسخاوته، وهذه القوة هي التي تحكم بها الشاة أن الذئب مهروب عنه، وأن الولد معطوف عليه، وهذه القوة حاكمة على القوى الجسمانية كلها، مستخدمة إياها استخدام العقل للقوى العقلية بأسرها. والوهم: هو إدراك المعنى الجزئي المتعلق بالمعنى المحسوس. "التعريفات، للرجزاني، ص 255.

(4) إيقاظ الهمم في شرح أبعاد الغم عن إيقاظ الهمم في شرح الحكم، العارف بالله أحمد بن محمد بن عجيبة الحسيني، هذبه ونقحه وصححه ونسقه، الشيخ الدكتور/عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي، دار الكتب العلمية، ص 55.

(5) سورة الأعراف من الآية: 143.

فيها سر عظيم من أسرار عظمته (ﷻ) وتقدست أسماؤه.

وظهور نوره الأصلي فيه أسرار " لكن حجاب القهرية ورداء العزة والكبرياء هو الذي منع الأبصار من رؤية نوره الأصلي الجبروتي، إذ لو ظهر هذا النور لاضمحلت المكونات ولاحتترقت من نور السبحات ولهذا السر أمر الله سيدنا موسى حين طلب الرؤية بالنظر إلى الجبل كما أراد أن يتجلى بشيء من ذلك النور فلما لم يثبت الجبل لشيء قليل منه علمنا أنه لا طاقة للعبد الضعيف في هذه الدار على رؤية الواحد القهار إلا بواسطة الأكوان الكثيفة بعد أن نشر عليها الرؤية المعنوية"⁽¹⁾.

ومن هنا فإن الذات الإلهية من أسمائها " اسم الله تعالى (الباطن)، "وهذا الاسم له دلالة وهي أنه من وراء المحسوسات والمعقولات"⁽²⁾، والمعلومات، والحكميات الشاهديات والغيبيات فكل ما يتصور في الخيال أو خطر في البال أو شاهده بالعين أو سمعته بالأذنين أو أدركته بالعلم أو ميزته بالفهم فالله تعالى من وراء ذلك كله باطن لا تعرفه ومحيط لا تحيط به فتنعته أو تصفه"⁽³⁾ وإذا كان الله تعالى لا يصفه الواصفون ولا يراه أحد من المخلوقات سواء أكان إنساناً أم نبياً فكذا حملة العرش الذين يحملون عرش الباريء جل جلاله فهم قد آمنوا به وازداد إيمانهم دون رؤيته تعالى في الدنيا"⁽⁴⁾.

(1) إيقاظ الهمم في شرح أبعاد الغمم عن إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص 55
(2) المعقولات الأولى: ما يكون بإزائه موجود في الخارج، كطبيعة الحيوان والإنسان؛ فإنهما يحملان على الموجود المعقولات الثانية: ما لا يكون بإزائه شيء فيه، كالنوع والجنس والفصل؛ فإنها لا تحمل على شيء من الموجودات الخارجية، الخارجي، كقولنا: زيد إنسان، والفرس حيوان، التعريفات، 221 / 1.

(3) الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، الشيخ عبد الكريم ابن إبراهيم الجيلي، ص 50 مرجع سابق.

(4) لقد ذكر الإمام الزمخشري رحمه الله فائدة "وهي التنبيه على أن الأمر لو كان كما تقول المجسمة، لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معابنين، ولما وصفوا بالإيمان؛ لأنه إنما يوصف بالإيمان: الغائب، فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم، علم أن إيمانهم وإيمان من في الأرض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء: في أن إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير، إلا هذا، وأنه لا طريق إلى معرفته إلا هذا، وأنه منزّه عن صفات الأجرام." ومن هنا فإن الإمام الزمخشري نفي

وخلاصة القول: إن خفاء الذات الإلهية إنما هو رحمة ولطف من الله تعالى بعباده في الدنيا وذلك لعدم تحمل طاقتهم البشرية لرؤيته تعالى، هذا في الدنيا أما في الآخرة فإن الله تعالى ينكشف لبعض عباده⁽¹⁾، ومن خلال النص القرآني السابق نرى أن رؤية الله تعالى في الآخرة واقعة لا محالة، وذلك عن طريق المكاشفة⁽²⁾ "ورؤية الله يوم القيامة يكون بحال لا يكون كحال الناس فهي نوع من الكشف والتجلي والرؤية من غير كيف ولا حدود ولا جسمية ولقد قال الله تعالى في حق الإنسان يوم القيامة ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾"⁽³⁾ وإنا نرى إثبات الرؤية من غير كيف وإن كنا لا نكفر من يؤول النص"⁽⁴⁾.

ونرى من خلال ما تقدم "أن الذات الإلهية لا تماثل الذوات الأخرى، وذلك؛ لأن الباري تعالى واحد في ذاته فليس هناك ذات تشبه ذاته تعالى، وواحد في صفاته، فليس هناك صفة تشبه صفاته من حيث تعلقها أو من حيث قدمها، وواحد في أفعاله فأفعاله تعالى في الكون لا يختص بها غيره من المخلوقات كالإحياء والإماتة والرزق والعطاء وغيره... إلخ، ومن خصائص تلك الذات أنها ليست في جهة من الجهات الست المعروفة، وليست متحيزة، وإذا كان الأمر

رؤية حملة العرش للذات الإلهية؛ لأنه تعالى منزّه عن صفات الأجسام ومن ثم فقد وصفوا بالإيمان؛ لأن هذا الوصف لا يوصف به إلا من آمن بالله تعالى دون أن يراه وهو الإيمان الغيبي ولذلك اثني الفخر الرازي على الزمخشري في هذا الموضع قائلاً "ورحم الله صاحب «الكشاف» فلو لم يحصل في كتابه إلا هذه النكتة لكفاه فخراً وشرفاً.،راجع: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، 4 / 152، مفاتيح الغيب، للرازي، 27 / 488.

(1) والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنٍ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس، من الآية: 26]، يقول الفخر الرازي عن معنى (وزيادة) " المراد من منها رؤية الله سبحانه وتعالى فأثبت لأهل الجنة أمرين: أحدهما: نضرة الوجوه والثاني: النظر إلى الله تعالى، وآيات القرآن يفسر بعضها بعضاً فوجب حمل الحسنى هاهنا على نضرة الوجوه، وحمل الزيادة على رؤية الله تعالى. "راجع: التفسير الكبير، للرازي، 17 / 240.

(2) المكاشفة: هي مقابلة الإحسان بمثله أو بزيادة.، التعريفات، للرجاني، ص 227.

(3) سورة ق، من الآية: 22.

(4) العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم، الشيخ / محمد أبو زهرة، عضو مجمع البحوث الإسلامية، 1339هـ، 1963م، ص 201.

كذلك فإنها تبصر وتدرّك كل ما في الكون ولا يراها أحد من البشر؛ لأنّ البشر لا يستطيعون رؤيتها بحواسهم المحدودة والمتناهية فكيف تكون الحواس محدودة وترى من هو ليس محدوداً؟، وتعد الحواس من وسائل المعرفة على هذا الوجود العظيم لكنها لا تدرّك كل شيء من المخلوقات وذلك لفقد الانسجام بينها وبين ما تدرّكه.

وأيضاً عدم تحمل البشر رؤية الله تعالى، إنما هو تقدير من الله تعالى لخلقه فإنه تعالى لا يكلف البشر فوق طاقتهم، فكان خفاؤه تعالى نعمة على خلقه ومن ثم تترتب على نعمة خفاء الذات الإلهية عدة آثار عقديّة، وهذه الآثار لها دلالة عقديّة على الإنسان في سلوكه وأخلاقه.

الآثار العقديّة المترتبة على خفاء الذات الإلهية

أولاً: خفاء الذات الإلهية عن سمع وبصر العباد فيه دلالة على وجوده تعالى الذي لا يدرك بالأبصار، وهو سبحانه يُدرّك الأبصارَ، وهي لا تدرّكه، وهذا إن دل فإنما يدل على أن هناك إلهاً ليس بمحسوس، ولا ملموس، وذلك لنفي جميع الأنناد والآلهة التي تعبد من دون الله. وقد حكى القرآن الكريم طلب قوم موسى منه أن يجعل لهم إلهاً محسوساً تراه العيون وتدرّكه، فوصفهم موسى بالجهل أي جهلهم وعدم معرفتهم شأن الألوهية فقال تعالى: ﴿قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾⁽¹⁾.

ومعنى (إِلَهًا) أي صنما نعكف عليه كما لهم آلهة أي أصنام يعكفون عليها قال إنكم قوم تجهلون أي شأن الألوهية وعظمتها، وأنه لا يستحقها إلا الله وحده⁽²⁾.

(1) سورة الأعراف من الآية: 138.
(2) محاسن التأويل، للقاسمي، 175/5.

ثانيًا: من الآثار العقدية المترتبة على خفاء الذات الإلهية أن في خفائها رحمة ولطفًا من الله بالإنسان وذلك لعدم تحمل طاقة الإنسان رؤيتها.

إن الإنسان المخلوق الضعيف الذي خلقه الله تعالى بقدرته وركب فيه الأعضاء والحواس ليرى ويسمع من حوله... إلخ كل ذلك ليتدبر حكمة الباري تعالى في خلقه، فمثلا البصر لا يبصر إلا ما كان موجودًا وفيما يقابله لكن رؤية الله تعالى ليست كذلك وإنما قد عجز البصر عن إدراك الذات الإلهية؛ لأنه سبحانه يستحيل عليه المقابلة والمحازاة، والتحيز؛ لأن كل ذلك من صفات الموجودات لذلك "فالْبَصْرُ لا يبصر إلا ما كان بحذائه وفيما يقابله وامكن دخوله في شعاعة وكأنما ذلك الشعاع للمبصر عصا يتحسس بها الموجودات غير أنه اعطى طواعية تقليب الحدة فيبصر بها على ذلك ما شاءه، وإن كان لا يشير بحكمة الله (ﷻ) فيه، ورؤية الله خاصة ليست كذلك، بل وجود ليس كمثله شيء وجود، وشعاع بصر العبد لا نفوذ له في تلك الحضرة العزيزة، ذلك وجودا وصفاتا واسمًا بصراً وعقلاً وإيماناً وعلمًا، ومالاً تبلغه العبارة ولا يصل إليه الآن علم فيراه على ذلك به"⁽¹⁾.

ونستخلص مما سبق أن الحواس الخمس التي امتنَّ الله تعالى بها على البشر بها يدركون الأشياء التي في حيز الإمكان وما عدا ذلك فإن لها حدًا تقف عنده ولا تتجاوزه على الإطلاق.

يقول أحد الأطباء: "إن البصر له حدود لا يتجاوزها كما أن نفس الشيء المرئي إذا ابتعد من اللازم لم يعد يرى، وإذا اقترب أكثر من اللازم تشوشت رؤيته وهي ما تعرف بنقطة المدى ونقطى الكتب، والألوان المرئية لها طيوف يمكن للعين أن تبصرها، ولكن هناك إشعاعات عديدة لا تراها العين ولا يدركها البصر، إنَّ هذا

(1) شرح أسماء الله الحسنى، الإمام العارف بالله أبي الحكم عبد السلام ابن عبد الرحمن بن محمد بن بركان اللخمي الإشبيلي، المتوفى سنة 526هـ، تقديم دكتور/ أحمد شفيق، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية. 2 / 101.

يجعلنا نقول إن هناك أشياء غير منظورة في هذا الكون . فهناك إشعاعات مجهولة وطاقات خبئة وقوى خفية، ولكن الإنسان كما يستوعب المرئيات ببصره والمسموعات بأذنه والمحسوسات عامة بحواسه . كذلك فإنه يستوعب اللامحسوسات بذهنه، والمحسوسات عامة بحواسه . كذلك فإنه يستوعب اللامحسوسات بذهنه المتقد الجبار، إن النفس الإنسانية عالم فسيح فيها ما تدركه الحواس، وما لاتدركه الحواس ففيها الواقعية والخيال فيها المادية والروح إن هذه المعاني والحقائق الجميلة تلقي ظلًا هادئًا خاشعًا على الآيات القرآنية: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۖ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾⁽¹⁾. وقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾⁽²⁾ وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾⁽³⁾ إن هناك عوالم غير مرئية كالجن والملائكة وعندما يأتي المنكرون ليبحثوا في هذه القضية يخونهم ذهنهم كالعادة فإذا كانت هناك الطيوف المرئية، والطيوف غير المرئية، وهناك الإشعاعات اللونية البعيدة والإشعاعات غير المبصرة . مثل الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية، وأشعة (غاما) و(ألفا)، والأشعة السينية وسواها، وإذا كانت هناك قوى نشعر بآثارها دون أن نراها كقوة الجاذبية والمغناطيسية والكهربية والإشعاعات الكونية أفلا يحق لأولئك أن يشغلوا ذهنهم العلمي أمام هذه النقطة حتى يؤمنوا⁽⁴⁾.

ومن خلال ما سبق نجد أن الذات الإلهية ليس لها وصف الإدراك على الإطلاق مثل باقي الموجودات؛ لأنها هي التي أوجدت الأشياء من عدم فهي قديمة "والقديم سبحانه ليس بجسم ولا جوهر لأن الجسم يكون فيه التأليف والجوهر

(1) سورة الحاقة، الآيتان: 38، 39.

(2) سورة الأنعام، الآية: 103.

(3) سورة الفرقان، الآية: 21.

(4) الطب محراب للإيمان، دكتور / خالص جليبي كنجو، رسالة أعدت لنيل لقب دكتوراه في الطب، تحت إشراف الأستاذ الدكتور / محمد فايز المط، مؤسسة الرسالة، 1 / 222، وما بعدها.

يجوز فيه التأليف والاتصال وكل ما كان له الاتصال أو جاز عليه الاتصال يكون له حد ونهاية⁽¹⁾ فكيف يدركه البشر بأبصارهم المخلوقة بعد أن لم تكن؟

من الآثار العقدية التسليم والإيمان المطلق بوجود الله تعالى:

ذلك أن الإيمان بالله تعالى يقتضي وجوده تعالى فوجوده ظاهر وذلك من خلال آثاره الكونية اذ الحقيقة "وهي ثبوت الحق والحكمة والنعمة في جميعها، وإمكان عجز عقله في بعض المواضع والأحوال عن إدراكها؛ فيكون عمله في خلق الله هو النظر والبحث والتحليل والاكتشاف، واستجلاء الحقائق الكونية، واستخراج الفوائد العلمية والعملية، إلى أقصى حد توصله إليه معلوماته وآلائه⁽²⁾. وبناء على ما سبق ذكره أن الإنسان يؤمن بوجود الله تعالى إيماناً صادقاً لا يشوبه شك ومن هنا فإن في خفاء الذات الإلهية حكم جليلة تعود على عقيدة العبد بالإيمان والتسليم المطلق في وجود قوة إلهية خفية من وراء هذا الكون الفسيح هي التي تدبر أمره وإليها يعود أمر العباد، وهذا الإله لا يدرك بالحواس ولا يراه أحد من البشر إلا أن هناك نوعاً من البشر قد استثناهم الحق من الخلق وذلك لرؤيته تعالى.

(1) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر (المتوفى: 471هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب - لبنان - الطبعة: الأولى، 1403هـ - 1983م، ص159.

(2) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص284.

المبحث الثالث

المستثنى من قاعدة الخفاء

(من يسمع الله ومن شاء الله أن يراه في الدنيا والآخرة)

هناك أنواع من البشر استنابهم الله تعالى من قاعدة الخفاء، خاصة من الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى إلى البشر، ومن ثم فإن هناك نوعاً من البشر يرون ربهم في الدنيا، وهذه مسألة تتعلق بالعقيدة، وذلك لتعلقها بمسألة رؤية الله تعالى.

رؤية النبي (ﷺ) لربه في الدنيا وعدم وقوعها لغيره من الأنبياء⁽¹⁾

مسألة رؤية النبي (ﷺ) من المسائل التي كانت محل اختلاف بين أرباب الكلام، وقد وقع فيها خلاف كثير بين الفرق الكلامية إلا أن أكثر أهل السنة أثبتوا رؤية النبي (ﷺ) لربه، وقد اختلفت آراء الصحابة حول رؤية النبي (ﷺ) لربه ليلة

(1) فهذا سيدنا موسى (عليه السلام) قد طلب من الله أن يراه ولكن الله تعالى قال له لن تراني يقول الله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ ارْنِيْ اَنْظُرْ اِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِيْ وَلَكِنْ اَنْظُرْ اِلَى الْجَبَلِ اِنْ اَسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوْفَ تَرِنِيْ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتُّ اِلَيْكَ وَاَنَا اَوَّلُ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية: 143]، قال الإمام القرطبي: "سأل النظر إليه، واشتاق إلى رؤيته لما أسمعته كلامه. ف ﴿قَالَ لَنْ تَرِنِيْ﴾ أي في الدنيا. ولا يجوز الحمل على أنه أراد: أرني آية عظيمة لأنظر إلى قدرتك، لأنه قال: "إليك" و"قال لن تراني". ولو سأل آية لأعطاه الله ما سأل، كما أعطاه سائر الآيات. وقد كان لموسى (عليه السلام) فيها مقنع عن طلب آية أخرى، فبطل هذا التأويل. ﴿وَلَكِنْ اَنْظُرْ اِلَى الْجَبَلِ اِنْ اَسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوْفَ تَرِنِيْ﴾ ضرب له مثالا مما هو أقوى من بنيته وأثبت. أي فإن ثبت الجبل وسكن فسوف تراني، وإن لم يسكن فإنك لا تطيق رؤيتي، كما أن الجبل لا يطيق رؤيتي" وحينما ننظر إلى قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِيْ﴾ نجد أن ﴿لَنْ﴾ للنفي المؤكد في المستقبل كما يقول صاحب المواقف "بل هو للنفي المؤكد في المستقبل فقط كقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ أي الموت أبداً ولا شك أنهم يتمنوه في الآخرة للتخلص من ولكن للتخلص من العقوبة" يراجع: الجامع لأحكام القرآن، 7/ 278، والمواقف للإيجي، 203/3، وشرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي (المتوفى: 793هـ) دار المعارف النعمانية - باكستان، الطبعة: الأولى، 1401هـ - 1981م، 2، 122.

المعراج، " هل رآه ليلة الإسراء والمعراج أم لم يره؟ فقال بعضهم رأى بعيني رأسه، وقال بعضهم: لم يره وإنما رأى جبريل على صورته الحقيقية"⁽¹⁾، ومن هنا فإننا إذا تمعنا النظر في القرآن نجد أنه تعالى قد ذكر في سورة النجم ما يدل على رؤية النبي (ﷺ) لربه ليلة المعراج⁽²⁾.

الآيات التي استدلت بها على إثبات الرؤية للنبي ليلة المعراج

قول الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۚ أَفَتُمْنُونَهُ ۚ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۚ﴾^(١١) ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۚ﴾^(١٢) "والرائي في قوله (ما رأى) هو الفؤاد أو البصر أو غيرهما؟ نقول فيه وجوه الأول: الفؤاد كأنه تعالى قال: ما كذب الفؤاد ما رآه الفؤاد أي لم يقل إنه جنبي أو شيطان بل تيقن أن ما رآه بفؤاده صدق صحيح. الثاني: البصر أي: ما كذب الفؤاد ما رآه البصر، ولم يقل إن ما رآه البصر خيال. الثالث: ما كذب الفؤاد ما رأى محمد (ﷺ)، وهذا على قولنا الفؤاد للجنس ظاهر أي القلوب تشهد بصحة ما رآه محمد (ﷺ) من الرؤيا وإن كانت الأوهام لا تعترف بها⁽⁴⁾. ومن خلال النص السابق نرى أن النبي (ﷺ) رأى ربه سواء رآه ببصره أم

(1) نظرات في العقيدة الإسلامية، د / محمد الأنور، ص110.
(2) يقول محمد فريد وجدي: " وإسراء الرسول (ﷺ) أمر ممكن لانتقال الجسم الإنساني من مكان إلى مكان آخر بدون آلة من آلات الانتقال المعروفة ليس مستحيلا، فليست السرعة اللازمة لقطع ألفي كيلو متر ذهابا وإيابا في بضع ساعات من الليل بالأمر المستحيل في ذاته فإن هذه السرعة لو قورنت بالسرعة المتنوعة بها السيارات السماوية في مدارتها الواسعة لما يحدث شيئا يذكر وهذه كرتنا الأرضية التي نعيش عليها ولا نتخيل أنها دائرة قد برهنت العلوم الفلكية على أنها دائرة حول الشمس بسرعة (ثلاثين كيلو متر ا ونصف في الثانية) أي أنها تقطع الألفي كيلو متر التي تفصل مكة عن بيت المقدس في أقل من عشر دقائق وبناء على ذلك فإن أمر هذه السرعة بالخطب الكبير ولا بالشيء العجيب، وكيف نعجب من بعد ما ثبت بالبرهان المحسوس أن هذا الكوكب الأرضي الذي نسرح ونمرح على صورته دائر بنا كل لحظة هذا الدوران المزعج لا يفتر أوانه ولا يغفل طرفه عين ولو حصل فيه شيء من التقصير لاختلت موازينه ولتغيرت أوقات الشروق والغروب ولتبدلت أحابيل الفصول ولتعطلت بسبب ذلك الزروع والضرع مما لا أستطيع إن ألم ببعضه فما بالك بكله والله أعلم. " يراجع: محمد فريد وجدي، الإسلام في عصر العلم، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ص 317 وما بعدها.

(3) سورة النجم، الآيات: 11 - 14.

(4) مفاتيح الغيب، للرازي، 28 / 241.

بفؤاده فإن القلوب تشهد بصحة ما رآه النبي ليلة المعراج - فعن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾⁽¹⁾ قال: "إن النبي (ﷺ) رأى ربه بقلبه"⁽²⁾ وقال القاضي عياض: "وأما وجوبه لنبينا (ﷺ) والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضًا ولا نص إذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مآثور والاحتمال لهما ممكن⁽³⁾ وقد اختلفت آراء العلماء حول رؤية النبي (ﷺ) لربه . يدور هذا الاختلاف بين الإثبات تارة وبين النفي تارة أخرى⁽⁴⁾، وعلى هذا نجد أن السيدة عائشة رضى الله عنها تروي لنا أن الرسول لم ير ربه ومن قال إنه رآه فقد كذب على الله تعالى "فعن مسروق، قال: كنت متكئا عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدا (ﷺ) رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني، ولا تعجليني، ألم يقل الله (ﷻ): ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾⁽⁵⁾ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾⁽⁶⁾؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن

(1) سورة النجم، الآية: 13.

(2) أخرجه الدارقطني في كتابه "رؤية الله" (ص343)(259)، وابن خزيمة في كتاب "التوحيد" (516/2)، والطبراني في "معجمه الأوسط" (32/2)(1141) ثلاثتهم عن أبي ذر (رضي الله عنه).

(3) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: 544هـ) مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمني (المتوفى: 873هـ): دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1409هـ - 1988م، 201/1.

(4) يقول الإمام النووي "وذهب الجمهور من المفسرين إلى أن المراد أنه رأى ربه عز وجل، ثم اختلف هؤلاء فذهب جماعة إلى أنه (ﷺ) رأى ربه بفؤاده دون عينيه وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه قال الإمام أبو الحسن الواحدي قال المفسرون هذا إخبار عن رؤية النبي (ﷺ) ربه عز وجل ليلة المعراج قال ابن عباس وأبو ذر وإبراهيم التيمي رآه بقلبه قال وعلى هذا رأى بقلبه ربه رؤية صحيحة وهو أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده أو خلق لفؤاده بصرا حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين قال وقد ذهب جماعة من المفسرين إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس وعكرمة والحسن والربيع قال المبرد ومعنى الآية أن الفؤاد رأى شيئا فصدق فيه، يراجع: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الثانية، 1392هـ، 3/ 6.

(5) سورة التكويد، الآية: 23.

(6) سورة النجم، الآية: 13.

ذلك رسول الله (ﷺ)، فقال: ((إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيلُ. لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ. رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ))، قَالَتْ: أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾⁽¹⁾ أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ﴾⁽²⁾، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ كُنَّ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾⁽³⁾ قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ النَّاسَ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾⁽⁴⁾، وقد "صح عن النبي (ﷺ) أن هذا المرئي جبريل، رآه مرتين على صورته التي خلق عليها"⁽⁵⁾. ومن خلال الأقوال السابقة في رؤية النبي (ﷺ) لربه ليلة المعراج فإن هذه الأقوال التي ذكرتها آنفا لم تصل إلى درجة التواتر فلا شك في جواز رؤية النبي لربه (ﷻ)، "ولا مرية في الجواز إذ ليس في الآيات نص في المنع. وأما وجوبه لنبينا (ﷺ) والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضًا ولا نص إذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مآثور والاحتمال لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر"⁽⁶⁾ عن النبي (ﷺ) بذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده إلى النبي (ﷺ).

(1) سورة الأنعام، الآية: 103.

(2) سورة الشورى، الآية: 51.

(3) سورة المائدة، من الآية: 67.

(4) سورة النمل، من الآية: 65، والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب معنى

قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾، وهل رأى النبي (ﷺ) ربه ليلة الإسراء، حديث رقم (177)

159/1.

(5) شرح العقيدة الطحاوية، 1 / 276.

(6) التواتر: هو الخبر الثابت على السنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب. التعريفات: 70/1

فيجب العمل باعتقاد مضمونه⁽¹⁾، وأيضًا رواية السيدة عائشة (رضي الله عنها) لم تسمعها من النبي (ﷺ) وإنما اعتمدت على الاستنباط⁽²⁾ فقط فدل ذلك على جواز رؤية الرسول لربه ليلة المعراج جاء هذا المعنى عند الإمام السيوطي حيث قال "ولم تعتمد عائشة في نفي الرؤية على حديث رسول الله (ﷺ) وإنما اعتمدت الاستنباط من الآيات والجواب عن هذه الآية أن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لا يحاط به وإذا ورد النص بنفي الإحاطة فلا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة⁽³⁾."

ومن هنا فإن عبد الله بن عباس لم يثبت شيئاً لم يثبت النبي (ﷺ)⁽⁴⁾ حيث أثبت النبي (ﷺ) أنه رأى ربه تبارك وتعالى. جاء هذا المعنى عند القاضي أبو يعلى حيث قال "فإن قول ابن عباس يطابق قول النبي (ﷺ)؛ لأن النبي (ﷺ) أثبت رؤيته في تلك الليلة، ولأنه مثبت والمثبت أولى من النافي، ولا يجوز أن يثبت ابن عباس ذلك إلا عن توقيف إذ لا مجال للقياس في ذلك"⁽⁵⁾.

ونجد أن الإمام البيجوري يقدم نص سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الذي يثبت فيه رؤية النبي (ﷺ) لربه، على الحديث الذي ذكرته لنا السيدة عائشة أم المؤمنين الذي تنفي فيه عدم الرؤية؛ حيث قال في حاشيته على جوهرة

-
- (1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، 1 / 201.
 - (2) الاستنباط: استخراج الماء من العين من قولهم: نبط الماء إذا خرج من منبعه. الاستنباط: اصطلاحاً: استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن، وقوة الفريضة، التعريفات، 22/1
 - (3) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) حقق أصله، وعلق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية - الخبر، الطبعة: الأولى 1416هـ - 1996 م، 1 / 222.
 - (4) يقول الخازن "وروي عن ابن عباس أنه رآه بعينه ومثله عن أبي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكي مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل وحكى أصحاب المقالات عن أبي الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه أنه رآه ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال: ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله عز وجل في الدنيا جائزة وسؤال موسى إياها دليل على جوازها إذ لا يجهل نبي ما يجوز أن يتمتع على ربه. يراجع: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ) لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1415هـ - 206/4.
 - (5) إبطال التأويلات لأخبار الصفات، قاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى: 458هـ تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي، دار إيلاف الدولية - الكويت، 1 / 214.

التوحيد "والراجح عند أكثر العلماء أنه رأى ربه بعيني رأسه وهما في محلها، وقد نفت السيدة عائشة (رضي الله عنها) وقوعها له (ﷺ) لكن قدم عليها ابن عباس؛ لأنه مثبت والقاعدة: أن المثبت مقدم على النافي" (1).

أقول: بعد عرضي للمسألة تبين لي: أن رؤية الله تعالى جائزة في الآخرة (2)

(1) حاشية الإمام البيهقي على جوهرة التوحيد، تحقيق الدكتور/ علي جمعة محمد الشافعي، دار السلام، الطبعة الأولى، 1422هـ، 2002م، ص195، 196، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ) - حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م، 3/ 391.

(2) الحديث الذي يثبت رؤية الله تعالى في الآخرة لأهل الإيمان ما رواه الدارقطني من حديث عطاء بن يسار من حديث أبي سعيد الخدري، قال: قلنا: يا رسول الله، هل نرى ربنا عز وجل يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحو ليس فيه سحب؟» قال: قلنا: لا يا رسول الله. قال: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحو ليس فيه سحب؟» قالوا: لا، قال: «فما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ألا تحضون كل أمة بما كانت تعبذ فلا يبقى أحد كان يعبد صنما ولا وثنا، ولا صورة إلا ذهبوا حتى لیتساقطوا في النار، ويبقى من كان يعبد الله عز وجل من بر وفاجر، وغبرات أهل الكتاب، ثم تعرض جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا، ثم يدعى اليهود، فيقول: ماذا كنتم تعبدون؟ فيقولون: عزير ابن الله، فيقول: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تريدون؟ فيقولون: أي رب ظمئنا اسقنا، فيقول: ألا تردون؟ فيذهبون، حتى يتساقطوا في النار، فيبقى من كان يعبد الله وحده من بر وفاجر، فيقال: أيها الناس: لحقت كل أمة بما كانت تعبذ، وبقيتم، فلا يتكلم يومئذ إلا الأنبياء فيقولون: ربنا فارقنا الناس في الدنيا، ونحن كنا إلى صحتهم فيها أحوج، لحقت كل أمة بما كانت تعبذ ونحن ننظر ربنا عز وجل الذي كنا نعبد، فيقال لهم: هل بينكم وبين الله عز وجل من آية تعرفونها، فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فيخرجون سجدًا أجمعون، ولا يبقى أحد كان يسجد في الدنيا سعة، ولا رياء، ولا نفاقا إلا على ظهره طبق واحد كلما أراد أن يسجد خر على فقه، ثم يرفع ذكر كلمة فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعم، أنت ربنا ثلاث مرات ثم يضرب الجسر على جهنم "قلنا: وما الجسر؟ بأبينا أنت وأمتنا يا رسول الله قال: "دحض مزلة، له كلاليب، وخطاطيف، وحسكة، تكون بنجد عقيفاء يقال له: السعدان، فيمر المؤمنون كالطرب والريح، والطيور، وكأجود الخيل، والركاب، فجاج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في جهنم، والذي نفسي بيده ما أحدكم بأشد مناشدة في الحق يراه مضيا له من المؤمنين إذا رأوا أن قد خلصوا من النار، فيقولون: أي ربنا: إخواننا كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويحجون معنا، ويجاهدون معنا، قد أخذتهم النار، فيقول الله عز وجل: اذهبوا فمن عرفتم صورته فأخرجوه، ويحرم صورهم على النار، فيجدون الرجل قد أخذته النار إلى قدميه، وإلى أنصاف ساقيه، وإلى ركبتيه، وإلى جفويه، فيخرجون منها بشرا كثيرا، ثم يعودون، فيتكلمون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال قيراط من خير فأخرجوه، فيخرجون بشرا كثيرا، ثم يعودون فيكلمونه، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ينصف قيراط من خير فأخرجوه، فيخرجون بشرا كثيرا، ثم يعودون، فيتكلمون، فلا يزال يقول لهم ذلك حتى يقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون منها بشرا كثيرا". كان أبو سعيد إذا

حدث بهذا الحديث قال: إن لم تصدقوا فافروا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: 40]، فيقولون: "ربنا لم ندر فيها خيرا، فيقول عز وجل: وهل بقي إلا أرحم الراحمين، قد شفعت الملائكة، وشفع الأنبياء وشفع المؤمنون، فما بقي

أما في الدنيا فهي لم تقع إلا للمختار (ﷺ)، ومذهب أهل السنة يجيز رؤية النبي لربه تعالى ليلة المعراج إلا أن الرؤية عندهم ليست في جهة وإنما يخلقها الله تعالى في الرائي وفق مشيئته.

يقول صاحب المواقف "إن مذهب أهل الحق أن الرؤية سواء أكانت متعلقة بالألوان أو بغيرها أمر يخلقه الله في الحي على وفق مشيئته"⁽¹⁾. وقد وقعت الرؤية لنبينا ليلة الإسراء، وذلك لاختياره لهذا المقام دون غيره من الأنبياء "ووقعت رؤيته تعالى في الدنيا ليلة الإسراء للمختار الذي هو نبينا (ﷺ) وفي التعبير بالمختار مناسبة؛ لأنه اختير لهذا المقام"⁽²⁾. والرؤية التي يثبتها مذهب أهل السنة في أن الرسول (ﷺ) رأى ربه تعالى إنما هي على وفق الإرادة الإلهية، وقدرة العبد لا دخل لها في ذلك. فإن "النصوص وردت أن محمداً (ﷺ) رأى ربه بفؤاده فجعل بصره في فؤاده أو رآه ببصره فجعل فؤاده في بصره، وكيف لا، وعلى مذهب أهل السنة الرؤية بالإرادة لا بقدرة العبد، فإذا حصل الله تعالى العلم بالشيء من طريق البصر كان رؤية، وإن حصله من طريق القلب كان معرفة والله قادر على أن يحصل العلم بخلق مدرك للمعلوم في البصر كما قدر على أن يحصله بخلق مدرك في القلب"⁽³⁾.

إِلَّا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، قَالَ: فَيَأْخُذُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ قَوْمًا قَدْ عَادُوا خُمًّا لَمْ يَعْمَلُوا لَهُ عَمَلٌ خَيْرٌ قَطُّ، فَيُطْرَحُونَ فِي نَهْرٍ فِي فَنَاءِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا وَمَا بَلِيهَا مِنَ الظِّلِّ أَصْفَرُ، وَمَا بَلِيهَا مِنَ الشَّمْسِ أَخْضَرُ " قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: كَأَنَّكَ كُنْتَ تَكُونُ فِي الْمَاشِيَةِ؟ قَالَ: " فَيَنْبُتُونَ كَذَلِكَ، فَيَخْرُجُونَ أَمْثَالَ اللُّوْلُ يُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ، ثُمَّ يُرْسَلُونَ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقَالُ: هَؤُلَاءِ الْجَهَنَّمِيُّونَ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخْرَجَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ النَّارِ بَغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرَ قَدَمُوهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ: خُذُوا، فَلَكُمْ مَا أَخَذْتُمْ، فَيَأْخُذُونَ حَتَّى يَنْتَهَوْا، ثُمَّ يَقُولُونَ: لَنْ يُعْطَيْنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَخَذْنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَإِنِّي أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذْتُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا وَمَا أَفْضَلُ مِمَّا أَخَذْنَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ فَلَا أَسْحَطُ " هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" كتاب "الإيمان" باب: طريق الرؤية (167/1) (183)، والدارقطني في كتابه "رؤية الله" (ص95)(2)، و"ابن منده" في كتابه "الإيمان" (802/2) (818) ثلاثتهم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه).

- (1) المواقف، للإيجي، 1/ 652.
- (2) حاشية البيجوري على الجوهرة، ص 195.
- (3) مفاتيح الغيب للرازي، 28 / 242.

إن الذات الإلهية لا يراها أحد من البشر سوى رسول الله (ﷺ)، وهذا إن دل فإنما يدل على قرب النبي من ربه هذا في الدنيا، أما في الآخرة فإن المؤمنين سيرون ربهم كما جاء في الحديث "عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "نَعَمْ" قَالَ: "هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا الشَّمْسِ بِالظُّهْرِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا الْقَمَرِ لَيْلَةً الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟" قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا أَحَدِهِمَا...إِلخ. الحديث"(1).

ومن هنا فإن إثبات الرؤية في الآخرة أمر متفق عليه عند جمهور المتكلمين، وإذا كانت رؤية الباري جائزة فإن قرب الباري من عباده أمر ممكن وذلك لورود آيات الذكر الحكيم في ذلك وأيضًا الأحاديث النبوية التي تحت المسلمين على تحسين علاقتهم بربهم وذلك بحضهم وحثهم على أن قرب الله تعالى أمر ممكن، وبهذا تقوى عقيدة المسلم في ارتباطه بربه تعالى ومراقبته له تعالى في جميع الأوقات.

(1) الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، حديث رقم 183، 167 / 1.

الفصل الثاني

نعمة الخفاء من شدة القرب

توطئة

والقرب معناه: أن الذات الإلهية قريبة من البشر لا يخفى عليه (ﷻ) شيء، وهذا ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾⁽¹⁾ فهذه الآية تشير إلى كمال علم الباري وإحاطته بجميع الموجودات لا يخفى عليه شيء من أمرها جلا وعلا. "فحينئذ يكون عالما لا محالة مقادير الحاجات ومراتب الضرورات، لا يشغله سؤال عن سؤال، ولا يشتبه الأمر عليه بسبب كثرة أسئلة السائلين"⁽²⁾ ولما كان قرب الباري من العباد بحيث لا يخفى عليه شيء من أمرهم؛ لأنه تعالى يعلم ما كان وما يكون وما هو كائن في علمه المكنون فالعباد في قبضته وتحت إرادته ومراده لكن الله تعالى أخفى هذا القرب عن العباد لكونه تعالى ليس ممثلاً للحوادث ولا يجري عليه شيء منها بل كل صفات الحوادث هو منزّه عنها فليس لله تعالى شبيهه، ولا مثيل، ولا ند، ولا ضد، تعالى عن ذلك علواً كبيراً⁽³⁾.

وشدة القرب إنما معناها "قرب من حيث العلم لا أن العلم في حد ذاته قريب؛ لأنه صفة ذات لا تفارق الذات فهو مثل في فرط القرب؛ لأنه تعالى لما كان مطلعا على معلومات العباد وسرائرهم ولا يخفى عليه شيء فكان ذاته تعالى قريبة

(1) سورة آل عمران الآية: 5.

(2) مفاتيح الغيب للرازي، 7 / 134.

(3) وصف الرب بالتعالي كثير في القرآن ﴿سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: 18] ﴿سُبْحَنَهُ،

وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [سورة الأنعام: 100] ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الأعراف: 190] تقدّس وتنزّه وترفع، فهذا اللفظ يدل على التنزيه، فنقول: تعالى الله عن الصاحبة والولد، وتعالى الله عن السنة والنوم والموت، وتعالى الله عن الشركاء، والأضداد والأنداد، فلا ضد له ولا ند له. فالمضاد: المقاوم المدافع، والند: المثل. فلا ضد يضاد أمره وحكمه. "يراجع: شرح العقيدة الطحاوية، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، ص82، دار التدمرية، الطبعة: الثانية، 1429هـ - 2008م، ص82.

منهم"⁽¹⁾ وفي إطار الحديث عن القرب الإلهي من العباد وخفاء عنهم، سيتم الكشف عن جوانب هذه القضية من خلال مبحثين هما:

المبحث الأول: قرب الله تعالى من العبد والأدلة على ذلك.

المبحث الثاني: اعتقاد العبد في قرب الله وما يترتب على ذلك من أخلاق وسلوك بدرجة الإحسان.

(1) حاشية العدوي، العلامة المحقق على بن أحمد بن مكرم الله العدوي المتوفى سنة 1189 هـ على كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني، طبعه وصححه محمد عبد الله شاهين، دار الكتب العلمية. 75 / 1.

المبحث الأول

قرب الله تعالى من العبد والأدلة على ذلك

قرب الله من العباد

إن قرب الله من عباده أمر بديهي⁽¹⁾ وذلك؛ لأنه تعالى خالقهم ورازقهم وهو أقرب إليهم من حبل الوريد⁽²⁾، وإذا كان قريباً من عباده فهذا القرب يجوز أن يكون قريباً ذاتياً دون التقيد بالمكان؛ لأنه تعالى ليس له مكان ولا جهة تحده؛ لأنه جل وعلا يتعالى عن الجهات المعروفة وهذا ما أقره العقلاء، وقد يكون هذا القرب قريباً مكانياً وهذا باطل؛ لأن القرب من الشيء في العادة سبب العلم به وبأحواله⁽³⁾ "وقد جُلَّ عن الأمكنة"⁽⁴⁾. "ولا مجال لحمله على القرب المكاني"⁽⁵⁾ لتتزهه سبحانه عن ذلك⁽⁶⁾ وذلك؛ لأنها تقتضي الجهات الست المعروفة وهذه الجهات تستلزم الجسمية وهما محالان على الله تعالى⁽⁷⁾ ومن هنا فإن القرآن الكريم قد ذكر قرب الله من

(1) البديهي فهو: ما لا يحتاج إلى نظر واستدلال سواء أكان محتاجاً إلى تنبيه أم لم يكن محتاجاً إليه، د/ محمد محيي الدين عبد الحميد، رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، ص46
(2) الوريد: أحد الوريدين، وهما عرقان مكتنفان لصفتي العنق في مقدمتهما متصلان بالوتين، يردان من الرأس إليه والوريد مثل في فرط القرب، يقال: هو أقرب من الوريد ومن حبل الوريد، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل مخطوطة الجمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، 2003 - 2008م، 5 / 216.
(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني 328/13.
(4) يقول صاحب المقاصد "وإذا لم يكن في مكان لم يكن في جهة لا علو ولا سفلى ولا غيرهما؛ لأنهما إما حدود وأطراف للأمكنة، أو نفس الأمكنة باعتبار عروض الإضافة إلى شيء"، شَرْحُ الْعَقَائِدِ التَّسْفِيَّةِ، تصنيف: الإمام العلامة الحجة المتكلم الأصولي النظار سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، 1 / 25.

(5) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، 4 / 383.
(6) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني الألوسي 328/13.
(7) يقول الأمدى: "وقد اتفق هؤلاء بأسرهم مع بعض الحشوية على أن الباري تعالى في جهة وخصوها بجهة فوق دون غيرها من الجهات لكن اختلفوا في الجهة فقالت الكرامية إن كونه في الجهة كون الأجسام وقالت الحشوية في الجهة ليس ككون شيء من الحادثات فهذه تفاصيل مذاهب أهل الأهواء وتشعبها في التشبيه تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً" ويقول الإسفراييني "من زعم من الكرامية إنه ذو نهاية من الجهة التي تلاقي منها العرش ولا نهاية له من خمس جهات سواها وأجمعوا على إحالة وصفه بالصورة والأعضاء، كما يقول "وأما مشبهة الحشوية؛ فحكى الأشعري عن محمد بن عيسى أنه حكى عن مضر، وكهمس، وأحمد الهجيمي: أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة؛ إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض. يراجع: غاية المرام في علم الكلام، سيف الدين للأمدى، 1 /

العباد في أكثر من آية؛ وذلك للدلالة على إحاطة علمه بهم حيث قال سبحانه تعالى: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾⁽¹⁾، ومعنى القرب في الآية "أي ونحن أعلم بحاله ممن كان أقرب إليه من حبل الوريد، تجوز بقرب الذات لقرب العلم؛ لأنه موجب" (2) "وأنه يتعلق بمعلومه منه ومن أحواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته، فكأن ذاته قريبة منه، كما يقال: الله في كل مكان، وقد جل عن الأمكنة. وحبل الوريد: مثل في فرط القرب، كقولهم: هو منى مقعد القابلة ومقعد الإزار" (3).

أدلة القرآن الكريم على إثبات مقام القرب الإلهي

لقد ذكر القرآن الكريم في مواضع متعددة أن الله قريب من عباده، وهذا القرب يليق بالله تعالى دون تشبيهه أو تمثيل أو ما شابه ذلك، من هذه الآيات:

- قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾⁽⁴⁾ معناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفى علي شيء" (5) والآية الكريمة تنفي المكان المستلزم للجهة وهما محالان على الله تعالى "فصانع العالم ليس في جهة ولا تحويه الجهات الست؛ لأنها حادثة وهو الذي خلقها، فلو صار مختصا بجهة بعدما خلقها لكان يتخصص بمخصص وذلك باطل، صانع العالم ليس فوق العالم ولا في جهة خارجه عنه؛ لأنه لو كان كذلك لكان محاذيا للعالم وكل محاذ بجسم، إما أن يكون مثله أو أكبر أو أصغر وكان ذلك تقديرا يحتاج إلى

180، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: 429هـ) دار الأفاق الجديدة - بيروت الطبعة: الثانية، 1977م، 1/ 320، الملل والنحل، الشهرستاني، 1/ 105.

(1) سورة ق من الآية: 16.

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البضاوي، 141/5.

(3) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، 4/ 383.

(4) سورة البقرة من الآية: 186.

(5) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، 1/ 115، وتفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق

التأويل) 162/1

مقدر، تعالى عن ذلك" (1) ومن هنا فالكلام "فيه حذف" فقلل إني قريب" فدل بهذا على أنه سبحانه لا مكان له إذ لو كان له مكان لم يكن قريباً من كل من ينجيه" (2)، وبناء على ذلك فإن "قربه تعالى من العباد ليس له مثل" وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواء ولا في سواه ذاته وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعثره العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن الزوال وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال" (3) فالباريء جل وعلا متقدس عن التغير والانتقال من مكان إلى مكان بل هو منزّه عن صفات الحوادث "ومتقدس عن الاختصاص بالجهات، والاتصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحول، والانتقال، ولا القيام، والقعود" (4) فالبارئ جل وعلا متقدس عن التغير والانتقال من مكان إلى مكان بل هو منزّه عن صفات الحوادث.

- وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِذْ رَفِئَ قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (5) "قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله فيما بيننا مرجوا كانت تلوح فيك مخايل الخير وأمارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك، وتكون مشاوراً في الأمور ومسترشداً

(1) كتاب أصول الدين، جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي (المتوفى: 593هـ)، تحقيق: الدكتور عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 - 1998م. 1/ 68، 69.

(2) مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام ابن علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضي - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1427هـ، 2016م، 2 / 15.

(3) إحياء علوم الدين، للغزالي، 1 / 90.

(4) الإنصاف، للباقلاني، 1 / 12.

(5) سورة هود من الآية: 61

في التدابير ، فلما نطقت بهذا القول انقطع رجأؤنا عنك وعلمنا أن لا خير فيك⁽¹⁾.

- وقول الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾⁽²⁾.

- وقول الله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽³⁾.

والولي معناه القريب فقوله: عند ربهم يدل على قربهم من الله تعالى وقوله: وهو وليهم يدل على قرب الله منهم ولا نرى في العقل درجة للعبد أعلى من هذه الدرجة⁽⁴⁾.

- وقول الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾⁽⁵⁾ والمراد بالقرب هنا

"أي بالقدرة والعلم والرؤية"⁽⁶⁾. ومن هنا فإن قرب الله من العباد ليس له شبيه ولا مثيل، ولا هو مثل شيء وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات وأنه مستوي على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزلها عن المماساة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهرون في قبضته وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء إلى تخوم النثرى فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء كما لا تزيده بعدا عن الأرض والنثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والنثرى وهو مع ذلك قريب⁽⁷⁾.

ومن هنا فإن قرب الله تعالى من عباده معناه الرعاية والعناية بأمرهم لا يغفل

عنه من أعمالهم شيئا، وهذا القرب ليس المراد منه القرب الحقيقي، أي أن ذات الله

(1) الكشف للزمخشري، 2 / 407

(2) سورة ق من الآية: 16.

(3) سورة الأنعام الآية: 127.

(4) مفاتيح الغيب، للرازي، 13 / 146.

(5) سورة الواقعة الآية: 85.

(6) الجامع لأحكام القرآن، 17 / 231.

(7) قواعد العقائد، الغزالي، ص53.

تعالى قريبة من الذات الأخرى، فإن هذا الأمر لا يقبله المنطق ويأباه العقل السليم فضلا عن أي القرآن الكريم قد بينت أن الذات الإلهية لا يشبهها شيء من الذوات⁽¹⁾.

فالله تعالى أعلم بعباده من أنفسهم وأقرب إليهم منهم فهو أقرب إلينا من حبل الوريد، وهو عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه. وقد جاءت الأحاديث النبوية لتثبت تلك القضية وهي قضية القرب، أي قرب الله من عباده من هذه الأحاديث قوله (ﷺ) لما رفع الصحابة أصواتهم بالذكر: ((أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ راحِلَتِهِ))⁽²⁾. وأيضًا قوله (ﷺ): ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ ساجِدٌ))⁽³⁾.

فلسفة القرب الإلهي

إن قرب الله من عباده لا يقف عند تحديد المسافات وغيرها بل يقربه منهم يتعالى عن كل ذلك ومن ثم "فإن الله يقرب من خلقه كيف يشاء"⁽⁴⁾.

"وليس قرب الله تعالى ولا بعده من طريق طول المسافة وقصرها ولكن على معنى الكرامة"⁽⁵⁾ والهوان والمطيع قريب منه بلا كيف والعاصي بعيد منه بلا كيف والقرب والبعد والإقبال يقع على المناجي وكذلك جواره في الجنة والوقوف بين يديه

(1) من الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى من الآية: 11].

(2) أخرجه الإمام البخاري (6610)، ومسلم (2704)، والإمام أحمد في "المسند" (4/ 402)؛ عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه).

(3) أخرجه الإمام مسلم (482) من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه).

(4) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، 1/ 195.

(5) الكرامة: هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً. وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة، الجرجاني: التعريفات، 184/1.

بلا كيفية"⁽¹⁾ وبناء على ذلك فإن "البارئ تعالى منزّه عن المكان والجهة؛ لأن المكان والجهة حادثان بعد عدم والله تعالى قديم فهو منزّه عن صفات الحوادث " ذلك على أن القول بالمكان ليس من نوع التعظيم والتبجيل بل الأمكنة إنما شرفت به وتفاوتت أقدارها بتفضيله مكانًا على مكان يجعله مخصوصًا لأخيار خلقه أو لما جعل لعبادته وتعظيمه فيه فأما أن يكون أحد تعلو رتبته بالمكان من ملوك الأرض أو الأخيار فليس به فكيف بالملك الجبار الذي ما ارتفع قدر مكان ولا جل خطره إلا به وإذا كان كذلك بطل أن يكون في الإضافة تعظيمه ثم يكون فيما بعد ذلك للحاجة وهو يتعالى عنها، فلذلك لم يجب بقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾⁽²⁾ معنى الكون في المكان إذ ذلك الحرف يعبر به عن العلو والجلال ومحال مثله له بخلقه فثبت أن ذلك من الوجه الذي يستحقه بذاته من العلو والرفعة وما هو بذاته عليه فهو كان كذلك ولا خلق لم يجز الوصف له بالخلق ولا قوة إلا بالله"⁽³⁾. وبعد ذلك أقول: "إن قرب الله من العباد معناه الإحاطة والعلم بأحوالهم، ومن المعلوم لدى علماء الكلام أن العلم الإلهي يتعلق بالموجودات تعلق إحاطة وانكشاف وعلى ذلك فإن الله قريب من عباده وهذا القرب ليس قريبًا ذاتيًا؛ لأن هذا محال أن يكون البارئ في جهة من الجهات الست المعروفة، لأن الجهات المعروفة حادثة ويستحيل تعلق القديم بالحادث، وإذا كان الله تعالى قريبًا من خلقه فإن ذلك القرب له أثره البالغ في عقيدة المسلم؛ لأن هذا القرب يجعل العبد يشعر بوجود الله تعالى دائمًا أبدًا معه، ويترتب على ذلك تقويم الأخلاق عند المسلم، وتعديل سلوكه.

(1) الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأيسر والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميس) ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (المتوفى: 150هـ) مكتبة الفرقان - الإمارات العربية، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1999م. 67 / 1.

(2) سورة طه، الآية: 5.

(3) التوحيد، أبو منصور الماتريدي، دار الجامعات المصرية - الإسكندرية. 115 / 1.

المبحث الثاني اعتقاد العبد في قرب الله وما يترتب على ذلك من أخلاق وسلوك بدرجة الإحسان

عقيدة القرب الإلهي وعلاقتها بتقويم الأخلاق

من المعلوم لدى الدارسين أن القرآن الكريم مليء بالآيات التي تحث على مكارم الأخلاق وكذا السنة النبوية المطهرة ومن ثم فالأخلاق هي الباعث الأول في تقويم السلوك الإنساني، ولن يستقيم أي سلوك على الإطلاق إلا بالأخلاق فهي بمثابة طريق يحدد للإنسان الفضائل فيعمل بها، ويبين له الرذائل فيجتنبها، وهذا مما جاء في القرآن الكريم وبينته السنة النبوية⁽¹⁾.

والقرب الإلهي له علاقة وطيدة بتقويم الأخلاق وتعديل السلوك الإنساني؛ لذا فإن من أسماء الله تعالى (الرقيب) ومعناه "الذي يراقب الأشياء ويلاحظها فلا تقوته لفتة ناظر، ولا فلتة خاطر.. ولا يغيب عنة مثقال ذرة مهما كانت في صخرة أو في السموات أو في الأرض وهو في هذه المراقبة، لا تأخذه سنة ولا نوم ولا غفلة بل الملاحظة لازمة دائمة ولا يتأتى هذا إلا للرقيب المطلق هو الله"⁽²⁾، ومن هنا فإننا نجد أن العبد يترقى في العبادة حتى يصير ويتحول من مقام الغيبة إلى مقام الشهود، وهذا ما يطلق عليه مقام الإحسان.

(1) القرآن الكريم وفيه الكثير من الآيات التي تأمر بمكارم الأخلاق وتدعو إلى التمسك بالقيم الأخلاقية العظيمة مثل: الصبر وكظم الغيظ والإيثار والعفو وبر الوالدين والإحسان إليهما وحسن القول واجتناب الكثير من الظن وترك التجسس والغيبة والنميمة والشح والبخل والنفاق والرياء والكذب، وقد جاءت السنة النبوية تحمل كل ما يتلق بجوانب الحياة الإنسانية بالنسبة للفرد والأسرة والمجتمع والعلاقات التي يمكن أن تقوم بين الأفراد في داخل المجتمع وبين المجتمعات الغير إسلامية. يراجع: الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية، الدكتور / يعقوب المليجي مؤسسة الثقافة الجامعية - الإسكندرية، 1405هـ، 1985م، ص28.

(2) الطريق إلى الله (هو الله)، ياسين رشدي، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، ص51.

مقام الإحسان في المنظور الإسلامي

الإحسان: هو التحقق بالعبودية على مشاهدة حضرة الربوبية بنور البصيرة، أي رؤية الحق موصوفاً بصفاته بعين صفته، فهو يراه يقيناً ولا يراه حقيقة، ولهذا قال (ﷺ): ((كَأَنَّكَ تَرَاهُ))⁽¹⁾ "لأنه يراه من وراء حجب صفاته، فلا يرى الحقيقة بالحقيقة؛ لأنه تعالى هو الداعي، وصفة لوصفه، وهو دون مقام المشاهدة في مقام الروح"⁽²⁾، وهذا المقام يجمع الفضائل كلها "إذن هو العمل بالفضائل"⁽³⁾، ومن هنا فإن العبد حينما يتقرب إلى ربه ويشاهد حضرة الربوبية بنور البصيرة فيشاهد الحق تعالى كأنه يراه، وقد بينت السنة النبوية هذا الأمر حينما جاء جبريل يسأل الرسول (ﷺ): ((مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))⁽⁴⁾. والإحسان هو فعل المأمور الذي أمر الله تعالى به وأعظمه الإنابة والتوكل وغيره وأعلاها أن يعبد العبد ربه كأنه يراه وإلى ذلك وليس هناك في الدنيا مشهد أعلى من هذا المشهد ألا وهو (مقام الشهود)⁽⁵⁾ وفي قول النبي (ﷺ): ((فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ))⁽⁶⁾ إشارة إلى مقام المراقبة⁽⁷⁾، والإحسان هو "أول المراقبة؛ لأنها عن غير المشاهدة ترى الرقيب ثم تراقب، وقد خص الله تعالى بالطيبات من الأعمال الطيبين من العمال وابتنى بالخبثات من الأعمال الخبيثين من العمال وفرغ من ذلك بعلمه وقدره بحكمه

(1) جزء من الحديث الذي "أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب "الإيمان"، باب سؤال جبريل النبي (ﷺ) عن الإيمان (19/1)(50)، وأخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب "الإيمان"، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله (39/1)(9)، من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه).

(2) التعريفات، الجرجاني، 12/1.

(3) المعجم الفلسفي، د/ جميل صليبا، 45/1.

(4) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي (ﷺ) عن الإيمان، رقم الحديث (50)، وأخرجه مسلم في الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم (9 و10). وأخرجه عن عمر رض الله عنه في الباب نفسه رقم 8.

(5) الشهود: هو رؤية الحق بالحق، التعريفات، الجرجاني، 163/1.

(6) جزء من الحديث السابق الذي أخرجه البخاري، ومسلم من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) "صحيح مسلم"، كتاب "الأدب"، باب في أحاديث متفرقة (2294/4) (2996)، وأحمد في "مسنده" (109/42) (25194).

(7) المراقبة: استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله، التعريفات، ص210.

وأخفاه بلطفه فقال تعالى: ﴿الْحَيْثُ لِّلْخَيْثِينَ﴾⁽¹⁾ قيل الخبيثات من الأفعال والأقوال للخبيثين من الرجال، وقال: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾⁽²⁾ وقيل: الطيبات من الأعمال والمقال للطيبين من الرجال، ثم أخبر بحسن خاتمة أوليائه وسوء خاتمة أعدائه فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽³⁾ قيل: طابت حياتهم فطابت وفاتهم وطابت أعمالهم فطاب الموت لهم⁽⁴⁾ "قاله تعالى رقيب على عباده وقريب إليهم من قلوبهم يعلم أحوالهم ويرى أفعالهم لا يخفى عليه شيء من أمورهم، جاء هذا المعنى عند الإمام القشيري حيث قال: "فإن لم تكن تراه فإنه يراك"⁽⁵⁾ إشارة إلى حال المراقبة⁽⁶⁾؛ لأن المراقبة علم العبد باطلاع الرب (ﷻ) عليه واستدامته لهذا العلم مراقبة لربه وهذا أصل كل خير له ولا يكاد يصل إلى هذه الرتبة إلا بعد فراغه من المحاسبة فإذا حاسب نفسه على ما سلف وأصلح حاله في الوقت ولازم طريق الحق وأحسن بينه وبين الله تعالى مراعاة القلب وحفظ مع الله تعالى الأنفاس راقب الله تعالى في عموم أحواله فيعلم أنه سبحانه عليه رقيب ومن قلبه قريب يعلم أحواله ويرى أفعاله ويسمع أقواله ومن تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة فكيف عن حقائق القرية"⁽⁷⁾.

والمراقبة أن يعتقد العبد أن البارئ -جلا وعلا - مطلع عليه فلا يقترب إثماً

(1) سورة النور من الآية: 26.

(2) سورة النور من الآية: 26.

(3) سورة النحل الآية: 38.

(4) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: 386هـ) المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ص 87.

الطبعة: الثانية، 1426 هـ - 2005 م، 1 / 184.

(5) قد سبق تخريجه في نفس الصفحة.

(6) المراقبة: استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله، يراجع: التعريفات للجرجاني، 1 / 210.

(7) الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ) تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، باب المراقبة. 1 / 329.

أو معصية؛ لأنه يعلم أن فوق أعماله رقيب لا يغيب عنه شيء من أمور عبادته وهذا المقام أقل مراتب الإحسان "مقام المراقبة، وهو أن يستحضر العبد قرب الله منه وإطلاعه عليه فيتخايل أنه لا يزال بين يدي الله فيراقبه في حركاته وسكناته وسره وعلايته، فهذا مقام المراقبين المخلصين، وهو أدنى مقام الإحسان"⁽¹⁾. "والمراقبة دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق (ﷻ) على ظاهره وباطنه فاستدامته لهذا العلم واليقين: هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة وكل نفس وكل طرفة عين والغافل عن هذا بمعزل عن حال أهل البدايات فكيف بحال المريدين فكيف بحال العارفين"⁽²⁾.

حال المراقبة

ومن هنا فإن قرب العبد من ربه يحقق له مقام الإحسان الذي هو أعلى درجات العبادة فإن الخادم متى علم أن مخدومه مطلع عليه ليس بغافل عن أحواله كان أحرص على العمل، جاء ذلك عند الفخر الرازي "فهنا بين للعبد أنه يراه ويعلم جميع ما يفعله من الخيرات لتكون طاعة العبد للرب من الإحسان الذي هو أعلى درجات العبادة، فإن الخادم متى علم أن مخدومه مطلع عليه ليس بغافل عن أحواله كان أحرص على العمل وأكثر التذاذ به وأقل نفرة عنه"⁽³⁾.

إن قرب الله تعالى من عبادته أو قرب العباد من ربهم عن طريق فعل النوافل المشار إليها في الحديث الشريف⁽⁴⁾، إن دل فإنما يدل على صحة عقيدة العبد

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلمي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ) تحقيق: 1، محمود بن شعبان بن عبد المقصود، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1996م، 1 / 211.

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، باب منزلة المراقبة، 65/2.

(3) مفاتيح الغيب، للرازي، 320/1.

(4) الحديث "، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (ﷺ): ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ. وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَجِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدُهُ الَّتِي

وبلوغها أعلى المراتب أو الدرجات أعنى درجة (الإحسان) التي هي أرقى منزلة يتحصل عليها العبد في حياته الدنيا، وهذا المقام يسمى بمقام الشهود أي أن العبد يشاهد الحضرة الإلهية في خلوته وفي عبادته لله تعالى فهذه النعمة أخفاها الله تعالى على عباده ليتسارعوا إلى القرب منه عن طريق الاستقامة على طاعته تعالى، وأيضًا فإن العبد إذا علم أن الله مطلع عليه في جميع الأحوال فإن هذا يجعل العبد يحسن من باطنه، كما أنه يحسن من ظاهره؛ وذلك؛ لأنه يرى الناس مطلعين عليه، ويشير إلى ذلك الإمام الغزالي فيقول "ومن ذلك اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرِكَ وفكرِكَ فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك، وأما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته أن يكون الإنسان في خلوته متأدبًا في جميع أحواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر إليه فإنه لا يزال مطرّفًا متأدبًا في جميع أعماله متماسكًا محترزًا عن كل حركة تخالف هيئة الأدب ويكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سيرته كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكائنة أشد من مبالغته في تزيين ظاهره"⁽¹⁾.

من آثار القرب الإلهي حُسن التوفيق في جميع الأمور

التوفيق من الله تعالى منة عظيمة لا يعرف قدرها إلا المشتاقون العارفون المخلصون الذي زينوا ظاهرهم مع باطنهم فكانوا من المقربين إلى الله تعالى "ومقامات أهل القرب من أولي الألباب، وإنما تستبين المحبة وتظهر للعبد لحسن

يُنْطِشُ بِهَا، وَرَجُلُهُ الَّذِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي أُعْطِيْتَهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيْنَهُ)) هذا الحديث أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب "الرفاق"، باب التواضع (105/8) (6502)، واللالكائي في "كرامات الأولياء" (ص99) (43) من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه).

(1) إحياء علوم الدين، للغزالي، 1/ 75.

توفيقه وكلاءة عصمته، ولطائف تعليمه من غرائب علمه وخفايا لطفه، في سرعة ردهم إليه في كل شيء ووقوفهم عنده، ونظرهم إليه دون كل شيء وقربه منهم أقرب من كل شيء، وكثرة استعمالهم لحسن مرضاته وكشف اطلاعهم على معاني صفاته، ولطيف تعريفه لهم مكنون أسرارهم وفتوحه لأفكارهم من بواطن إنعامه واستخراجه منهم خالص شكره وحقيقة ذكره، فهذه طريقات المحبين له عن كشف اطلاعهم من عين اليقين، يقال: إذا أحب الله عبداً استخدمه؛ فإذا استخدمه اقتطعه⁽¹⁾.

ومن آثار القرب الإلهي معية الله تعالى العامة بالخلق وكذا معيته الخاصة بأهل الإيمان، وفي ذلك يقول ابن رجب الحنبلي: "وهذا كله يدل على أن قرب الله من خلقه شامل لهم، وقربه من أهل طاعته فيه مزيد خصوصية، كما أن معيته مع عباده عامة حتى ممن عصاه. طاعته فيه مزيد خصوصية⁽²⁾.

ومن هنا فإن القرب الإلهي من العباد يجعلهم في حالة أدب وتأدب مع الله تعالى وذلك عن طريق الخشية، والورع، والزهد، وسائر المقامات التي عرفت عند الصوفية المسلمين، وبهذا يتعرف العبد على ربه ويعلم أن هناك عالماً آخر في غاية القرب من الله تعالى يسمى بعالم الملائكة الذين ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾⁽³⁾.

(1) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، أبو طالب المكي، 2 / 87.

(2) روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ) جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى 1422 - 2001 م، 1 / 139.

(3) سورة التحريم من الآية: 6.

الفصل الثالث

نعمة الخفاء وخروج الموضوع من دائرة الإحساس
مع إمكان الإدراك (الملائكة، والجن)

توطئة

لقد خلق الله تعالى الكون بما فيه من عوالم علوية، وسفلية، وهذه العوالم منها ما هو منظور كعالم الحيوان، وعالم الإنس وغيرهما، ومنها ما هو غير منظور كعالمي (الملائكة)⁽¹⁾، و(الجن)⁽²⁾ أو ما يعرف بما وراء الطبيعة، ومن يتأمل في الحكمة الإلهية يجد أن الله تعالى تجلت قدرته قد تنوع المخلوقات والموجودات، فالإنسان قد خلقه الله تعالى من تراب، والجن قد خلقهم الله تعالى من نار والملائكة قد خلقهم الله من نور⁽³⁾ "ولما كانت الملائكة أجساماً نورانية لطيفة، فإن العباد لا يستطيعون رؤيتهم، خاصة أن الله لم يعط أبصارنا القدرة على هذه الرؤية. ولم ير الملائكة في صورهم الحقيقية من هذه الأمة إلا الرسول (ﷺ)، فإنه رأى جبريل مرتين في صورته التي خلقه الله عليها، وقد دلت النصوص على أن البشر يستطيعون رؤية الملائكة، إذا تمثل الملائكة في صورة بشر"⁽⁴⁾. وفي إطار الحديث عن نعمة الخفاء المتمثلة في عالمي ((الملائكة والجن)) سيكون الحديث عنهما من خلال مباحث ثلاثة:

-
- (1) والملك أصله: أَلَك، والمألَكة، والمألَك: الرسالة. ومنه اشتق الملائك؛ لأنهم رسل الله. وقيل: اشتق من (ل أ ك) والمألَكة: الرسالة، وألكني إلى فلان؛ أي: بلغه عني، والمألَك: الملك؛ لأنه يبلغ عن الله تعالى، وقال بعض المحققين: الملك من الملك. قال: والمتولي من الملائكة شيئاً من السياسات يقال له مَلَك، ومن البشر مَلِك. يراجع: بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي: 524/4.
 - (2) قال ابن عقيل: "إنما سمي الجن جناً؛ لاستجنانهم واستتارهم عن العيون منه سمي الجنين جنيناً والجنة للحرب جنة لسترها والمجن مجناً لستره للمقاتل في الحرب وليس يلزم بأن ينتقص هذا بالملائكة؛ لأن الأسماء المشتقة لا تناقض ألا ترى أن الخابئة سميت بذلك لاشتقاقها من الخبي وأنه يخبأ فيها ولا يقال يبطل بالصندوق فإنه يخبأ فيه ولا يسمى صندوقاً والشياطين، العصاة من الجن وهم ولد إبليس والمردة أعتاهم وأغواهم وهم أعوان إبليس ينفذون بين يديه في الأغواء كأعوان الشياطين قال الجوهرى كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان" يراجع: أكام المرجان في أحكام الجانة، محمد بن عبد الله الشبلي دمشقي الحنفي، أبو عبد الله، بدر الدين ابن تقي الدين (المتوفى: 769هـ) المحقق: إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن - مصر - القاهرة، ص22، 23.
 - (3) مختصر تفسير ابن كثير (تحقيق) محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، الطبعة: السابعة، 1402هـ - 1981م، 2 / 423.
 - (4) عالم الملائكة الأبرار، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة: الثالثة، 1403 هـ - 1983 م، ص10.

المبحث الأول: اختفاء الملائكة عن بصر العباد وأثر ذلك على المعتقد الإنساني.

المبحث الثاني: الجن وطبيعة اختفائهم عن أكثر الناس دون الخاصة منهم.
المبحث الثالث: اعتقاد العبد بوجود الملائكة والجن حوله وأثر ذلك على سلوكه.

المبحث الأول الملائكة وطبيعة اختفائهم عن أكثر الناس دون الخاصة منهم

اختفاء الملائكة عن بصر العباد

إن هذه القضية من القضايا المطروحة على الساحة وذلك لما لها من أثر بالغ على المعتقد الإنساني ومن ثم فقد جعل الله على كل إنسان ملائكة حافظين له، ومع ذلك فإنه لا يراهم يقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾⁽¹⁾ "هم الملائكة الذين يكتبون الأعمال. وقد خُوفهم برؤية الملائكة وكتابتهم الأعمال لتقاصر حشمتهم من اطلاع الحق، ولو علموا ذلك حق العلم لكان توقُّعهم عن المخالفات لرؤيته - سبحانه، واستحيائهم من اطلاع - أتم من رؤية الملائكة"⁽²⁾، ومن هنا فإن الإنسان قد وكل الله به ملائكة يحفظونه من كل مكروه وسوء ومع ذلك يشهدون له بالخير والبر وسائر أفعال الخير، وأيضًا يسجلون عليه سائر أفعاله سواء أكانت خيرة أم شريرة، صالحة كانت أم طالحة، وعلى ذلك فالإنسان لا يراهم على صورتهم التي جُبلوا عليها، وقد وردت عدة إشكالات على عدم رؤيتهم سوف نعرضها في السطور القادمة ثم الرد عليها من خلال أقوال أهل العلم.

الإشكالات التي ترد على عدم رؤية الملائكة والرد عليها

هناك عدة اعتراضات على عدم رؤية الملائكة وقد أوردها الشيخ سعد الدين

التفتازاني وهي:

(1) سورة المطففين الآية: 10.
(2) لطائف الإشارات تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ) تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر الطبعة: الثالثة، 3 / 698.

الاعتراض الأول: أن الملائكة والجن والشياطين إن كانت أجساماً ممتزجة من العناصر يجب أن تكون مرئية لكل سليم الحس كسائر المركبات وإلا لجاز أن يكون بحضرتنا جبال شاهقة وأصوات هائلة لا نبصرها ولا نسمعها والعقل جازم ببطلان ذلك على ما هو شأن العلوم العادية وإن كانت غلبة اللطيف بحيث لا تجوز رؤية الممتزج يلزم أن لا يروا أصلاً وأن تتمزق أبدانهم وتتحل تراكيبهم بأدنى سبب، واللازم باطل بما تواتر من مشاهدة بعض الأنبياء والأولياء إياهم ومكالمتهم ومن بقائهم زماناً طويلاً مع هبوب الرياح العاصفة والدخول في المنافذ الضيقة وأيضا لو كانوا من المركبات المزاجية لكانت لهم صور نوعية وأمزجة مخصوصة تقتضي أشكالا مخصوصة كما في سائر الممتزجات فلا يتصور التشكل بالأشكال المختلفة⁽¹⁾.

ومعنى هذا الكلام أن الملائكة وإن كانت أجساماً فلا بد أن تُرى لكل سليم الحواس وإلا لجاز عدم رؤية الجبال الشاهقة رغم أنها أجسام، وهذا بديهي البطلان. "وحاصل الجواب منع⁽²⁾ الملازمات إما على القول (باستناد الممكنات إلى القادر المختار) فظاهر لجواز أن تخلق رؤيتهم في بعض الأبصار والأحوال دون البعض وأن يحفظ بالقدرة والإرادة تركيبهم وتبديل أشكالهم..، وإما على القول بالإيجاب فلجواز أن يكون فيهم من العنصر الكثيف ما يحصل معه الرؤية لبعض الأبصار دون البعض وفي بعض الأحوال دون البعض أو يظهر أحيانا في أجسام كثيفة هي بمنزلة الغشاء والجلباب⁽³⁾ لهم فيبصروا أن تكون نفوسهم أو

(1) شرح المقاصد في علم الكلام، للتفتازاني، 55/2.
(2) حقيقة المنع: طلب الدليل على ما يحتاج إلى الاستدلال وطلب التنبيه على ما يحتاج إليه، والذي يحتاج إلى الاستدلال هو التصديق النظري، والذي يحتاج إليه التنبيه هو التصديق البديهي الخفي، رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، الدكتور / محمد محيي الدين عبد الحميد، ص 51.
(3) (الجلباب) القميص والثوب المشتمل على الجسد كله والخمار وما يلبس فوق الثياب كالمحفة والملاءة تشتمل بها المرأة، وجمعه جلابيب، وهو ثوب يلزم ما يغطي به كأنه لاصق. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج 1، ص 128، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة: الأولى، 2010 م. باب (جلب) 327/1.

أمزجتهم أو صورهم النوعية تقتضي حفظ تركيبهم عن الانحلال وتبدل أشكالهم بحسب اختلاف الأوضاع والأحوال أو يكون فيهم من الفطنة والذكاء ما يعرفون به جهات هبوب الرياح وسائر أسباب انحلال التركيب فيحترزون عنها ويأوون إلى أماكن لا يلحقهم ضرر⁽¹⁾.

الاعتراض الثاني: كما يقول صاحب مفاتيح الغيب: "أن هؤلاء الملائكة إما أن يكونوا مركبين من الأجسام اللطيفة كالهواء والنسيم والنار، أو من الأجسام الغليظة، فإن كان الأول لزم أن تنتقض بنيتهم بأدنى سبب من هبوب الرياح الشديدة وإمرار اليد والكم والسوط في الهواء، وإن كان الثاني وجب أن نراهم إذ لو جاز أن يكونوا حاضرين ولا نراهم، لجاز أن يكون بحضرتنا شمس وأقمار وفيلات وبوقات، ونحن لا نراها ولا نسمعها وذلك دخول في التجاهل⁽²⁾".

والجواب على هذا الاعتراض: كما يقول التفتازاني: "بأنه يجوز أن تكون لطافتهم بمعنى الشفافية دون رقة القوام فلا يلائم ما يحكى عنهم من النفوذ في المنافذ الضيقة والظهور في ساعة واحدة في صور مختلفة بالصغر والكبر ونحو ذلك قال خاتمة يشير إلى ما ذهب إليه بعض المتألهين من الحكماء ونسب إلى القدماء من أن بين عالمي المحسوس والمعقول واسطة يسمى عالم المثل ليس في مجرد المجردات ولا في مخالطة الماديات وفيه لكل موجود من المجردات والأجسام والأعراض حتى الحركات والسكنات والأوضاع والهيئات والطعوم والروائح مثال قائم بذاته معلق لا في مادة ومحل يظهر للحس بمعونة مظهر كالمرآة والخيال والماء والهواء ونحو ذلك وقد ينتقل من مظهر إلى مظهر وقد يبطل كما إذا فسدت المرآة والخيال أو زالت المقابلة أو التخييل وبالجمله هو عالم عظيم الفسحة غير متناه يحذو حذو العالم الحسي في دوام حركة أفلاكه المثالية وقبول عناصره

(1) شرح المقاصد في علم الكلام، للتفتازاني، 55/2.

(2) التفسير الكبير- للرازي، 78/31.

ومركباته آثار حركات أفلاكه وإشراقات العالم العقلي وهذا العالم تكون الملائكة والجن والشياطين والغيلان لكونها من قبيل المثل أو النفوس الناطقة المفارقة الظاهرة فيها وبه تظهر المجردات في صور مختلفة بالحسن والقبح واللطافة والكثافة وغير ذلك بحسب استعداد القابل والفاعل، وعليه بنوا أمر المعاد الجسماني فإن البدن المثالي الذي تتصرف فيه النفس حكمه حكم البدن⁽¹⁾.

الاعتراض الثالث: قالوا هلا أرسل ملكًا فإنَّ الملائكة إليه أقرب ومن الشك فيهم أبعد والآدميون يحبون الرياسة على جنسهم فيوقع هذا شكًا⁽²⁾، وعلى هذا فإنهم يطلبون أن يرسل الله إليهم ملكًا، وذلك ليشاهدوه بأعينهم وهذا يدل على جهلهم بالله تعالى وعدم معرفتهم أن كل شيء بالنسبة للذات الإلهية في حيز الإمكان.

والجواب على هذا الاعتراض من عدة وجوه:

الأول: أن في قوى الملائكة قلب الجبال والصخور فلا يمكن إظهار معجزة تدل على صدقهم لأن المعجزة ما خرقت العادة وهذه العادة الملائكة وإنما المعجزات الظاهرة ما ظهرت على يد بشر ضعيف ليكون دليلًا على صدقه.

والثاني: أن الجنس⁽³⁾ إلى الجنس أميل فصح أن يرسل إليهم من جنسهم؛ لئلا ينفروا وليعقلوا عنه ثم تخصيص ذلك الجنس بما عجز عنه دليل على صدقه. **والثالث:** أنه ليس في قوى البشر رؤية الملك وإنما الله تعالى يقوي الأنبياء بما يرزقهم من إدراك الملائكة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ

رَجُلًا ﴿⁽⁴⁾ أي لينظروا إليه ويأمنوا به ويفهموا عنه ثم قال: ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا

(1) شرح المقاصد في علم الكلام، للتفتازاني، 56/2.
(2) تلبس إبليس؛ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ / 2001م، 1 / 61.
(3) فالجنس يرسم بأنه كلي يحمل على أشياء مختلفة الذوات والحقائق في جواب ما هو، يراجع، معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، عام النشر: 1961 م، 1 / 106.
(4) سورة الأنعام من الآية: 9.

يَلْبِسُونَ ﴿١﴾ أي لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدرون أملك هو أم آدمي^(٢).

ومن خلال ما سبق نرى: أن الملائكة الذين خلقهم الله تعالى من النور فإن البشر لا يرونهم وذلك؛ لأن قدرة الإنسان لا تتحمل رؤيتهم، أما الأنبياء والرسل فليس لديهم القدرة على رؤيتهم على الحقيقة وإنما يرسل الله تعالى الملائكة في صورة رجال أو ما شابه ذلك^(٣) هذا بالنسبة للأنبياء عدا سيد البشر (ﷺ) كان يرى جبريل على صور متعددة "ولما كانت الملائكة أجساماً نورانية لطيفة، فإن العباد لا يستطيعون رؤيتهم، خاصة أن الله لم يعط أبصارنا القدرة على هذه الرؤية. ولم ير الملائكة في صورهم الحقيقية من هذه الأمة إلا الرسول (ﷺ)، فإنه رأى جبريل مرتين في صورته التي خلقه الله عليها، وقد دلت النصوص على أن البشر يستطيعون رؤية الملائكة، إذا تمثل الملائكة في صورة بشر^(٤).

رؤية النبي (ﷺ) لسيدنا جبريل

لقد دلت النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة على أن سيدنا محمداً (ﷺ) رأى جبريل (عليه السلام) مرتين، من هذه الآيات قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾^(٥). يقول صاحب الكشف "ولقد رأى رسول الله (ﷺ) جبريل بالأفق المبين بمطلع الشمس الأعلى وما هو وما محمد على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل والوحي إليه وغير ذلك بضنين بمتهم من الظنة^(٦).

(1) سورة الأنعام من الآية: 9.

(2) تلبس إبليس، لابن الجوزي، 1 / 62.

(3) الآية التي تشير إلى ذلك قول الله تعالى ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا

يَلْبِسُونَ ﴿سورة الأنعام الآية: 9﴾.

(4) عالم الملائكة الأبرار، عمر الأشقر 3 / 10.

(5) سورة التكوين الآية: 23.

(6) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، 4 / 713.

صورته الملكية

إن صورة سيدنا جبريل على حقيقته يصورها لنا الرسول (ﷺ) في الحديث الذي يرويه لنا الإمام مسلم من حديث عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) ((أن النبي (ﷺ) رأى جبريلَ لَهُ سِتْمَانَةَ جَنَاحٍ))⁽¹⁾.

وأيضاً رواية سيدنا جابر الأنصاري وكان من أصحاب رسول الله (ﷺ) كان يحدث، قال: قال رسول الله (ﷺ) وهو يحدث عن فترة الوحي -قال في حديثه:- "قَبِينَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِزَاءٍ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ"، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "فَجِئْتُ⁽²⁾ مِنْهُ فَرَقًّا، فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَذَثَرُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ ۖ قُفِّ فَإِنَّكَ فَكِيْرٌ ۚ وَرَبِّكَ فَكِيْرٌ ۚ﴾⁽³⁾ وَتَبَارَكَ فَطَهَّرَ⁽⁴⁾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ⁽⁵⁾ وَهِيَ الْأَوْثَانُ" قَالَ: "ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ"⁽⁶⁾.

هل يمكن للبشر رؤية الملائكة والاتصال بهم؟

إن رؤية الملائكة من الأمور التي لا يقدر عليها البشر عموماً لما في طبيعتهم من عدم تحمل هذا الأمر؛ لأنه يحتاج إلى قوة نفسية وجسمية لتحمله، فالرسول (ﷺ) بالرغم من أن الله تعالى أعطاه قوة نفسية وجسمية كانت ترجف بواده⁽⁵⁾ وكان يعاني من نزول الوحي عليه، ففي صحيح البخاري من حديث

(1) الحديث رواه الإمام مسلم، كتاب الإيمان باب ﴿وَلَقَدْ رَءَا نَزْلَةً أُخْرَى﴾ حديث رقم (174) 1 / 157.
(2) جاث أبو زيد: جاث البعير يجاث جاثاً، وهي مشيته موقراً حملاً. وقد جث الرجل، إذا أفزع، فهو مجزوث، أي مذعور، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393 هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م، 1 / 277.
(3) سورة المدثر الآيات: 1-5.

(4) الحديث رواه الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، حديث رقم (161) 1 / 134.
(5) يقول الإمام النووي: "(ترجف بواده) بفتح الباء الموحدة ومعنى ترجف ترعد وتضطرب وأصله شدة الحركة قال أبو عبيد وسائر أهل اللغة والغريب وهي اللحمة التي بين المنكب والعنق تضطرب

عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها)، أن الحارث بن هشام (رضي الله عنه) سأل رسول الله (ﷺ) فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلَافَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ فَيُفْصِمُ⁽¹⁾ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ قَالَتْ عَائِشَةُ (رضي الله عنها) وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيُفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَقَصَّدُ⁽²⁾ عِرْقًا⁽³⁾.

ونزول الملك على الرسول وما يترتب عليه من آثار حتى كاد النبي (ﷺ) يهيم بشدة وقعه وعظم تأثيره وذلك؛ لأنه ينزل بالقرآن على قلب النبي (ﷺ) فينطوي الله تعالى شرحه وتيسيره، "وكان ينزل على النبي (ﷺ) في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه الوحي وهو يتقصّد عرقاً، وكان يكاد يهيم بشدة وقعه وعظم تأثيره حتى يكاد يلقي بنفسه من شاهق الجبل، وأي قلب يحتمل وصدر يتسع لكلام الله العظيم، ينزل به عليه الروح الأمين، إذا لم يتول سبحانه بفضل شرحه وإعانتته على حملة"⁽⁴⁾، ومن هنا فإن عالم الملائكة الخفي لا يستطيع البشر رؤيتهم ومع ذلك فإن هناك اتصال بين عالم الملائكة الخفي، وبين الإنسان هذا الاتصال له أثر في عقيدة الإنسان وفي سلوكه وأخلاقه.

عند فزع الإنسان، يراجع: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1329هـ، 200 / 2.

(1) يقال: فصم وما قصم. وانفصمت الدرة: انصدعت ناحية منها. وإذا انصدع الجدار قيل: قد فصم، وفي الجدار فصمة. وتقول: به داء يفصم، ولا يفصم؛ أي لا يقلع. يراجع: أساس البلاغة، للزمخشري، 25 / 2.

(2) (تقصّد) الدم سال جاء يتقصّد جبينه عرقاً يريدون يتقصّد عرق جبينه (الفاصدان) موضع جريان الدموع على الوجه، يراجع: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 690/2، وتهذيب اللغة محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م، 104 / 12، وكتاب العين، للرازي، 315/8.

(3) الحديث رواه الإمام البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (ﷺ)؟ حديث رقم (2) 6 / 1 وأخرجه مسلم في الفضائل باب طيب عرق النبي (ﷺ) في البرد وحين يأتيه الوحي رقم 2333.

(4) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) 269 / 8.

اتصال العالم الملائكي بالعالم البشري

الناظر إلى عالم الملائكة يجد أن هناك اتصالاً بين العالمين المرئي والغير مرئي وهذا دليل على أن العالم البشري وإن كان بينه وبين الملائكة الكرام علاقة اتصال إلا أن عالم الإنس لا يرون الملائكة وهذا الاتصال من نواحي متعددة هي:

1. رهبة لقاء الملائكة:

لقد أخبرنا القرآن الكريم عن لقاء الملائكة بسيدنا إبراهيم حينما دخلوا عليه، فأنكرهم وأوجس منهم خيفة، يقول الله تعالى عن هذا الحوار ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَرُوهُ بَعْلَمَ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ (١) يقول الإمام القرطبي "أي أحس منهم في نفسه خوفاً. وقيل: أضمر لما لم يتحرموا بطعامه. ومن أخلاق الناس: أن من تحرم بطعام إنسان أمنه. وقال عمرو بن دينار: قالت الملائكة لا نأكل إلا بالثمن. قال: كلوا وأدوا ثمنه. قالوا: وما ثمنه؟ قال: تسمون الله إذا أكلتم وتحمدونه إذا فرغتم. فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: لهذا اتخذك الله خليلاً. ولما رأوا ما بإبراهيم من الخوف ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ (٢) وأعلموه أنهم ملائكة الله ورسله" (٣)، وأيضاً حكاية السيدة مريم -عليها السلام- كما صورها لنا القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ (٤).

يقول الإمام السيوطي "فبينما هي جالسة في منزلها إذا رجل قائم بين يديها

(1) سورة الذاريات الآيات: 24 - 28.

(2) سورة الذاريات من الآية: 28.

(3) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، 17 / 46.

(4) سورة مريم، الأيتان: 18، 19.

قد هتك الحجب فلما أن رآته قالت: ﴿قَالَ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾⁽¹⁾ قال فلما ذكرت الرحمن فزع جبريل (عليه السلام) قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾⁽²⁾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾⁽³⁾ فنفخ في جيبها جبريل فحملت حتى إذا أثقلت وجعت ما يجع⁽⁴⁾ النساء وكانت في بيت النبوة فاستحيت وهربت حياء من قومها فأخذت نحو المشرق وأخذ قومها في طلبها فجعلوا يسألون رأيتم فتاة كذا وكذا فلا يخبرهم أحد⁽⁵⁾ ومن هنا فإن الملائكة يتشكلون بأشكال مختلفة، وعند رؤيتهم فإن الأنبياء والصالحين من عباد الله تعالى يحدث لهم رعب وقلق، وهذا ما حدث للخليل، عندما رآهم لا يأكلون عندئذ خاف منهم، وأيضا السيدة مريم البتول عندما رأت سيدنا جبريل الأمين استعاذت بالله تعالى وعندئذ علمت أنه رسول من عند الله تعالى.

2. عدم رؤية المحتضر (ملك الموت) [وانعكاس ذلك من انفعالات]

إن رؤية ملك الموت أمر لا يتحمله البشر إلا الأنبياء فقد جاء ملك الموت لسيدنا موسى⁽⁶⁾ مرة وعندما رآه صكه في وجهه، كما ذكر البخاري في صحيحه،

(1) سورة مريم، الآية: 18.

(2) سورة مريم الآية: 19.

(3) سورة مريم من الآية: 21.

(4) وجع يجع. وتوجعت لفلان إذا رثيت له من مكروه نزل به. ويقال: أوجعت فلانا ضربا، وضربته ضربا وجيعا، ويوجعني رأسي. عيج: العيج: شبه الاكتراث للشيء والإقبال عليه. تقول: عجت به يعيج عيجا، ولو قيل: عيجوجة لكان صوابا، وما عجت بقوله: لم أكرث. قال فما رأيت لها شيئا أعيج به، يراجع: كتاب العين، 2 / 186.

(5) الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) دار الفكر - بيروت، 5 / 498.

(6) ذكر الإمام البخاري في صحيحه أن سيدنا موسى رأى ملك الموت " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: " أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أُرْسَلْتُنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، فَزَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَنْ ثَوْرَ فَلَهُ بِكُلِّ مَا عَطَتْ بِهِ يَدُهُ كُلُّ شَعْرَةٍ سَنَةً، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، ثُمَّ مَازَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآن، فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ "، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الْكُتَيْبِ الْأَحْمَرِ» قال وأخبرنا معمر، عن همام، حدثنا أبو هريرة، عن النبي (ﷺ) نحوه " الحديث أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى، رقم الحديث (3407) 4 / 157.

ومن هنا فإن الميت إذا رأى ملك الموت على حقيقته فإنه يصعق من رؤيته أي على صورته الملائكية، ولكن رؤيته تختلف من شخص لآخر. فالمؤمن إذا دنا أجله كما ذكر الإمام أحمد في مسنده وغيره من حديث البراء بن عازب: ((إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بَيَاضُ وُجُوهِهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ (عليه السلام)، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ: "فَتَخْرُجُ نَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّيْقَاءِ..." (1)).

وإذا كان ملك الموت يبشر المؤمن عند احتضاره بالمغفرة ورضوان الله تعالى عليه، فإنه أيضاً يبشر الكافر بسخط الله عليه وغضبه. يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ وَذُفُّوا عَذَابُ الْحَرِيقِ ٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لَاعِيدٍ ﴿٥١﴾ (2)، يقول ابن كثير: "وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتنفرك روحه في جسده، وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم" (3).

ومن هنا فإن البشر لا يرون الملائكة على طبيعتهم؛ لأن الصورة البشرية لا تتحمل رؤية الملك في هذه الدار، "وأبلغ وأكفى من ذلك كله قول الله (ﷻ): ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ٨٣ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا

(1) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" (499/30) (18534)، وأخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" كتاب "الجنائز" باب: في نفس المؤمن كيف تخرج ونفس الكافر؟ (54/3) (12059)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (610/1) (396) كلهم من حديث البراء بن عازب (ﷺ). وأورده المنذري في "الترغيب والترهيب" (196/4) ط: دار الكتب العلمية بيروت، وقال: رواه محتج بهم في الصحيح. وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (50/3) ط: مكتبة القدسي - القاهرة: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(2) سورة الأنفال الآية 50، 51.

(3) تفسير القرآن العظيم، 3 / 302.

تُبْصِرُونَ ﴿١﴾ أي أقرب إليه بملائكتنا ورسلنا ولكنكم لا ترونهم فهذا أول الأمر وهو غير مرئي لنا ولا مشاهد وهو في هذه الدار، ثم يمد الملك يده إلى الروح فيقبضها ويخاطبها والحاضرون لا يرونه ولا يسمعونهم ثم تخرج فيخرج لها نور مثل شعاع الشمس ورائحة أطيب من رائحة المسك والحاضرون لا يرون ذلك ولا يشمونهم ثم تصعد بين سماطين⁽²⁾ من الملائكة والحاضرون لا يرونهم⁽³⁾.

إن من نعم الله تعالى على خلقه أن جعل عالم الملائكة في خفاء؛ وذلك لعدم تحمل قدرة البشر لرؤيتهم؛ لأن الطاقة البشرية تختلف تماما عن الطاقة الملائكية؛ وذلك لاختلاف الطبيعتين أي طبيعة الملائكة وطبيعة البشر، فالملائكة خلقوا من نور، والبشر خلقوا من طين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن جهاز الإبصار عند البشر له قوة في الإدراك لا يتعداها وهذا من رحمة الله تعالى لعباده، لذلك فإن رسول الله ﷺ عندما تعرض له أمين الوحي في الغار فقد تقصد عرفاً من رؤيته.

الآثار المترتبة على عدم رؤية الإنسان للملائكة

- 1- أنهم إذا شاهدوا الملك زهقت أرواحهم من هول ما يشهدون⁽⁴⁾.
- 2- الملائكة خلقوا من النور⁽⁵⁾ فلو رأيناهم أطارت أرواحنا وأنفسنا⁽⁶⁾.
- 3- عدم بقاء البشر عند رؤيتهم ولذلك "فإنهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في

(1) سورة الواقعة، الآيات: 83 - 85.
(2) السماط: الجماعة من الناس والنحل، والمراد في الحديث الجماعة الذين كانوا جلوسا عن جانبيه. وسماط الوادي: ما بين صدره ومنتهاه. وسمط الرمل: حبله، لسان العرب، 325/7.
(3) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): دار الكتب العلمية - بيروت، 65 / 1.
(4) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، 486 / 12.
(5) لقد بين النبي ﷺ المادة التي خلق الله منها الملائكة وهي النور، فقد روي مسلم في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) عن النبي ﷺ أنه قال: "خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ" الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب في خلق الملائكة والجان وآد، حديث رقم (2996) ج 8، ص 226.
(6) بحر الكلام، للإمام أبي المعين ميمون بن محمد النسفي، المتوفى سنة 508هـ، دراسة وتحقيق، محمد السيد البرسيجي، الطبعة الأولى، 1435هـ، 2014م، ص 186.

صورهم وللبسنا عليهم إذا رأوا الملك في صورة إنسان: هذا إنسان وليس بملك" (1).

4- طبيعتهم المختلفة عن طبيعة الإنس فيها دلالة على طلاقة القدرة الإلهية في تنوع المخلوقات خاصة النورانية لذا فهم "أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة في أشكال حسنة شأنها الطاعة ومسكنها السموات غالباً، ومنهم من يسكن الأرض ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾ (2) ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (3) وإذا كان الإنسان لا يستطيع مشاهدتهم على صورتهم الحقيقية لما في ذلك من اختلاف الطبيعتين، فإنه بالتالي لا يستطيع أن يشاهد عالم الجن الخفي على صورته أيضاً التي خلقه الله عليها.

(1) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، 2 / 8

(2) سورة الأنبياء آية: 20.

(3) سورة التحريم من الآية: 6. ويراجع: حاشيته البيجوري، على الجوهرة، ص 217، 218. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، 306 / 6.

المبحث الثاني

الجن وطبيعة اختفائهم عن أكثر الناس دون الخاصة منهم

عالم الجن في الفكر الإسلامي

من المعلوم لدى الدارسين أن عالم الجن يقابل عالم الإنس، ومن ثم "لا يلزم من وجودهم وجود أمور مستحيلة لازمة على وجودهم؛ بل إنهم من عجائب المقدورات التي أنشأها الله تعالى من العدم؛ لأن القدرة والإرادة الأزليتين ليستا عاجزتين عن وجود هذا العالم الخفي كما لا يلزم أيضًا على وجودهم إبطال قاعدة من قواعد العقل المعروفة عند المتكلمين⁽¹⁾.

"ومن أحاط معرفة بعجائب المقدورات وما خلق الله من السماوات والأرض وما بينهما من العجائب والغرائب علم أن خلق الجن مما ليس بمحال بنفسه، ولا القدرة الأزلية قاصرة عنه، ولا أنه مما يلزم عنه إبطال قاعدة من القواعد العقلية ولا هدم أصل من الأصول الدينية فلم يستدع وجود الجن والعمل بظواهر الأدلة السمعية من غير تأويل⁽²⁾، وغاية ما فيه وجود أشخاص بيننا لا نراهم، وليس ذلك مما يمنع من وجودهم وإلا لزم منه امتناع وجود الملائكة والحفظة الكاتبين، وهو خلاف مذهب المسلمين وأرباب الشرائع ثم نقول: خروج الشيء عن الوهم الذي هو نتيجة الحس مما لا يوجب استحالة ثبوته عند قيام الدليل على ثبوته، فإن

(1) القواعد العقلية وهي التي أقام عليها الشيخ إبراهيم اللقاني عقيدته، نذكر منها على الخصوص:

1 - برهان حدوث العالم. 2 - برهان بطلان الدور. 3 - برهان بطلان التسلسل.

4 - برهان بطلان الترجيح بل مرجح.

5 - دلالة الالتزام. وبعض هذه القواعد أصلية كقاعدة "نفي الأعم يستلزم نفي الأخص، لكن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، والبعض الآخر هي قواعد تطبيقية لأحكام العقل من الواجب والمستحيل والممكن، يراجع: عمدة المرید لجوهرة التوحيد المسمى الشرح الكبير، برهان الدين إبراهيم المصري المالكي اللقاني، دار الكتب العلمية، 2015م، 1/ 41-42.

(2) والتأويل كما يقول ابن رشد الحفيد، هو: إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازة من غير أن يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه أو بسببه أو لاحقه "أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء التي عدت، في تعريف أصناف الكلام المجازي، فصل المقال، ص 32.

العلم محيط بثبوت الروح في البدن وثبوت العقل فيه ووجود الجن والملائكة لثبوتهم بالدليل وإن كنا لم نعاينهم ومن يتبع الوهم فأول ما يلزمه إنكار ثبوت صانع ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض ولا قائم بناؤه بجهة من الجهات منا ولا اتصال له بنا، ولا انفصال له عنا، ويلزمه أن يخرج ثبوت الصانع عن العقل لخروجه عن الوهم، ويقول: إن ثبوته ليس بمعقول لا إنه ليس بموهوم، فمن أقر بثبوت الصانع اتباعا للدليل وإن لم يتقرر ذلك في الوهم يلزمه الإقرار بذلك اتباعا لما أقمنا من الدليل وإن لم يتصور ذلك في الوهم"⁽¹⁾.

ومن هنا فإن النص الصريح جاء في القرآن الكريم صريحا وواضحا يدل على وجود هذه القوة الخفية، وهذه القوة مخلوقة من مارج من نار⁽²⁾ وهذه الشعلة ذات اللهب الشديد قد خلق منها عالم الجن وأخبر عنه القرآن الكريم في نصوصه الصريحة التي لا تحتمل التأويل.

فمنذ أربعة عشر قرنا من الزمان أورد القرآن النص الصريح الذي دل على وجود الكائنات التي خلقت من نار، بل إن الآيات الشريفة قد أوردت في لفظ مختصر وآية قصيرة كل الحقائق العجيبة الخاصة بمادة هذه الكائنات وأوضحت تكوينها وذلك في النص القرآني ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾⁽³⁾ والمارج هو الشعلة التي تنبعث من المادة المشتعلة وتتميز بأنها أعلى درجة من الحرارة، وهي كذلك نار خالية من الدخان فهي بذلك واضحة، وهذا أدق وصف علمي، وأصدق

(1) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحنفي، 1/ 350.

(2) والمارج: الشعلة ذات اللهب الشديد، وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ [سورة الرحمن، الآية: 15]، قيل معناه: الخلط. وقيل معناه: الشعلة، ورجل مارج: يزيد في الحديث. وقد مرج الكذب يمرجه مرجا، يراجع: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى [ت: 458هـ] تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م، 7 / 423، تهذيب اللغة، 11 / 71، جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، 1 / 466.

(3) سورة الرحمن، الآية: 15.

تعبير عملي يمكن أن يطلق على مادة هذه الكائنات التي يقرر العلم وجودها من مادة ذات درجة حرارة عالية" (1)

إن عالم الجن موجود ولا يترتب على وجودهم أمر مستحيل بل إن العقل لا يستبعد وجودهم فهم كعالم الإنس والملائكة دل على وجودهم الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة (2).

- (1) عالم الجن والملائكة، عبد الرازق نوفل، دار الكتاب العربي، 1990م. ص15.
- (2) لقد ذكر القرآن الكريم عالم الإنس وعالم الجن في أكثر من موضع، ومن الآيات التي ذكر فيها عالم الجن مع عالم الإنس قول الله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ} [سورة الأنعام، الآية: 112]، وقوله تعالى: {يَمَعَشِرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُزِدُّونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا سُورَةُ الْأَنْعَامِ: 130}، وقوله تعالى: {وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} [سورة النمل الآية: 17]، وقوله تعالى أيضا حكاية عن سليمان مع عالم الجن ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ ابْنُ رِيَّةٍ وَمِنْ بَرِجٍ مِنْهُمْ عَنْ مَرْيَدَاتِهِ مَن عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [سورة سبأ، جزء من الآية: 12]، وقوله تعالى: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ} [سورة الرحمن، الأيتان: 14-15]، وقوله {سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ} [سورة الرحمن: 31]، وقوله {يَمَعَشِرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} [سورة الرحمن: 33]، وقوله {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ إِشْرُؤُا الْجَآنِ}، وغيرها من الآيات التي تثبت وجود هذا العالم الخفي الذي لا تراه العيون، ولا تدركه الأبصار، أما أدلة وجودهم من السنة نجد أن هناك أحاديث متواترة قد تحدثت عن عالم الجن فلقد ذكر الإمام البيهقي في كتابه دلائل النبوة ما رواه سعيد ابن جببر رواية عن ابن عباس قال: قال: "ما قرأ رسول الله (ﷺ) على الجن، وما رأيهم، انطلق رسول الله (ﷺ) في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله (ﷺ) وهو بنحلة عامدا إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك حين رجعوا إلى قومهم، قالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [سورة الجن الأيتان: 1، 2] فانزل الله (ﷻ) على نبيه ﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [سورة الجن، من الآية: 1]، وإنما أوحى إليه قول الجن " وهذا الذي حكاه عبد

يقول الإمام الجويني: "نحن قائلون بثبوتهم، وقد أنكرهم معظم المعتزلة، ودل إنكارهم إياهم على قلة مبالاتهم، وركاكة ديانتهم، فليس في إثباتهم مستحيل عقلي. وقد نصت نصوص الكتاب والسنة على إثباتهم. وحق اللبيب والمعتصم بحبل الدين، أن يثبت ما قضى العقل بجوازه، ونص الشرع على ثبوته. ولا يبقى لمن ينكر إبليس وجنوده، والشياطين المسخرين في زمن سليمان، كما أنبأ عنهم أي من كتاب الله تعالى لا يحصيها، مسكة في الدين، وعلاقة يتشبث بها"⁽¹⁾.

نعمة إخفاء عالم الجن عن أعين وبصر العباد

تتمثل نعمة الخفاء في أن عالم الجن لا يُرى فهل معنى ذلك أنه غير موجود؟ لا وإنما وجوده ظاهر وجلي ولكن لا تراه أبصارنا؛ لأن الله تعالى لم يخلق في أبصارنا قوة الإدراك وخلق في أعينهم هذه القوة التي من أجلها يبصروننا إنهم يرون عالم الإنس؛ لأنه تعالى خلق في عيونهم إدراكًا والإنس لا يرونهم لأنه تعالى لم يخلق هذا الإدراك في عيونهم، وقالت المعتزلة الوجه في أن الإنس لا يرون الجن رقة أجسام الجن ولطافتها والوجه في رؤية الجن للإنس كثافة أجسام الإنس والوجه في أن يرى بعض الجن بعضًا أن الله تعالى يقوي شعاع أبصار الجن ويزيد فيه ولو زاد الله في قوة أبصارنا لرأيناها كما يرى بعضنا بعضًا ولو أنه تعالى كثف أجسامهم وبقيت أبصارنا على هذه الحالة لرأيناها فعلى هذا كون الإنس

الله بن عباس؛ إنما هو في أول ما سمعت الجن قراءة النبي (ﷺ) وعلمت بحاله، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم، ولم يرههم، كما حكا، ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى، فذهب معه، وقرأ عليهم القرآن، كما حكاه عبد الله بن مسعود، ورأى آثارهم وأثار نيرانهم والله أعلم. الحديث أخرجه الإمام البخاري في "صحيحه" كتاب "تفسير القرآن الكريم"، باب: الجهر بقراءة صلاة الفجر (154/1) (773)، وأخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" كتاب "الصلاة"، باب: الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن (331/1) (449) من حديث عبد الله بن عباس (رضي الله عنه)، ويراجع: دلائل النبوة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) تحقيق: د. عبد المعطي قلججي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى - 1408هـ - 1988 م، باب ذكر إسلام الجن وما ظهر في ذلك من آيات المصطفى (ﷺ)، 225/2.

(1) الإرشاد، للإمام الجويني، ص131.

مبصرًا للجن موقوف عند المعتزلة إما على زيادة كثافة أجسام الجن أو على زيادة قوة أبصار الإنس⁽¹⁾. ومن هنا فإن كثافة أجسام الإنس هي التي جعلت الجن يبصروننا، ولو زاد الله في قوة أبصارنا لرأيناهم بشرط بقاء أبصارنا كما أنهم يبصروننا، ولكن هناك فارقًا كبيرًا بيننا وبينهم من حيث الخلقة.

"وقانون الجن أخف من قانون الإنس وذلك؛ لأن كل قانون يستمد مادته من مثله فالبشر مخلوقون من طين، وله مادة كثيفة هذا بخلاف عالم الجن فإن مادتهم التي خلقوا منها (النار)⁽²⁾ "فالمادة التي خلقت منها الجن وهي النار أقوى أثرًا على المواد الأخرى لاسيما مادة خلق العالم المرئي الذي نعيش فيه من كائنات حية وعلى رأسها الإنسان وتأثيرها عليها أشد من تأثير مادة الإنسان عليها، فالنار غالبا أشد أثرًا في الطين من أثر الطين على النار، والطين هو المادة التي تتكون من عناصر التراب والتي تثبت بالتحاليل أنها تكون جسم الإنسان والنبات والحيوان بل إن كل ما في عالمنا هذا إنما يتكون من بعض أو كل عناصر هذا التراب"⁽³⁾.

والجن له خفة في انتقاله من مكان إلى آخر هذا بخلاف الإنس وذلك؛ لأن كل جنس يستمد من مادة تكوينه، فالإنسان مخلوق من طين، والجان مخلوق من مارج من نار⁽⁴⁾ فكل واحد مادته التي خلق منها. فمادة الجن مادة هوائية بينما

(1) مفاتيح الغيب للرازي، 45 / 14.

(2) النار: هي جوهر لطيف محترق. التعريفات، الجرجاني 1 / 239.

(3) عالم الجن والملائكة، عبد الرازق نوفل، ص 17.

(4) والجن ليسوا من الملائكة لوجوه ثلاثة: الأول: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ

إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَرَبُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾

[سورة سبأ، الآيتان: 40-41]. وذلك يدل على أن الجن من غير جنس الملائكة.

الثاني: هو أن إبليس له ذرية على ما قال- تعالى:- ﴿فَنَسَخْنَاهُ مِنْ دُونِ آلِهِمْ وَدُرَيْتَهُ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ﴾ [سورة

الكهف، من الآية: 50] والملائكة لا ذرية لهم، لأن الذرية لا تكون إلا من ذكر، وأنثى.

والملائكة لا إناث فيهم بدليل قوله- تعالى:- ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾

مادة الإنس مادة ثقيلة وكثيفة.

فقانون الجن أنه يرى الإنسان، وهو لا يراه، وقانونه أخف من قانون الإنسان؛ لأن كل جنس يستمد قانونه من جرثومة⁽¹⁾ تكوينه الأولى، فنحن البشر مخلوقون من طين. أي أن لنا مادية محسنة وكثيفة. والجن مخلوق من النار، والمخلوق من مادة الطين مثلنا النبات والحيوان، تفاحة مثلاً مخلوقة من مادة الطين لأنها أخذت عناصر غذائها وتكوينها من تربة الأرض وخصوبتها. هب أنها خلف جدار وأنت جالس. أيتعدى طعمها لك؟ أيتعدى رائحتها لك؟ أيتعدى لونها لك؟ لا، إذن فالجرمية المحيرة لا تجعلك تنتفع به. لكن هب أن ناراً موضوعة وراء الجدار، وبعد مضي مدة ستشعر بالحرارة، أي أن الحرارة قد نفذت. والجن له شفافية وله خفة في قانونه وفي انتقاله ولا توجد مثل هذه الشفافية والخفة للإنسان⁽²⁾.

ومن هنا فإن اختلاف المادة هي الفارق في عدم رؤيتنا لهم، وذلك؛ لأن أجسامهم رقيقة فقد يدخلون في أجسامنا ونحن لا ندري ولا نراهم "ويجوز أن يدخل الجن في الناس؛ لأن أجسام الجن أجسام رقيقة فليس بمستكر أن يدخلوا في جوف الإنسان من خروقه⁽³⁾ كما يدخل الماء والطعام في بطن الإنسان وهو أكثف من

[سورة الزخرف من الآية: 19]. بطريق الإنكار، والتهديد لقائله؛ لقوله- تعالى-: ﴿سَتَكُنُّ

شَهِدَتُهُمْ وَسُئِلُونَ﴾ [سورة الزخرف من الآية: 19].

الثالث: أن إبليس مخلوق من النار؛ لقوله- تعالى- حكاية عن قول إبليس: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ

وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [سورة الأعراف من الآية: 12] والملائكة مخلوقون من النور، يراجع:

أبكار الأفكار في أصول الدين، علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الأمدي (المتوفى: 631هـ) تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية

– القاهرة، الطبعة: الثانية / 1424 هـ - 2004 م، ج4، ص218.

(1) والجرثومة: التراب تسفيهه الريح يكون في أصول الشجر. وتجثم الرجل، إذا سقط من علو إلى سفلى. وتجثم الوحشي في وجاره، إذا تجمع فيه. والجرثومة: الأصل. وجثم: موضع. يراجع: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، 2/ 1132.

(2) تفسير الشعراوي، 2/ 2169.

(3) خرق: الخرق: الفرجة، وجمعه خروق؛ خرقه بخرقه [بخرقه] خرقة وخرقه واخترقه فتخرق وانخرق واخرورق، يكون ذلك في الثوب وغيره. التهذيب: الخرق الشق في الحائط والثوب ونحوه.

أجسام الجن وقد يكون الجنين في بطن أمه وهو أكثر جسمًا من الشيطان وليس بمستكثر أن يدخل الشيطان إلى جوف الإنسان⁽¹⁾.

والجن والشياطين مخلوقون من النار⁽²⁾ وهي عنصر شفاف، قابل للامتزاج مع غيره من العناصر الأخرى (كالتراب والهواء، والماء والنار) وهي الاسطقسات الأربعة⁽³⁾ المعروفة في الفكر الفلسفي لذلك فإن الجن والشياطين يدخلون في منافذ الإنسان وذلك عند امتزاجهم بهذه العناصر، لذلك يقول الشيخ السعد "ولكون الهواء والنار في غاية اللطافة والشفيف كانت الملائكة والجن والشياطين بحيث يدخلون المنافذ والمضائق حتى أجواف الإنسان ولا يرون بحس البصر إلا إذا اكتسبوا من الممتزجات الأخرى التي يغلب عليها الأرضية والمائية جلايب وغواشي فيرون في أبدان كأبدان الناس أو غيره من الحيوانات"⁽⁴⁾.

عدم رؤيتنا لعالم الجن هل يقتضي هذا عدم وجودهم؟

عدم رؤيتنا لعالم الجن لا يقتضي عدم رؤيتهم بالكلية؛ لأن تعليل الأشاعرة لعدم رؤيتنا هو أن الله تعالى لم يخلق في أعيننا قوة الإدراك على رؤية الجن وغيره

يقال: في ثوبه خرق وهو في الأصل مصدر. والخرقة: القطعة من خرق الثوب، والخرقة المزقة منه. وخرقت الثوب إذا شققته. ويقال للرجل المتمزق الثياب: منخرق السربال، يراجع: لسان العرب، 10 / 73.

- (1) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري 434/1.
- (2) فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) عن النبي (ﷺ) أنه قال: ((خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ)) الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب في خلق الملائكة والجنان، حديث رقم (2996) 8 / 226.
- (3) الأسطقس لفظ يوناني بمعنى الأصل ويرادفه العنصر، وجمعه إسطقسات، وهي عند القدماء العناصر الأربعة: الماء، والأرض، والهواء، والنار. سميت إسطقسات؛ لأنها أصول المركبات من المعادن، والنباتات، والحيوانات. والأسطقس عند القدماء قسم من الداخل؛ لأن الداخل باعتبار كونه جزءا يسمى ركنًا وباعتبار كونه بحيث ينتهي إليه التحليل يسمى إسطقسا، وباعتبار كونه قابلا للصورة المعينة يسمى مادة وهيولى، وباعتبار كون المركب مأخوذاً منه يسمى أصلا، وباعتبار كونه محلاً للصورة المعينة يسمى موضوعا وعلماء زماننا يجتنبون استعمال لفظ الإسطقسات ويستبدلون به لفظ الأصول أو العناصر، وهي المبادي أو الأجسام البسيطة، التي تتألف منها الأشياء المركبة المختلفة الطبائع، يراجع: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، 78/1.
- (4) شرح المقاصد في علم الكلام، للتفتازاني، 55 / 2.

مما خفي على الإنسان، يقول الإمام الألوسي مبينا التعليل عند الأشاعرة⁽¹⁾ في عدم الرؤية بأن الله تعالى لم يخلق في عيون الإنس قوة الإدراك لا يقتضي الاستحالة أيضًا لجواز أن يخلق الله تعالى في عين رسوله (ﷺ) الرائي له جل شأنه بعيني رأسه على الأصح ليلة المعراج تلك القوة فيراهم⁽²⁾ كما لا يلزم من خفاء عالم الجن وغيره من المخلوقات التي خلقها الله تعالى وأخفاها علينا لا يلزم من عدم رؤيتها عدم وجودها؛ لأن عدم العلم لا يكون علما بالمعدوم ولا يلزم من خفاء حكمة الله علينا عدمها، ولا من جهلنا انتقاء حكمته ألا ترى أن خفاء حكمة الله علينا في خلق الحيات والعقارب والفأر والحشرات، التي لا يعلم منها إلا المضرة: لم ينف أن يكون الله تعالى خالقا لها، ولا يلزم أن لا يكون فيها حكمة خفيت علينا؛ لأن عدم العلم لا يكون علما بالمعدوم⁽³⁾.

ونحن نشاهد ما في العالم من مستحدثات لها آثار عظيمة كلنا يشاهدها فهل من المعقول إنكارها دون أن نراها بأعيننا، فمثلا الكهرباء لا نراها على حقيقتها بل نشاهد آثارها فمن الجهل أن ينكر الإنسان أمورًا يدرك آثارها، " ولا يخفى أن

(1) يقول الإيجي في المقصد الثامن من كتاب المواقف: في أن أفعال الله تعالى ليست معللة بالأغراض إليه، ذهبت الأشاعرة وقالوا لا يجوز تعليل أفعاله تعالى بشيء من الأغراض والعلل الغائية ووافقهم على ذلك جهابذة الحكماء وطوائف الإلهيين وخالفهم فيه المعتزلة وذهبوا إلى وجوب تعليلها لنا في إثبات مذهبنا بعدما بينا من أنه لا يجب عليه تعالى شيء فلا يجب حينئذ أن يكون فعله معللا بغرض، ولا يقبح منه شيء فلا يقبح أن تخلو أفعاله عن الأغراض بالكلية وذلك يبطل مذهب المعتزلة وجهان يبطلان المذهبين معا أعني وجوب التعليل ووقوعه تفضلا أحدهما لو كان فعله تعالى لغرض من تحصيل مصلحة أو دفع مفسدة لكان هو ناقصا لذاته مستكملا بتحصيل ذلك الغرض لأنه لا يصلح غرضا للفاعل إلا ما هو أصلح له من عدمه وذلك لأن ما استوى وجوده وعدمه بالنظر إلى الفاعل أو كان وجوده مرجوحا بالقياس إليه لا يكون باعثا له على الفعل وسببا لإقدامه عليه بالضرورة فكل ما كان غرضا وجب أن يكون وجوده أصلح للفاعل وأليق به من عدمه وهو معنى الكمال فإذن يكون الفاعل مستكملا بوجوده وناقصا بدونه فإن قيل لا نسلم الملازمة لأن الغرض قد يكون عائدا إلى الفاعل فيلزم ما ذكرتم من النقصان والاستكمال وقد يكون عائدا إلى غيره فلا يلزم فليس يلزم من كونه تعالى فاعلا لغرض أن يكون من قبيل الأول إذ ليس كل من يفعل لغرض بفعل لغرض نفسه بل ذلك في حقه تعالى محال لتعاليه عن التضرر والانتفاع فتعين أن يكون غرضه راجعا إلى عبادته وهو الإحسان إليهم بتحصيل مصالحهم ودفع مفاسدهم ولا محذور في ذلك، يراجع: المواقف للإيجي: 3 / 296.

(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 4 / 345.

(3) شرح العقيدة الطحاوية، بن أبي العز الحنفي، 1 / 263.

عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود. فعدم إدراكنا لهذه الأرواح لا يدل على عدم وجودها. كما أن عدم معرفة القدماء للميكروبات وللكهرباء التي تشاهد الآن آثارها العظيمة، لم يكن يدل على عدم وجودها إذ ذاك في العالم. فمن الجهل الفاضح إنكار الشيء لعدم معرفته أو العثور عليه⁽¹⁾.

وقوة إدراك البصر للأشياء مقولة بالتشكيك⁽²⁾ فقد يدرك البصر غيره ولا يدرك نفسه، وقد لا يبصر ما هو وراء حجاب وقد يرى البصر الشيء وضده مثل الحركة مكان السكون والعكس وهذا في باب الإدراكات.

وبناء على ذلك "فإن نور بصر العين موسوم بأنواع النقصان: فإنه يبصر غيره ولا يبصر نفسه، ولا يبصر ما بُعد منه، ولا يبصر ما هو وراء حجاب. ويبصر من الأشياء ظاهرها دون باطنها؛ ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها. ويبصر أشياء متناهية ولا يبصر ما لا نهاية له. ويغلط كثيراً في إبطاره: فيرى الكبير صغيراً والبعيد قريباً والساكن متحركاً والمتحرك ساكناً. فهذه سبع نقائص لا تفارق العين الظاهرة. فإن كان في الأعين عين منزهة عن هذه النقائص كلها فليت شعري هل هو أولى باسم النور أم لا"⁽³⁾.

أخفى الله تعالى الجن عن أعين وبصر العباد وذلك؛ لأن أجسامهم رقيقة، فلو كانوا لنا قريبين منا لرأيناهم وذلك عند انتقاء الموانع، وأيضا حينما يقوى الله تعالى أبصارنا على رؤيتهم، وكذلك عندما تختلف الأجسام من حيث الكثافة وخفتها فإذا تحققت هذه الأمور فمن الممكن رؤيتهم. "فلو كانوا لنا مرئيين وإن كانوا بقرينا

(1) محاسن التأويل، للقاسمي 8/ 203.

(2) التشكيك بالأولوية: هو اختلاف الأفراد في الأولوية وعدمها، كالوجود، فإنه في الواجب أتم وأثبت منه وأقوى منه في الممكن، التشكيك بالتقدم والتأخر: هو أن يكون حصول معناه في بعضها متقدماً على حصوله في البعض، كالوجود أيضاً؛ فإن حصوله في الواجب قبل حصوله في الممكن. التشكيك بالشدّة والضعف: هو أن يكون حصول معناه في بعضها أشد من البعض، كالوجود أيضاً؛ فإنه في الواجب أشد من الممكن، يراجع: التعريفات، 1/ 57، وما بعدها.

(3) مشكاة الأنوار، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505 هـ) حققها وقدم لها: الدكتور أبو العلا عفيفي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1/ 43.

ولا حائل بيننا وبينهم بحيث يوسوسون إلينا وكانوا كثافاً لرأيانهم كما يرونا كما يرى بعضهم بعضاً وفي علمنا بخلاف ذلك من حالنا وحالهم دليل على صحة ما قلناه قال وقد ذكر شيوخنا أن الرقة أحد الموانع من رؤية المرئيات بشرط ضعف البصر كالبعد واللطافة ولهذا قالوا إنه يجوز أن نراهم إذا قوى الله تعالى شعاع أبصارنا كما يجوز أن نراهم لو كثف الله تعالى أجسامهم وعلى هذا الوجه يرى المعايين الملائكة دون من يحضره ويرونهم الأنبياء جميعاً ويرون الجن أيضاً دون غيرهم على أنهم لو كانوا كثافاً لحجز الجنى عن رؤية من بحضرتنا إذا تخلل فيما بيننا ويكون حكمه حكم الحائط وسائر الأجسام الكثيفة أنه متى كان ذلك بيننا وبين من يراه لو حجزها حجزت ومنعت عن رؤيته وفي وجداننا الأمر بخلاف ذلك في سائر الأوقات التي نجد الوسواس في قلوبنا على طريقة واحدة في أنه نرى ما بحضرتنا ما يحجز بيننا وبينه حائط وحاجز من بسائر الأجسام دلالة على صحة ما ذكرناه من رقة الأجسام"⁽¹⁾.

مدى إمكانية رؤيتهم:

إن رؤية الجن أمر ممكن وليس مستحيلاً، إذ لا يترتب عليه مخالفة قاعدة من القواعد العقلية فرؤيتهم أمر جائز، ولقد اختلفت آراء العلماء حول هذه المسألة ما بين مثبت لها، وبين من يجعلها خاصة بالأنبياء فقط.

مذاهب العلماء في مسألة رؤية الجن

يرى جمهور العلماء أن رؤية الجن جائزة، وذلك حينما يتشكلون في غير صورهم الأصلية وليست رؤيتهم لكل الناس وإنما هي للبعض فقط يقول الشيخ محمد رشيد رضا: "والجمهور على أن الجن تتشكل، وقال في موضع آخر

(1) آكام المرجان في أحكام الجن، محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقي، ص35.

"واختلفت فرق المسلمين في تشكلهم بالصور، فالجمهور يثبتونه"⁽¹⁾.

ثم يؤكد الإمام القرطبي هذا الرأي بالآثار المروية في هذا الشأن فيقول: "وقد جاء في رؤيتهم أخبار صحيحة. وقد خرج البخاري عن أبي هريرة قال: وكنت في رسول الله (ﷺ) بحفظ زكاة رمضان، وذكر قصة طويلة، ذكر فيها أنه أخذ الجني الذي كان يأخذ التمر، وأن النبي (ﷺ) قال له: ((مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟))⁽²⁾. وفي صحيح مسلم أن النبي (ﷺ) قال: ((وَاللَّهِ لَوْ لَادَعَوْهُ أَخِينَا سُلَيْمَانُ لَأَصْبَحَ مُؤْتَمًّا يَلْعَبُ بِهِ وَلَدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ))⁽³⁾. في العفريت الذي تقلت"⁽⁴⁾: ذكر لنا أنهم صرفوا إليه من نينوى⁽⁵⁾، قال: فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ (ﷺ)، قال: ((إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى الْجِنِّ، فَأَيُّكُمْ يَتَّبِعُنِي؟ فَأَطِرُقُوا، ثُمَّ اسْتَتَبَعَهُمْ فَأَطِرُقُوا، ثُمَّ اسْتَتَبَعَهُمُ الثَّالِثَةُ فَأَطِرُقُوا، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَذُو نَدْبَةٍ، فَأَتْبَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) شِعْبًا يُقَالُ لَهُ: "شِعْبُ الْحَجُونِ"⁽⁶⁾، وَخَطَّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ خَطًّا لِيُثَبِّتَهُ بِهِ، قَالَ: فَجَعَلَتْ تَهْوِي بِي وَأَرَى أَمْثَالَ النَّسُورِ تَمْشِي فِي دَفُوفِهَا، وَسَمِعْتُ لَعَطًا شَدِيدًا،

(1) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، 328 / 8.
(2) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب "الوكالة"، باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه (101/3)(2311)، وأخرجه النسائي في "سننه الكبرى" كتاب "عمل اليوم والليلة" باب: ذكر ما يكب العفريت ويطفئ شعلته (351/9) (10729) من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه).
(3) أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" كتاب "الصلاة" باب: جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة (1 / 385) (542)، وأخرجه النسائي في "سننه"، كتاب "السهو"، باب: لعن إبليس والتعوذ منه الصلاة (13/3) (1215)، وأخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" كتاب "الصلاة" باب: الرخصة في تناول المصلي الشيء عند الحادثة تحدث (50/2) (891) كلهم من حديث أبي الدرداء (رضي الله عنه).

(4) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، 187 / 7.
(5) وهم قوم يونس النبي (ﷺ) اجتمعوا بذلك التلّ وأظهروا التوبة وسألوا الله العفو، فتاب عليهم وكشف عنهم العذاب، وكان عليه هيكل للأصنام فهدموه وكسروا صنمهم، يراجع: معجم البلدان: 41 / 2.

(6) الحجون: مقبرة بمكة. وغزوة حجون، أي: بعيدة، يراجع: معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: 350هـ) تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، عام النشر: 1424هـ - 2003 م، 1 / 396، وتهذيب، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م، 92/4.

حَتَّى خِفْتُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ (ﷺ)، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا اللَّعْطُ الَّذِي سَمِعْتُ؟ قَالَ: "اجْتَمَعُوا إِلَيَّ فِي قَتِيلٍ كَانَ بَيْنَهُمْ، فَقَضَيْتُ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ" ((وذكر لنا أن ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا⁽¹⁾ من الزط⁽²⁾، فراعوه، قال: من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء نفر من الأعاجم، قال: ما أريت للذين قرأ عليهم النبي (ﷺ) الإسلام من الجن شبيها أدنى من هؤلاء))⁽³⁾.

الفريق الثاني: والذي اقتصر على جواز رؤية الجن للأنبياء فقط، والقائلين بهذا الجواز الإمام الشافعي، فلقد ذكر الإمام البيهقي هذه الرواية للإمام الشافعي فقال "قال عبد الرحمن بن أحمد المهدي: سمعت الربيع بن سليمان، يقول: سمعت الشافعي (رحمه الله)، يقول: "من زعم-: من أهل العدالة -: أنه يرى الجن أبطلت شهادته-: لأن الله (ﷻ) يقول: ﴿إِنَّهُ يَرْتَكِبُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾" (4) إلا: أن يكون نبيا⁽⁵⁾".

ومن القائلين بهذا الرأي أيضًا، ابن حزم الظاهري حيث قال: "وإذا أخبرنا الله (ﷻ) أننا لا نراهم فمن ادعى أنه يراهم أو رآهم فهو كاذب إلا أن يكون من الأنبياء فذلك معجزة لهم كما نصَّ رسول الله (ﷺ) ((أنه نقلت عليه الشَّيْطَان ليقطع عليه صلاته قَالَ فَأَخَذْتَهُ فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَصْبَحَ مَوْتًا يَرَاهُ

(1) الشمط: معروف شمط شمطا، وكل خليطين خلطتهما فقد شمطتهما، وهما شميظ. وبه سمي الصبح شميظا لاختلاطه بباقي سواد الليل "جمهرة اللغة: أبو بكر الأزدي 3/ 866.

(2) الزط: جبل أسود من السند إليهم تنسب الثياب الزطية، وقيل: الزط إعراب جت بالهندية، وهم جبل من أهل الهند. ابن الأعرابي: الزط والتط الكواسج، وقيل: الأزط المستوي الوجه، والأذط المعوج الفك. وفي بعض الأخبار: فخلق رأسه زطية، قيل: هو مثل الصليب كأنه فعل الزط، وهم جنس من السودان والهنود، والواحد زطي مثل الزنج والزنجي والروم والرومي، يراجع: لسان العرب، 3 / 308.

(3) أخرجه الطبري في "تفسيره" (166/21) قال: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، فذكره. بلفظه، وهذا حديث مرسل. قال الزيلعي في "تخريج أحاديث الكشاف" (289/3) ط: دار ابن خزيمة، الرياض - السعودية: وهو مرسل.

(4) سورة الأعراف من الآية: 27.

(5) أحكام القرآن للشافعي - جمع البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، قدم له: محمد زاهد الكوثري مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1414هـ - 1994 م، 7 / 187.

أهل المَدِينَة))⁽¹⁾ أو كما قال (عليه السلام) وكذلك في رواية عن أبي هريرة الذي رأى إنما هي معجزة لرسول الله (ﷺ) ولا سبيل إلى وجود خبر يصح برؤية جن بعد موت رسول الله (ﷺ) وإنما هي منقطعات أو عمن لا خير فيه⁽²⁾.

ومن القائلين بهذا الرأي أيضًا الإمام الألويسي فقال: "وعندي أنه لا مانع من رؤيته (ﷺ) للجن على صورهم التي خلقوا عليها فقد رأى جبرائيل (عليه السلام) بصورته الأصلية مرتين وليست رؤيتهم بأبعد من رؤيته. ورؤية كل موجود عندنا في حيز الإمكان⁽³⁾.

وعلى هذا فإن رؤية الجن كما ذكر الألويسي جائزة؛ لأن رؤية أي موجود في حيز الإمكان هذا بالنسبة لرؤية الأنبياء لعالم الجن فإن هذه الرؤية جائزة قياسًا على رؤية الرسول لسيدنا جبريل (عليه السلام) أكثر من مرة فإن رؤيتهم بالنسبة للأنبياء ليست ببعيدة هذا كما ذكره الإمام الألويسي في تفسيره.

الفريق الثالث: ويرى أصحابه أن رؤية الجن تكون لمن اختصهم الله بذلك من غير الأنبياء من البشر خاصة بعض الصحابة كما سنذكره.

الأدلة على هذا الرأي:

حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) - وذكر قصة طويلة - وفيها: أن الشيطان كان يأتيه على صورة رجل فقير، يحثو من الطعام، - قَالَ وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمْضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُه، وَقُلْتُ وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ). قَالَ إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَى عِيَالٍ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ. قَالَ فَخَلَّيْتُ

(1) أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" كتاب "الصلاة" باب: جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة (1 / 385) (542)، وأخرجه النسائي في "سننه"، كتاب "السهو"، باب: لعن إبليس والتعوذ منه الصلاة (13/3) (1215)، وأخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" كتاب "الصلاة" باب: الرخصة في تناول المصلي الشيء عند الحادثة تحدث (50/2) (891) كلهم من حديث أبي الدرداء (رضي الله عنه).

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ) مكتبة الخانجي - القاهرة. ص9.

(3) روح المعاني للألويسي، 4/ 345.

عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ». قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ». فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) إِنَّهُ سَيَعُودُ. فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْتُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ). قَالَ دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَى عِيَالٍ لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) - «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ». فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْتُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ. قَالَ دَعْنِي أَعْلَمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا. قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أُوتِيتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَافْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾⁽¹⁾ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ، يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ «مَا هِيَ». قُلْتُ قَالَ لِي إِذَا أُوتِيتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَافْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾⁽²⁾ وَقَالَ لِي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ. فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تَخَاطَبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ». قَالَ لَا. قَالَ «ذَلِكَ شَيْطَانٌ»⁽³⁾. وفي هذا الحديث إشارة إلى أن رؤية الجن ممكنة

(1) سورة البقرة من الآية: 255.

(2) سورة البقرة من الآية: 255.

(3) فيض الباري على صحيح البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً، 3 / 593، برقم (2311) فيض الباري على صحيح البخاري (أما لي) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (المتوفى: 1353هـ) المحقق: محمد بدر عالم الميرتشي، أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بداهيل (جمع الأمالي وحررها ووضع حاشية البدر الساري إلى فيض الباري) دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، وتحفة الأشراف، 344 / 10، برقم (14482)

للشعر، وليست مستحيلة عنهم.

"إن رؤية البشر للجن غير مستحيلة، والجن أجسام لطيفة والجسم، وإن لطف فذكره غير ممتنع أصلاً، وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَنكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾⁽¹⁾. فإن ذلك حكم الأعم الأغلب من أحوال بني آدم، امتحنهم بذلك وابتلاهم ليفزعوا إليه ويستعيزوا به من شرهم، ويطلبون الأمان من غائلتهم، ولا ينكر أن يكون حكم الخاص والنادر من المصطفين من عباده بخلاف ذلك، وقال الكرمانى: لا حاجة إلى هذا التأويل، إذ ليس في الآية ما ينفي رؤيتنا إياهم مطلقاً، إذ الاستفادة منها أن رؤيته إيانا مقيدة من هذه الحيثية، فلا نراهم في زمان رؤيتهم لنا قط، ويجوز رؤيتنا لهم في غير ذلك الوقت⁽²⁾.

ومن هنا فإن رؤية الجن بالنسبة للبشر جائزة وذلك حينما يتشكلون بصور غير الصور التي خلقوا عليها وقد ثبت ذلك بالأدلة النقلية المذكورة في هذا الشأن. يقول ابن بطال: "لكنه يراه سائر الناس إذا تشكل في غير شكله، كما تشكل الذي طعنه الأنصاري حين وجده في بيته على صورة حية، فقتله فمات الرجل به، فبين النبي ذلك بقوله: "إن بالمدينة جنا قد أسلموا، فإذا رأيتم من هذه الهوام شيئاً فأذنوه ثلاثاً، فإن بدا لكم فاقتلوه"⁽³⁾.

ومن هنا فإن رؤية الجن ليست مستحيلة ولا يترتب عليها مخالفة صريحة

(1) سورة الأعراف من الآية: 27.

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، 4/434.

(3) أخرجه الإمام مسلم، كتاب السلام، باب قتل الحيات، 4 / 1756، برقم (2236)، ورواه مالك، في كتاب الجامع، باب الحيات التي في البيوت وما يقال، 2 / 155، برقم (2056) إراجع: موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ) تحقيق: بشار عواد معروف - محمود خليل، مؤسسة الرسالة، سنة النشر: 1412هـ، والنسائي، باب عزاء الجاهلية، 1 / 593، برقم (972) عمل اليوم والليلة، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) تحقيق: د. فاروق حمادة: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1406 هـ، ومالك في موطأه، 5 / 1422، برقم (3581).

لنصوص الدين، وقد استدل جماعة من العلماء بهذه الآية ﴿إِنَّهُمْ يَرَبُّكُمُ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽¹⁾ على أن رؤيتهم غير ممكنة أي مستحيلة.

وقد ذكر ذلك الإمام الشوكاني حيث قال: "وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذه الآية على أن رؤية الشياطين غير ممكنة، وليس في الآية ما يدل على ذلك، وغاية ما فيها أنه يرانا من حيث لا نراه، وليس فيها أنا لا نراه أبدا، فإن انتفاء الرؤية منا له في وقت رؤيته لنا لا يستلزم انتفاءها مطلقا"⁽²⁾ ثم إن المقصود من الآية هو عدم رؤية الجن على صورتهم الأصلية، فإن نفي رؤيتنا لهم مقيد برؤيتهم لنا" فالمراد الأكثر الأغلب من أحوال بني آدم وتعبق بأن نفي رؤية الإنس للجن على هيئتهم ليس بقاطع من الآية بل ظاهرها أنه ممكن فإن نفي رؤيتنا إياهم مقيد بحال رؤيتهم لنا ولا ينفي إمكان رؤيتنا لهم في غير تلك الحالة"⁽³⁾.

وقدرة الجن على التشكل بصور مختلفة ليست من طبيعتهم، وإنما بتعليم الله للجن كلمات وضروب من الأفعال إذا قالها الجني، فإنه يتشكل بصور مختلفة، ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال في الصور وإنما يجوز أن يعلمهم الله تعالى كلمات وضربا من ضروب الأفعال إذا فعله وتكلم به نقله الله تعالى من صورة إلى صورة فيقال إنه قادر على التصوير والتخييل على معنى أنه قادر على قول إذا قاله وفعله نقله الله تعالى عن صورته إلى صورة أخرى يجري العادة وأما أنه يصور نفسه فذلك محال لأن انتقالها من صورة إلى صورة إنما يكون بنقض البنية وتفريق الأجزاء وإذا انتقضت بطلت الحياة

(1) سورة الأعراف، الآية: 27.

(2) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414هـ، 2/ 224.

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري، 6/ 459.

واستحال وقوع الفعل من الجملة وكيف تنقل نفسها القول في تشكيل الملائكة مثل ذلك قال والذي روى أن إبليس تصور في صورة سراقه بن مالك وأن جبريل تمثل في صورة دحية وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾⁽¹⁾ محمول على ما ذكرنا وهو أنه أقدره الله تعالى على قول قاله فنقله الله تعالى من صورته إلى صورة أخرى⁽²⁾. ومن حيث لا ترونهم فإن هذه الكلمة تفيد أن الإنس لا يرون الشياطين على صورتهم الحقيقية؛ لأن هذا ممتنع وليس ممكنا فرؤية ذات الشياطين ممنوعة، بالنسبة للبشر، وفي قول الله تعالى: ﴿مَنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾⁽³⁾ ابتداء مكان مبهم تنتفي فيه رؤية البشر، أي من كل مكان لا ترونهم فيه، فيفيد: إنه يراكم وقبيله وأنتم لا ترونه قريبا كانوا أو بعيدا، فكانت الشياطين محجوبين عن أبصار البشر، فكان ذلك هو المعتاد من الجنسين، فرؤية ذوات الشياطين منتفية لا محالة⁽⁴⁾.

(1) سورة الأعراف، الآية: 27.
(2) آكام المرجان في أحكام الجان، 1 / 41.
(3) سورة الأعراف، من الآية: 27.
(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 76/8.

المبحث الثالث

اعتقاد العبد بوجود الملائكة والجن حوله

وأثر ذلك على سلوكه

أولاً: اعتقاد العبد في وجود الملائكة

لقد أخبر الله (ﷻ) على أن هناك خلقاً من مخلوقاته لا نراهم بأبصارنا، ولا ندركهم بمداركنا، وما دمنا قد آمنّا بالله تعالى فيقتضي هذا الإيمان أن نؤمن بكل ما أخبر الله تعالى به من الغيبات التي لا طريق لثبوتها إلا السماع من الصادق المعصوم (ﷺ).

"إننا ما دمنا قد آمنّا بالقمة، وهي الإيمان بالله، وقد أخبرنا بأن هناك ملائكة، وحتى لو كان وجود الملائكة غيبياً فنحن نؤمن بها؛ لأن الذي أخبر بها هو الله، وكذلك نؤمن بالجن رغم أننا لا نراه، وكل ما يتعلق بالغيبات هو إخبار ممن آمنّا به، لذلك تؤمن بها. والمسائل الإيمانية كلها غيبية، ولا تقول في الأمر الحسي: "إنني آمنّا به"، إنما تقول: "آمنّا" في الأمر الغيبي؛ لأنه أمر غيبي لا تأنس به الحواس والإدراكات، وتريد أن تجعله عقيدة، والعقيدة هي أمر يُعقد فلا ينحل أبداً، ولأنه أمر غيبي فربما ينفلت منا؛ لأنه لو كان أمراً مشهدياً لما غفل عنه الإنسان أبداً؛ لأن مشهديته ستجعلك تتذكره، إنما هو أمر غيبي، ويسمى عقيدة، أي أمراً معقوداً لا يُحل أبداً"⁽¹⁾ واعتقاد العبد بوجود الملائكة يلزم من هذا الاعتقاد وجود علاقة⁽²⁾ بين العبد وبين الملائكة وهذه العلاقة تنقسم إلى قسمين:

(1) تفسير الشعراوي: 2 / 730.

(2) العلاقة: بكسر العين، يستعمل في المحسوسات، وبالفتح، في المعاني، العلاقة، بالكسر: علاقة القوس والوسط، ونحوهما، وبالفتح، علاقة الخصومة والمحبة، ونحوهما، يراجع: التعريفات 1/ 155.

1. الأول: علاقات لازمة⁽¹⁾

وهذه العلاقة اللازمة⁽²⁾ بين العبد وبين الملائكة تتمثل في أن الملائكة الكرام يكتبون جميع ما يصدر من العبد ويسجلون له كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال... إلخ كما حكى ذلك القرآن الكريم يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَثِيرِينَ ۖ يَكْتُبُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾⁽³⁾ وقال سبحانه: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾⁽⁴⁾.

يقول الإمام الماتريدي في بيان هذه العلاقة التي جعلها الله تعالى بين عباده وملائكته الكرام البررة حتى يحافظوا على هذه العلاقة وهذه الصحبة الطيبة قال: "ثم أخبرهم أن عليهم حفاظاً؛ لأن الذي حملهم على الجهل تركهم الإنصاف من أنفسهم، وإلا لو أنصفوا من أنفسهم، لكان إعطاؤهم النصفة يوصلهم إلى تدارك الحق ومعرفة ما عليهم من الواجب. ثم قد ذكرنا أن المرء إذا كان عليه حافظ، أداه ذلك إلى المراقبة؛ فيرتدع عن تعاطي ما يؤخذ عليه، فنبهنا أن علينا حفاظاً؛ ليحتشم عنهم، ولا يأتي من الأمور ما يسوءهم، ووصف أنهم كرام؛ ليصحبهم صحبة الكرام، ومن صحبة الكرام أن يحترمهم، ويتقي مخالفتهم، ولا يتعاطى ما يسوءهم وذلك قوله: ﴿كِرَامًا كَثِيرِينَ﴾⁽⁵⁾. وفي ذكر الكرام فائدة أخرى، وذلك أن قوله: ﴿كِرَامًا

(1) مؤسوعة الأخلاق، خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، 221/1.

(2) الدلالة بطريق الالتزام والاستتباع كدلالة لفظ السقف على الحائط؛ فإنه مستتبع له استتباع الرفيق اللازم الخارج عن ذاته، ودلالة الإنسان على قابل صنعة الخياطة وتعلمها، والمعتبر في التعريفات دلالة المطابقة والتضمن. فاما دلالة الالتزام فلا لأنها ما وضعها واضع اللغة بخلافهما، لأن المدلول فيها غير محدود ولا محصور، إذ لوازم الأشياء ولوازم لوازمها لا تتضبط ولا تنحصر فيؤدي إلى أن يكون اللفظ دليلاً على ما لا يتناهى من المعاني وهو محال، يراجع: معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد الغزالي، 72/1.

(3) سورة الإنفطار الآيات: 10 - 12.

(4) سورة ق، الآية: 18.

(5) سورة الانفطار، الآية: 11.

كَئِينٌ ﴿١﴾ أي: كرام على الله تعالى، والكريم على الله - تعالى - هو المتقي" (1).
ويقول أبو البركات النسفي "في بيان قول الله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (2) أن المراد من الرقيب والعَتِيد رَقِيب أي حافظ {عَتِيدٌ} حاضر ثم قيل يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه وقيل لا يكتبان إلا ما فيه أجر أو وزر وقيل إن الملكين لا يجتنبانه إلا عند الغائط" (3) فالملائكة تكتب للإنسان كل شيء حتى أنينه في مرضه كما ذكر النسفي، وقد بينت السنة النبوية هذا الامر وجاء واضحا في رواية الإمام البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): ((يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاشُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ)) (4).
"وأما اجتماعهم في الفجر والعصر فهو من لطف الله تعالى بعباده المؤمنين وتكرمة لهم أن جعل اجتماع الملائكة عندهم ومفارقتهم لهم في أوقات عباداتهم واجتماعهم على طاعة ربهم فيكون شهادتهم لهم بما شاهدوه من الخير، وأما قوله (ﷺ) فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فهذا السؤال على ظاهره وهو تعبد منه لملائكته كما أمرهم بكتب الأعمال وهو أعلم بالجميع، قال القاضي عياض الأظهر وقول الأكثرين أن هؤلاء الملائكة هم الحفظة الكتاب" (5).
ومن وظائفهم الملازمة للبشر أنهم يتولون قبض أرواحهم والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ

(1) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) 10 / 448.

(2) سورة ق الآية: 18.

(3) تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل 3 / 365.

(4) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، 1 / 115، برقم (555) وأخرجه

مسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر رقم 632.

(5) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، 5 / 133.

أَلَمْوتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿١﴾ والمعنى "أي يرسل عليكم ملائكة يحفظون أعمالكم كائنة ما كانت، وفي ذلك حكمة جميلة ونعمة جليلة لما أن المكلف إذا علم أن أعماله تحفظ وتعرض على رعوس الأشهاد كان ذلك أزجر له عن تعاطي المعاصي والقبائح وأن العبد إذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشمه احتشامه من خدمه الواقفين على أحواله" (2).

ومن وظائفهم أنهم يسألون العبد في قبره، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): ((إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ إِذَا انْصَرَفُوا أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيَقُولَانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقَالُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أُنْذَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِ، فَيَقَالُ لَا دَرِيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا النَّفْلَيْنِ)) (3).

ومن هنا فإن الملائكة هي التي تتولى سؤال العبد في قبره حينما يتولى عنه أصحابه، ولذلك فإن عذاب القبر فظيع وذلك لمشاهدة الملائكة ما يدور في القبر " وإنما كان أفظع لأنه مقدمة العقاب ونهاية التعلق بالمال والولد والأصحاب، وغاية الرجوع إلى موضع الذل والظلمة والدهشة والحيرة والوحشة والغربة والدود والتراب، ومطالعة ملائكة العذاب، ومشاهدة الحساب، ومراقبة الحجاب حيث لا ينفعه إلا رب الأرباب" (4).

(1) سورة الأنعام، الآية: 61.

(2) تفسير أبي السعود، 3 / 144، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، 166.

(3) أخرجه الإمام البخاري في "صحيحه" كتاب "الجنائز"، باب: ما جاء في عذاب القبر (98/2) (1374)، وأخرجه الإمام النسائي في "سننه" كتاب "الجنائز" باب: مسألة الكافر (97/4) (2051) من حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه).

(4) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ) دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م / 215.

وهناك علاقة بين العبد وبين الملائكة وهذه العلاقة قائمة على "المحبة"⁽¹⁾. المحبة: هي تعظيم محل الأسرار، وقيل: ميل القلب إلى الله، وإلى ما لله من غير تكلف، وقيل: الطاعة فيما أمر، والانتهاز عما زجر، والرضا بما حكم وقرر⁽²⁾ وتكون هذه المحبة ثابتة في القلب لا تتغير ولا تتبدل، وتظهر هذه العلاقة في أن الملائكة يختصمون فيما بينهم في أمر البشر ويطلبون من الله تعالى أن يغفر لهؤلاء البشر، وفيه دلالة على أن الملائكة وهم الملائكة أو المقربون منهم يختصمون فيما بينهم، ويتراجعون القول في الأعمال التي تقرب بني آدم إلى الله (ﷻ) وتكفر بها عنهم خطاياهم، وقد أخبر الله عنهم بأنهم يستغفرون للذين آمنوا ويدعون لهم⁽³⁾. وفي الحديث الصحيح: "عن أبي هريرة، قال: قال النبي (ﷺ): ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ كَانَ كَذَلِكَ))"⁽⁴⁾.

ومن هنا فإن الملائكة لها علاقة وطيدة بالبشر منذ أن أوجدهم الله على هذه الأرض وكذلك لهم علاقة سيدنا (آدم) (ﷺ) وتتمثل تلك العلاقة في أن

(1) "وفي القرآن الكريم آيات تتعلق بالمحبة والشوق، (وهو شدة المحبة) والخلة والولاية قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٠) وغيرها من الآيات التي

قد وردت في هذا الشأن. يراجع: التصوف الإسلامي بين أنصاره وخصومه، للأستاذ الدكتور / عبد

الرحمن محمد المراكبي، 1431هـ، 2010 م ص25. والآية من سورة آل عمران رقم (31).

(2) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى:

911هـ) تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب - القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، 1424هـ

- 2004 م، 1/ 219،

(3) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملائكة الأعلى، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب

بن الحسن، السلافي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ) تحقيق: جسم الفهيد

الدوسري مكتبة دار الأقصى - الكويت، الطبعة: الأولى، 1406 - 1985م، ص42.

(4) أخرجه الإمام البخاري في "صحيحه" كتاب "بدء الخلق"، باب: ذكر الملائكة (111/4)(3209)

وفي كتاب "الأدب" باب: المقة من الله تعالى (14/8)(6040)، وأخرجه الإمام مسلم في "صحيحه"

كتاب "البر والصلة والآداب" باب: إذا أحب الله عبدا حبه لعباده (2030/4)(2637) من حديث

أبي هريرة (ﷺ).

الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم جاء هذا في الحديث الذي رواه صفوان بن عسال المرادي قال: قال رسول الله (ﷺ): "إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ"⁽¹⁾.

يقول الخطابي في معالم السنن: "قوله إن الملائكة تضع أجنحتها فيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون معنى وضع الجناح من الملائكة بسط أجنحتها وفرشها لطالب العلم لتكون وطاءً له ومعونة إذا مشى في طلب العلم. والوجه الثاني: أن يكون ذلك بمعنى التواضع من الملائكة تعظيماً لحقه وتقديرًا لعلمه فتضم أجنحتها له وتخضعها عن الطيران كقوله تعالى ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾"⁽²⁾.

والوجه الثالث: أن يكون وضع الجناح يراد به النزول عند مجالس العلم والذكر وترك الطيران⁽³⁾ ومن هنا فإن الإنسان يتقرب منهم عن طريق الأعمال الصالحة التي يقوم بها العبد تجاه مولاه ولو استمر الأمر هكذا لوصل الإنسان إلى مقام المشاهدة

"فالأعمال الصالحة - كما ترى - تقرب الملائكة منا، وتقربنا منهم، ولو استمر العباد في حالة عالية من السمو الروحي، لوصلوا إلى درجة مشاهدة الملائكة ومصافحتهم"⁽⁴⁾.

(1) أخرجه الترمذي في "سننه" في "الدعوات" باب: في فضل التوبة والاسغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده (545/5) (3535)، وأخرجه أبو داود الطيالسي في "مسنده" (484/2) (1261)، والإمام الشافعي في "مسنده" ترتيب السندي (41/1) (122) ط: دار الكتب العلمية - بيروت، من حديث صفوان بن عسال ولم يرفعه. وصح الإمام الترمذي هذا الحديث فقال بعد إخرجه لهذا الحديث كما في الموضع السابق: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه مرفوعاً من حديث صفوان بن عسال، الإمام الدارمي في "سننه" في المقدمة، باب: في فضل العلم والعالم (370/1) (369)، والإمام أحمد في "مسنده" (23/30) (18098).

(2) سورة الإسراء من الآية: 24.

(3) معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: 388هـ) المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى 1351هـ - 1932م، 61/1.

(4) عالم الملائكة الأبرار، عمر سليمان الأشقر، 58/1.

الآثار المترتبة على وجود عالم الملائكة:

هناك عدة آثار مترتبة على وجود الملائكة وهي:

أولاً: العلم بعظمة خالقهم تبارك وتعالى وقوته وسلطانه، فقد خلقهم الله تعالى من النور فهم عباد مكرمون فمنهم من وكله الله تعالى بتدبير الأمور ومنهم من وكله الله تعالى بالاستغراق في العبادة، فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

يقول الإمام الألوسي عن الملائكة: "وهي عندنا منقسمة إلى قسمين. قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتتزه عن الاشتغال بغيره يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وهم العليون والملائكة المقربون. وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾⁽¹⁾ وهم ﴿فَالْمُذَرِّبَاتُ أَمْراً﴾⁽²⁾ فمنهم سماوية ومنهم أرضية، ولا يعلم عددهم إلا الله⁽³⁾.

ثانياً: من الآثار العقدية المترتبة على وجود الملائكة شكر الإنسان المنعم الذي أنعم على خلقه بأن سخر لهم عالم الملائكة يستغفرون للبشر يقول الله تعالى ﴿وَأَمَلَكْنَاهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾⁽⁴⁾، والمعنى "أي يسألون المغفرة لذنوب من في الأرض من المؤمنين به"⁽⁵⁾.

ثالثاً: من الآثار معرفة العبد أن عليه ملائكة كاتبين كل ما يتلفظ به وبالتالي لا يقدم العبد على فعل شيء من المحرمات، والدليل على هذا من القرآن

(1) سورة التحريم من الآية: 6.

(2) سورة النازعات الآية: 5.

(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: 221/1.

(4) سورة الشورى، من الآية: 5.

(5) محاسن التأويل: 315 / 8.

قول الله تعالى ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾⁽¹⁾. والمعنى: "يكتب الملكان الكلام فيثبت الله من ذلك الحسنات، والسيئات، ويمحو غير ذلك، وهذا هو ظاهر الآية، قال أبو الجوزاء ومجاهد: يكتبان عليه كل شيء حتى أنينه في مرضه، وقال عكرمة: المعنى: ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ خَيْرٍ أو شر"⁽²⁾.

رابعاً: من الآثار المترتبة على وجودهم الاقتداء بهم والسير على نهجهم من العبادة والطاعة والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾⁽³⁾. "المراد بهم الملائكة بإجماع الأمة؛ ولأنه تعالى وصفهم بأنهم: يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهذا لا يليق بالبشر وهذه العندية عندية الشرف والرتبة لاعندية المكان والجهة، فكأنه تعالى قال: الملائكة مع كمال شرفهم ونهاية جلالتهم لا يستكبرون عن طاعته فكيف يليق بالبشر الضعيف التمرد عن طاعته"⁽⁴⁾، ومن هنا فإن وجود الملائكة مع العباد يقتضي أن يسير العبد على وفق ما أمر الله تعالى به، وأن يبتعد الإنسان كل البعد عما يغضب الله تعالى من الشرور والآثام، وهذا يتطلب من الإنسان أن يقتدي بهم. وبالتالي يستقيم إيمان العبد وتحسن عقيدته.

ثانياً: اعتقاد الإنسان في وجود الجن وأثر ذلك على عقيدته وسلوكه

إن عقيدة الإيمان بالله تقتضي أن يؤمن الإنسان بكل ما جاء من عند الله تعالى وهذا الإيمان العقدي يتطلب من الإنسان أن يؤمن بعالم الجن، الذي هو خلق من مخلوقاته تعالى وليست جسماً من الأجسام الكثيفة التي تجيء وتذهب مثل البهائم والناس فهذا لم يقل به أحد من الناس.

(1) سورة ق، الآية: 18.

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 5 / 160.

(3) سورة الأنبياء الآية: 20.

(4) مفاتيح الغيب، للرازي، 22 / 125.

العلاقة بين الإنس والجن:

إن في اعتقاد وجود عالم الجن من حولنا له دلالة إيمانية تتضح من خلال وجود هذا العالم الخفي الذي لا يرى، وهناك علاقة بين الطرفين تكمن في اضمار العدواة لبني البشر وتظهر فيما يلي:

أولاً: إضلال العباد وإفسادهم:

من المعروف لدى الدارسين أن الجن لهم قدرة على التشكل بأشكال مختلفة فقد يكون هذا التشكل على صورة آدمي وغيرها "وللجن القدرة على التشكل بإزائهم الذاتية في صورة آدمية، وعلى شكل معين وهيئة محدودة من الإنسان، وكذلك في صورة آية كائنات أخرى، فلقد تشكلت في هيئة جنود لسليمان بالنص القرآني⁽¹⁾، ومن الآيات الواضحة في عملية الغواية والإضلال قول الله تعالى في سورة فاطر:

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾⁽²⁾.

يقول صاحب الكشف: "أخبرنا الله (ﷻ) أن الشيطان لنا عدو مبين، واقتص علينا قصته وما فعل بأبينا آدم (عليه السلام)، وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده، ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا، فوعظنا (ﷻ) بأنه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو أعرق في العداوة منه، وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا في عقائدكم وأفعالكم، ولا يوجدن منكم إلا ما يدل على معاداته ومناصبته في سرهم وجهرهم. ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته: هو أن يوردهم مورد الشقوة والهلاك، وأن يكونوا من أصحاب السعير⁽³⁾. ونلاحظ أن قول الزمخشري يفيد الحذر من الجن وخاصة أنه يغوي الإنس في عقيدته وفي أفعاله وعلى هذا يكون الإنسان شقيًا عند اتباعه.

(1) عالم الجن والملائكة، عبد الرازق نوفل، ص24.

(2) سورة فاطر، آية: 6.

(3) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، 3 / 599.

ثانيًا: عبادة الإنس للجن:

جاء ذلك جليًا في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾⁽¹⁾
يقول الإمام القرطبي: "هذا ذكر نوع آخر من جهالاتهم، أي فيهم من اعتقد لله شركاء من الجن"⁽²⁾. وعلى ذلك فإن الجن يجعلون بعض بني البشر أن لله تعالى شريكًا من الجن.

ثالثًا: أذية البشر والإضرار بهم:

جاء ذلك في قول رسول الله (ﷺ): ((إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ فَحَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا. أَوْ قَالَ: شَرًّا))⁽³⁾ قال الطيبي في شرح هذا الحديث "شبه كيد الشيطان وجريان وسأوسه في الإنسان بجريان دمه في عروقه، وجميع أعضائه، والمعنى: أن الشيطان يتمكن في إغواء الإنسان وإضلاله تمكنا تاما، ويتصرف فيه تصرفا لا مزيد فيه"⁽⁴⁾. وقال النووي رحمه الله: "قال القاضي وغيره قيل هو على ظاهره وأن الله تعالى جعل له قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان في مجاري دمه وقيل هو الاستعارة لكثرة إغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه وقيل إنه يلقي وسوسته في مسام لطيفة من البدن فتصل وسوسته إلى القلب"⁽⁵⁾ وقال الهروي "فهو كناية عن تمكنه من إغواء

(1) سورة الأنعام آية: 100.

(2) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، 7 / 52.

(3) أخرجه البخاري (3281)، ومسلم (2175)، والنسائي في "الكبرى" (3343). وأخرجه البخاري (2038) و(2039) و(3101) و(6219) و(7171)، وابن ماجه (1779)، والنسائي (3342) من طرق عن الزهري، به. وهو في "مسند أحمد" (26863)، و"صحيح ابن حبان" (3671). وسينكرر برقم (4994). وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

(4) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (743هـ) المحقق: د. عبد الحميد هنداي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض) الطبعة: الأولى 1417 هـ - 1997 م، 521/2

(5) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1392، 14 / 157.

الإنسان، وإضلاله تمكنا تاما، وتصرفه فيه تصرفا كاملا بواسطة نفسه الأمارة بالسوء الناشئ قواها من الدم⁽¹⁾ ومن هنا فإن العلاقة التي بين الإنس والجن تأتي على أثرها الوسوسة وكذا الأذى والوقوع في المعاصي.

رابعًا: الشياطين يعلمون الناس السحر:

جاء ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾⁽²⁾ ومعنى هذه الآية أن "الشياطين يحتمل أن يكونوا شياطين من الجن وهو الإطلاق المشهور، ويحتمل أن يراد به ناس تمردوا وكفروا وأتوا بالفضائع الخفية فأطلق عليهم الشياطين على وجه التشبيه"⁽³⁾ ومن هنا فإن العلاقة القائمة بين عالمي الإنس والجن إنما هي تحذير لبني آدام وأخذ الحذر منه ومن إغوائه ووسوسته وهمزاته ونفخه ومكره وخداعه وكل ذلك من الأمور التي تقسد على الإنسان عقيدته وسلوكه لا سيما وهو الذي أقسم بعزة ربه من غواية بني آدام وإضلالهم وأمرهم وخداعهم بتغيير مخلوقات الله تعالى وفي ذلك يقول القرآن الكريم ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا اخْذَنْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾^(١١٨) وَلَا ضَلَّ لَهُمْ وَلَا مُتَّبِعُهُمْ وَلَا مَرْتَبُهُمْ فَلْيَبْتَكَنْ إِذَا تَكُنَّ الْأَنْعَامُ وَلَا مَرْتَبُهُمْ فَلْيُغَيِّرْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا^(١١٩) يَعِدُهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا^(١٢٠) ومن هنا فإن الجن يقوم بغواية الإنسان وإضلاله وبعده عن الله تعالى والاستحواذ عليه من كل جانب.

(1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014 هـ) دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2002 م، 1/139.

(2) سورة البقرة من الآية: 102.

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 627/1.

(4) سورة النساء، الآيات: 117 - 120.

الفصل الرابع

نعمة الخفاء وخروج الموضوع عن دائرة الإحساس
والإدراك المطلق

مدخل

من المعلوم لدى الدارسين أن من مباحث السمعيات لدى علماء الكلام (ما يسمى بعذاب القبر ونعيمه) أو الحياة البرزخية⁽¹⁾، قال سبحانه: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾⁽²⁾ "والبرزخ: الحاجز بين مكانين. قيل: المراد به في هذه الآية القبر، وقيل: هو بقاء مدة الدنيا، وقيل: هو عالم بين الدنيا والآخرة تستقر فيه الأرواح فتكاشف على مقرها المستقبل"⁽³⁾، ومن هنا فإن الإنسان يسأل نفسه لماذا نموت؟ ويجيبه صوت العقل نموت؛ لأن لنا بداية وكل ما له بداية فله نهاية، ونموت؛ لأنه مع النهاية تكون البداية للحياة الدائمة يقول تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا مَلًّا﴾⁽⁴⁾

(1) لقد ورد في القرآن الكريم آيات تدل على الحياة البرزخية من هذه الآيات قول الله تعالى ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ سورة المؤمنون آية: 100، وقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ سورة آل عمران (169) وقوله: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ سورة غافر (46) يقول الدكتور السيد عقيل: "والآيات في هذا الموضوع كثيرة، فالآية الأولى تدل على أن الأموات في عالم البرزخ حتى يأتي البعث للحساب ثم إلى الجنة أو إلى النار، والآية الثانية تدل على أن الشهداء أحياء في البرزخ منعمون ويترقبون إخوانهم وأبناءهم كي يقدموا عليهم ويسألونهم في السعادة التي يغمرون فيها، والآية الثالثة تشير إلى عذاب القبر على الكفار غدوا وعشيا، وإذا جاءت القيامة يدخلهم الملائكة أشد العذاب بهذا فالإيمان بوجود عالم البرزخ لا شط فيه" يراجع: دراسة في السمعيات، أ. د / السيد على عقيل بن علي المهدي، الطبعة الأولى 1416هـ، 1996م، دار الحديث - القاهرة، أمام جامعة الأزهر، ص55.

(2) سورة المؤمنون من الآية: 100.

(3) التحرير والتنوير، 18 / 124، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، 1425 هـ، 1 / 476.

(4) سورة الكهف آية: 46.

ويسأل الإنسان، وإلى أين يذهب الموتى؟ ويجيبه صوت العقل: إلى القبر - إلى العالم البرزخي الفاصل بين الدنيا والآخرة والقبر هو كل مكان استقر فيه جسد الإنسان بعد مفارقة الروح له حتى لو كان جوف الوحوش أو حواصل الطير أو قيعان البحار والمحيطات حتى لو أحرق الجسد وذرى في الرياح⁽¹⁾.

وفي إطار الحديث عن القبر سيكون الكلام من خلاله عن مبحثين: المبحث الأول: نعمة إخفاء سؤال القبر عن الأحياء وأثر ذلك في السلوك الإنساني.

المبحث الثاني: نعمة إخفاء حال الضمة أو الضغطة للميت عن الأحياء، وأثر ذلك في السلوك والمعتقد الإنساني.

(1) نظرات في العقيدة الإسلامية، د / محمد الأنور حامد عيسى، ص252 وما بعدها.

المبحث الأول

نعمة إخفاء سؤال القبر عن الأحياء، وأثر ذلك في السلوك الإنساني

سؤال القبر

إن القبر هو أول منازل الآخرة، وهو سنة من سنن الله تعالى التي لا تتبدل ولا تتغير، فالقبر حفرة في الأرض تكون مأوى الإنسان بعد مفارقة روحه لجسده، وهذه الحياة تسمى بالحياة البرزخية⁽¹⁾. والعقل لا يستطيع أن يصور هذه القضية؛ لأنها فوق إدراكاته، ومن هنا فإنه عاجز عن ادراك حقيقة هذه الأمور الخفية، وعودة الروح إلى الجسد أمر غير معهود في الدنيا، وبالتالي فإن عودتها إلى الجسد في الحياة البرزخية من الأمور التي لا يستطيع العقل إدراكها أيضًا، وقد تواترت الأخبار عن رسول الله (ﷺ) في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار⁽²⁾، وقد دل عليه الكتاب العزيز والسنة المطهرة في أن هناك سؤالاً ونعيماً وعذاباً للقبر، وهذه أمور غيبية لا ندري كنهها ولا حقيقتها؛ لأنها أمور فوق الحس لا يستطيع الإنسان إدراكها، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن سؤال القبر ونعيمه وعذابه لماذا؟ " لنستعد لهذا العالم الخفي وما فيه من أمر الله؛ لأن النفس البشرية واردة إليه لا محالة وطالما أننا واردون إليه لا نستطيع دفعاً له ولا إبعاداً فلا بد من الاستعداد له ومعرفة بعض علم عنه من خلال ما أخبرنا الله (ﷻ) ورسوله الكريم (ﷺ) لأننا لا نملك علمًا آخر يستطيع أن يعرفنا بعالم البرزخ⁽³⁾."

(1) البرزخ: هو الحائل بين الشئيين، ويعبر به عن عالم المثال، أعني الحاجز من الأجسام الكثيفة وعالم الأرواح المجردة، أعني الدنيا والآخرة. التعريفات: 1 / 45.

(2) شرح العقيدة الطحاوية، 2 / 874.

(3) الموت وعالم البرزخ، سلسلة موسوعة الآخرة، الدكتور / ماهر أحمد الصوفي، تقديم الدكتور / محمد رمضان البوطي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، 2011م، 1432هـ، ص71.

فلسفة إخفاء سؤال القبر عن مدارك البشر

والحكمة في إخفاء الله حقائق أمور القبر وأمر الآخرة؛ ليكون إيمان العباد إيمانًا بالغيب فيُعْظَم ثوابه. فعن عائشة (رضي الله عنها)؛ قالت: ((دَخَلْتُ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عَجَزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ فَقَالَتَا: إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، قَالَتْ: فَكَذَّبْتُهُمَا وَلَمْ أَنْعَمْ أَنْ أَصَدِّقَهُمَا فَحَرَجَتَا وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ مِنْ عَجَزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ دَخَلَتَا عَلَيَّ فَرَعَمَتَا أَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَقَالَ: (صَدَقَتَا إِنَّهُنَّ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ) ⁽¹⁾ قَالَتْ: فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)) ⁽²⁾.

وفي هذا الحديث إشارة إلى أن القبر أول منازل الآخرة فيكون فتنة للعاصي وفتنة للمطيع " قال الكرمانى: لعله سُمي أحوال العباد في القبر تعذيباً؛ تغليبا لفتنة العاصي على فتنة المطيع؛ لأجل التخويف؛ ولأن القبر مقام الهول والوحشة؛ ولأن ملاقات الملائكة مما يهاب منه ابن آدم في العادة ⁽³⁾ ومن هنا فيجب الإيمان والتسليم بكل ما في القبر من أهوال وغيرها؛ لأن كل هذا من مقتضيات الإيمان بالله.

الإيمان والتسليم بما يكون في القبر

إن مسألة سماع المخلوقات عدا الثقلين (الإنس والجن) ⁽⁴⁾ للموتى، من

(1) قال صاحب المصباح المنير "والبهيمة كل ذات أربع من دواب البحر والبر وكل حيوان لا يميز فهو بهيمة والجمع البهائم". يراجع: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي الحموي، باب (ب هـ م) 64 / 1

(2) أخرجه مسلم، كتاب المساجد وأدائها، باب استحباب التعوذ من القبر، رقم الحديث (586) 1 / 411.

(3) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، (1426 - 1436 هـ) 13 / 121.

(4) ولا يستثنى من الإنس في سماع عذاب القبر إلا النبي (ﷺ) "بدليل الحديث الذي رواه زيد بن ثابت، قال: بَيْنَمَا النَّبِيُّ (ﷺ) فِي حَائِطٍ لِنَبِيِّ النَّجَارِ، عَلَى بَعْلَةٍ لَهُ وَتَحَنُّ مَعَهُ، إِذْ حَدَّثَ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبَرُ سِتَّةَ أَوْ خَمْسَةَ أَوْ أَرْبَعَةَ - قَالَ: كَذَا كَانَ يَقُولُ الْجُرَيْرِيُّ - فَقَالَ: مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبَرِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِسْرَاكَ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُنْبَلَى فِي قُبُورِهَا". رواه مسلم، كتاب الأداب، باب عذاب القبر، برقم (2867، 8 / 160).

المسائل التي قد ورد ذكرها في السنة المطهرة، وهذا إن دل فإنما يدل على وقوعه ولا يترتب على وقوعه أمر مستحيل وذلك؛ لأنه في حيز الإمكان، وقد أخبر به النبي (ﷺ) وكل ما جاء به النبي وأخبر به فهو صادق، وعلى هذا فيجب الإيمان بكل ما يقع في القبر. فعن عطاء بن يسار قال: قال رسول الله (ﷺ) لعمر بن الخطاب: يَا عُمَرُ: ((كَيْفَ بِكَ إِذَا أَنْتَ مِتَّ فَأَنْطَلَقَ أَهْلُكَ فَقَاسُوا لَكَ ثَلَاثَةَ أَذْرُعٍ وَشِبْرًا فِي ذِرَاعٍ وَشِبْرٍ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْكَ فَعَسَلُوكَ وَكَفَّنُوكَ وَحَنَطُوكَ ثُمَّ اخْتَمَلُوكَ حَتَّى يَصْعُوكَ فِيهِ ثُمَّ يُهَيَّلُوا عَلَيْكَ التُّرَابَ، فَإِذَا انْصَرَفُوا عَنْكَ أَتَاكَ فَتَانَا الْقَبْرِ مُنْكَرٌ، وَنَكِيرٌ أَضَوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ وَأَبْصَارُهُمَا مِثْلُ الْبَرْقِ الْخَاطِفِ فَتَلْتَلَاكَ⁽¹⁾ وَتَزْتَرَاكَ⁽²⁾ وَهَوَاكَ فَكَيْفَ بِكَ عِنْدَ ذَلِكَ يَا عُمَرُ؟)) قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَعِيَ عَقْلِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: إِذَا أَكْفَيْكُهُمَا⁽³⁾.

ومن هنا فإن الحديث يثبت حقيقة هذه الأمور التي يغفل عنها كثير من الناس، ومن ثم فالحياة البرزخية مليئة بالأمور الخفية والتي أخبر عنها النبي (ﷺ) في بعض الأحاديث الصحيحة لذا يجب التسليم بكل ما في القبر وبكل ما يحدث للميت خاصة عند يحمل في الجنازة على الأعناق فإن الجنازة إن كانت صالحة أو غير صالحة فإنها تتحدث بلسان الحال، لكن الله تعالى قد أخفى سماع كلتا الحالتين عن الإنسان دون غيره من المخلوقات.

(1) تلتل: سار شديدا وساق سوقا عنيقا والشيء حركه بعنف وفلانا وغيره أفلقه وأزعجه (التلاثل) من الرجال الغليظ الممتلئ لحما (التلتلة) الشدة وغلاف الطلع يجعل إناء للشرب (ج) تلاتل، يراجع: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 86 / 1، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، 711 / 2، معجم اللغة العربية المعاصرة، 297 / 1.

(2) ثرثر في كلامه: أكثر منه في تخطيط وترديد بسرعة، معجم اللغة العربية المعاصرة، 314 / 1.

(3) أخرجه أبو محمد الحارث في "مسنده" كما في "بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث" للهيثمي (379/1) (281) ط: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة، وأخرجه الأجري في "الشرعية" (1291/3) (861)، وأخرجه البيهقي في "إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين" (ص81) (103) كلهم من طريق إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن عطاء بن يسار، عن رسول الله (ﷺ) مرسلًا. رجال إسناده ثقات؛ إلا أنه مرسل، لذا قال الحافظ ابن حجر في "المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية" (471/18) (4531) ط: دار العاصمة - السعودية: رجاله ثقات مع إرساله.

فلسفة إخفاء صوت الجنازة عن الإنسان دون غيره

من المعلوم لدى الدارسين أن الميت حينما يحمل على الأعناق فالجنازة تتكلم بلسان الحال فيسمعها كل شيء من المخلوقات عدا الإنسان؛ لأنه لو سمعها لصعق⁽¹⁾ وقد جاءت الأحاديث الصحيحة في هذا الشأن ومنها ما رواه الإمام البخاري في صحيحه أن أبا سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: كان النبي (ﷺ) يقول: ((إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ))⁽²⁾.

ووجه الدلالة من الحديث:

أنه يفيد أن الجنازة تتكلم بلسان الحال فيسمعها كل شيء عدا الإنسان؛ لأن الله تعالى قد أخفى عنه سماع صوتها وذلك لعدم تحملها فيطيش عقله من سماع تلك الأصوات "والحكمة في أن الله يسمع الجن قول الميت قدموني ولا يسمعهم صوته إذا عذب بأن كلامه قبل الدفن متعلق بأحكام الدنيا وصوته إذا عذب في القبر متعلق بأحكام الآخرة وقد أخفى الله على المكلفين أحوال الآخرة إلا من شاء الله إبقاء عليهم"⁽³⁾، وقيل "ولو سمع الإنسان) أي: حقيقة السماع. (لصعق) أي: لمات أو غشي عليه، ففيه بيان حكمة عدم سماع الإنسان من أنه يختل نظام العالم، ويكون الإيمان شهوديًا لا غيبياً⁽⁴⁾.

(1) الصعق: أن يسمع الإنسان صوت الهدية الشديدة فيصعق لذلك ويذهب عقله. ومنه قوله جل ثناؤه: وخر موسى صعقا، جمهرة اللغة، أبو بكر الأزد، 885/2.

(2) أخرجه البخاري (1380)، كتاب: الجنائز، باب: قول الميت وهو على الجنازة: "قدموني"، 2/100.

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379، 240/3.

(4) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ) دار الفكر، بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م، 3/1192.

أقوال العلماء في مسألة أن الميت يسمعه كل شيء دون الإنسان

إن مسألة السماع خاصة بجميع المخلوقات عدا الإنسان ويستثنى منهم الرسول (ﷺ)؛ لأنه يسمع ما يدور في القبر وذلك لكمال عقله وقون بدنه فإنه يسمع⁽¹⁾ وأما غيره من بني البشر فقد أخفى الله عنهم سماع صوت الجنابة وسماع ما يدور في القبر لما في ذلك من حكم سنينها بعد وقد اختلفت آراء العلماء حول هذه المسألة. قال ابن بطال: في هذا الحديث دليل أن روح الميت تتكلم بعد مفارقتها لجسده، وقبل دخوله في قبره، والكلام لا يكون إلا من الروح⁽²⁾ "وهذا بناء منه على أن الكلام شرطه الحياة، وليس كذلك، إذا كان الكلام الحروف والأصوات، فيجوز أن يُخلق في الميت، ويكون الكلام النفسي قائما بالروح، وإنما يسمع الأصوات وهو المراد بالحديث، وأما الكلام النفسي، فيجوز أن يُسمع خرقاً للعادة⁽³⁾ ولأن الصالح من شأنه اللطف والرفق في كلامه، فلا يناسب الصعق من سماع كلامه؛ نعم، يحتمل حصوله من سماع كلام الصالح لكونه غير مألوف⁽⁴⁾.

وقال العيني: "واستدل بالحديث المذكور على أن كلام الميت يسمعه كل حيوان غير الإنسان المعنى يسمعها من له عقل كالملائكة والجن؛ لأن المتكلم روح إنما يسمع الروح من هو مثله، ورد بأنه لا مانع من إنطاق الله تعالى الجسد بغير روح، وهو على كل شيء قدير⁽⁵⁾. ومن هنا فإن الميت يتكلم بلسان الحال

(1) شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م، 366/3.

(2) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ص 366.

(3) مصابيح الجامع، محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف بالداميني، وبابن الدماميني (المتوفى: 827هـ) اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، 261/3.

(4) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ) المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة. 1323 هـ، 421/2.

(5) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيثي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، 114/8.

ويسمعه كل شيء ما عدا الإنسان؛ لأنه يترتب على سماع الجنازة صعق الإنسان وهلاكه وبناء على ذلك فقد أخفى الله عنا نحن البشر هذه الأمور التي لا نقدر على تحملها وذلك لضعف عقولنا وأجسادنا. فلهذا أخفى الله عنا هذه الأمور وسترها.

لماذا ستر الله عنا عذاب القبر؟

والإجابة على هذا السؤال تظهر في قول النبي (ﷺ): وقد أعطى القدرة على سماع المعذبين في قبورهم، ففي الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه عن زيد بن ثابت (رضي الله عنه): ((قُلُوبًا أَنْ لَا تَدَافِنُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ))⁽¹⁾ وقد اقتضت حكمة الله أن لا يكون عذاب القبر ظاهرًا، إذ لو كان ظاهرًا لما تدافن الناس، قال (ﷺ): ((إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُنْتَلَى فِي قُبُورِهَا ، قُلُوبًا أَنْ لَا تَدَافِنُوا، فَكُتِمَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نَتَدَافِنَ، وَلَوْ أَسْمَعْنَا سُبْحَانَهُ عَذَابِ الْقَبْرِ، مَا دَفَنَ أَحَدٌ مَنَا أَحَدًا، وَمَا اسْتَعَطْنَا أَنْ نَقْتَرِبَ مِنَ الْقَبْرِ))⁽²⁾ وهكذا تتجلى عظمة الباري جل جلاله في عدم سماع الأحياء ما يحدث في القبر من نعيم أو عذاب. "فكتمه الله سبحانه وتعالى عنا حتى نتدافن بحكمته الإلهية ولطائفه الربانية؛ لغلبة الخوف عند سماعه، فلا نقدر على القرب من القبر للدفن، أو يهلك الحي عند سماعه؛ إذ لا يُطاق سماع شيء من عذاب الله في هذه الدار، لضعف هذه القوى"⁽³⁾ فسبحان الخالق العظيم الرؤوف الرحيم الحنان المنان الذي لو أسمعنا إيّاها كما يسمع بعضنا بعضا لما طاب لنا عيش ولا منام، ولما تدافن الناس ولصعبت الحياة واختتقت الأنفاس.

(1) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار، رقم الحديث (2867) 4 / 2199. من حديث زيد بن ثابت.

(2) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، غراس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م، ص286.

(3) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي، 1 / 408.

المبحث الثاني

نعمة إخفاء حال الضمة أو الضغط للميت عن الأحياء، وأثر ذلك في السلوك والمعتقد الإنساني

المراد بضمة القبر

يقول الإمام السيوطي: "والمراد بضغط القبر النقاء جانبيه على جسد الميت⁽¹⁾ وهذه الضمة لا ينجوا منها أحد سواء أكان صغيراً أم كبيراً، صالحاً كان أم طالحاً، وإن كانت تختلف بحسب الدرجات، فكل إنسان بعمله، وأما الأنبياء فليس لهم ضمة ولا سؤال وذلك لعصمتهم.. وأما ضمة القبر فلا بد منها، وإن كانت تختلف باختلاف الدرجات كما قاله بعض العلماء: لو نجا أحد منها سوى الأنبياء لنجى منها (سعد بن معاذ)⁽²⁾ الذي اهتز العرش لموته وحضر جنازته سبعون ألفاً من الملائكة، وأما الأنبياء فقال بعضهم: ولا يعلم أن للأنبياء في قبورهم ضمة ولا سؤال لعصمتهم"⁽³⁾ وهذه الضمة تتفاوت من إنسان لآخر كل بحسب

(1) حاشية السندي على سنن النسائي (مطبوع السنن) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، 1406 - 1986 م، 102/4.

(2) لقد ذكر سيدنا سعد دون غيره من الصحابة لما له من المنزلة العالية من بين الصحابة ومن بينها أنه يشهد جنازته سبعون ألف ملكاً، والدليل على ذلك قول الرسول (ﷺ) من رواية ابن عمر عن رسول الله (ﷺ) قال: ((هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لقد ضُمَّ ضَمَّةٌ ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ)) أخرجه النسائي في "سننه" (100/4) (2055)، وابن حبان في "صحيحه" كتاب "إخباره" (ﷺ) عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم - رضوان الله عليهم أجمعين -، ذكر البيان بأن سعد بن معاذ فرج الله عنه عما شدد عليه من عذاب القبر بدعاء المصطفى (ﷺ) (506/15) (7034)، والحاكم في "مستدركه" كتاب "معرفة الصحابة"، في ذكر مناقب سعد بن معاذ - رضي الله عنه - (228/3) (4924) كلهم من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنه -، وقال الحاكم بعده: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(3) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، /أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهرى المالكي (المتوفى: 1126هـ، دار الفكر الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: 1415هـ - 1995م، 1 / 296 بتصرف يسير، وحاشية السندي على سنن النسائي، لجلال الدين السيوطي 102 / 4.

عمله، وهي ليست داخلية في عذاب القبر، بل هو أمر يجده كل إنسان، فقد تكون خفيفة على المؤمن وثقيلة على الكافر.

يقول الإمام الذهبي: "هذه الضمة ليست من عذاب القبر في شيء، بل هو أمر يجده المؤمن، كما يجد ألم فقد ولده وحميمه في الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه، وألم خروج نفسه، وألم سؤاله في قبره وامتحانه، وألم تأثره ببكاء أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار، ونحو ذلك، فهذه الأراجيف⁽¹⁾ كلها قد تتال العبد، وما هي من عذاب القبر، ولا من عذاب جهنم قط، ولكن العبد التقي يرفق الله به في بعض ذلك أو كله، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه. قال الله -تعالى-: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾⁽²⁾، وقال: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾⁽³⁾. فنسأل الله -تعالى- العفو واللطف الخفي، ومع هذه الهزات، فسعد ممن نعلم أنه من أهل الجنة، وأنه من أرفع الشهداء - (ﷺ) كأنك يا هذا تظن أن الفائز لا يناله هول في الدارين، ولا روع، ولا ألم، ولا خوف، سل ربك العافية، وأن يحشرنا في زمرة سعد⁽⁴⁾، ويقول ابن سعد في الطبقات "عن سعيد المقبري قال: لما دفن رسول الله (ﷺ) سعدا قال: لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا سعد. ولقد ضم ضمة اختلفت منها أضلاعه من أثر البول"⁽⁵⁾ وإذا كان سيدنا سعد لا ينجو من هذه الضمة، بالرغم من شهادة الملائكة لجنازته وعلو شأنه عند

(1) يقول الزمخشري: "ورجف الشجر، وأرجفته الريح. ورجف البعير تحت الرجل. والمطي تحت رحالها رواجف ورجف. ورجفت الأسنان: نغضت أسناتها. وجاءنا شيخ ترجف عظامه. وأرجفت الإبل، واسترجفت رءوسها في السير"، أساس البلاغة، 1 / 340.

(2) سورة مريم، من الآية: 39.

(3) سورة غافر من الآية: 18.

(4) سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985 م، 1 / 290.

(5) الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م، 3 / 329.

الله تعالى باهتزاز عرش الرحمن لهذا الصحابي الجليل. "ولعل السبب في هذه الضغطة " أنه ما من أحد إلا وقد ألم بذنب ما فتدركه هذه الضغطة جزاء لها ثم تدركه الرحمة وكذلك ضغطة سعد بن معاذ في التقصير من البول"⁽¹⁾.

وخلاصة القول: إن ضمة القبر إنما هي لطف من الله تعالى بعباده لا يراها ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا يطلع عليه إلا علام الغيوب؛ لأنها فتنة وليها مباشرة السؤال والعذاب "وفي فتنة القبر أي مما يفتن المقبور به من ضغطة القبر والسؤال والتعذيب"⁽²⁾، وهو على درجات بالنسبة لأصناف الناس فقد يطول على الكافر، وقد ينضم على المؤمن فينفرج عنه سريعاً، وقد يتراخى على عصاة المؤمنين، وإن المؤمن الكامل ينضم عليه ثم ينفرج عنه سريعاً والمؤمن العاصي يطول ضمه ثم يتراخى عنه بعد وأن الكافر يدوم ضمه أو يكاد أن يدوم"⁽³⁾.

ويقول الإمام السفاريني "وضمة القبر إنما أصلها أن الأرض أهمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما ردوا إليها وهم أولادها ضمتهم ضمة الوالدة إذا غاب عنها ولدها ثم قدم، فمن كان مطيعاً ضمته برفق ومن كان عاصياً ضمته بعنف سخطاً لربها عليه"⁽⁴⁾.

ويقسم أبو المعين النسفي أنواع الناس بالنسبة لضغطة القبر فيقول: "ثم المؤمنين على وجهين. أن يكون مطيعاً لا يكون له عذاب القبر ويكون له ضغطة فيجد هول ذلك وخوفه لما أنه كان يتنعم بنعمة الله تعالى ولم يشكر النعمة، وإن كان عاصياً يكون له عذاب القبر وضغطة القبر لكن ينقطع عنه عذاب القبر يوم الجمعة وليلته ثم لا يعود العذاب إلى يوم القيامة وإن مات يوم الجمعة أو ليلة

(1) حاشية السندي على سنن النسائي، للسيوطي، 4 / 102.

(2) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، 5 / 250.

(3) فيض القدير شرح الجامع الصغير، 2 / 167.

(4) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، السفاريني، 2 / 16، بشرى الكتيب بقاء الحبيب، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) المحقق: عبد الحميد محمد الدرويش، دار يعرب للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م، ص34.

الجمعة يكون له العذاب ساعة واحدة وضغطة القبر ثم ينقطع عنه العذاب ولا يعود إلى يوم القيامة⁽¹⁾ ومن هنا فإن ما يحدث في القبر من سؤال ونعيم أو عذاب، فقد أخبر به الصادق، وخبره يقيني قطعي لا ريب فيه، والعقل يصدق بأن القبر يقع فيه ما يقع من أهوال، فالنائم مثلاً يتألم، وقد يتكلم؛ وذلك لاتصال روحه بجسده، ومن أنكر عذاب القبر، فهو كافر لأنه أنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة⁽²⁾.

الحكم المترتبة على إخفاء عذاب القبر ونعيمه وضغطته

أولاً: أن في رؤيته إسقاطاً للتكاليف الشرعية عن البشر: من يتأمل في التكاليف الشرعية⁽³⁾ يجدها خاصة بالثقلين أي (الإنس والجن)، ولهذا فإن عدم رؤية عذاب القبر ونعيمه أو ضغطته وغيرها من أمور البرزخ يترتب عليها عدم إسقاط التكاليف الشرعية التي كلفوا بها من الله تعالى، ومن هنا فإن قول الرسول (ﷺ): ((يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ صَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا النَّفْلَيْنِ))⁽⁴⁾ دليل على عدم سماعهم لما يحدث

(1) بحر الكلام، للنسفي، ص 220.

(2) قال الإمام أبو حنيفة: من قال لا أعرف عذاب القبر فهو من الجهمية الهالكة لأنه أنكر قوله تعالى ﴿سَعِدَ لَهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَردُّوْنَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ التوبة من الآية: 101، يعني عذاب القبر وقوله تعالى ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سورة الطور، آية: 47، يعني في القبر فإن قال أو من بالآية ولا أو من بتأويلها وتفسيرها قال هو كافر لأن من القرآن ما هو تنزيله تأويله فإن جحد بها فقد كفر "يراجع: الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهاء الأيسر والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميس، ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماة (المتوفى: 150 هـ) مكتبة الفرقان - الإمارات العربية، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999 م، 1، 137.

(3) التكليف: إلزام الكلفة على المخاطب، التعريفات، 65/1.

(4) أخرجه البخاري (1338) و(1374)، ومسلم (2870) (71)، وابن أبي عاصم في "السنة" (863)، والنسائي 96/4 و97-98، وأبو عوانة في البعث كما في "إتحاف المهرة" 252/2، وابن حبان (3120)، والأجري في "الشرعية" ص 365-366، وابن منده في "الإيمان" (1066)، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" (15)، واللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد" (2132)، والبخاري (1522) من طرق عن سعيد بن أبي عروبة، به. وأخرجه عبد بن حميد (1180)، ومسلم (2870) (70)،

في القبر وأيضاً دليل على عدم تكليفهم. يسمعها كل شيء من الحيوانات⁽¹⁾ إلا الثقلين؛ لأنهما مكلفان، فقد أخفى الله عنهم ذلك السماع، والحيوانات نفسها تسمع ما يجري في القبر، فإله تعالى أسمع من شاء من خلقه، وأخفى ذلك عن شاء من خلقه - وهم المكلفون - حتى يتميز من يؤمن بالغيب ممن لا يؤمن به⁽²⁾، ومن هنا فإن المانع من سماع البشر ما يدور في القبر إنما هو (التكليف)، وهو ليس خاصاً إلا بالبشر فقط فهذا أخفى الله تعالى عنهم سماع ورؤية ما يدور في القبر. وجعل السماع خاصاً بمن سقطت عنه التكاليف الشرعية.

ثانياً: اختلال نظام العالم السفلي:

العالم السفلي الذي نعيش فيه له نظام متزن لا يحيد عنه قدر أنملة؛ لأن الصانع الحكيم دبره وأتقنه فالصنعة تدل على الصانع وعلى هذا فالإنسان قد وهبه تعالى نعمة الحياة لفترة معدودة ثم ينتقل إلى الحياة البرزخية والتي تعد غيباً لا نعرف حقيقته إلا عن طريق السماع من الصادق المعصوم، وعلى ذلك فإن الإنسان لو رأى هذه الحياة البرزخية وما يدور فيها "لمات أو غشي عليه، ففيه بيان حكمة عدم سماع الإنسان من أنه يختل نظام العالم، ويكون الإيمان شهودياً لا غيبياً"⁽³⁾ وهكذا نرى أن الحكمة تظهر في أن الإنسان لو سمع صوت من يعذب في القبر لترتب على ذلك اختلال نظام الكون، وبهذا لا تظهر ثمرة الإيمان بالغيب.

والنسائي 97/4، والبيهقي (17) من طريق يونس بن محمد المؤدب، به. وأخرجه أبو عوانة في "البعث"، والبيهقي (16) من طريق حسين بن محمد المروزي، عن شيبان النحوي، به. وسيأتي الحديث من طريق قتادة برقم (13446)، ومطولاً ضمن قصة برقم (13447)، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري، سلف برقم (11000) الحديث إسناداه صحيحان على شرط الشيخين. سعيد: هو ابن أبي عروبة، ويونس: هو ابن محمد المؤدب، وشيبان: هو ابن عبد الرحمن النخوي.

(1) ولما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم سمعت ذلك وأدركته. شرح العقيدة الطحاوية، 2 / 581.

(2) شرح الأربعين النووية، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، مكتبة الإمام الأجرى، 8/5.

(3) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا الهروي، 3 / 1193.

ثالثاً: فوات الإيمان بالغيب:⁽¹⁾

والإيمان به ركن من أركان العقيدة الإسلامية ولا يكمل إيمان العبد إلا به، فالإنسان لا يعلم الغيب بأي حال من الأحوال ومن الأمور المغيبة عن مدارك البشرية (القبر وما فيه)⁽²⁾؛ لأنه لو رآها فإنه يفقد أعظم ثمرة من ثمرات الإيمان ألا وهي (الإيمان بالغيب) وعلى هذا فقد أخفى الله عنا ما يدور في القبر " لئلا يفوت الإيمان بالغيب؛ لأنه يصير الإيمان به لو سمعوه ضرورياً، والإيمان الضروري لا يفيد ثواباً فيرتفع الابتلاء والامتحان"⁽³⁾، ولو أطلع الله على ذلك العباد كلهم لزالَت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس"⁽⁴⁾ ومن هنا فقد أخفاه الله عنا لعدم زوال حكمة التكليف الإلهي والإيمان بالغيب اللذين هما أعظم ثمرة للإيمان بالله تعالى.

رابعاً: اللطف الإلهي بحال الموتى ساعة الدفن:⁽⁵⁾

من رحمة الله تعالى بعباده أن كتم عنهم ما يدور في الحياة البرزخية وكل ذلك من باب اللطف بهم؛ لأن الله تعالى لو كشف لهم رؤية الميت أنه يعذب أو رؤية ضغطة القبر عليه حتى تختلف أضلأعه وغير ذلك لترتب على ذلك عدم قدرة البشر "على القرب من القبر للدفن أو يُهلك الحي عند سماعه. إذ لا يطاق سماع شيء من عذاب الله في هذه الدار، وذلك لضعف القوى، ألا ترى أنه إذا سمع الناس صعقة الرعد القاصف، أو الزلازل الهائلة هلك كثير من الناس، وأين صعقة الرعد من صيحة الذي تضربه الملائكة بمطارق الحديد التي يسمعها كل

(1) سنتناول الحديث عنه في الفصل القادم من البحث.

(2) السؤال، والنعيم، والعذاب، والضغط، وغيرها من أمور البرزخ وما أخفاه الله عن مدارك البشر.

(3) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا الهروي 1/ 206

(4) شرح العقيدة الطحاوية، 2/ 581.

(5) يقول حجة الإسلام عن معنى اللطف "فأما إحاطته بالدقائق والخفايا فلا يمكن تفصيل ذلك بل الخفي مكشوف في علمه كالجلي من غير فرق وأما رفقه في الأفعال ولطفه فيها فلا يدخل أيضاً تحت الحصر إذ لا يعرف اللطف في الفعل إلا من عرف تفاصيل أفعاله وعرف دقائق الرفق فيها ويقدر اتساع المعرفة فيها تتسع المعرفة لمعنى اسم اللطيف "المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنی، للغزالي، ص101.

من يليه⁽¹⁾ ولما تدافن الناس"⁽²⁾.

خامساً: عدم تحمل قوة البصر مشاهدة ما بداخل القبر

قوة البصر التي خلقها الله تعالى وركبها في الآدمي لا تستطيع أن ترى وتشاهد كل ما يتعلق بعالم الآخرة؛ لأن عالم الآخرة مختلف الحقائق، وبالتالي فهو يختلف عن عالم الدنيا الذي نشاهده، ونراه رأي العين؛ لأنه يناسب الطبيعة البشرية التي خلق الله الخلق عليها. "وحقائق ما بعد الموت متعلقة بنظام آخر مختلف كل الاختلاف عن نظام هذا العالم المرئي للأحياء"⁽³⁾ ومن هنا فإن العين لا تدرك كل ما يتعلق بعالم الآخرة، وذلك لاختلاف بين العالمين (الدنيا والآخرة) يقول أبو حامد الغزالي: "فإن هذه العين لا تصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من علم الملكوت أما ترى الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بأنه (ﷺ) يشاهده فإن كنت لا تؤمن بهذا فتصحیح أصل الإيمان بالملائكة والوحي أهم عليك وإن كنت آمنت به وجوزت أن يشاهد النبي ما لا تشاهده الأمة فكيف لا تجوز هذا في الميت؟"⁽⁴⁾ وقد أخفى الله عن العباد رؤية ما يدور في القبر؛ "لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها والعبد أضعف بصراً وسمعا من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر وكثيراً ممن أشهده الله ذلك صعق وغشى عليه ولم ينتفع بالعيش زمناً وبعضهم كشف قناع قلبه فمات فكيف ينكر في الحكمة الإلهية إسبال غطاء يحول بين المكلفين وبين مشاهدة ذلك حتى إذا كشف الغطاء رأوه وشاهدوه عياناً"⁽⁵⁾ ومن هنا فقد أخفى الله عنا رؤية

(1) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي، 408/1.

(2) شرح العقيدة الطحاوية، 2 / 581.

(3) كبرى اليقينيّات الكونية، د / محمد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، 1997م، ص 311.

(4) إحياء علوم الدين، الغزالي، 1 / 500، وحاشية الكليني على شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية، الشيخ زاده أبي الفتح اسماعيل ابن مصطفى الكليني المتوفى سنة (1205 هـ) دراسة وتحقيق، الشيخ أحمد فريد المزيري، دار الكتب العلمية، 434/1.

(5) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة. بن القيم 71 / 1.

ما يدور في القبر لعدم تحمل طاقة الإنسان رؤية ذلك وضعف قواه؛ لذلك فإن الحكمة الإلهية تتجلى في وجود غطاء يمنع البشر من رؤية الحياة البرزخية وهذا ما جاء به الشرع. وذلك؛ لأن الشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول⁽¹⁾.

سادساً: محدودية قدراتنا الفسيولوجية:

عند رؤية ما يحدث في القبر من عذاب أو سؤال أو ضغطة، فإن هذه الأمور عند رؤيتها تضعف قدراتنا الفسيولوجية المخلوقة " فأجسادنا المخلوقة على هيئتها وشاكلتها التي نراها أمام عيوننا غير جاهزة تماماً لاستقبال هذا الغيب، ولا يمكن لعقولنا وأجسادنا أن تتحمل غيباً واحداً أخفي عنا فيما لو أظهره الله سبحانه لنا فقدراتنا الفسيولوجية المخلوقة لها قدرات مسبقة مقدرة من الله سبحانه وتعالى.. وفي كل نوع من الخلق وضع الله قدرة فيه مغايرة للقدرة الأخرى التي وضعها الله في مخلوق آخر مع تعدد الأنواع من ملائكة وإنس وجن ووحش وطيور وما علمنا وما لم نعلم⁽²⁾.

ماذا لو علم الناس بما ستره الله عنا في القبور؟

أولاً: سقوط الابتلاء والامتحان:

يقول الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾⁽³⁾ فالابتلاء هو إمتحان إن نجحنا فيه فهو خير وإن رسبنا فيه فهو شر.. فالابتلاء ليس شراً ولكنه مقياس لاختبار الخير والشر. الذي ابتلى هو الله سبحانه.. هو الرب.. والرب معناه المربي الذي يأخذ من يربيه بأساليب تؤهله إلى الكمال المطلوب منه.. ومن

(1) شرح العقيدة الطحاوية، 2 / 572.

(2) الموت وعالم البرزخ، سلسلة موسوعة الآخرة، د / ماهر أحمد الصوفي، ص 61.

(3) سورة الملك من الآية: 2.

أساس التربية أن يمتحن المربي من يربيه ليعلم هل نجح في التربية أم لا؟⁽¹⁾ ومن هنا فالابتلاء معناه الاختبار وعلى هذا فالإيمان بالمغيبات كلها ومنها الإيمان الغيبي بالحياة البرزخية فهي تعد اختباراً "وأول امتحان يدخله الإنسان إنه الإيمان بالغيب" فالإيمان بالغيب شرط للإيمان الصحيح الذي لا يشوبه شك بالله سبحانه خالق الكون وما فيه وما علمنا وما لا نعلم، ومن خلقه ما أخفا عنا وجعله غيباً وجعل له دلائل على وجوده كما جعل لنا دلائل على وجوده كالنجوم والكواكب والأقمار والأرض وما فيها من بحار وجبال ووديان⁽²⁾ وعلى هذا فالإيمان بالغيب كله ومنه الحياة البرزخية من دلائل وجود الله الذي ستره عن مداركنا.

ثانياً: اختلاف معايير سنن الوجود:

من المعلوم لدى الدارسين أن سنن الله الكونية لا تتبدل ولا تتغير ومن ثم فعدم رؤية ما يدور في القبور من سنن الله التي لا تتحول ولا تتغير فما يحدث فيها من أمور قد أخفاها الله عنا، وكذلك وجود الملائكة والجن فهذه المخلوقات غير المرئية لو ظهرت لتغيرت السنن وتحولت من عالم الغيب إلى عالم الشهادة المحسوس "ومن خلقه ما أخفاه عنا وجعله غيباً ولو أظهره لنا لاختلفت معايير سنة الوجود التي أرادها الله، ومنها خلقه للملائكة والجن وجعلهما سبحانه من عالم الغيب فأين هم الملائكة جنود الله تعالى؟ الذين أخبر عنهم الله تعالى بقوله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾⁽³⁾ أين هم وهم معنا وعن يميننا وشمالنا؟ وقوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِمَّنْ أَمَرِ اللَّهُ﴾⁽⁴⁾ أي الملائكة أين هم؟⁽⁵⁾

(1) تفسير الشعراوي، 569/1.

(2) الموت وعالم البرزخ، سلسلة موسوعة الآخرة، د / ماهر أحمد الصوفي، ص 73.

(3) سورة المدثر من الآية: 31.

(4) سورة الرعد من الآية: 11.

(5) الموت وعالم البرزخ، سلسلة موسوعة الآخرة، د / ماهر أحمد الصوفي، ص 73.

ثالثاً: ظهور الفضائح عند دفن الميت:

كشف ما في القبر من سؤال أو عذاب أو غيرهما على رؤس الأَشهاد إنه يعد فضيحة للميت وأهله من بعده ومن ثم فإن هذا يتنافي مع ستر الله تعالى للعباد عامة فالله سبحانه وتعالى سِتيرٌ يحبُّ السَّتر وإذا كشف للناس ما في القبور من عذاب أو غيرهما فيُعد هذا الكشف فضيحة للميت ومن أعظم النعم الإلهية على الإنسان نعمة الستر يقول الغزالي "ثم انظر إلى كثيف ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه"⁽¹⁾

ومن أسماء الله تعالى (الغفار) وهذا الاسم معناه "هو الذي أظهر الجميل وستر القبيح والذنوب من جملة القبائح التي سترها بإسبال الستر عليها في الدنيا والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة والغفر هو الستر وأول ستره على العبد أن جعل مقابح بدنه التي تستقبحها الأعين مستورة في باطنه مغطاة بجمال ظاهره فكم بين باطن العبد وظاهره في النظافة والقذارة وفي القبح والجمال فانظر ما الذي أظهره وما الذي ستره وستره الثاني أن جعل مستقر خواطره المذمومة وإرادته القبيحة سر قلبه حتى لا يطلع أحد على سره ولو انكشف للخلق ما يخطر بباله في مجاري وسواسه وما ينطوي عليه ضميره من الغش والخيانة وسوء الظن بالناس لمقتوه بل سعوا في تلف روحه وأهلكوه فانظر كيف ستر عن غيره أسرارهِ وعوراتهِ، وستره الثالث مغفرته ذنوبه التي كان يستحق الافتضاح بها على مأل الخلق وقد وعد أن يبذل سيئاته حسنات ليستر مقابح ذنوبه بثواب حسناته مهما مات على الإيمان"⁽²⁾ ومن هنا فإن فضيحة الميت عند دفنه تجعل الناس يتكلمون في سيرته أبد الدهر مما يسبب أَلماً في قلوب أهله لا ينقطع ولا يجف أبداً لذلك يعد خفاء ما القبر نعمة من الله تعالى لعباده.

(1) إحياء علوم الدين، للغزالي، 200/2.

(2) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنی، للغزالي، ص 88.

إن من أجل نعم الله على الخليقة أن جعل خفاء ما في القبر لا نراه بأعيننا ولا ندرك كيفيته؛ لأن ذلك ليس في استطاعة العقول تحصيله ولا الوقوف عليه؛ لأن إدراك ذلك لابد أن يكون محسوسًا ملموسًا وهذا في حيز الامتناع ومن ثم فلا يطلع عليه أحد من البشر فأخفاه الله تعالى عنا من باب الستر، ومن باب تجديد الإيمان في قلوب الخلق؛ لأن الإيمان به من الغيبات التي أخبر عنها الصادق المعصوم فيجب أن نؤمن بكل ما جاء به الرسول (ﷺ) ولا نسأل عن كيفيته؛ لأن الكيفية لا يمكن إدراكها إلا بالمحسوس والمرئي والمسموع كاستواء الله على العرش الذي أخبر الله سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (1) فالاستواء معلوم والكيفية مجهولة وأني لنا أن نعرف الكيفية ولم نره ولم ندركه بأحاسيسنا وهذا إخبار من الله تعالى علمناه في الدنيا ونرى كيفيته يوم القيامة حيث تظهر لنا فيه كل الغيبات المخفية عن البشر في الحياة الدنيا (2) وإذا كان الله تعالى قد أخفى عن الأحياء سؤال القبر، فإن هذه النعمة رحمة بالعباد وذلك؛ لأن الإنسان لو شاهد أخاه يُسأل أمامه فإنه يهرب من هول هذا الموقف لا سيما ونحن في دار التكليف التي يترتب عليها الحساب والجزاء، وأيضاً فإن هذه مسألة غيبية أي من الغيبات التي لا يعلمها إلا الله تعالى وحده.

أثر اعتقاد العبد في أحوال القبر الثلاثة على سلوكه

اتفق أهل السنة والجماعة على أن كل إنسان يسأل بعد موته قُبر أم لم يُقبر، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رمادًا، ونسف في الهواء، أو غرق في البحر، لسئل عن أعماله، وجوزى بالخير خيرًا، وبالشر شرًا، وأن النعيم أو العذاب على

(1) سورة الحديد من الآية: 4.

(2) الموت وعالم البرزخ، سلسلة موسوعة الآخرة، د / ماهر أحمد الصوفي، ص18.

النفس والبدن معاً⁽¹⁾، ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً، ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى، أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العالمين، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى⁽²⁾.

حياة البرزخ وأثرها في سلوك الفرد والمجتمع

إن اعتقاد المسلم وإيمانه بحياة البرزخ، له أكبر الأثر في سلوكه، وفي انضباط أفعاله ومعاملاته، حيث إن هذا الاعتقاد ليولد عنده عدة أمور كلها تقوي عقيدته وتقوم أخلاقه وسلوكه منها:

الخوف والخشية من الموقف:

ولقد جاءت عدة أحاديث تبين مدى خوف الإنسان من القبر ومما فيه من هذه الأحاديث عن هاني مولى عثمان قال كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبيل لحيته فقليل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا فقال: إن

(1) يقول صاحب الطحاوية وليس السؤال في القبر للروح وحدها، كما قال ابن حزم وغيره، وأفسد منه قول من قال: إنه للبدن بلا روح! والأحاديث الصحيحة ترد القولين، وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعاً، باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به. واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر - وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور. وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلك - فيجب أن يفهم عن الرسول (ﷺ) مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان، فكم حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله. بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد. فالحاصل أن الدور ثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار. وقد جعل الله لكل دار أحكاماً تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم - صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً، يراجع: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، 2/ 571، 572.

(2) العقائد الإسلامية، ص237.

رسول الله (ﷺ) قال: ((الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ))⁽¹⁾ قال الطيبي: "فزع الأمر بالغم فظاعة فهو فظيع أي شديد شنيع جاوز المقدار، وعبر بالمنظر عن الموضوع مبالغة؛ فإنه إذا نفى الشيء مع لازمه ينتفي الشيء بالطريق البرهان، و(فزع) كلمة يؤكد بها النفي في الفعل الماضي، كما أن عوض يؤكد بها النفي في المستقبل⁽²⁾. وإذا كان الأمر كذلك فيه رهبة من هذا الموقف فإنه يعود على الإنسان بتعديل سلوكه وبتصحيح معتقده ومن ثم تسلم عقيدته من الشك والريب ويستعد لهذا الموقف.

حسن الظن بالله حال الاحتضار:

إن حسن الظن بالله تعالى يجعل الإنسان في حالة طمأنينة تامة؛ لأنه يعلم أن له رباً من صفاته تعالى الرحمة ومن أسمائه الغفار الذي يغفر الذنب لمن عصاه وبهذا يحسن العبد الظن بالله تعالى قال الحافظ بن رجب "وأعظم الشدائد التي تنزل بالعبد في الدنيا الموت، وما بعده أشد منه إن لم يكن مصير العبد إلى خير، فالواجب على المؤمن الاستعداد للموت وما بعده في حال الصحة بالتقوى والأعمال الصالحة، قال الله (ﷻ): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁽³⁾ فمن ذكر الله في حال صحته ورخائه، واستعد

(1) أخرجه الترمذى (2308)، وابن ماجه (4267)، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (454) من طريق هشام بن يوسف به. وحسنه الألبانى في صحيح ابن ماجه (3442) والمصنف في إثبات عذاب القبر (234). وحسنه الألبانى في صحيح الجامع 1684. وإسناده حسن، هانى مولى عثمان صدوق، وباقي رجاله ثقات. محمد بن إسحاق: هو الصغاني، وهام بن يوسف وعبد الله بن بحير: هما الصنعانيان.

(2) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (743هـ) المحقق: د. عبد الحميد هندواي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض) الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م، 2 / 597.

(3) سورة الحشر، الآيتان: 18، 19.

حينئذ للقاء الله (ﷻ) بالموت وما بعده، ذكره الله عند هذه الشدائد، فكان معه فيها، ولطف به، وأعانه، وتولاه، وثبته على التوحيد، فلقية وهو عنه راض، ومن نسي الله في حال صحته ورخائه، ولم يستعد حينئذ للقاءه، نسيه الله في هذه الشدائد، بمعنى أنه أعرض عنه، وأهمله، فإذا نزل الموت بالمؤمن المستعد له، أحسن الظن بربه، وجاءته البشرى من الله فأحب لقاء الله، وأحب الله لقاءه، والفاجر بعكس ذلك، وحينئذ يفرح المؤمن، ويستبشر بما قدمه مما هو قادم عليه⁽¹⁾.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: سمعت رسول الله (ﷺ)، قبل موته بثلاثة أيام، يقول: ((لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))⁽²⁾ قال الإمام النووي: "قال العلماء معنى حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه قالوا وفي حالة الصحة يكون خائفاً راجياً ويكونان سواء وقيل يكون الخوف أرجح فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له"⁽³⁾، ومن هنا فإن حسن الظن بالله يؤهل العبد لأن يكون في حالة اقبال على الله تعالى.

محبة لقاء الله تعالى:

لقاء الله تعالى لا بد منه ولا مهرب منه لذا فإن الصالحين من عباد الله تعالى

(1) روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلافي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ) جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى 1422 - 2001 م، 397/2.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت 4 / 2205، 2206 ح 2877، وأبو داود في كتاب الجنائز، باب ما يستحب من حسن الظن بالله عند الموت، 3 / 189 ح 3113، وابن ماجه في كتاب الزهد باب التوكل واليقين 1395/2 ح 4167، وأحمد 14157/293/3 و 315/3 ح 14426 و 325/3 ح 14521 و 330/3 ح 14572 و 334/3 و 14620 15234/390/3 - واللفظ له - كلهم عن جابر بن عبد الله مثله.

(3) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1392، 210/ 17.

يتأهبون للقائه تعالى ومن ثم فهم يحبون لقاء الله تعالى، ومن ينظر في السنة النبوية يجدها حافلة بالأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك من هذه الأحاديث ما رواه أنس بن مالك أن النبي (ﷺ) قال: ((مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ))⁽¹⁾.

قال الإمام النووي: "إن الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزاع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه وما أعدله ويكشف له عن ذلك فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعد لهم ويحب الله لقاءهم أي فيجزل لهم العطاء والكرامة وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه ويكره الله لقاءهم أي يبعدهم عن رحمته وكرامته ولا يريد ذلك بهم وهذا معنى كراهته سبحانه لقاءهم وليس معنى الحديث أن سبب كراهة الله تعالى لقاءهم كراحتهم ذلك ولا أن حبه لقاء الآخرين حبهم ذلك بل هو صفة لهم"⁽²⁾ وبناء على ذلك فالمؤمنون يحبون لقاء الله ويحبون الانتقال إليه أيضًا، وأما غيرهم على النقيض من ذلك وهذا هو وصفهم.

إن الحياة البرزخية إنما هي دار امتحان فمن نجا منها فقد نجا، ومن لم ينجو فقد هلك، وعلى ذلك فإن عقيدة الإنسان تسلم من سوء الظن بالله تعالى فيكون الإنسان في حالة اطمئنان وسكينة وذلك إذا سار على مراد الله وعلى نهج رسول الله (ﷺ) فيقتدي بأخلاقه الكريمة فيكون إلى الآخرة أقرب ومن الدنيا أبعد فيستعد للقبر وما فيه من سؤال وضغطة وغير ذلك مما أخبر عنه الله ورسوله، وإن لم يستعد الإنسان لهذا الموقف فإنه يكون من المبتعدين عن الله تعالى فيكره لقاء ربه والله تعالى للقائه أكره، ومن ثم فإن الأثر الذي يترتب على ما في القبر وإخفاء ذلك عن البشر لمن أعظم المنن على الإنسان في الدنيا، وتظهر ثمرة ذلك

(1) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، 5/ 2387 ح (6143) ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب تمنى كراهة الموت لضر نزل به 4/ 2067 ح (2686).

(2) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، 17/ 10، 11.

على الفرد والمجتمع وبهذا تسلم المجتمعات من الخرافات والخزعبلات المنشرة بين الناس من عدم معرفة الحكم الإلهية في إخفاء تلك الأمور عنا ومن هنا تظهر ثمرة الإيمان بالغيب. وبعد أن انتهيت من نعمة الخفاء في عالم البرزخ ننتقل إلى نعمة الخفاء في عالم الغيب وإخفاء المغيبات الخمس وأثر ذلك في العقائد الإيمانية.

الفصل الخامس

نعمة الخفاء في الغيب الخفي

توطئة

من الأمور التي أخفاها الله تعالى عن عباده (معرفة الغيب الخفي) الذي يُعد من ضروريات الإيمان بالله تعالى وحده لذلك نجد في مطلع سورة البقرة أن الحق (ﷻ) عدّ من صفات المتقين أنهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾⁽¹⁾ "والمراد به ما لا يدرك بالحواس مما أخبر الرسول (ﷺ) صريحاً بأنه واقع أو سيقع مثل وجود الله، وصفاته، ووجود الملائكة، والشیاطين، وأشرار الساعة، وما استأثر الله بعلمه... إلخ وهو ما غاب عن الحس من العوالم العلوية والأخروية"⁽²⁾. ومن هنا فإن عالم الغيب الذي أخفاه الله عن مدارك البشر فلا يعلمون منه شيئاً إلا ما جاء على لسان رسول (ﷺ) وأخبر به فيجب الإيمان به. ومن الحقائق المعروفة أن الإيمان بالملائكة والجن، وكل ما لا تراه العيون ولا تدركه، غيب يجب الإيمان به، وأيضاً وجود هذه المغيبات دليل على وجود خالق لهذا الكون الفسيح وهذا الخالق منزّه عن المادة وما يتبعها"⁽³⁾ والإيمان بالغيب هو اعتقاد وجود موجود وراء المحسّات، متى أرشد إليه الدليل، أو الوجدان السليم. ومن يعتقد بهذا يسهل عليه التصديق بوجود خالق للسموات والأرض، منزّه عن المادّة وتوابعها، وإذا وصف له الرسول العوالم التي استأثر الله وانفرد بعلمها، كعالم الملائكة، أو وصف له اليوم الآخر، لم يصعب عليه التصديق به بعد أن يستيقن صدق النبي الذي جاء به، أمّا من لا يعرف إلّا ما يدركه الحسّ، فإنه يصعب إقناعه، ولّمّا تجد الدعوة إلى الحق

(1) سورة البقرة من الآية: 3.

(2) التحرير والتنوير، بن عاشور 229/1.

(3) المادة: هي على رأي متأخري المنطقيين عبارة عن كيفية كانت لنسبة المحمول إلى الموضوع إيجاباً كان أو سلماً وعلى رأي متقدميهم: عبارة عن كيفية النسبة الإيجابية في نفس الأمر بالوجوب والإمكان والامتناع ولها أسماء باعتبارات، فمن جهة توارد الصور المختلفة عليها مادة وطنية، ومن جهة استعدادها للصور قابل وهيولى، ومن جهة أن التركيب يبتدأ منها عنصر ومن جهة أن التحليل ينتهي إليها اسطقس، والمادة والصورة مخصوصتان بالأجسام وقال بعض المحققين بطريانهما في الأعراس أيضاً" يراجع: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحنفي 1/ 865.

من نفسه⁽¹⁾. وفي إطار الحديث عن نعمة الخفاء في الغيب الخفي سنتناول هذه القضية من خلال ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: ضروريات الغيب الخفي، وأثرها في العقيدة.

المبحث الثاني: أنواع الغيب الخفي، وأثرها في العقيدة.

المبحث الثالث: نعمة إخفاء مفاتيح الغيب الخمسة، وأثرها في العقيدة.

(1) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور / هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، 1/ 111.

المبحث الأول

ضروريات الغيب الخفي، وأثرها في العقيدة

ماهية الغيب الخفي⁽¹⁾

الغيب هو "كل ما غاب عنك. في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾⁽²⁾ أي يؤمنون بما غاب عنهم، مما أخبرهم به النبي (ﷺ)، من أمر البعث والجنة والنار. وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به، فهو غيب ويقال: سمعت صوتاً من وراء الغيب أي من موضع لا أراه. وقد تكرر في الحديث ذكر الغيب، وهو كل ما غاب عن العيون، سواء أكان محصلاً في القلوب، أم غير محصل⁽³⁾، والغيب: مصدر غابت الشمس وغيرها: إذا استترت عن العين، يقال: غاب عني كذا. قال تعالى: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾⁽⁴⁾، واستعمل في كل غائب عن الحاسة، وعما يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب، قال: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾⁽⁵⁾، ويقال

(1) نلاحظ أن ماهية الغيب قد جاءت عند بعض المفسرين بمعان متعددة، فمنهم من ذكر كل الأمور الغيبية ومنهم من قد ذكر بعضاً من هذه الأمور فقد جاءت لفظة الغيب لتشمل "الذات الإلهية" الله وملائكته ورسله واليوم الآخر، وجنته وناره ولقائه، وآمنوا بالحياة بعد الموت. فهذا كله غيب، وهذا رأي، ومنهم من جعل المراد بكلمة الغيب معان متعددة يراد بها الغيب أيضاً كما ذكر ابن الجوزي في تفسيره حيث قال "وفي المراد بالغيب ها هنا ستة أقوال: أحدها: أنه الوحي، قاله ابن عباس، وابن جريج. والثاني: القرآن، قاله أبو رزين العقيلي، وزر بن حبيش. والثالث: الله عز وجل، قاله عطاء، وسعيد بن جبير. والرابع: ما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار، ونحو ذلك مما ذكر في القرآن. رواه السدي عن أشياخه، وإليه ذهب أبو العالية، وقتادة. والخامس: أنه قدر الله عز وجل، قاله الزهري. والسادس: أنه الإيمان بالرسول في حق من لم يره. قال عمرو بن مرة: قال أصحاب عبد الله له: طوبى لك، جاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجالسته. فقال: إن شأن رسول الله (ﷺ) كان مبيناً لمن رآه، ولكن أعجب من ذلك: قوم يجدون كتاباً مكتوباً يؤمنون به ولم يروه، يراجع: الطبري، 1 / 237، زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ، 1 / 2.

(2) سورة البقرة جزء من الآية: 3.

(3) لسان العرب، 1 / 654، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي 4 / 125.

(4) سورة النمل من الآية: 20.

(5) سورة النمل من الآية: 75.

للشيء: غيب وغائب باعتبارهما بالناس لا بالله تعالى؛ فإنه لا يغيب عنه شيء، كما لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض. وقوله: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾⁽¹⁾، أي: ما يغيب عنكم وما تشهدونه، والغيب في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾⁽²⁾ ما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداية العقول، وإنما يعلم بخبر الأنبياء، وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد⁽³⁾ وقيل إن حقيقته "ما غاب عن الحواس مما لا يوصل إليه إلا بالخبر دون النظر"⁽⁴⁾ وقيل "هو كل ما غاب عن العيون. سواء أكان محصلاً في القلوب أم غير محصل"⁽⁵⁾.

والمراد بعالم الغيب، "هو الخفي الذي لا يكون محسوساً، ولا في قوة المحسوسات كالمعلومات ببديهة العقل أو ضرورة الكشف وغيب الغيب: هو الذات الإلهية المطلقة وهو هويته الغيبية السارية لكل علماً لا يمكن أن يتعلق به بهذا الاعتبار علم لكونه محتجباً في حجاب عزته، ولا يجوز إطلاق اسم الغائب عليه تعالى، ويجوز أن يقال: إنه غيب عن الخلق"⁽⁶⁾، وقيل "هو الأمور الخفية والغائبة عن الحس وقد اصطلح الفلاسفة على عالم الطبيعة بعالم الشهادة وعلى عالم الملكوت بعالم الغيب"⁽⁷⁾ وقيل في معناه "هو المعدوم وما غاب عن الناس"⁽⁸⁾، وهذا التعريف يؤخذ عليه كلمة "الغيب هو المعدوم" فالله تعالى غيب ولكنه تعالى ليس معدوماً فهو واجب الوجود لا يطرأ عليه العدم ومن ثم لا نطلق عليه أنه معدوم

(1) سورة الأنعام من الآية: 73.

(2) سورة البقرة جزء من الآية: 3.

(3) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص 616.

(4) أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م، 15/1.

(5) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الجوزي، 399/3.

(6) الكليات، أبو البقاء الحنف، 1 / 667.

(7) عالم الغيب والشهادة، مرتضى مطهري، الطبعة الثانية كانون الثاني، 1424هـ، 2004م، ص 12.

(8) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: 474هـ): مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، 1332 هـ / 1 / 334.

وكلمة الغيب ليست مرادفة لكلمة المعدوم وإنما المرادف لها كلمة "(حضور)" ولكن الأصح أن نقول أن الله غيب مطلق لا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل. وعلى هذا فالغيب "هو الأمر الخفي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهية العقل"⁽¹⁾ فالحواس لا تدركه؛ لأنها تدرك كل ما كان معلوماً لديها لكن عالم الغيب لا تدركه ولا تشاهده وبالتالي فهو في خفاء عنها، والغيب ركن من أركان الإيمان الستة المعروفة عند علماء العقيدة وهي أن تؤمن بالله وملائكته... إلخ، وكل هذه الأمور الغير مرئية غائبة عنا⁽²⁾ ونؤمن بها، ومن لم يؤمن بها فهو كافر؛ لأنه أنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة.. والغيب يسمى بعالم الملكوت، ويسمى أيضاً بعالم الملائكة. ويقابل هذا العالم أي عالم الملكوت⁽³⁾، عالم الشهادة الذي هو أثر من آثار عالم الغيب "وعالم الملكوت هو العالم العلوي الذي تسكنه الملائكة وتخرج إليه نفوس السالكين. وهو عالم الغيب الذي يعتبر عالم الشهادة أثراً من آثاره وظلاً له ومسبباً عنه. وهو عالم مشحون بالأنوار"⁽⁴⁾ وهناك صنف من الناس لا يؤمن إلا بكل ما هو محسوس ومادي فقط، وهناك من يؤمن بما لا يدركه الحس كالיום الآخر وما يشتمل عليه من أمور خفية أخبر عنها الرسول الكريم فيجب الإيمان بها، ومن الحقائق المعروفة أن الإيمان بالملائكة والجن، وكل ما لا تراه العيون ولا تدركه يجب الإيمان به، والإيمان به "هو اعتقاد وجود موجود وراء المحسّات، متى أرشد إليه الدليل، أو الوجدان السليم. ومن يعتقد بهذا يسهل عليه التصديق بوجود خالق

-
- (1) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد الحنفي التهانوي، 2/ 1262.
- (2) والغيب هو المخفي، والمخفي على قسمين، نسبي، ومطلق، فالغيب النسبي هو ذلك الشيء المخفي عن إنسان واحد أو عدة أفراد بسبب بعدهم عنه أو لعلّة تشبه هذا فمثلاً طهران لسكانها جزء من عالم الشهادة، أما أصفهان فهي تعتبر له من عالم الغيب أما بالنسبة لسكانها أصفهان فإن أصفهان جزء من عالم الشهادة دون طهران، يراجع: الرؤية الكونية التوحيدية، معاونية العلاقات الدولية في منظومة الإعلام الإسلامي، آية الله الشهيد مرتضى المطهري طهران - الطبعة الثانية، 1409 هـ، 1989م، ص 91.
- (3) هو العالم الذي يغيب عن الحواس ولا تكفي الحواس وحدها للكشف عن التعرف على هذا العالم ومن ثم به وإنما بحاجة إلى مساعدة العقل وإلى قوة أكثر خفاء لمشاهدة الغيب، يراجع: عالم الغيب والشهادة، مرتضى مطهري، ص 12 مرجع سابق.
- (4) مشكاة الأنوار، أبو حامد الغزالي حققها وقدم لها: الدكتور/ أبو العلا عفيفي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1 / 13.

للسموات والأرض، منزّه عن المادّة وتوابعها، وإذا وصف له الرسول العوالم التي استأثر الله وانفرد بعلمها، كعالم الملائكة، أو وصف له اليوم الآخر، لم يصعب عليه التصديق به بعد أن يستيقن صدق النبي الذي جاء به، أمّا من لا يعرف إلّا ما يدركه الحسّ، فإنه يصعب إقناعه، وقلّما تجد الدعوة إلى الحق من نفسه⁽¹⁾ ومن هنا فإن العالم يتنوع إلى نوعين (عالم الغيب، وعالم الشهادة) والإيمان بعالم لا نراه من مستلزمات الإيمان بالله.

"فالعالم المدرك المشاهد هو الذي سماه القرآن (عالم الشهادة) والعالم المغيّب الخفي عن حواسنا عالم ما وراء المادة هو (عالم الغيب)، أما عالم الشهادة فيستوى في الإيمان به والتصديق لوجوده الناس جميعاً حتى الحيوان الأعجم يدرك بحسه وجوده فلا فضل في الإيمان به لأن ذلك من العلم الضروري ولكن الفضل في الإيمان بالغيب فيما لا يراه ويصدق بوجوده اعتماداً على صدق الخبر به"⁽²⁾.

ضروريات الغيب الخفي⁽³⁾

تعريفه: "هو الهوية الغيبية المجهولة مطلقاً من حيث إطلاقها"⁽⁴⁾ والمراد

(1) تفسير حدائق الروح والريحان في روائي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، 1/ 111.

(2) تعريف عام بدين الإسلام، على الطنطاوي - دار الوفاء - المنصورة، الطبعة الرابعة عشر، 1412 هـ، 1992 م، ص 143.

(3) فإذا تحدث القرآن عن الغيب المجهول في عالم الذر أو انبائه عن الغيب المجهول في عالم البرزخ فعلى التصديق المطلق؛ لأن القرآن نفسه صادر عن الغيب ولكن الغيب المعلوم عندنا وهو الله سبحانه وتعالى إذ يقول ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ لِرَبِّهِمْ فِي هُدًى لِّلْمَقِيِّنَ﴾ ^(١) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُعِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُعْمُونَ سورة البقرة من الآية 1 - 3. وهذا بخلاف ما لو تحدث العلم التقني في مجالات تخصصه فإنه يصدر عن قوة تعليمية لا عن قوة غيبية "رحلة الإنسان من عالم الذر حتى حياة البرزخ، د/ محمد حسين علي الصغير- مؤسسة البلاغ، دار سلوني، الطبعة الأولى، 1423 هـ، 2002 م، ص 18.

(4) شرح الجامي على فصوص الحكم للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، الملا عبد الرحمن ابن أحمد بن محمد الملقب بنور الدين المتوفى سنة 898 هـ المتوفى سنة 638 هـ، ضبطه وصححه واعتنى به الشيخ الدكتور / عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الزرقاني، دار الكتب العلمية، ص 229.

بالهوية "الغيب الذي لا يصح شهوده للغير، كغيب الهوية⁽¹⁾ المعبر عنها كنهًا باللاتعين، وهو أبطن البواطن"⁽²⁾ ومن هنا فإن الهوية المطلقة⁽³⁾ أي (الذات الإلهية) لا يصح للغير أن يراها رأي العين في هذا العالم الدنيوي، والعالم الغيبي إنما هو تجلي الذات المطلقة فلا يزال موصوفًا بها دائمًا وأبدًا "فمن تجلي الغيب يعطي الاستعداد الذي يكون على القلب وهو التجلي الذاتي الذي الغيب حقيقته وهو الهوية التي يستحقها بقوله هو فلا يزال هو له دائمًا أبدًا"⁽⁴⁾.

الغيب الخفي (المطلق) وضرورياته

الغيب الخفي له عدة ضروريات تجعل الإنسان يؤمن به دون نقاش أو جدال، وتجعله يبحث عن الأشياء الغير مرئية ليقف عندها وبالتالي يقر بوجود خالق لها هو واجب الوجود (ﷻ). وتتمثل هذه الضروريات فيما يلي:
أولاً: ضرورة إنسانية:

ويقصد به توسيع مدارك الإنسان لا ليقف عند الماديات المشهودة والمرئية فقط بل يمتد فكر الإنسان ليسلم بأن هناك عالماً آخر غير منظور أخبر عنه الأنبياء والمرسلون، فيجب حينئذ التسليم المطلق بكل ما أخبروا به عن هذا العالم الغيبي الواسع الغير مدرك. بخلاف عالم الشهادة المشهود والمنظور على حد سواء.

(1) اسم الهوية ليس عربياً في أصله، «و إنما إضطر إليه بعض المترجمين، فاشتق هذا الاسم من حرف الرباط، أعني الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، وهو حرف هو في قولهم: زيد هو حيوان أو إنسان» المعجم الفلسفي، د / جميل صليبا، 2 / 529.

(2) التعريفات، 1 / 257.

(3) وعليه يستخدم العرفاء للإشارة إلى مقام ذات الحق الأسماء التالية " الغيب المطلق - هو غيب الغيوب - غيب الهوية - الكنز المخفي - عنقاء الغرب، الغيب المكنون - الغيب المصون - الذات، الذات الإطلاقية، المطلقة بالإطلاق المقسمي، الهوية المطلقة هو، مقام اللاتعين، مقام الاسم ولا اسم، الألف الوجود من حيث هو هو، الأحدية الذاتية - الأحدية المطلقة الوحدة وغيرها " يراجع: العرفان النظري - مبادئه وأصوله، يد الله يزدان بناء، تدوين عطاء انزلي، ترجمة على عباس الموسوي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، سنة 2014م، ص309.

(4) نعمة الذريعة في نصرة الشريعة إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحلي الحنفي (المتوفى: 956هـ)، المحقق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، دار المسير - الرياض، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م، 1 / 94

وحكمة تقديم عالم الغيب على عالم الشهادة "أن الأمور المغيبة عنا لا تنتهي سعة ومدى، أما الأمور التي يمكن لنا أن نتوصل إلى شهودها ومعرفتها فهي أمور يسيرة قليلة"⁽¹⁾ "وخص بالذكر الإيمان بالغيب دون غيره من متعلقات الإيمان؛ لأن الإيمان بالغيب أي ما غاب عن الحس هو الأصل في اعتقاد إمكان ما تخبر به الرسل عن وجود الله والعالم العلوي، فإذا آمن به المرء تصدى لسماع دعوة الرسول وللنظر فيما يبلغه عن الله تعالى فسهل عليه إدراك الأدلة، وأما من يعتقد أن ليس وراء عالم الماديات عالم آخر وهو ما وراء الطبيعة فقد راض نفسه على الإعراض عن الدعوة إلى الإيمان بوجود الله وعالم الآخرة"⁽²⁾.

الحاجة إلى معرفة الغيب الخفي:

وتتمثل الحاجة إلى معرفة هذا النوع من المغيبات في أنه أمر ضروري يحتاج إليه الإنسان في معرفته؛ لأنه يزود الإنسان بمعرفة الشيء المجهول عنه لكي يزوده بالمعرفة التي تعد بمثابة دليل قوي على وجود قوة خفية وراء هذه الأمور المجهولة، و"هذا المطلب الإنساني -في حد ذاته- (دليل نفسي) قوي على وجود عالم آخر، كالظمأ، فهو يدل على الماء، وعلي علاقة خاصة باطنة بين الماء وبين الإنسان. وهكذا فإن تطلع الإنسان -نفسياً- إلى عالم آخر دليل في ذاته على أن شيئاً مثل ذلك موجود في الحقيقة، أو أنه -على الأقل- خالق أن يوجد. وهذا المطلب النفسي يؤكد علاقة مصيرنا بهذه الحقيقة، ويدلنا التاريخ على وجود هذه الغريزة الإنسانية منذ أقدم العصور على مستوي إنساني، وهو أمر لا أستطيع فهمه: كيف يمكن أن يؤثر أمر باطل على البشر في هذا الشكل الأبدي، وعلى مستوى إنساني؟ وهذا الواقع نفسه يدلنا على قرينة قوية بإمكان وجود العالم الآخر"⁽³⁾.

(1) العقيدة الإسلامية وأسسها. حسن حبنكة، ص28.

(2) التحرير والتنوير، 1/ 230.

(3) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الدين خان، مراجعة وتقديم: د. عبد الصبور شاهين، 1/ 111.

والإنسان الذي كرمه الله بالعقل ورفع مكانته من بين سائر المخلوقات، وبهذا يتميز عن غيره من سائر المخلوقات وعلى هذا "فمكانة الإنسان في القرآن هو أشرف مكان له في ميزان العقيدة، وفي ميزان الفكر، وفي ميزان الخليقة الذي توزن به طبائع الكائن بين عامة الكائنات هو الكائن المكلف هو كائن أصوب من التعريف من قول القائلين الكائن الناطق"⁽¹⁾.

ومن هنا فالإنسان يتميز عن غيره من المخلوقات بأنه مفكر فلا يقف عند عالم الشهادة فقط، وإنما يتعامل مع ما غاب عنه بخلاف الحيوان الذي يعيش لحظته ويترك مستقبله للغريزة القهرية التي لا إرادة فيها، "إن من يركن إلى عالم الشهادة فحسب، في ملذاته، في تصرفاته، في تفكيره، إنسان وقتي يعيش لحظته الحاضرة، وهذا شأن الحيوان لا الإنسان الذي يتمتع ويتميز بالنظرة إلى الأمام وبالتفكير في العواقب، وبالتعامل مع ما غاب عنه، حتى بالتساوي مع ما حضره، بل أكثر من تعامله مع لحظته الحاضرة أما الحيوان فهو الذي يعيش لحظته، ويُستهلك في حاضره، ويترك مستقبله للغريزة القهرية التي لا إرادة له فيها"⁽²⁾.

وهكذا فإن ضرورة الغيب ضرورة إنسانية عند كل إنسان؛ وذلك لأن الحيوان الأعجمي ليس لديه فهم للغيب، وبخاصة المستقبل فليس له إلا حاضره ولو يعلم ما يعلمه الإنسان لتغير سلوكه وامتنع عن الطعام والتسمين وذلك للحديث الذي رواه انس بن مالك ((أن النبي ﷺ قال: لَوْ تَعَلَّمَ الْبَهَائِمُ مِنَ الْمَوْتِ مَا تَعَلَّمُونَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا سَمِينًا))⁽³⁾، فالإنسان ميزه الله عن الحيوان بأن من أركان إيمانه أن

(1) الإنسان في القرآن الكريم، عباس محمود العقاد- نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، سنة 2005م، ص17.

(2) الإنسان والغيب، الدكتور / حبيب الله حسن أحمد، ص65.

(3) أخرجه أبو نعيم في كتاب "الطب النبوي" في: كثرة ذكر الموت تهزل البدن (321/1)(233)ط: دار ابن حزم، من حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه) وإسناد أبي نعيم هذا موضوع فيه ميسرة بن عبد ربه كذاب "ديوان الضعفاء" للذهبي(ص405)(4321) ط: مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة. وأخرجه ابن الأعرابي في "معجمه" (140/1) (224) ط: دار ابن الجوزي - السعودية، والبيهقي في "شعب الإيمان" (137/13)(10073)، والقضاعي في "مسند الشهاب" (314/2) (1434)

يؤمن بالغيب ومنه الغيب المرتبط بالمستقبل الذي لا يعلمه إلا الله. وأن هناك عالمًا آخر غير هذا العالم المشحون بالظلم والاضطهاد، وغيرهما ليقف كل إنسان في هذا العالم الأخروي ويأخذ حقه ممن ظلمه، وذلك كما قال الحق ﴿لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾⁽¹⁾.

ثانيًا . الغيب الخفي ضرورة عقلية

إن العقل وحده يعتبر همزة وصل لكي يصل الإنسان من خلاله إلى الحقائق اللامحدودة التي يدلنا العقل على وجودها وثبوتها مثل حقيقة (وجود الله تعالى) أو حقيقة واجب الوجود عند الفلاسفة، ومن هنا فإن العقل هو الذي يعترف بالغيب وذلك إذا ما دقق النظر في الأمور، وجد أن وراء هذا العالم عالم آخر يسمى بعالم الغيب، وعلى هذا فإن عمل الحواس محدود⁽²⁾.

الإيمان بالغيب الخفي ضرورة عقلية

ومعنى ذلك أن العقل الذي كرم الله به الإنسان يحتاج إلى معرفة الحكم الإلهية في إخفاء تلك الأمور الخفية لكي يتزود بالمعرفة العقلية، والعقل هو "جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقًا ببدن الإنسان، وقيل: أنه" نور في القلب يعرف الحق والباطل، وقيل: إنه" جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير

ثلاثتهم من طريق عبد الله بن سلمة، عن أبيه، عن أم حبيبة الجنية - رضي الله عنها -، به. وهذا الإسناد ضعيف، وعلمته عبد الله بن سلمة بن أسلم ضعيف "ميزان الاعتدال" للذهبي(431/2)(4362) ط: دار المعرفة - بيروت.

(1) سورة طه، من الآية: 15.

(2) يقول الغزالي "من أين الثقة بالحواس؟ وأقواها حاسة البصر وهي تنظر إلى الظل فتراه واقفًا غير متحرك، وتحكم بنفي الحركة، ثم بالتجربة والمشاهدة - بعد ساعة - تعرف أنه متحرك، وأنه لم يتحرك دفعة واحدة بغتة، بل بالتدريج ذرة، ذرة، حتى لم يكن له حالة وقوف. وتنظر إلى الكوكب، فتراه صغيرًا في مقدار دينار، ثم الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار. هذا، وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس، بأحكامه ويكذبه حاكم العقل ويخونه تكذيبًا لا سبيل إلى مدافعتة فقلت: قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضًا، المنقذ من الضلال، أبو حامد الغزالي، طبع في المطبعة الاعلامية، مصر - القاهرة، سنة 1303 هـ، ص 5.

والتصرف"⁽¹⁾؛ ولأن العقل أدرك من الغيبيات⁽²⁾ بل رأس الغيبيات وهو وجود الله (ﷻ)، ثم إن هذا العقل أدرك أن الحواس الإنسانية محدودة وحتى هذه الحدود يجدها مختلفة بين الناس من حيث النصيب فهناك أعمى البصر، وهناك الذي يبصر ولكن بصعوبة ثم هناك الإنسان العادي، وكذلك الأذن تسمع على مسافة محدودة، واهتزازات صوتية ذات قوة معينة وهناك من الأصوات ما لا تدركه حاسة السمع وهكذا بقية الحواس"⁽³⁾ ومن هنا فإن العقل له مكانة كبيرة في البحث عن وجود الله تعالى.

الحواس وأهميتها في إدراك الغيبيات

هناك من يدعي أن الحواس طالما أنها لا تدرك الغيبيات فإن الأخيرة لا وجود لها على الإطلاق وهذه دعوى كاذبة لا دليل عليها، والكلام إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال وعلى هذا فالقول بعدم إدراك الحواس دليل على عدم ثبوت الغيب، وهذه حجة واهية، بل إنها قضية تحمل دليل كذبها، فلتسأل كل حاسة نفسها، وليسأل كل ذي حاسة نفسه، هل هذه الحاسة تدرك كل شيء؟ هل ترى العين كل المرئيات؟ هل تسمع الأذن كل الأصوات؟ بالطبع لا... بل إن الحاسة الواحدة تختلف فيما تدركه من كائن إلى كائن آخر فحاسة البصر عند بعض الحيوانات أقوى منها عند حيوانات أخرى، وحاسة السمع، ومثلها الشم بل إن الحاسة

(1) التعريفات، للجرجاني، ص150.

(2) ينبغي أن نعلم أن العقل عاجز عن إدراك الغيب المطلق، وعن هذا يقول العقاد "إننا لا نبتغي بدعا من العقل إذ ميزنا الدين برخصة لا تساويها رخصة قط فيما تدركه الحواس أو تدركه العقول؛ لأن مدركات الدين تشمل أصول الوجود وأسرار الخليقة وتتطلع إلى بواطن الغيب كما تتطلع إلى ما وراء هذا العالم المحدود كلما ارتفعت بها أشواقها إلى سماء الكمال المطلق كمال الخالق المبدع لجميع هذه المخلوقات فإذا قبلنا من عقولنا وحواسنا أن نقنع بالتعبير الرمزي والعقيدة الإيمانية في إدراك خليفة محددة من هذه الخلائق التي لا عداد لها فإنه لمن الشطط أن نسوم العقل إدراكا للحقيقة المطلقة يخلو من الرموز ويتجرد من عنصر الإيمان " يراجع: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد- نهضة مصر - الطبعة الرابعة، سنة 2005م ص 12، 13.

(3) عالم الغيب بين الوحي والعقل دراسة مقارنة في ضوء القرآن والسنة، الدكتور/ يحي مراد- دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ص188.

الواحدة لدى النوع⁽¹⁾ الواحد يختلف مدى إدراكها من شخص إلى آخر فقد يرى شخص ما لا يراه الآخر وقد يسمع شخص ما لا يسمعه الآخر فإذا أنكر كل من لم يدرك شيئاً وجوده بناء على عدم إدراكه، فماذا تكون النتيجة؟ ستكون في النهاية أنه لن يثبت شيء بالمرّة فكل ينكر ما أثبتته الآخر وهكذا فلن يثبت شيء أبداً⁽²⁾. ومن هنا فإن الضرورة العقلية تستلزم وجود عالما آخر غيبي غير منظور وغير مرئي، هذا العالم غير متناه وغير محدود بالنسبة للحواس؛ لأن الحواس تقع على كل محدود، ومن ثم فإن عدم إدراكها لهذا العالم الغير منظور يؤكد أنه غير متناه وغير محدود على حد سواء وذلك بالنسبة لإمكانات مدركات الإنسان.

ثالثاً: الغيب الخفي ضرورة دينية

ومعنى كون الغيب ضرورة دينية أي أنه حقيقة دينية جاء بها الدين الإسلامي ليؤكد على أن هناك عالماً غيبياً خفياً لا يدرك بالحواس المعروفة، وبناء على ذلك فإن ما تتميز به العقيدة الإسلامية عن غيرها، أن لها خاصية الإيمان بالغيب أي ما وراء الطبيعة⁽³⁾ "ثم إن هذا الغيب الذي تؤمن الأديان بوجوده من وراء الطبيعة ليس من جنس هذه الطبيعة المادية المنفعلة بل هو شيء ذو قوة فعالة مؤثرة، وله أسلوب في تصرفاته مباين للطرائق التي تؤثر لها المادة فيما حولها إذ إن هذه المواد يصدر عنها أثرها دون شعور منها ولا اختيار في صدوره أما القوة التي يخضع لها المتدين فإنه يفهمها على أنها قوة عاقلة تقصد ما تفعل وتتصرف بمحض إرادتها ومشيتها"⁽⁴⁾.

(1) النوع هو الكلّي الذاتيّ الذي يقال على كثيرين متفقين في الحقيقة واقع في جواب ما هو، ويقال أيضاً إنه كلّّي يحمل عليه الجنس وعلى غيره حملاً ذاتيّاً أوليّاً، يراجع: موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب، فريد جبر - سميح دغيم - رفيق العجم - جبرار جهامي، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - الطبعة: الأولى - 1996م، 1/ 745.

(2) الإنسان والغيب، الدكتور / حبيب الله حسن ص 60، وما بعدها.

(3) علم ما بعد الطبيعة هو الاسم الذي نطلقه اليوم على مقالات أرسطو المخصصة بالفلسفة الأولى. "المعجم الفلسفي، 2/ 300.

(4) الدين بحوث ممهدة لدراسة الأديان، الدكتور / محمد عبد الله دراز - مطبعة الحرية، بيروت، ص 41.

الإيمان بالغيب الخفي جوهر الدين الحنيف:

من المعروف لدى الدارسين أن الدين الإسلامي دين يبحث عن متطلبات الجسد والروح معاً فلا يعطي للجسد جميع رغباته ويترك الروح بلا متطلبات والعكس لذلك نجد أن ما يميز هذا الدين عن غيره من الأديان أن الإسلام جعل الإيمان بقضية الغيب ركناً من أركان العقيدة الإسلامية، ومن هنا "فجوهر الدين (غيب) فالله تعالى غيب مطلق لا نراه بأبصارنا في الدنيا"⁽¹⁾، واليوم الآخر وما فيه والقضاء والقدر غيب وليس غيباً من جنس الطبيعة التي نعيش فيها وحينئذ يجب الإيمان به وذلك عن طريق الوحي"⁽²⁾ وإذا كان أكثر الناس قد ضلوا المعرفة الصحيحة بعالم الغيب؛ لأنها معرفة فوق العقل والحس وتخبطوا مع ذلك تخبطاً شديداً فالعقل طريق لإثبات عالم الغيب إلا أنه تأخر عن إدراك تفاصيله كما أنه متفاوت وعرضة للعوارض فيحتاج إلى تنبيه من الوحي وإرشاد وإيقاظ وتعريف وتعليم، وإخبار وتفاصيل، ولا يكون هذا إلا بتسليم الوحي"⁽³⁾ وعلى ذلك فإن نور الوحي يستتير به العقل فلا يتخبط في ظلمات الجهل طالما أن الوحي يمهده بالمدد الإلهي.

(1) رؤية الله تعالى واقعة في الآخرة للمؤمنين وهذا ما اتفق عليه المتكلمون وذلك بالأدلة الواردة في ذلك.

(2) يقول الإمام الشاطبي رحمه الله "والوحي المنزل عليه مرشد ومبين لذلك الهدى، والخلق مهتدون بالجميع. ولما استنار قلبه وجوارحه - عليه الصلاة والسلام - وباطنه وظاهره بنور الحق علما وعملا، صار هو الهادي الأول لهذه الأمة والمرشد الأعظم، حيث خصه الله دون الخلق بإنزال ذلك النور عليه، واصطفاه من جملة من كان مثله في الخلقة البشرية اصطفاء أوليا، لا من جهة كونه بشرا عاقلا - مثلا - لاشتراكه مع غيره في هذه الأوصاف، ولا لكونه من قريش - مثلا - دون غيرهم، وإلا لزم ذلك في كل قرشي، ولا لكونه من بني عبد المطلب، ولا لكونه عربيا، ولا لغير ذلك، بل من جهة اختصاصه بالوحي الذي استنار به قلبه وجوارحه فصار خلقه القرآن "يراجع: الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ) تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 1992م، 2/ 854.

(3) أصول الإيمان بالغيب وآثاره، فوز بنت عبد اللطيف بنت كامل القردي، رسالة دكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، 1426هـ، ص 27.

رابعاً: ضرورة علمية

ومعنى ذلك أن الإنسان لو أنكر الغيب فقد أنكر العلم، وعلى هذا فالإنسان لا يرى تلك المغيبات التي أخفاها الله عنه مثل الجنة، والنار، والصراط والميزان وغيرها التي يطلق عليها عند علماء العقيدة بما يسمى بالسمعيات⁽¹⁾.

إنكار الغيب الخفي تعطيل للعلم:

والغيب ضرورة علمية، وإنكاره تعطيل للعلم، وإيقاف لتقدمه ولو خطوة واحدة إلى الأمام. ذلك أن العلم دائماً يبحث عن مجهول فسيبله ترتيب مقدمات معلومة للتوصل إلى نتيجة مجهولة فما هو المجهول الذي يبحث عنه العلم؟ أهو غيب؟ أم هو شهادة؟ إنه غيب لا شهادة، وهذا المجهول له وجود؟ أم لا وجود له؟ لو افترض العالم عدم وجوده لما بحث عنه، إذ كيف يبحث عن عدم لا وجود له؟ خذ مثالا على ذلك: لو سيطر عالم الفلك أجهزته في الفضاء عساه أن يكشف عن كواكب أخرى المعروفة لمجموعتنا الشمسية، فإنه في هذه الحالة يفترض وجود كواكب أخرى أم يفترض عدم وجود كواكب؟ لو كان يفترض عدم وجود كواكب لما كلف نفسه عناء البحث عن معدوم إذن واقع العلم والعلماء الاعتراف بالغيب ولا يفيد الملحد منهم جحوده بقلبه وإنكاره بلسانه بعد أن اعترف واقعه العلمي به فالجحود والإنكار لا يغير من الواقع شيئاً⁽²⁾.

إن الغيب ضرورة علمية؛ لأن البحث عن طريق العلم الحديث إنما هو بحث عن مجهول إذ يستحيل على الإنسان أن يبحث عن معدوم؛ لأن المعدوم لا وجود له إلا في الذهن فقط ولاوجود له في الخارج وبالتالي فإن بحث العلم يكمن في

(1) السمعيات وتسمى الغيبات أيضاً: وسميت مباحثه بالسمعيات؛ لأنه لا طريق لمعرفة إلا الكتاب والسنة: والأصل في وصولهما إلينا السماع فقط أو مع القراءة. فلا دخل للعقل في الوصول إلى ما يذكر في هذا القسم ويجب الإيمان به كالملائكة والجن والأرواح واليوم الآخر والجنة والنار إلا بالفهم عن الكتاب والسنة الصحيحة. أما تسميتها بالغيبات فلأنها أمور غائبة عنا ولا أثر لها في حياتنا يدلنا عليها دلالة قطعية. يراجع: تبسيط العقائد الإسلامية، حسن محمد أيوب (المتوفى: 1429هـ) دار الندوة الجديدة، بيروت - لبنان، الطبعة: الخامسة، 1403 هـ - 1983 م، 667/1.

(2) الإنسان والغيب، الدكتور/ حبيب الله حسن ص71.

ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول، وهذا المجهول ليس شهادة أي مشاهد؛ لأنه لو كان كذلك لترتب على وجوده تحصيل حاصل وتحصيل الحاصل محال، وإذا كان الأمر كذلك فإن العلم يبحث عن شيء مجهول وهذا المجهول إنما هو شيء غائب، عن إدراك الحواس في هذا العالم الدنيوي، ومن هنا يجب على المرء أن يسلم به؛ لأنه لو أنكر هذه الضرورة العلمية؛ لأنكر العلم كلية، وبالتالي فإن العلم يكشف أشياء دل عليها الشرع ومن الغريب والعجيب أن من يدعي إنكاراً للغيب فهو يؤمن به دون أي نزاع ويُسلم بأمور غيبية دون أن يدري مثل إيمانه بالجاذبية الأرضية وهي غيب مخبأ في كوكب الأرض لا يعلمه إلا الله وأكبر دليل على وجود الجاذبية على الأرض هو وجود كل ما على هذا الكوكب بصورة أو بأخرى من انجذاب ورسوخ لجميع الموجودات من جبال، وبحار، وأنهار، وإنسان، وحيوان، ونبات، وكل ذلك منجذب إلى الأرض بنسبة تتناسب مع حركته على هذا الكوكب فنحن نؤمن بالجاذبية الأرضية من خلال آثارها مثل الكهرباء التي لا نعرف ماهيتها وحقيقتها ووجودها إلا بآثارها، وكذلك مثل المغناطيسية وقس على ذلك من تلك العناصر التي سيتضح حقيقة خفائها كنعمة من الله تعرف بآثارها.

المبحث الثاني أنواع الغيب الخفي، وأثرها في العقيدة

أنواع الغيب الخفي

في المبحث السابق تحدثت عن الغيب باعتباره ركنًا من أركان العقيدة الإسلامية ومن ثم فهو أساس الإيمان بالله تعالى وعليه تبنى سائر الأحكام من أخلاق وشرعية وعقيدة، ومن هنا فالبشر في حاجة لمعرفة هذا الركن الأعظم ولن تأت المعرفة عن طريق الحس باعتباره مصدرًا من مصادر المعرفة، ولن تأت أيضًا عن طريق العقل باعتباره عاجزًا في معرفة نفسه ومن ثم فهو عاجز في بعض الأمور خاصة الأمور الغيبية⁽¹⁾ بل تأتي معرفتها عن طريق الرسل المعصومون من الله تعالى عن طريق الوحي الأمين، وقد أخبر القرآن الكريم أن هناك عالَمين عالم الغيب الغير منظور والغير مرئي، وعالم الشهادة المنظور والمشاهد لدى جميع الناس قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾⁽²⁾ والمعنى "يعلم ما خفي من حجاب الماضي أو المستقبل، وكل ما غاب عن الإنسان، ويعلم من باب أولى المشهود من الإنسان، فلم يقتصر علمه على الغيب، وترك المشهود بغير علم منه؛ لا بل هو يعلم الغيب ويعلم المشهود"⁽³⁾.

(1) يقول الأستاذ على الطنطاوي "إن أساس الإيمان، الاعتقاد بوجود الله، فهل هو غريب عن العقل؟ لا، إن الاعتقاد بوجود الله من بديهيات العقل، فلا يعيش عقل بلا اعتقاد بآله كما يقول (دوركيم)، والإنسان بهذا المعنى حيوان ذو دين، وذلك لأن تجارب العقل ومحسّات الحواس التي يستند في حكمه إليها، توصل حتمًا إلى الاعتقاد بوجود إله، وسواء كان منشأ هذا الاعتقاد الخوف أو التطلع إلى المجهول، كما هو مبين في كتب الميتافيزيك، فلا شك في أنه بديهي، أما ما عداه من شعَب الإيمان وأركانه، كمعرفة صفات الله، والإيمان بالمغيبات، والقضاء والقدر، فلا يستطيع العقل أن يقيم الدليل على نقضها ولكنه لا يستطيع أبدًا فهمها، ولا أظنني بحاجة إلى بيان الفرق بين الاعتقاد بوجود شيء وبين فهمه ومعرفة حقيقته، هذا وليس من مصلحة الدين ولا المتدينين أن نخلي بين العقلوما يجب الإيمان به، بل المصلحة بالاطمئنان العاطفي والتصديق القلبي وما يعقبه من اللذة والاطمئنان. يراجع: تعريف عام بدين الإسلام، علي بن مصطفى الطنطاوي (المتوفى: 1420هـ) مكتبة المنارة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م، 1 / 28، وما بعدها.

(2) سورة الحشر آية: 22.

(3) الخواطر، الشعراوي، 12 / 7233.

أقسام الغيب الخفي في المنظور الإسلامي

يمكن أن نقسم الغيب الخفي إلى عدة أقسام باعتبارات مختلفة:

أولاً: باعتبار علمه ومعرفته وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

النوع الأول: نوع يعلمه بعض المخلوقات دون غيرهم ويسمى هذا النوع بالغيب (النسبي) ومعنى الغيب النسبي. هو الغيب الذي بين البشر أو أنه شيء لا أعلمه ولكن غيري يعلمه⁽¹⁾ وقيل هو ما غاب عن بعض المخلوقين دون بعض أو غاب عنهم في حال دون حال بحيث يكون التعريف به في الدنيا مطلقاً⁽²⁾ ومن خلال التعريفين السابقين للغيب النسبي نجد أنهما يفيدان أن الغيب النسبي يغيب عن بعض دون بعض فقد يعرف الإنسان شيئاً ما وقد خُفي هذا الشيء عن شخص آخر أو قد يُكتشف لجماعة ما علم لهم بينما يُخفى عن الآخرين الذين لم يطلعوا عليه فهذا غيب لهم، وقد يدخل علم الملائكة في هذا النوع الغيب النسبي، حيث يتعلمون من الله تعالى دون البشر فعلمهم يُعد غيباً إضافياً بالنسبة للمخلوقين لكن علم البشر لوجود شيء ما دون علم غيرهم بهذا العلم فلا يدخل ضمن هذا النوع الإضافي.

يقول صاحب المنار: "وغيب إضافي، وهو ما غاب علمه عن بعض المخلوقين دون بعض، كالذي يعلمه الملائكة من أمر عالمهم وغيره ولا يعلمه البشر مثلاً، وأما ما يعلمه بعض البشر بتمكينهم من أسبابه واستعمالهم لها، ولا يعلمه غيرهم لجهلهم بتلك الأسباب أو عجزهم عن استعمالها، فلا يدخل في عموم معنى الغيب الوارد في كتاب الله"⁽³⁾ ومن هنا فإن الغيب الإضافي إنما هو مقتصر علمه عن البعض وذلك كعلم الملائكة المختص بشئونهم فهذا العلم لا يعلمه أحد سوى الملائكة فقط، وبناء على ذلك فعلم البشر عن طريق الأسباب لا يعد علماً بالغيب.

(1) الغيب، الشعراوي، مكتبة الشروق، قطاع الثقافة، ص16.

(2) عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي، عثمان جمعة ضميرية، راجعه فضيلة الشيخ ناصر بن حمد الراشد، مكتبة السواري - جدة - الطبعة الأولى، 1408 هـ، 1988م، ص75.

(3) تفسير المنار، 7، 335/.

مراتب الغيب الإضافي أو النسبي

1. المرتبة الأولى: أن يغيب الشيء عن حواسك ولكن يتناوله غيرك بالمشاهدة كالعلم بالأقطاب النائية والطبقات الأرضية والأجهزة الداخلية للإنسان والحيوان⁽¹⁾ "فإذا كان هذا العلم المشاهد فهو أقل القليل، وإذا كان هذا الأمر عن القضايا العامة فهو أيضا أقل القليل؛ لأن ما من قضية بُحثت وتفرغ لها الباحثون إلا عرفوا أشياء وغابت عنهم أشياء إنك لن تجد قضية دنيوية أو قانونًا دنيويًا إلا احتاج إلى تعديل بعد فترة قليلة من الزمن لماذا؟ لأن الذين درسوا هذه القضية أو تلك أو وضعوا لهذا القانون أو ذاك.. علموا أشياء وغابت عنهم أشياء فلما مرّ الوقت ظهرت الأشياء التي كانت غائبة اقتضت التعديل وهذا أمر طبيعي؛ لأن كل عصر له قوانينه وله قضايا كل عصر يكشف عن أشياء غابت عن عاشوا في العصر الذي قبله ويوجد قضايا جديدة غابت عن علمهم"⁽²⁾.

2. المرتبة الثانية: أن يغيب الشيء عن الحواس ولا يمكن التعريف به في الدنيا بحال من الأحوال إذ تختلف طبيعته عما عرفناه نحن في حياتنا الدنيا كالحياة البرزخية وما فيها فهذا غيب لنا ولا نستطيع أن نتعرف عليه حاليًا بل نعقل وجوده بالخبر الصادق ولم نمر بتجربة أو حال تعرفنا على هذا النوع من عالم الغيب فهذا يعرفه من يعيش في عالم البرزخ وكذلك كل ما يعلمه الملائكة من أمر عالمهم لا يعلمه البشر⁽³⁾ "فهذه الأمور التي تحدث في القبر تختلف تمامًا عن دار التكليف ومن ثم فلا نعلم من هذه الأمور شيئًا إلا عن طريق الوحي المعصوم.

3. المرتبة الثالثة: وهي "أن يغيب الشيء عن حواسنا ولا يمكننا التعرف عليه إلا على وجه مجمل"⁽⁴⁾ ومن هنا فإن القرآن الكريم قد أخبرنا عن أشياء على سبيل

(1) عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي، عثمان جمعة ضميرية، ص75.

(2) الغيب، الشيخ الشعراوي، ص5.

(3) عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي، عثمان جمعة ضميرية، ص76.

(4) السابق نفسه، ص76.

الإجمال وليس على سبيل التفصيل فقد ذكر الله تعالى أن في الجنة أنهاراً أربعة من ماء غير آسن ومن لم يتغير طعمه ومن عسل مصفى ومن خمر⁽¹⁾.

4. المرتبة الرابعة: وهي أن يغيب عن حس الناس جميعاً ولكنه يكون في متناول عقولهم إما بالتجربة، والمقايضة كعلم ما سيقع في العام أو الأعوام المقبلة من الكسوف والخسوف والشروق والغروب، ومنازل الشمس والقمر ونحو ذلك استنباطاً من التجارب الكونية التي أجرى بها سننه في سير الكواكب وقال في شأنها ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾⁽²⁾ ﴿وَلَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾⁽³⁾ وأما الاستدلالات العقلية كما نعلم حياة الجنين بحركته، وكما نستدل على عقل الرجل بمنطقه أو بالخلق على خالقه فهذا من الغيب الذي يتناوله الإيمان الذي هو أخص من العلم فإنه علم يطمئن إليه القلب ويرتاح له الوجدان⁽⁴⁾، ومن خلال النص السابق يظهر أن العلم الذي يتحصل عليه الإنسان من معرفة بعض الأمور الغيبية التي أخفاها الله تعالى عن مداركنا ولكنها في متناول عقولنا، يتحصل عليها الإنسان من خلال التجربة، وغيرها وهذا العلم ظنيًا وليس قطعياً، فإذا ما أخبر الطبيب عن حياة الجنين أو أخبر عالم الأرصاد الجوية عن شيء من سقوط الأمطار فهذا العلم الذي أخبر عنه ليست أخباراً قطعية وإنما هي ظنية⁽⁵⁾.

ويعلل بن حجر هذا فيقول: "لأن أمور الغيب لا يحصيها إلا عالمها وأقرب الأشياء إلى الاطلاع على ما غاب الأبواب والمفاتيح أيسر الأشياء لفتح الباب

(1) الآية التي تشير إلى ذلك في سورة القتال قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمْ هُوَ خَيْرٌ مِنَ النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ جَنَّتٍ [سورة محمد آية 15].

(2) سورة الأنعام من الآية: 96.

(3) سورة الإسراء من الآية: 17.

(4) المختار من كنوز السنة، الدكتور / محمد عبد الله دراز، اعتنى بنشره، عبد الله إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ / خليفة بن حمد، أمير دولة قطر، بدون ط، ص 298.

(5) الظن: هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك. وقيل: الظن: أحد طرفي الشك بصفة الرجحان، الجرجاني، التعريفات، 1 / 144.

فإذا كان أيسر الأشياء لا يعرف موضعها فما فوقها أخرى أن لا يعرف⁽¹⁾، ومن هنا فإن الإخبار بهذا النوع ليس على سبيل اليقين⁽²⁾ بل على سبيل الظن والتخمين، وذلك أن "ظن الغيب فليس محجوراً على أحد حتى الأعراب في البادية كان لهم منه طرف صالح"⁽³⁾، وعلم الغيب الإضافي ليس غيباً مطلقاً ولا يعرف هذا الغيب إلا عن طريق الاستدلال العقلي كالاستدلال بالمعلول على العلة، أو بالأثر على المؤثر، أو بالمخلوق على الخالق ويستند الإنسان على هذا بالعلم التجريبي.

القسم الثاني من أقسام الغيب (الغيب الخفي المطلق)⁽⁴⁾

وهذا القسم لا يعرفه ملك مقرب، ولا نبي مرسل وهذا النوع قد خُفي عن الحواس والعقول معا قيل في تعريفه أنه ما "يغيب عن الحواس والعقول معا وهذا الغيب الذي تتناوله الآية الكريمة ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾⁽⁵⁾ ومثل الأمور الخمسة وأشباهاها"⁽⁶⁾ وقيل في تعريفه أنه "ما لم يقم عليه دليل"⁽⁷⁾، ولم ينصب له أمانة⁽⁸⁾، ولم يتعلق به علم مخلوق"⁽⁹⁾ فهذا القسم من الأمور الغيبية التي لا تستطيع حواس المخلوقات ولا مداركهم إدراكها فلم يطلع عليها أحد من

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري، بن حجر العسقلاني، 1 / 121
(2) اليقين هو الاعتقاد الجازم المطابق الثابت، الذي لا يزول بتشكيك المشكك. وهو حالة ذهنية تقوم على اطمئنان النفس إلى الشيء مع الاعتقاد أنه كذا، وأنه لا يمكن أن يكون إلا كذا، المعجم الفلسفي، د/جميل صليبا، 2 / 588.

(3) المختار من كنوز السنة، الدكتور/ محمد عبد الله دراز- ص300.
(4) المطلق ما دل على الماهية بلا قيد، المقيد ما دل عليها بقيد، يراجع: الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ) المحقق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر - بيروت - الطبعة: الأولى، 1411هـ، ص78.

(5) سورة النمل من الآية: 65.
(6) مفتاح كنوز السنة، الدكتور / محمد عبد الله دراز- ص299.
(7) الدليل: في اللغة هو المرشد، وما به الإرشاد، وفي الاصطلاح: هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر. وحقيقة الدليل، هو ثبوت الأوسط للأصغر، تحت واندراج الأصغر تحت الأوسط. التعريفات، ص104.

(8) الأمانة: لغة: العلامة، واصطلاحاً، هي التي يلزم من العلم بها الظن بوجود المدلول، كالغيم بالنسبة إلى المطر، فإنه يلزم من العلم به الظن بوجود المطر. والفرق بين الأمانة والعلامة، أن العلامة: ما لا ينفك عن الشيء، كوجود الألف واللام على الاسم، والأمانة: تنفك عن الشيء، كالغيم بالنسبة للمطر. " السابق نفسه، ص36.

(9) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحنفي، 666/1.

خلقه في الأرض ولا في السماء وهذا ما أشارت إليه الآية السابقة⁽¹⁾ "فهو محبوب عن الخلق جميعا لا يمكن للخلق معرفته"⁽²⁾ والمراد بالحقوقي "هو الصفة الثابتة الشيء مع قطع النظر عن غيره، ويقابله الإضافي، أو الظاهر، بمعنى الأمر النسبي للشيء بالقياس إلى غيره، سواء أكان ذلك الإضافي علاقة بين الشيء والشيء، أم بين الشيء والذهن، أم ظاهرة عقلية تمثل الشيء الخارجي⁽³⁾ وهذا الغيب الحقيقي لا يعلمه أحد في الكون كله إلا الله تعالى وحده، وغيب عن الإنسان في جميع أزماته. "وهو غيب في حق الإنسان في جميع أحواله وأزماته وأطواره هو ما لم يكن من عالم المادة، ولا يمكن للعقل البشري مهما استخدم من أدوات الحس والمشاهدة أن يدركه ومع عجز العقل عن الوصول إلى حقائق هذا القسم الغيبي فإنه لا يحكم باستحالة وجوده، بل يحتم وجوده"⁽⁴⁾ ومن هنا "فالغيب المطلق هو ما لا يعلمه إلا الله (ﷻ) ولم يخرج من علمه بكلمة كن . ليمارس مهمته في الكون ولذلك نقرأ في القرآن قول الحق جلا جلاله ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾"⁽⁵⁾ وهذا الغيب المطلق لا يعلمه أحد إلا الله (ﷻ)⁽⁶⁾، ومن خلال ما سبق ذكره نجد أن الغيب المطلق لا يتعلق بالأزمنة المعروفة عندنا فهو خاص بالذات الإلهية فهو "خاص بعلم الله وكل ما يعلمه من صغيرة وكبيرة في ملكه وما يعلمه هو سبحانه عن نفسه من أمور خاصة بذاته وأفعاله وأسمائه وما حدث وما سيحدث بالنسبة للأزمنة التي هي في علمه، أما المخلوقات فهذا الصنف من المغيبات ليس خاصًا بأحد إلا الله (ﷻ) فهو عالم الغيب والشهادة ولا يظهر على غيبه أحد إلا من شاء أن يعلمه من عباده"⁽⁷⁾.

-
- (1) العقيدة الإسلامية وأسسها. حسن حبنكة، ص28.
 - (2) عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي، عثمان جمعة ضميرية، ص78.
 - (3) المعجم الفلسفي، 1 / 488.
 - (4) الإنسان والغيب، الدكتور / حبيب الله حسن أحمد. ص76.
 - (5) سورة الأنعام آية: 59.
 - (6) الغيب الشيخ الشعراوي، ص12.
 - (7) عقيدة الإيمان بالسمعيات، الدكتور / جمال محمد سعيد عبد الغني، الطبعة الثانية، مطبعة الشمس بشبين الكوم، بدون نشر، ص20.

الغيب الخفي له مرتبتان:

1. المرتبة الأولى:

وهذه المرتبة أقيم عليها الدليل وعلى هذا يمكن معرفة الذات الإلهية وصفاتها وأسمائها، وعالم الآخرة الغيبي من خلال هذه الأدلة وذلك بالنظر والسير في هذا الكون المشهود وهذا كله في حيز الإمكان⁽¹⁾ وهذا القسم "نضب عليه دليل فيمكن معرفته كذات الله تعالى وأسمائه الحسنی وصفاته العلية وأحوال الآخرة إلى غير ذلك مما يجب على العبد معرفته وكلف به وهو غائب عنه لا يشاهده ولا يعاينه ولكن يمكن معرفته بالنظر الصحيح⁽²⁾

وهذا "النوع منه ما ورد فيه نص صريح أن الله تعالى قد كتبه عن الخلق جميعا حتى الأنبياء والملائكة كوقت الساعة فهذا النوع لا سبيل إلى علمه بالوحي كما لا سبيل إليه بغير الوحي"⁽³⁾ وهو لا يختص به أحد من البشر على الإطلاق بل والملائكة المقربون منه لا يعرفون شيئا من ذلك العلم ويشمل هذا النوع المغيبات الخمس التي ورد ذكرها في آخر سورة لقمان وهي قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁽⁴⁾

2. المرتبة الثانية:

"وهي ما لم يرد فيها نص صريح في أن الله تعالى قد كتبه عن الخلق جميعا فله (ﷺ) أن يطلع من يشاء من رسله على من شاء منه، ولا يطلع على هذا النوع

(1) والإمكان في الشيء هو جواز إظهار ما في قوته إلى الفعل وطبيعته بين الواجب والممتنع. وذلك أنك إذا تصورت طبيعة الواجب كان طرفا وبإزائه في الطرف الآخر - أعني ما هو في غاية البعد منه طبيعة الممتنع وبينهما طبيعة الممكن، راجع: الهوامل والشوامل سؤالات أبي حيان التوحيد لأبي علي مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: 421هـ) المحقق: سيد كسروي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م، 1/ 133.

(2) الكلبيات، أبو البقاء الحنفي، 1 / 667.

(3) المختار من كنوز السنة، دكتور دراز، ص299.

(4) سورة لقمان آية: 34.

أحدا غير الرسل⁽¹⁾ ومن هنا فإن هذه المرتبة من الغيب المطلق يظهرها تعالى لمن يشاء من عباده ويخفيه عن يشاء أيضا من عباده، ويظهر الله تعالى هذا الغيب الخفي للرسل الكرام على سبيل المعجزة⁽²⁾ أو على سبيل الكرامة⁽³⁾ وذلك للأولياء والمخلصين من عباده تعالى "وهذا الغيب لم يطلع الله عليه أحداً على وجهه الأكمل إلا ما يظهره الله تعالى على السنة المتوسمين وما تطمئن إليه قلوب أهل الإخلاص أو يعلم الله به رسله الكرام"⁽⁴⁾ وورثتهم مما تدعوا إليه ضرورة حفظ الدين أو حفظ المسلمين من كيد أعداء الله ويكون ذلك بالنسبة إلى الرسل معجزة وإلى أولياء الله كرامة⁽⁵⁾ ولقد ظهر هذا الأمر الغيبي على لسان الرسول (ﷺ) كما جاء في القرآن الكريم في أكثر من موضع، "فلله أن يطلع من يشاء من رسله على ما شاء منه كما في قول الله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾⁽⁶⁾ ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾⁽⁷⁾ ﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُزْقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا⁽⁸⁾ وكما في قوله (ﷺ) في ليلة بدر هذا مصرع فلان غدا، وهذا

-
- (1) عالم الغيب والشهادة، عثمان ضميرية، ص80.
 (2) المعجزة: "أمر خارق للعادة، داع إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله". التعريفات، 219.
 (3) الكرامة: هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً. وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة، السابق نفسه 1/ 184.
 (4) يقول البيهقي في كتابه دلائل النبوة "فالعقل طريق الاستدلال ولكننا لا نستطيع بالمنطق التجريبي، والرياضي التوصل إلى حقائق ما وراء المادة، فالعلم الصحيح بذات الله، وصفاته، وحساب الآخرة، من ثواب وعقاب، وكل ما يتعلق بعالم الغيب، كل ذلك لا يعرف إلا عن طريق الأنبياء. وقد تمت الصلة بين الله والأنبياء بوسائل متعددة، يراجع: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1405 هـ، المقدمة، ص10.
 (5) الجفر، السيد محمد ماض أبو العزائم دار الكتاب الصوفي، الطبعة الثالثة، 1411هـ، 1990م، ص20.
 (6) سورة الفتح من الآية: 27.
 (7) سورة الروم، من الآية: 3.
 (8) سورة يوسف من الآية: 37.

مصرع فلان غدا ويضع يده على الأرض فوالله ما جاوز أحدٌ منهم يد رسول الله رسول الله (ﷺ)⁽¹⁾ وإلى امثال كثيرة وردھا الكتاب والسنة ولا يُطلع على هذا النوع أحدٌ غير الرسل⁽²⁾ وأيضًا مما ذكر من هذا النوع من الغيب قول الله تعالى ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾⁽³⁾ وقوله: ﴿وَأَنبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾⁽⁴⁾ وكذا أفعال العبد الصالح مع كلیم الله موسى وكلها مددٌ من العلم اللدني الذي وهبه الله له، وكرامة جليلة ليتعلمها رسول من أولي العزم من الرسل وهو موسى بن عمران عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، ومن هنا فإن هذا النوع حينما يُكتشف لبعض الأنبياء فليس لنبيٍّ أو وليٍّ فضل أو كسب في ذلك؛ لأن هذا من خصائص النبوة، أو الولاية، وقد يكتشف هذا الأمر للولي فيكون له كرامة كما ذكرنا. "ومن أظهره الله على بعض الغيب الحقيقي من رسله فليس لهم في ذلك كسب؛ لأنه من خصائص النبوة غير المكتسبة ومن دونهم أفراد من خواص أتباعهم وأوتوا نصيبا من الإشراف على ذلك العالم بانكشاف ما للحجاب، وإدراك ما لشيء من تلك الأنوار، كان بها إيمانهم برسولهم فوق إيمان أهل البرهان. وقد روى عن أمير

(1) الحديث بأكمله كما جاء في صحيح مسلم (عن أنس بن مالك، قال: كُنَّا مَعَ عُمَرَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَتَرَاءَيْنَا الْهَلَالَ، وَكُنْتُ رَجُلًا حَدِيدَ الْبَصَرِ، فَرَأَيْتُهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَأَاهُ غَيْرِي، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِعُمَرَ، أَمَا تَرَاهُ؟ فَجَعَلَ لَا يَرَاهُ، قَالَ: يَقُولُ عُمَرُ: سَأَرَاهُ وَأَنَا مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِي، ثُمَّ أَنشَأَ يَحْدِثُنَا عَنْ أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)، كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ، بِالْأَمْسِ، يَقُولُ: «هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا، إِنَّ شَاءَ اللَّهُ»، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَبُوا الْخُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)، قَالَ: فَجَعَلُوا فِي بَنَرٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَأَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ وَيَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللَّهُ حَقًّا»، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نَكَلِّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا؟ قَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا» أخرجه رواه مسلم في "صحيحه" كتاب "الجنة" وصفة نعيمها وأهلها"، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعود منه (2202/4)(2873)، والنسائي في "سننه" كتاب "الجنائز" باب: أرواح المؤمنين (108/4)(2074) من حديث أنس بن مالك (ﷺ).

(2) المختار من كنوز السنة، الدكتور /محمد عبد الله دراز، ص 299.

(3) سورة القمر آية: 45.

(4) سورة آل عمران من الآية: 46.

المؤمنين على كرم الله وجهه أنه قال: "لَوْ كُشِفَ الْغُطَاءُ مَا ارْزَدْتُ يَقِينًا"⁽¹⁾.
يعنى والله أعلم أن الله قد شرح صدره للإسلام، فكان على نور من ربه بلغ به مقام الاطمئنان، وقد صحَّ عن بعض من دونه من الصحابة في العلم والعرفان، أنهم رأوا النور الغيبي بالعيان، ورأوا الملائكة، في غير ما كانوا يرون جبريل متمثلاً بصورة إنسان"⁽²⁾ وعلى هذا يتبين أن الله تعالى يجتبي من الرسل أناساً يعلمون هذا الأمر الخفي على سبيل المعجزة التي يتحدى بها النبي قومه، وهذا الإطلاع لا يكون إلا تحت مشيئته تعالى ومن هنا فإن الإرادة الإلهية هي التي تختار "من شاء إطلاعه عليها أطلعها، ومن شاء حجبها عنها حجبها، فلا يكون ذلك من إفاضته إلا على رسله، بدليل قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾"⁽³⁾ وعلى ذلك "فإن الغيب المطلق لا يعلمه أحدٌ إلا الله تعالى، أما الغيب النسبي أو المقيد فإن البعض يعلمه من البشر ليس غيباً مطلقاً ويمكن التوصل إليه من خلال الأجهزة أو ما شابه ذلك من الآلات الحديثة التي ابتكرها المسلمون في الآونة الأخيرة وعلى هذا "فإن الغيب النسبي خاص بالمخلوقات من البشر، وما شاء الله من مخلوقات أن يعلموا من الجن والطيور والحيوانات والحشرات"⁽⁴⁾ وعلى هذا فإن الغيب النسبي يتضمن ثلاثة أزمنة (ماضٍ - حاضر - مستقبل) وهذا ما سنتناوله بالتفصيل.

(1) هذا نص من خطبة سيدنا على كرم الله وجهه، يراجع: شرح نهج البلاغة، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني المعتزلي، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1418 هـ - 1998 م، الطبعة: الأولى، 1 / 2108.

(2) الوحي المحمدي، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354 هـ) دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، 1 / 150.

(3) أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي 2 / 259، والآية من سورة آل عمران: 179.

(4) عقيدة الإيمان بالسمعيات، د / جمال محمد سعيد - ص 21.

أقسام الغيب النسبي باعتبار الزمان ويقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً الغيب النسبي المرتبط بالزمن الماضي. وهذا القسم يختص بكل ما حدث في الماضي من أخبار القرون السابقة وما حدث لأقوامهم من هلاك وعذاب وغيرهما فهذا غيب أخبر عنه القرآن الكريم ولم يكن للنبي (ﷺ) علم بها وعلى ذلك "فغيبوب الماضي في القرآن كثيرة تتمثل في تلك القصص الرائعة التي يفيض بها التنزيل ولم يكن لعلم محمد بها من سبيل"⁽¹⁾ ومن هذا لقسم ما هو غيب مطلق لا يمكن أن نعرفه في الدنيا بحال من الأحوال إذا لم يخبر عنه المصطفى وليس مجاله مجال بحث وتجريب كخبر بدء خلق الملائكة وخلق الجان وماذا كان في الكون قبل وجودنا ونحو ذلك"⁽²⁾.

ولقد أورد الإمام الزقاني رحمه الله بعض الآيات التي هي من قبيل الإخبار بالغيب الماضي فمن هذه الآيات قول الله تعالى منها قصة نوح التي قال الله فيها ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾⁽³⁾ ومنها قصة موسى التي يقول الله تعالى فيها: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾⁽⁴⁾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ⁽⁵⁾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ⁽⁶⁾ ومنها قصة مريم وفيها يقول الله ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾⁽⁷⁾ وعلى هذا فإن الفرق بين غيب الماضي والحاضر "ومن البديهي أن قصص الماضين

(1) مناهل العرفان، 2 / 266.

(2) أصول الإيمان بالغيب وآثاره، فوز بنت كامل الكردي، رسالة دكتوراه، ص 46.

(3) سورة هود من الآية: 49.

(4) سورة القصص الآيات: 44 - 46.

(5) سورة آل عمران آية: 44، مناهل العرفان، الزرقاني 2 / 266.

تُعدُّ غيباً بالنسبة إلى إنسان هذا العصر، أما بالنسبة إليهم أنفسهم فهي من عالم الشهادة⁽¹⁾ ونلاحظ أن أخبار النبي (ﷺ) بهذه المغيبات يُعدُّ دليلاً ساطعاً على نبوته وأنه ما جاء إلا من عند الله تعالى ولم يتعلم هذه الأمور التي أخبر عنها من معلم وهذه الأمور المخبر عنها لم تكن من عند نفسه ولكنه كان يخبره بها عن طريق أمين الوحي جبريل فكانت أعظم دليلاً على صدق نبوته..

وعلى ذلك فإن "أعظم دلائل نبوته (ﷺ) التي لا يجد الجاحدون إلى جدها سبيلاً ولا يمكن إسنادها إلى تعليم بشر ولا نسبتها إلى سحر أنه (ﷺ) كان يسأل عن أمور ماضية يتعنته بها أهل الكتاب والمشركون فينزل جبريل في تلك الحالة فيخبره بها في الموضع الذي سألوه فيه من غير أن يفارقه أو يذهب إلى أحد من الناس يستعلم"⁽²⁾ وهذا الغيب النسبي الذي هو قسيم للغيب المطلق وقسماً من الغيب بوجه عام يختص بمبحث النبوات الذي يُعد جزءاً من المسائل الكلامية عند أرباب علم الكلام على وجه خاص "وأعني بالنسبي أي لا يعلمه الجميع ولا يؤمن به كافة البشر لا سبيل العيان بل هناك من الأنبياء الذين آمن بهم معاصروهم فكان بالنسبة لهم غيباً مثل الصحابة في عصر وجود النبي (ﷺ) فإيمانهم به ليس غيباً، أما إيماننا نحن فهو إيمان غيبي؛ لأننا لم نشاهده ونعاصره، ونحن والصحابة مشتركون في الإيمان الغيبي بأنبياء الله ورسله ممن سبقوا مجيء نبينا (ﷺ) من لدن آدم وحتى المسيح عليهم وعلى نبينا جميعاً الصلاة والسلام"⁽³⁾ وبناءً على ذلك فإن الإيمان بالله والملائكة والجن والصراف والميزان والجنة والنار وغيرها فهي من قبيل الإيمان بالله تعالى.

(1) الرؤية الكونية التوحيدية، معاونية العلاقات الدولية في منظومة الإعلام الإسلامي، آية الله الشهيد مرتضي المطهري طهران - الطبعة الثانية، 1409 هـ، 1989م، ص92.

(2) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250 هـ) المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة: الأولى، 1404 هـ - 1984م، 1/ 44.

(3) عقيدة الإيمان بالسمعيات، الدكتور / جمال محمد سعيد- ص21.

النوع الثاني من أنواع الغيب النسبي (غيب الحاضر)

يقول الإمام الزرقاني: "أما غيب الحاضر فنريد به ما يتصل بالله تعالى والملائكة والجن والجنة والنار ونحو ذلك مما لم يكن للرسول سبيل إلى رؤيته ولا العلم به فضلا عن أن يتحدث عنه على هذا الوجه الواضح الذي أيده ما جاء به الأنبياء وكتبهم عليهم الصلاة والسلام"⁽¹⁾ وهذا الغيب الحاضر يشمل (الملائكة وكذا الجنة والنار... إلخ) فنحن نؤمن بهذه الأمور المغيبة التي لا يجوز للعقل البشري أن يبحث عن حقائقها، ولكن نسلم بجميع ما جاء عن أوصافهم في القرآن الكريم وكل ذلك غيب حاضر ولكن أخفاه الله علينا في دار التكليف وعلى ذلك "قالنار" هي موطن عذاب الآخرة، نؤمن بها، ولأنها من عالم الغيب الذي أخبر الله تعالى به ولا نبحث عن حقيقتها، ولا نقول إنها شبيهة بنار الدنيا، ولا إنها غير شبيهة بها، وإنما نثبت لها جميع الأوصاف التي وصفها الله تعالى بها"⁽²⁾ ولقد أورد الإمام الزرقاني في كتابه مناهل العرفان أمثلة لهذا النوع فقال "وأمثلة هذا الضرب كثيرة في القرآن لا تحتاج إلى عرض ولا بيان. ومنه أيضا ما فضح الله به المنافقين في عصر الرسول (ﷺ) مما كان قائما بهم وخفي أمره عليه كقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾⁽³⁾ وإذا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾⁽⁴⁾ وكقوله في مسجد الضرار الذي بناه المنافقون: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَن حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِّن قَبْلَ وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾⁽⁴⁾ وسورة التوبة

(1) مناهل العرفان، الزرقاني 2/ 368.

(2) تفسير المنار، 1/ 164.

(3) سورة البقرة الآيتان: 204، 205.

(4) سورة التوبة آية: 107.

فيها من هذا الضرب شيء كثير ومن غيب الحاضر أو الماضي ما جاء في طي القرآن من حقائق ومنافع ومبادئ لم يكشف عنها إلا العلم الحديث وسيأتي التمثيل له⁽¹⁾ وكذا ما قاله الجن بعد اكتشاف موت سيدنا سليمان في أثناء مشاهدته كانوا لا يعلمون أنه قد فارق الحياة قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾⁽²⁾ ومن هنا فإننا نؤمن بوجود عالم خفي لا نراه بأعيننا متمثلاً في (عالم الملائكة، والجن، والجنة، والنار، والصراط، والقلم، والميزان... إلخ)⁽³⁾ مما أخبر عنه الصادق المعصوم، ولكن هذه الأمور موجودة بالفعل، فهي موجودة الآن ولكن لا نراها فهي في طي الكتمان بل لا يجوز أن نتحدث عن هذه الأمور من حيث الكيف فهي موجودة منذ أن وجد الله هذا العالم المرئي المشاهد، فعلى العاقل أن يؤمن بها إيماناً لا يتطرق إليه شك وهذه الأمور أخفاها الله علينا لعدم تحمل قدراتنا على رؤيتها وكذا طاقاتنا وهذا الغيب النسبي المقيد بالزمن الحاضر خاص

(1) مناهل العرفان، الزرقاني 2 / 368.

(2) سورة سبأ- الآية: 14.

(3) يقول الشيخ رشيد رضا "ومذهب السلف أن يؤمن بالقلم الإلهي واللوح المحفوظ، وما كتب القلم في اللوح من مقادير الخلق وإحصائه جميع ما كان ويكون في هذا العالم من بدء تكوينه إلى يوم القيامة من غير أن تحكم آراءنا وأقيستنا في صفة شيء من ذلك، ولا نقبل قول أحد - غير المعصوم - فيما يزعمه من وصف اللوح أو القلم أو تلك الكتابة، ومن الجهل الفاضح أن نشبه ذلك بما نعهده من كتابتنا، ونحن نرى البشر قد اخترعوا لتدوين الكلام طرقاً يتلقاها بعضهم عن بعض على مسافة ألوف من الأميال والفراسخ في البر والبحر بواسطة الكهرباء التي تسخر لذلك بأسلاك وبغير أسلاك، فيكتب أحدهم في لوح الجو ما شاء أن يكتب فيتكيف به الهواء في هذا الجو الواسع كله ويتلقاها آخرون بآلات عندهم ترسم لهم ما رسم في الهواء، فيقرءونه ويدونونه للمرسل إليه أو لمن يريدون أن ينتفع به. والذين يؤولون ما ورد في اللوح والقلم والعرش ليسوا أبعد عن مذهب السلف ممن يشبهون هذه العوالم الغيبية بما يعهدون من صنع البشر في هذا العالم المتغير، وهم يرون أن هذه المصنوعات تتغير وتترقى كلما ترقى الناس في الصناعات، حتى إن الشيخ الشكراني صور الميزان الإلهي الذي يزن به تعالى أعمال العباد المعنوية كلها في وقت واحد قصير وهو أسرع الحاسبين بصورة أحقر الموازين البشرية التي اخترعوها في طور البداوة والجهل بفنون الصناعة، ونحن نرى البشر قد اخترعوا في هذا العصر أنواعاً من الموازين الدقيقة للانتقال المادية وللأمور المعنوية، كالرطوبة والحرارة والبرودة والسرعة، حتى إنهم ليعرفون أثقال الكواكب، وإن ركاب السفينة الغواصة ليعلمون وهم في لجة البحر ما يكون حولهم إلى أبعاد عظيمة من أحوال المراكب التي على ظهر البحر وأثقالها، وبعض ما يتحرك في البر أيضاً، تفسير المنار، 2 / 392.

بمبحث الإيمان⁽¹⁾ بالجن والملائكة ونزول الغيث وعلم الأرحام فكل هذه الأمور مغيبات بالنسبة للزمن الحاضر رغم أن تلك الأمور نفسها ليست غيبا للبعض الآخر فهناك من بني آدم من شاهد الملائكة وأيضا من شاهد الجن أو يشاهد الجن الآن فهو ليس غيبا بالنسبة لهؤلاء وغيب بالنسبة الآن⁽²⁾ فتلك الأمور نسبية للبعض دون البعض الآخر فكان جبريل يراه النبي دون الصحابة من الرجال والنساء وهم في حضرة واحدة إلا إذا تمثل جبريل في صورة رجل تراه العيون وقس على ذلك.

النوع الثالث من أنواع الغيب النسبي (غيب المستقبل)

وهذا النوع معناه "كل ما يكون في مستقبل الزمان سواء ما كان مطلقا لا يعلمه أحد إلا الله عز وجل كوقت الساعة والآجال وسائر مفاتيح الغيب الخمسة، وما سيكون بعد انتهاء هذه الدار ويوم تبدل الأرض غير الأرض ومنه ما هو نسبي إذ هو غيب مستقبل لأهل بعض هذه العصور بينما هو حاضر مُعاش لغيرهم وقد يكون ماضيا لآخرين من بعدهم ومثل هذا كثير فقد أخبر الأنبياء عن بعثة نبينا (ﷺ) قبل بعثته وأخبر رسول الله عن أحداث كثيرة خبرا من عند الله بما سيكون فمنها ما وقع وهو غيب ماض بالنسبة لنا ومنها ما يزال من غيوب المستقبل⁽³⁾.

وهناك أمثلة لهذا النوع أوردها الإمام الزرقاني منها "المثال الأول إخبار

(1) ومعنى الإيمان "في اللغة: التصديق بالقلب، وفي الشرع: هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان. وقيل: من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق، ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق، ومن أخل بالشهادة فهو كافر. والإيمان على خمسة أوجه: إيمان مطبوع، وإيمان مقبول، وإيمان معصوم، وإيمان موقوف، وإيمان مردود، فالإيمان المطبوع هو إيمان الملائكة، والإيمان المعصوم هو إيمان الأنبياء، والإيمان المقبول هو إيمان المؤمنين، والإيمان الموقوف، هو إيمان المبتدعين، والإيمان مردود، هو إيمان المنافقين. الإحياء: إلقاء المعنى في النفس بخفاء وسرعة، التعريفات، الجرجاني، 1 / 40.

(2) عقيدة الإيمان بالسمعيات، د/جمال محمد سعيد- ص21.

(3) أصول الإيمان بالغيب وآثاره، فوز بنت كامل الكردية رسالة دكتوراه، ص48.

القرآن عن الروم⁽¹⁾ بأنهم سينتصرون في بضع سنين من إعلان هذا النبأ الذي يقول الله فيه: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفِرُّ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾⁽²⁾ ثم يقول "ثم ألت تری معي أن هذه العبارة الكريمة في بضع⁽³⁾ سنين قد حاطت هاتين النبوءتين بسياج من الدقة والحكمة لا يترك شبهة لمشتبه ولا فرصة لمعاند؛ لأن البضع كما علمت من ثلاثة إلى تسع والناس يختلفون في حساب الأشهر والسنين فمنهم من يؤقت بالشمس ومنهم من يؤقت بالقمر ثم إن منهم من يجبر الكسر ويكمله إذا عد وحسب ومنهم من يلغيه يضاف إلى ذلك أن زمن الانتصار قد يطول حبله فتبتدئ بشارته في عام ولا تنتهي مواقعه الفاصلة إلا بعد عام أو أكثر ونظر الحاسبين يختلف تبعاً لذلك في تعيين وقت الانتصار فمنهم من يضيفه إلى وقت تلك البشائر ومنهم من يضيفه إلى يوم الفصل ومنهم من يضيفه إلى ما بينهما لذلك كله جاء التعبير بقوله جلت حكمته⁽⁴⁾.

يقول الإمام القرطبي "وكان في هذا الإخبار دليل على نبوة محمد (ﷺ)؛ لأن الروم غلبتها الفرس⁽⁵⁾، فأخبر الله (ﷻ) نبيه محمداً (ﷺ) أن الروم ستغلب

(1) الروم، وهم: جيل من الناس، وهم من ولد الروم ابن عيصو، يقال: رومي وروم، كما يقال: زنجي وزنج. وفارسيًا: منسوب إلى فارس البلاد المعروفة، ورومي وفارسي إشارة إلى نوعين من الخياطة كانا معروفين، المطلع على ألفاظ المقنع، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلبي، أبو عبد الله، شمس الدين، مكتبة السوادى للتوزيع، الطبعة الأولى 1423هـ - 2003 م: 1 / 317.

(2) سورة الروم الآيات: 2 - 6.

(3) البضع: اسمٌ لمفرد مبهم، من الثلاثة إلى التسعة. وقيل: البضع: ما فوق الثلاثة، وما دون التسعة، وقد يكون البضع بمعنى: السبعة؛ لأنه يجيء في المصابيح: ((الإيمان بضعٌ وسبعون شعبةً)) أي سبع، التعريفات، الجرجاني، 1 / 46 والحديث "أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب "الإيمان" باب: شعب الإيمان (63/1)(35)، والنسائي في "سننه" كتاب "الإيمان وشرائعه" باب: ذكر شعب الإيمان (110/8)(5004) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(4) مناهل العرفان، 2 / 370.

(5) الفرس، وهم بنو فارس بن المرزبان بن الأسود بن فارس بن يهوذا بن يعقوب. وقد قيل في فارس غير ذلك. وقد مضى ذكر الاختلاف فيما تقدم ما يغني عن تكرار ذلك وأعادته. ينظر: تاريخ العوثي، أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم الصحاري العوثي (العُماني الإباضي) نسبة إلى

فارس في بضع سنين، وأن المؤمنين يفرحون بذلك؛ لأن الروم أهل كتاب، فكان هذا من علم الغيب الذي أخبر الله (ﷻ) به مما لم يكن علموه⁽¹⁾.

المثال الثاني: إنباء القرآن بأن الله عاصم رسوله وحافظه من الناس لا يصلون إليه بقتل ولا يتمكنون من اغتيال حياته الشريفة بحال وذلك في قوله (ﷻ):

﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾⁽²⁾ ولقد تحققت نبوءة القرآن هذه ولم يتمكن أحد من أعداء الإسلام أن يقتله (ﷻ) مع كثرة عددهم ووفرة استعدادهم ومع أنهم كانوا يتربصون به الدوائر ويتحينون الفرص للإيقاع به والقضاء عليه وعلى دعوته وهو أضعف منهم استعداداً وأقل جنوداً فمن الذي يملك هذا الوعد وتنفيذه إذن إلا الله الذي يغلب ولا يغلب والذي لا يقف شيء في سبيل تنفيذ مراده ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ⁽³⁾ وإن لم تصدقني فسل التاريخ والمؤرخين كم من الملوك والأمراء والفراعين ضرجت الأرض بدمائهم وهم بين جنودهم وخدمهم وحشمهم؟! فهل يمكن بعد هذا أن يكون القرآن الذي احتوى ذلك الضمان من كلام محمد وهو من قد علمت ضعفه وقوة أعدائه يومئذ؟ حتى لقد كان يتخذ الحراس قبل نزول هذه الآية فلما نزلت إذا ثقته واعتداده بها أعظم من ثقته واعتداده بمن كانوا يحرسونه وسرعان ما صرف حراسه وسرحهم عند نزول الآية⁽⁴⁾ وأمور المستقبل لم يطلع عليها أي إنسان خاصة المغيبات الخمسة المعروفة في آخر سورة لقمان ولكن "من لطف الله ورحمته وحكمته أن أقدر الإنسان على معرفة مما هو آتٍ إلا في استثناءات محدودة من الناحية العقائدية الإسلامية الني تضمنها قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا

عَوْتَبٌ وهي منطقة في صُحار كانت تسمى في القديم: عوتب الخيام،: الأنساب (أنساب العرب) بدون، ط، وبدون نشر: 51 / 1.

(1) الجامع لأحكام القرآن، 51 / 14.

(2) سورة المائدة، من الآية: 68.

(3) سورة الأنعام من الآية: 18.

(4) مناهل العرفان، 368 / 2.

تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ (1) وهذه خمسة أمور لم يُطلع الله عليها أحدًا (2).

الحكمة من حجب الله علم الغيب عن مدارك البشر

من المعلوم لدى الدارسين أن الله تعالى خلق الإنسان وجعله في هذه الدار بين الابتلاء والاختبار اللذين هما مناط التكليف للإنسان في هذا العالم الدنيوي، ومن ثم فهناك أشياء لا يراها الإنسان في هذا العالم الدنيوي، وربما يقول قائل " لم أخفى الله تعالى عوالم الغيب عن الإنسان؟ ألم يكن الأولى أن يكشفها الله تعالى ليؤمن بها؟ والجواب: أن عالم الغيب مستور عن البشر؛ لأن ذلك جزء من طبيعة الابتلاء فإن الغاية الكبرى من خلق الإنسان هي اختباره وامتحانه ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (3) فلو كشف الله عن بعض الغيب بل كله، وأبرزه لاضطر الناس أجمعون إلى الإيمان والتصديق . فلم يتميز المحسن من المسيء وكيف يكون الابتلاء إذا كان الإنسان يبصر الملائكة من فوقه؟، أو كان يسبح في عالم الملكوت (4) " ومن هنا فإن هناك علومًا ضرورية يتعلمها الإنسان وعنده قابلية لتعلمها ومعرفتها، وهذه العلوم فيها فائدة تعود على الإنسان (5) كذلك فإن هناك علومًا حجبها الله تعالى عن الإنسان علم الغيب، وعلم ما كان، والعلم بعدد القطر وأمواج البحار "ثم منعهم سبحانه علم ما سوى ذلك مما ليس في شأنهم ولا فيه مصلحة لهم ولا نشأتهم قابلة له كعلم الغيب وعلم ما كان

(1) سورة لقمان، آية: 34.

(2) سنن التذوال ومآلات الحضارة، دكتور، محمد هيشور، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الطبعة الأولى - دولة الكويت، 1434هـ، 2013م، ص204.

(3) سورة الملك آية: 2.

(4) الغيب والعقل دراسة في حدود العقل البشري، إلياس بلكا، المعهد العالي للفكر الإسلامي، هرندي - فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى، 1429 هـ، 2008م، ص145.

(5) عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي، عثمان ضميرية. ص111 بتصرف.

وكل ما يكون والعلم بعدد القطر وأمواج البحر وذرات الرمال ومساقط الأوراق وعدد الكواكب ومقاديرها وعلم ما فوق السموات وما تحت الثرى وما في لجج البحار وأقطار العالم وما يكنه الناس في صدورهم وما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد إلى سائر ما عذب عنهم علمه فمن تكلف معرفة ذلك فقد ظلم نفسه وبخس من التوفيق حظه ولم يحصل إلا على الجهل المركب والخيال الفاسد في أكثر أمره وجرت سنة الله وحكمته إن هذا الضرب من الناس أجهلهم بالعلم النافع وأقلهم صواباً فترى عند من لا يرفعون به رأساً من الحكم والعلم الحق النافع ما لا يخطر ببالهم أصلاً وذلك من حكمة الله في خلقه وهو العزيز الحكيم ولا يعرف هذا إلا من اطلع على ما عند القوم من أنواع الخيال⁽¹⁾.

إن هذه الأمور المغيبة مما استأثرها الله في علمه، فالبشر مهما أعدوا من الأجهزة وأدوات العلم الحديث لا يستطيعون أن يخبروا عنها حتى الرسول الذي أوتي من العلم والمعرفة ما يؤتاه الله لأحد من البشر على الإطلاق ومع ذلك يقول الله تعالى على لسان نبيه: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾⁽²⁾

يقول الفخر الرازي: "إن القوم لما طالبوه بالإخبار عن الغيوب وطالبوه بإعطاء الأموال الكثيرة والدولة العظيمة ذكر أن قدرته قاصرة وعلمه قليل، وبين أن كل من كان عبداً كان كذلك والقدرة الكاملة والعلم المحيط ليسا إلا لله تعالى"⁽³⁾ فكل ما في الكون من صغيرة وكبيرة تحت علم الله تعالى ولا يغيب عن سمعه وبصره شيء من هذه العوالم السفلية والعلوية على حد سواء فهو سبحانه بيده مقاليد السموات والأرض، وعنده تعالى خزائن الأمور كلها بل عنده تعالى مفاتيح الغيب التي أخفاها الله عنا رحمة بنا واحتراماً لقدراتنا العقلية.

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم، 1 / 283.

(2) سورة الأعراف من الآية: 188.

(3) مفاتيح الغيب، للرازي، 15 / 425.

المبحث الثالث

نعمة إخفاء مفاتيح الغيب الخمسة، وأثرها في العقيدة.

هل يمكن لأحد من البشر أن يعلم شيئاً من هذه المفاتيح؟

والجواب على هذا السؤال بالنفي المطلق وهو أنه لا يمكن للبشر على الإطلاق أن يعلموا شيئاً عن هذه الأمور الخمس⁽¹⁾ التي أخفاها الله عن مسامع وأبصار العباد، وذلك؛ لأنها ممن استأثرها في علمه المطلق وهي قول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁽²⁾

والمعنى الإجمالي لهذه الآية هو "أَنَّ اللَّهَ المستقل باطلاع الغيوب عِنْدَهُ وفي حيطه حضرة علمه ولوح قضائه عِلْمُ السَّاعَةِ وتعيين وقت قيامها ولم يطلع أحدا عليها سوى أنه سبحانه قد أخبر بوقوعها وقيامها في جميع الكتب المنزلة من عنده سبحانه على رسله وأيضاً هو سبحانه ﴿يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ حسب اطلاعه ولم يطلع أحدا بوقت نزوله ﴿وَيَعْلَمُ﴾ أيضاً هو سبحانه حسب علمه الحضورى ما في الأرحام ولم يطلع أحداً عليه وأيضاً ﴿مَا تَدْرِي﴾ وما تعلم نفْسٌ من النفوس الخيرة والشريرة مطلقاً ﴿مَّاذَا تَكْسِبُ﴾ وأي شيء تعمل غداً وإن تدبرت وتدرت وبذلت جهدها وسعيها لا تفوز إلى دراية أحوال غدها بل يومها بل ساعتها ولحظها وطرفتها بل ما هي أيضاً في نفسها إلا من جملة المغيبات التي قد أحاط بها علمه

(1) ووجه التخصيص بالخمس بأوجه.

الأول: أن التخصيص بالعدد لا يدل على نفي الزائد.

والثاني: أن ذكر هذا العدد في مقابلة ما كان القوم يعتقدون أنهم يعرفون من الغيب هذه الخمس.

والثالث: لأنهم كانوا يسألونه عن هذه الخمس.

والرابع: أن أمهات الأمور هذه؛ لأنها إما أن تتعلق بالآخرة وهو علم الساعة، وإما بالدنيا، وذلك

إما متعلق بالجماد أو بالحيوان. والثاني إما بحسب مبدأ وجوده أو بحسب معاده أو بحسب معاشه.

يراجع: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، 7 / 60.

(2) سورة لقمان آية: 34.

سبحانه خاصة بلا اطلاع أحد عليها ﴿وَمَا تَدْرِي﴾ وما تعلم نفس أيضًا وإن بالغت في السعى وبذل الجهد والطاقة ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ بل هو أيضًا من جملة الغيوب التي قد استأثر الله بها⁽¹⁾ ولقد دلّ السياق القرآني في هذه الآية السابقة على اختصاص هذه الخمسة بالله تعالى وبيان ذلك مما يلي:

أولاً: جاء تقديم الإسم الجليل وبناء الخبر عليه - فمن المعروف عند البلاغيين أن تقديم المسند إليه يفيد الاختصاص والقصر بشرط أن يكون المتكلم في مقام الرد على من يزعم اشتراك الغير في الحكم، والشرط متحقق من حيث الاستقسام بالأزلام والطيرة⁽²⁾ وتشبه المطر أي الأنواء وغير ذلك مما عرف عن العرب من اشتراك غير الله به في معرفة الغيب.

ثانياً: أن تقديم الظرف (عند) على علم الساعة يفيد الاختصاص، واختيار لفظ عند دون غيره يفيد الإختصاص، إذ يدل على أن علم الساعة في حوزته (ﷺ) - وحفظه لا يتوصل إليه أحد، وعطف المغيبات الأخرى على جملة (عنده علم الساعة) يفيد اشتراكهما في كونهما مما استأثر الله تعالى بعلمه؛ لأنها حينئذ بمثابة الاخبار المبنية على الاسم الكريم (الله)⁽³⁾ ولقد جاءت السنة النبوية بتفصيل ذلك جلياً في أحاديث متواترة منها ما رواه أبو هريرة من حديث جبريل أنه (ﷺ) سئل عن الساعة فقال: ((مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا...))⁽⁴⁾ وقال ابن عباس: هذه الخمسة

(1) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ) دار ركابي للنشر - الغورية، مصر - الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999 م، 2/ 138.

(2) زلم: الزلم، والزلم، وجمعه: أزلام، وهي القذاح التي لا ريش لها، كانت العرب تستقسم بها عند الأمور إذا هم بها أحدهم، مكتوب عليها: افعل... لا تفعل، كتاب العين، 7/ 370.

(3) الساعة وأشراتها في القرآن والحديث الصحيح، الدكتور / حموده محمد داود، دار التوفيق النموذجية، 1982م، ص19.

(4) أخرجه الإمام البخاري في "صحيحه" كتاب "الإيمان" باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة (19/1) (50)، ومسلم غي "صحيحه" كتاب "الإيمان" باب: الإسلام ما هو؟ وبيان خصاله (40/1) (10) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

لا يعلمها إلا الله تعالى، فمن ادعى أنه يعلم شيئاً من هذه فقد كفر بالقرآن؛ لأنه خالفه. ثم إن الأنبياء يعلمون كثيراً من الغيب بتعريف الله تعالى إياهم⁽¹⁾. والمغيبات الخمسة هي (علم الساعة، ونزول الغيث، وعلم ما في الأرحام، والرزق، وموعد ومكان الموت)⁽²⁾.

المفتاح الأول: علم الساعة

من الأمور الخمسة التي أخفاها الله تعالى عن مسامع وأبصار العباد، (علم الساعة) وهي من أنواع الغيب المطلق وهو العلم الذي اختص به الله وحده، فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل، بل إن الباري تعالى أخفى علم الساعة عن مدارك البشر من أجل أن يجتهدوا في الطاعات، وغيرها من الأمور التي تقربهم من الله تعالى.

تعريف الساعة:

الساعة هي "جُزء من أَجْزَاءِ الْوَقْتِ والحين وَإِنْ قل جزء من أَرْبَعَةِ وَعَشْرِينَ جُزْءاً من اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآلَةٌ يَعْرِفُ بِهَا الْوَقْتُ بالساعات والدقائق والثواني"⁽³⁾، والساعة في الأصل تطلق بمعنيين: أحدهما: أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءاً هي مجموع اليوم واللييلة. والثاني: أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل. يقال جلست عندك ساعة من النهار: أي وقتاً قليلاً منه، ثم استعير لاسم يوم القيامة. قال الزجاج: معنى الساعة في كل القرآن: الوقت الذي تقوم فيه

(1) الجامع لأحكام القرآن، 14 / 82.

(2) ولما كانت المفاتيح يوصل بها إلى ما في المخازن المستوثق منها بالإغلاق والإقفال، ومن علم مفاتيحها وكيف يفتح توصل إلى علم المغيبات كمن عنده مفاتيح أقفال المخازن، وهو عالم يفتحها. ومفاتيح الغيب خمس -كما ذكر في الحديث- لا يعلمها إلا الله"، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ) المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، 22 / 327.

(3) المعجم الوسيط: 14 / 82.

القيامة، يريد أنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم، فلقلة الوقت الذي تقوم فيه سماها ساعة⁽¹⁾، وقيل في تعريفها أنها "في الأصل الجزء من الليل أو النهار ويقال أيضًا ساعة كل شيء هي أون اضمحلاله وبطلانه، وهي بهذا المعنى نوعان ساعة خاصة بكائن كائن فالنبات حين تذهب نضارته والإنسان إذا حانت منيته، والأمة إذا جاء أجلها والأمر إذا ضُيع بإسناده إلى غير أهله كل أولئك يقال له قد أتت ساعته، وساعة عامة للعالم كلها حين ينفخ في الصور ﴿فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَتَضَرَّوْنَ﴾⁽²⁾ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾⁽³⁾ وهذه هي المسؤول عنها في الحديث"⁽⁴⁾.

وقد ذكرت الساعة بألفاظ مترادفة في القرآن الكريم وهذا دليل على عظمتها وعلو شأنها لهذا كانت موضع أسئلة كثيرة من الجاحدين والمعادنين لأهل الإسلام يقول الإمام القرطبي: "الساعة الموعود أمرها ولعظمها أكثر الناس السؤال عنها لرسول الله ﷺ، وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه وهذا جميع كلام العرب ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه وتأكد نفعه لديهم وموقعه جمعوا له خمسائة اسم⁽⁵⁾ وإذا كان الأمر كذلك فإن الساعة واقعة. ووقوعها في حيز الإمكان وليس قيامها من الأمور الممتعة ومن أسباب قيامها كاصطدام نجم مذنب بالأرض وانشطار الشمس أو انطفائها وفقًا لقانون الديناميكية الحرارية وظهور سلسلة تفاعلات بخطأ يرتكبه الناس على الأرض فينتج عنها تدمير النظام الشمسي وهكذا"⁽⁶⁾.

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الاثير- 2 / 422.

(2) سورة الزمر، من الآية: 68.

(3) سورة إبراهيم من الآية: 48.

(4) المختار من كنوز السنة، د / محمد عبد الله دراز- ص191.

(5) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، 1، / 544 بتصرف.

(6) سلسلة أسئلة العصر المحيرة الرد على شبهات العصر، محمد فتح الله كولن دار النيل للطباعة والنشر، ترجمة محمد دروفان، عبد الله محمد عنتر، ص165.

الحكمة في إخفاء علم الساعة عن البشر:

من المعلوم لدى الدارسين أن علم الساعة من المغيبات التي أخفاها الله عن البشر ومع ذلك كان مشركو مكة يسألون النبي عن هذا الأمر الخفي⁽¹⁾ ومع كثرة الأسئلة كان النبي (ﷺ) يفوض علمها إلى الله تعالى وحده؛ لأن علمها عند الله.

1. العلم الإلهي المختص بها:

الساعة "غيبٌ اختص الله تعالى به واستأثره بعلمه فلم يطلع عليه أحدًا من خلقه جميعًا بما فيهم الملائكة المقربون وكذا أنبيائه ورسله عليهم السلام، ورغم ما كان من إكثار المشركين من السؤال عنها استفسارًا لوقوعها وتعتنًا منهم وجحودًا"⁽²⁾ ومن هنا نجد أن الله تعالى أخفى علم الساعة عن خلقه فقد أخفى وقت الساعة الخاصة بكل إنسان وهي الموت، والظاهر أن الأنبياء والمرسلين لم يعلموا موعدها ولا يقف إخفاء أمر الساعة عن البشر بل "أخفاها الله عن الملائكة المقربين، ومن الأنبياء المرسلين"⁽³⁾. فهي لا تأتي إلا بغتةً ومن شدة وقوعها ذكرت في القرآن الكريم في أكثر من موضع وذلك للتأكيد عليها "والمراد إخفاء الحديث عنها، أي من شدة إرادة إخفاء وقتها، أي يراد ترك ذكرها ولعل توجيه ذلك أن المكذابين بالساعة لم يزدتهم تكرر ذكرها في القرآن إلا عنادًا على إنكارها. وقيل: وقعت أكاد

(1) الآيات التي كانت موضع أسئلة من المعاندين من أهل مكة ومن صار على شاكلتهم هي قول الله تعالى ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ ﴿٦٣﴾ الآية من سورة الأحزاب 63، وقول الله تعالى ﴿إِلَيْهِ يُرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِمَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ ﴿٤٧﴾ آية 47، من سورة فصلت، وقول الله تعالى ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ ﴿١٥﴾ سورة طه آية 15، وقول الله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ تَحْسَنُهَا﴾ ﴿٤٥﴾ الآيات من سورة النازعات 42 - 45.

(2) عالم الغيب والشهادة، عثمان ضميرية - ص 87.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310 هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، 286 / 18.

زائدة هنا بمنزلة زيادة كان في بعض المواضع تأكيداً للإخفاء. والمقصود: أنا أخفيها فلا تأتي إلا بغتة⁽¹⁾.

2. استلزام الحكمة التشريعية في ذلك:

"وانما أخفى سبحانه وقتها؛ لاقتضاء الحكمة التشريعية ذلك فإنه أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أن إخفاء الأجل الخاص للإنسان كذلك، ولو قيل بأن الحكمة التكوينية تقتضي ذلك أيضاً لم يبعد، وظاهر الآيات أنه (ﷺ) لم يعلم وقت قيامها. نعم علم (ﷺ) قربها على الإجمال وأخبر (ﷺ) به⁽²⁾. و"مقصود هذه الأخبار الحث على البدء بالأعمال قبل حلول الآجال واغتنام الأوقات قبل هجوم الآفات وقد كان (ﷺ) من المحافظة على ذلك بالمحل الأسمى والحظ الأوفى قام في رضا الله حتى تورمت قدماه"⁽³⁾ وقيل إن الناس "إن علموا أنها آتية لا ريب فيها لا يعلم أحدٌ منهم أيان مرساها؛ لأنه تعالى أخفى علم وقتها حتى عن الأنبياء والملائكة ثقلت في السموات والأرض فلا يعلم بها أحدٌ قبل حصولها وانما يجليها الله بغتةً في وقتها وذلك لتسعى كل نفس سعيها ويعمل كل على شاكلته"⁽⁴⁾.

3. النشاط في العبادة

وإخفاء وقتها يقتضي النشاط في العبادة وترك المعاصي بالكلية وهذا ما حثت عليه الشريعة الإسلامية الغراء، وقياساً على إخفائها فقد أخفى الله تعالى الأجل الخاص بكل إنسان وانما أخفى سبحانه أمرها لاقتضاء الحكمة التشريعية ذلك، فإنه أدعى إلى الطاعة، وأزجر عن المعصية، كما أن إخفاء الأجل الخاص للإنسان كذلك⁽⁵⁾ "ومن هنا فإن إخفاء الساعة عن العباد ما هو إلا رحمة بهم، وإذا كان الأمر كذلك فإن الله تعالى قد ذكر لها علامات وذلك؛ لشدة زلزلتها

(1) التحرير والتنوير، 16 / 202.

(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 5 / 125.

(3) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، 3 / 195.

(4) مفتاح كنوز السنة، الدكتور / محمد عبد الله دراز، ص 192.

(5) تفسير المنار، 9 / 393.

وهولها الكبير ومن الآيات التي تدل على علاماتها وقربها قول الله تعالى ﴿فَهَلْ يُنظَرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ (1).

المفتاح الثاني: إخفاء نزول الغيث عن البشر وأثر ذلك في المعتقد الإسلامي

من المغيبات التي أخفاها الله عن البشر (نزول المطر) (2) من السماء، أو الغيث ومعناه في اللغة "المطر أو الخاص منه بالخير ويطلق مجازاً على السماء والسحاب والكلأ" (3) "وسمي المطر غيثاً؛ لأنه غياث الخلق به رزقهم وعليه مفادهم فالغيث مخصوص بالمطر النافع أي وينزله في زمانه الذي قدره من غير تقديم وتأخير إلى محله الذي عينه في علمه من غير خطأ وتبديل فهو منفرد بعلم زمانه ومكانه وعدد قطراته" (4) ونزول الغيث على العباد رحمة من الله تعالى بعباده ودليل على وحدانيته تعالى وقدرته وبالتالي يحمدوه ويطيعوه. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا فَنَطَوْا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (5)

يقول الزمخشري: "ينزل الرحمة التي هي الغيث، وينشر غيرها من رحمته الواسعة الولي الذي يتولى عباده بإحسانه الحميد المحمود على ذلك يحمد أهل

(1) سورة محمد آية: 15.

(2) الْمَطَرُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: الْمَطَرُ الْمَعْرُوفُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ﴾ سورة النساء من الآية: 102. وَالثَّانِي: الْحِجَارَةُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ

قوم لوط: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ الأعراف من الآية: 84، والشعراء من الآية: 173، يراجع: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت - الطبعة: الأولى، 1404هـ - 1984م، ج1، ص541.

(3) المعجم الوسيط، 2 / 766.

(4) روح البيان في تفسير القرآن، الشيخ اسماعيل حقي الإسلامبولي الحنفي الخلوتي، البرسوي، المتوفى سنة 1137 هـ استانبول، عثمان بك، مطبعة العثمانية، سنة النشر 1938م، 7 / 103.

(5) سورة الشورى، آية: 28.

طاعته⁽¹⁾ ونزول الغيث من المغيبات الخمس التي أخفاها الله عن عباده يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁽²⁾، وقد جاء في صحيح البخاري أن نزول المطر من الخمس التي لا يعلمها إلا الله فعن ابن عمر: أن رسول الله (ﷺ) قال: ((مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ))⁽³⁾ ونزول المطر أمر غيبي لا يستطيع الإنسان أن يخبر به خبراً يقينياً وإنما الإخبار به عن طريق الظن والتخمين لا عن طريق الخبر اليقيني الذي لا يحتمل الشك أو النقيض ومن هنا فإن نزول "المطر إنما ينزل بقضاء الله وقدره وأنه لا تأثير للكواكب في نزوله وقضية ذلك أنه لا يعلم أحد متى يجيء إلا هو"⁽⁴⁾ ومن هنا فإن الآيات صريحة في أنه لا يعلم نزول المطر إلا الله تعالى وحده وأيضا الروايات التي وردت في البخاري وغيره تتضمن أن نزول الغيب لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى الملائكة الموكلون بالأمطار. "ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله"⁽⁵⁾.

ظنية المعرفة بنزول الغيث والمطر:

المراد بالظن "هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك. وقيل: الظن: أحد طرفي الشك بصفة الرجحان"⁽⁶⁾. قد يدعي البعض أنه

(1) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، 4 / 224.

(2) سورة لقمان آية: 34.

(3) أخرجه الإمام البخاري في مواضع من "صحيحه" منها في كتاب "تفسير القرآن" (79/6) (4697)، وأحمد في "مسنده" (386/8) (4766) من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنه -.

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري، بن حجر، 2 / 525.

(5) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، 4 / 373.

(6) التعريفات، ص144.

يعلم نزول المطر على منطقة من المناطق مثلاً فإن هذا الادعاء يحتمل التخمين والظن وليس يعتمد قائله على اليقين فقد يخبر مثلاً بأن هناك أمطاراً غزيرة تنزل في مكان كذا⁽¹⁾ فإن هذا الادعاء قد يكون صادقاً وقد يكون كاذباً لماذا؟ لأن هذه العملية مبنية على الظن أو ما يسمى (بظن الغيب) فهذا ليس محجوراً على أحد من الخلق؛ ولأن هذه القضية من القضايا الغيبية التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى وحده الذي جعل نزول الغيث من الأمور الخفية على البشر؛ ليعلموا أن هناك قوة مدبرة ومؤثرة في الكون بيدها مقاليد. العباد "أما ظن الغيب فليس محجوراً على أحد حتى على الأعراب في البادية فإن لهم منه طرف صالح فإن ناقضنا مناقض بما تحقق صدقه من الطبيعة عن العواصف والأمطار قبل وقوعها بيوم ونحوه استناداً إلى أرصادهم الجوية وتنبؤات الطب وغيرهم عما يجيء في المستقبل . قلنا كلها ظنون تخطيء وتصيب مبنية على أمارات تقوى أو تضعفه ليست من العلم الجازم المطابق في شيء"⁽²⁾ "ومع تقدّم العلوم حاول البعض التنبؤ به بناء على حسابات دقيقة لسرعة الرياح ودرجة الحرارة... إلخ، وربما صحّت حساباتهم، لكن فاتهم أن الله أقداراً في الكون تحدث ولا تدخل في حساباتهم، فكثيراً ما تُفاجأ بتغيّر درجة الحرارة أو اتجاه الرياح، فتتقلب كل حساباتنا. لذلك من عجائب الخلق أنك كلما اقتربت من الشمس وهي مصدر الحرارة تقلّ درجة الحرارة، وكلما ابتعدت عنها زادت درجة الحرارة، إذن: المسألة ليست روتينية، إنما هي قدرة لله سبحانه، والله يجمع لك الأسباب ليثبت لك طلاقة قدرته التي تقول للشيء: كُنْ فيكون. ألسنا نُؤمر في الحج بأن نُقبِل حجراً ونرمي آخر، وكل منهما إيمان وطاعة، هذا

(1) إنما يخبر عن المطر بعد رؤية أسبابه وتماثل خلقه، وبيان ذلك أن المطر الذي ينزل في سواحل الشام مثلاً يتبين من العلم بسنن الله في الكون أن سببه الهواء الذي يجيء من البحر الأطلسي فيمر بمضيق جبل طارق، فيصطدم بكتلة هوائية راکدة فتتشكل السحب اختلاف درجة الهواء القادم والهواء الراکد فإذا علموا استناداً إلى معرفة سنن الله أنه سيتوجه إلى ساحل الشام بعد كذا فهو كمن شاهد موزع البريد من نافذته وقدر متى سيصل إلى داره بعد خمس دقائق، وعلى هذا فقد رأى الواقع قبل أن يراه غيره، فهذا ليس غيباً، تعريف عام بدين الإسلام، على طنطاوي، ص147.

(2) المختار من مفتاح كنوز السنة، د/ عبد الله دراز، ص300.

يُباس وهذا يُداس، هذا يُقَبَّل وهذا يُقَبَّل، لماذا؟ لأن الله تعالى يريد منا الالتزام بأمره، وانصياع النفس المؤمنة للرب الذي أحيا، والرب الذي كَلَّف⁽¹⁾ ومن هنا فإن نزول الغيث الذي يخبر عنه علماء الأرصاد ليس من قبيل الجزم به ولا اليقين؛ لأن ذلك الإخبار إنما منشأه التخمين والظن اللذان يفيدان الشك أو الاحتمال، وبناء على ذلك فإن نزول الغيث من الغيبات التي لا يعلمها إلا الله تعالى وحده.

الآثار العقدية على إخفاء موعد نزول الغيث:

1. أن نزول الغيب من أعظم الأدلة على وجود الله ووحدانيته:

فهو سبحانه ينزل الغيث من المزن⁽²⁾ بقدرته وإرادته، ويعلم زمانه ومكانه ولا يخفى عليه شيء من أمره وفي ذلك يقول العلامة الألوسي: "﴿وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ﴾⁽³⁾ والمقصود (تقييدات) التنزيل الراجعة إلى العلم، لا محض القدرة على التنزيل أو لا إذ لا شبهة فيه، فيرجع الاختصاص إلى العلم: بزمانه، ومكانه، ومقداره..."⁽⁴⁾ ويستحق سبحانه على هذه النعمة الجليلة الشكر؛ لأنه تعالى لطيف بعباده ورحيم بهم على كل حال فينزل الغيث على خلقه والبشر لا حيلة لهم في ذلك الأمر الإلهي الجليل الذي يعدُّ من أعظم النعمة الإلهية التي ساقها الله تعالى للعباد والبلاد. "يوجه المولى (ﷺ) الخطاب في القرآن للبشرية في استفهام يتحدى كل عصر ويربطنا يخالف الكون وينزل الغيث في أسلوب مقنع لقلب كل مؤمن في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾⁽⁵⁾ وَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٨﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٦٩﴾" والمزن هنا جمع مزنة ومعناها السحاب الثقيل المحمل بالماء والمقصود بالاستفهام أفأريتم معشر البشر الماء العذب الطهور الذي

(1) الخواطر، للشعراوي 11771 / 19.

(2) المزن السحاب الواحدة مزنة وتصغيرها مزينة وبها سميت القبيلة والنسبة إليها مزني بحذف ياء التصغير. احمد الحموي، أبو العباس، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، 571 / 2.

(3) سورة لقمان جزء من الآية: 34.

(4) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 106 / 11.

(5) سورة الواقعة، الآيات: 68 - 70.

تشربونه؟ ﴿أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ﴾ من السحاب الذي فوق رؤوسكم أم نحن منزلوه لكم ويؤمن علينا سبحانه بهذه النعمة التي لو أراد زوالها لفعل فهو سبحانه يستطيع أن يمنع المطر أو يجعل ماءه حمضياً بزيادة شرارات البرق التي تؤدي إلى اتحاد عنصري الهواء والأكسجين والنيتروجين لتكوين أحماض النتروز والنتريك⁽¹⁾ أو بأي وسيلة أخرى يعملها الله (ﷻ) فهو سبحانه يسوق السحاب بقدرته ويرسل الرياح الحاملة للسحاب بعظمته فتثير هذا السحاب يا أولى الألباب فهل تشكرون وهل تقهمون وهل تلهثون وراء محاولة الإجابة عن أسرار وراء عدم نزول المطر رغم نضج السحابة إلا الزمان والمكان الذي يحدده الله بمشيئته وعن عجزكم في استعجال السحاب لعطاء المطر في الوقت المناسب لاحتياجاتكم وغير ذلك من أسئلة يثيرها البشر منذ قدم الأزل⁽²⁾.

2. استناد أمر نزول المطر إلى القدرة الإلهية وحدها:

نزول المطر من المزن بقدرة الله وحده، وهناك آيات كثيرة تدل على أن إنزال الماء من السحاب لا يختص به إلا الله تعالى ولذلك كان مشركو مكة حينما يسألهم الرسول (ﷺ) من أنزل من السماء ماء؟ فكانت إجابتهم ﴿يَقُولُونَ اللَّهُ﴾ وهذا اعتراف منهم بأن الله وحده هو القادر على هذه العملية قال تعالى ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا يَقُولُونَ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾⁽³⁾؛ لأن إنزال المطر من السماء وإحياء الأرض من بعد

(1) النتروز أو الأزوتوز. نتريت البنزين: (كم) مشتق عضوي نتريتي من البنزين، وهو سائل سام زيتي يستعمل في صناعة العطور، والأصباغ، وفي تركيب بعض المتفجرات، أكسيد النتريك: (كم) غاز سام عديم اللون منتج كمركب وسيط خلال تركيب حمض النتريك من الأمونيا أو من النيتروجين الجوي. حمض نتريك: (كم) حمض أزوتي، سائل متبخر أكال وهو عامل تفاعلي مؤكسد يستخدم في إنتاج الأسمدة والمتفجرات ويستخدم بشكل واسع في العمليات التعدينية، ينظر: المعجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار عبد الحميد عمر- 2165 / 3.

(2) سلسلة الكون كتاب الله المنظور، آيات ودلالات - الدكتور / منصور محمد حسب النبي، الأمطار والبحار، دار الفكر العربي - القاهرة، ص 6.

(3) سورة العنكبوت آية: 63.

موتها آية كونية واضحة لم يدّعها أحد، فهي ثابتة لله⁽¹⁾ وهناك أسباب يرجع إليها نزول المطر من السماء وهذه الأسباب لا يعلمها إلا مسببها، وهو الله وحده. وترجع تلك الأسباب إلى قانون نسبة الجاذبية الأرضية إلى المطر الذي ينزل من السماء إلى الأرض، وهذه عملية تتم بنظام دقيق وكل ذلك في علم الله تعالى المكنون.

يقول عبد الرازق نوفل "أما سبب نزول هذا المطر إلى الأرض فيرجع إلى جاذبية الأرض له أقوى من سرعة انطلاق جزئيات الماء للخروج من نطاق الجاذبية، وقد وجد أن السرعة اللازمة حتى ينطلق بخار الماء عن جاذبية الأرض هي (2)، (11) كيلومتراً في الثانية، أما في حالة بخار الماء الذي حول الزهرة⁽²⁾ وهي تلي الأرض في الصغر، فإن السرعة اللازمة ليتغلب بخار الماء على جاذبية الزهرة (7،10) كيلومترات في الثانية أي أقل من السرعة اللازمة للتغلب على جاذبية الأرض"⁽³⁾ ونزول الغيث من الغيبات التي دار حولها نزاع شديد في أن الإنسان يعلم نزول المطر في وقت كذا وفي ساعة كذا. وذلك استناداً على توقعات علماء الأرصاد الجوية. والجواب عن هذه الدعوى وهو أن نزول المطر من السماء يكون بعملية تلقیح، وهذه العملية لا يستطيع البشر أن يحدّدوا كيفيتها؛ لأنها في علم الله تعالى، وهذه العملية التي يتم فيها التلقیح لا يتم نزول الغيث من خلالها إلا إذا كان خاضعاً لعملية الجاذبية الأرضية فهي تحول القطرات السحابية إلى قطرات ماء كل ذلك صنع من؟ وبقدرة من؟ ومن الذي دبر هذه العملية؟ أهم خبراء الأرصاد الجوية؟ أم علماء الفلك؟. كل ذلك لم يكن؛ وإنما الذي دبر هذه العملية إنه العليم الخبير القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁽⁴⁾.

(1) الخواطر، للشعراوي، ص11256.

(2) والزهرة: نجم من نجوم السماء معروف، بضم الزاي وفتح الهاء لا غير. يراجع: معجم اللغة العربية المعاصر، أبو بكر الأزدي، 2 / 712.

(3) القرآن والعلم الحديث، عبد الرازق نوفل مكتبة طابع، الطبعة الثانية، ص90 وما بعدها.

(4) سورة لقمان آية: 34.

3. إنزال المطر في حقيقته سر من أسرار الكون:

يقول الدكتور الغمراوي: "تكون السحاب لا ينفع الناس شيئاً إذا لم يكن في الإمكان أن ينزل ماءه عليهم مطراً، وماء السحاب لا يمكن أن ينزل على الناس مطراً إلا إذا تمت قطيراته وأصبحت أثقل من أن يحملها أو يعوق نزولها الهواء . إن القطيرات السحابية خاضعةً طبّقاً للجاذبية فهي تبدأ تسقط إلى الأرض بمجرد تكونها لكن الهواء ولو كان ساكناً تصادم مرورها فيه والناس لو تركوا إلى الجاذبية وحدها ما سقوا من السحاب قطرة ماءٍ إن الجاذبية إنما تنفع نفعا إذا تحولت القطرات السحابية إلى قطرات مائية، وهذا التحول قد يسر الله تعالى أسبابه في الرياح والجبّال والكهربائية الجوية وإن كان العلم لم يحط بتفاصيل ذلك إلى الآن"⁽¹⁾ وبناء على ذلك فإن إنزال المطر إنما هو في حقيقته خاضع للإرادة الإلهية وهو سر من أسرار الكون العظيم.

قضية توقعات علماء الأرصاد الجوية:

إن الناظر في العلم الحديث يجد أنه يستمد معارفه من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فهما المصدران لجميع العلوم التي وجدت على ظهر المعمورة على الإطلاق، ومن ثم فعلماء الأرصاد قد يخبرون عن وقوع مطر في مكان كذا فهذا الإخبار إنما هو توقّعاً وليس على سبيل الصحة أو اليقين، وأيضاً نزول المطر إنما هو بمشيئة الله تعالى وحده لا بمشيئة البشر .

يقول الإمام الألوسي في معنى قول الله تعالى ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾⁽²⁾ أي إبانته من غير تقديم ولا تأخير في بلد لا يتجاوزه به وبمقدار تقتضيه الحكمة"⁽³⁾ وبناء على ذلك فإن نزوله متعلق تماماً بقدرة الله وحده فإن "شاءت طلاقه قدرته

(1) الإسلام في عصر العلم، الأستاذ الدكتور / محمد أحمد الغمراوي، إعداد الأستاذ الدكتور / أحمد عبد السلام الكرداني، الطبعة الأولى 1293 هـ، 1972 م، مطبعة السعادة، ص 343.

(2) سورة لقمان جزء من الآية: 34.

(3) روح البيان، للألوسي 106 / 11.

أن تأتي سنوات جفاف في المناطق غزيرة المطر لنتعرف أن سقوط المطر لا يحدث بالأسباب الأرضية التي يعرفونها ولكن بقدرة المسبب سبحانه⁽¹⁾ وأيضًا نجد أن الذي خلق الأسباب إنما هو مسببها فهو سبحانه هو الذي جعل لكل من السحاب الركامية خصوصية تنفرد بها عن غيرها، وأيضًا السحب الأخرى لها أيضًا خصائص وعلى ذلك "فالله تعالى وحده هو الذي خلق الأسباب الكونية لإنزال المطر وجعل تلك الخصائص للسحب وتركيبها بعامة والسحب الركامية بخاصة التي خصها الله بنزول البرد ونشوء الرعد والبرق وكذلك توفير الظروف المناخية لنزول الغيث والهواء الصاعد المحمل ببخار الماء كل هذا خلقه الله تعالى وليس بإمكان البشر فكان اختصاص الغيث مختصًا بالله تعالى وحده وليس هناك عاقل يزعم أن ذلك بمقدوره"⁽²⁾.

الرد على دعوى علماء الأرصاد الجوية:

إن الذين يدعون معرفة نزول المطر لا يستندون إلا على التجارب الحديثة التي قد تكون تارة صادقة وقد تكون كاذبة ومن ثم فإن يدعون معرفة نزوله "فإن من يدعي أنه يخبر بنزول الغيث نقول له إن تنبؤهم بنزول المطر وقد لاحت في الأفق أماراته وبدأت في عالم الشهادة علاماته - لا يمت إلى معرفة الغيب بصلة وهناك مثالًا يسيّرًا يوضح المسألة نفرض أننا عبأنا غرفة بثاني أكسيد الكربون ولما أجرينا تجاربنا بالآلات تكشف عن وجود ثاني أكسيد الكربون كانت النتيجة بعد ساعتين سيشعر من الغرفة جميعًا بثقلٍ وصداً فإذا وقع هذا أفيكون علمًا بالغيب؟ كلا فهذا ليس غيبًا فالغيب هو ما استأثر الله بعلمه فمثلاً معرفة وقت نزول المطر ومكانه وقدره تفصيلًا في سنةٍ أو سنواتٍ فإنه يُعدُّ غيبًا أما التنبؤ بنزول المطر غدًا في مكان كذا فليس من الغيب في شيءٍ ومع هذا إن عدم وقوع تنبؤاتهم أحيانًا

(1) الغيب، الشيخ الشعراوي ص 81.

(2) عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي، عثمان ضميرية، ص 92.

يُثبت أن معرفتهم الأمر ناقصة وأن المتخصصين في هذا العلم هل يسمونه تنبؤًا وفضلاً عن السنة القادمة هل لهؤلاء أن يعلموا شيئاً عن قدر المطر الذي سينزل غدًا⁽¹⁾ ومن هنا فإن هذا المفتاح الخفي الذي لا يعلمه أحد سوى الله تعالى وحده دون غيره من العباد وهذا ما اعترف به أهل الإيمان بأن منزل الغيث هو الله وحده أما ما يخبر عنه علماء الأرصاد الجوية، فهذا خبر قابل للصواب والخطأ " فالعرب قديماً كانت تعرف من خلال علامات معينة قرب نزول المطر وقلته وكثرته، وهذا الذي أصبح الآن علماً برأسه، له أجهزته واختصاصيوه، وهذا العلم يقدم الآن نشرات جوية لمدة طويلة أو قصيرة، وهذه النشرات قابلة للصواب وللخطأ، ولا اعتراض عليها، ولا زال كثيرون من الناس يشركون بالأنواء⁽²⁾ كأولئك الذين يقولون مطرنا بتيار كذا وكذا معنقدين أنه ليس لله دخل في ذلك، أولئك المشركون، أما المؤمنون فيثبتون عالم الأسباب ويعرفون أن الله هو الفاعل⁽³⁾، ومن جزم بنزول المطر فهو كافر؛ لأنه شيء غيبي خفي عن العباد، لكن لو أسند الإنسان المشيئة والفعل لله تعالى وحده فليس بكافر في هذه الحالة، وكل ما يخبر عنه علماء الأرصاد إنما هو توقعات تحتمل الصواب والخطأ.

4- اختصاص العلم الإلهي وحده بنزول الغيث:

لما كان بعض البشر ينسبون هذه الأمور إلى الأنواء اختص الله تعالى نزول الغيث بعلمه ومشيئته تعالى ليفيد أنه تعالى وحده قد امتن على خلقه بهذه

(1) الرد على شبهات العصر، محمد فتح الله كولن ص166، 167، مرجع سابق.
(2) لقد حذر الرسول ﷺ تحذيراً شديداً من أولئك الذين ينسبون المطر إلى الأنواء؛ لأن ذلك كفر بالله تعالى فعن زيد بن خالد الجهني، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هَلْ تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكُوكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِنُوءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالْكُوكَبِ)) الحديث أخرجه الإمام البخاري في مواضع من "صحيحه" منها في كتاب "الاستسقاء"، باب: قول الله تعالى: {وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون} (33/2) (1038)
(3) الأساس في التفسير، سعيد حوى (المتوفى 1409 هـ) دار السلام - القاهرة، الطبعة: السادسة، 1424 هـ، 10 / 5719.

النعمة فيَنْزِلُ الغيث على عباده كيف شاءت إرادته ومن هنا فكل ما في الكون من مقدرات تقع تحت سمعه وعلمه لا يخفى عليه شيء، وعلى ذلك فإن الله تعالى قد "عبر بالجملة الفعلية للدلالة على التجدد فقال: ﴿وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ﴾" (1) بلام الاستغراق القائمة مقام التسوير (2) بـ"كل" وقد أفاد ذلك الاختصاص بالعلم بوقته ومكانه ومقداره وغير ذلك من شؤونه، فإن من فعل شيئاً حقيقة لم يعلم أحد وقت فعله وقوعه إلا من قبله" (3).

المفتاح الثالث: إخفاء معرفة ما في الأرحام ودلالاته العقدية

إن معرفة ما في الأرحام أمر خفي لا يعلمه أحدٌ إلا الله تعالى بنص الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (4) فهذه الآية السابقة تتحدث علم الأجنة وهو مفتاح من مفاتيح الغيب الخمسة المعروفة، وهذه المفاتيح قد أخفى الله معرفتها عن البشر لحكم إلهية.

معنى الأرحام:

جاء في المعجم الوسيط أَنَّ الرَّحِمَ مَوْضِعُ تَكْوِينِ الْجَنِينِ ووعاؤه فِي الْبَطْنِ وَالْقَرَابَةِ أَوْ أَسْبَابِهَا (يذكر وَيُؤْنِثُ) وجمعها "أَرْحَامٌ" (5) وعن معنى الأرحام وبيان ما يحدث فيها من أسرار خفية لا يعلمها إلا الله تعالى وحده. يقول الدكتور أحمد شوقي

(1) سورة لقمان من الآية: 34.

(2) يطلق السور عند المنطقيين على اللفظ الدال على كمية أفراد الموضوع في القضايا الحملية، كلفظ (كل وبعض) في قولنا: كل إنسان فان، وبعض الناس طبيب. ويطلق أيضا على كمية الأوضاع في القضايا الشرطية كلفظ كلما، ومهما، ومتى، وليس كلما، وليس مهما، وليس متى، والقضية المشتملة على السور تسمى مسورة ومحصورة، وهي إما كلية وإما جزئية، يراجع: الجرجاني، التعريفات، 123 / 1.

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم البقاعي، 15 / 217.

(4) سورة لقمان آية: 34.

(5) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1 / 335.

إبراهيم: "والأرحام كلمة معرفة بأداة التعريف، ومعنى أرحام المخلوقات الحية جميعاً الله تعالى يعلم ما يجري فيها من فيض⁽¹⁾ وغيض⁽²⁾ وحمل وأسرار في خلق أجنحتها ونفخ الروح فيها وما يصاحب ذلك من أسرار في الخلق لا يعلمها إلا الله"⁽³⁾.

العلم الإلهي وتعلقه بما في الأرحام:

من الأمور التي أخفاها الله عن عباده (معرفة ما في الأرحام) من أمور لا يستطيع الإنسان أن يتوصل إليها بطريق مباشر أو غير مباشر، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في أكثر من موضع؛ وذلك للدلالة على أن الذي يصور ما في الرحم وهو في أول مراحل العمرية هو الله وحده ويرجع ذلك كله إلى مشيئته تعالى وقدرته يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽⁴⁾ "أي هو الذي يجعلكم على صور مختلفة متغيرة وأنتم في الأرحام من النطف إلى العلق إلى المضغ، ومن ذكورة وأنوثة، ومن حسن وقبح إلى غير ذلك، وكل هذا على أتم ما يكون دقة ونظاماً، ومستحيل أن يكون هذا قد جاء من قبيل الاتفاق والمصادفة، بل هو من صنع عليم خبير بالدقائق"⁽⁵⁾. وعلم ما في الأرحام يرجع إلى الخالق وحده لا إلى المخلوق، وذلك؛ لأن الذي يعلم حال الجنين من حين كونه نطفة من مني يُمنى إلى أن يخرج إلى عالم النور فهو في يتقلب في ظلمات ثلاث في الرحم والمشيمة وبطن أمه إلى أن يكتب الله تعالى له البقاء في هذه الحياة الدنيا حتى يأتي

(1) فيض الأقدس: هو عبارة عن التجلي الحسي الذاتي الموجب لوجود الأشياء واستعداداتها في الحضرة العلمية، ثم العينية، كما قال: والفيض المقدس: عبارة عن التجليات الأسماوية الموجبة لظهور ما يقتضيه استعدادات الأعيان في الخارج، فالفيض المقدس، مترتب على الفيض الأقدس، فبالأول تحصل الأعيان الثابتة واستعداداتها الأصلية في العلم، وبالثاني تحصل تلك الأعيان في الخارج مع لوازمها وتوابعها، التعريفات للجرجاني، ص 169.

(2) (الغيض) السقط الذي لم يتم خلقه وما كثر من الطرفاء والأثل ونحوهما والقليل يقال أعطاه غيضاً من فيض قليلاً من كثير" يراجع: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 2/ 662.

(3) موسوعة عالم الإنسان في ضوء القرآن والسنة من منظور علمي بحثي، نشأة الإنسان وخلق، د/ أحمد شوقي إبراهيم، دار نهضة مصر، ص 137.

(4) سورة آل عمران، الآية 6.

(5) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371 هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م، 3/ 98

أجله وينتقل إلى الحياة البرزخية. "وعلم الأجنة وهو الرتبة الثانية في الدلالة على البعث الكاشف عن تخطيطها وتصويرها، وتشكيلها وتقديرها، على وصفي الذكورة والأنوثة، مع الوضوح أو الإشكال، والوحدة⁽¹⁾ أو الكثرة⁽²⁾، والتمام أو النقص - إلى ما هناك من اختلاف المقادير والطبائع، والأخلاق والشمائل، والأكساب والصنائع، والتقلبات في مقدار العمر والرزق في الأوقات والأماكن - وغير ذلك من الأحوال التي لا يحصيها إلا باري النسم، ومحبي الرمم⁽³⁾. ولما كانت للخلق في ذلك لكثرة الملابسات والمعالجات ظنون في وجود الحمل أولاً، ثم في كونه ذكراً أو أنثى ثانياً، ونحو ذلك بما ضرب عليه من الأمارات الناشئة عن طول التجارب، وكثرة الممارسة، عبر العلم فقال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾⁽⁴⁾ من ذكر أو أنثى حي أو ميت وغير ذلك، وصيغة المضارع لتجدد الأجنة شيئاً فشيئاً وقتاً بعد وقت، والكلام في اللام والاختصاص بالعلم كالذي قبله سواء⁽⁵⁾.

الطب وإخباره عن تحديد نوع الجنين:

الناظر إلى ما وصل إليه الطب الحديث يجد أنه يخبر عن نوعي الجنين ذكراً كان أم أنثى فهذا ليس فيه تعارض؛ لأن ما يخبر عنه الطبيب في علم الله تعالى الأزلي وإذا كان الأمر كذلك فإن الطبيب لم ولن يستطيع أن يحدد حياة الجنين، وهل سيكون ناقصاً أم كاملاً، بل إنه لا يستطيع أن يحدد عمره وأجله شقي أم سعيد... إلخ،

(1) لوحدة: الانفراد، والواحد الذي لا ينقسم بوجه لا فرضاً ولا وهماً ولا فعلاً، ولا بينه وبين غيره نسبة بوجه. والواحد في الحقيقة الذي لا جزء له البتة البتة ثم يطلق على كل شيء موجود حتى إنه ما من عدد إلا ويصح وصفه به، فيقال: عشرة واحدة، ومئة واحدة، يراجع: التوقيف على مهمات التعاريف، ص335.

(2) الكثرة: نقيض القلة. ولا تقل الكثرة بالكسر، فإنها لغة رديئة. وقد كثر الشيء فهو كثير. وقوم كثير، وهم كثيرون. وأكثر الرجل، أي كثر ماله، ويقال: كثرناهم فكثرتناهم، أي غلبناهم بالكثرة؛ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر الفارابي، 2 / 802.

(3) رم العظم يرم وما ورميما إذا نخر وبلي. والرمة: العظم البالي، يراجع: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م، 1 / 126..

(4) سورة لقمان من الآية: 34.

(5) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي 15 / 217.

وعلى هذا فإن ما يُخبر عنه من باب التخمين والظن لا من باب اليقين.
يقول الدكتور / أحمد شوقي "كان قصارى علم الإنسان عن الأجنة في عصر نزول القرآن هو نظرية أرسطو عن خلق الجنين أي أن العلماء كانوا على جهل تام بحقائق علم الأجنة في عصر نزول القرآن الكريم وإذا علمنا ذلك أدركنا مدى الإعجاز العلمي العظيم في القرآن وفي الحديث النبوي الشريف وقد ذكرنا أسراراً في خلق الأجنة لم تعرف إلا بالميكروسكوب بعد نزول الرسالة بأكثر من ألف عام هذه حقائق ثابتة لا جدال فيها إنَّ اختراع الميكروسكوب العلمي أعان العلماء على اكتشاف المزيد من حقائق علم الأجنة وعلم الوراثة، واغتر الإنسان بما وصل إليه من علم إلا أنه أدرك فيما بعد أنه ما زال على شاطئ العلم يحبو"⁽¹⁾.

الحكمة في إخفاء معرفة ما في الأرحام:

1. اختصاص العلم الإلهي بمعرفة ما في الأرحام. فالذات الإلهية وحدها هي المختصة بمعرفة ما في الأرحام وقد أخفى عنا معرفة هذه الأمور؛ للدلالة على قدرته تعالى على صنع الأشياء وإبداعها وتكوينها، فكل شيء عنده تعالى بمقدار معين، فهو تعالى عليم بكل الأشياء على وجه الإحاطة وعليم بالكمية⁽²⁾ والكيفية ومع ذلك فإن علمه ثابت وليس متغيراً بتغير الحوادث من حين لآخر وكل ذلك حسب الإرادة الأزلية.

يقول الفخر الرازي: "واعلم أنه تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفيته على الوجه المفصل المبين ومتى كان الأمر كذلك امتنع وقوع التغيير في تلك المعلومات ويحتمل أن يكون المراد من العندية أنه تعالى خصص كل حادث بوقت معين،

(1) موسوعة عالم الإنسان في ضوء القرآن والسنة من منظور علمي بحثي، نشأة الإنسان وخلقها، د/أحمد شوقي إبراهيم دار نهضة مصر، ص135.

(2) يقول الجرجاني: "الكم: هو العرض الذي يقتضي الانقسام لذاته، وهو إما متصل أو منفصل؛ لأن أجزاءه إما أن تشترك في حدود يكون كل منها نهاية جزء وبداية آخر، وهو المتصل، أو لا، وهو المنفصل. والمتصل؛ إما قار الذات مجتمع الأجزاء في الوجود وهو المقدار المنقسم إلى الخط والسطح والنحن، وهو الجسم التعليمي، أو غير قار الذات، وهو الزمان، والمنفصل هو العدد فقط، كالعشرين والثلاثين، التعريفات، ص187.

وحالة معينة بمشيئته الأزلية وإرادته السرمدية، وعند حكماء الإسلام أنه تعالى وضع أشياء كلية وأودع فيها قوى وخواص، وحركها بحيث يلزم من حركاتها المقدرة بالمقادير المخصوصة أحوال جزئية معينة ومناسبات مخصوصة مقدرة، ويدخل في هذه الآية أفعال العباد وأحوالهم وخواطهم⁽¹⁾ فكل جنين في بطن أمه مرده إلى الله تعالى، فهو وحده يعلم حاله من استقراره في الرحم وعدم استقراره، فالطبيب عاجز عن هذه المسألة؛ لأنها من الغيبيات التي أخفاها الله تعالى عن العباد، فهو سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أمر عبادته وكل ما يحدث في الأرحام إنما يقع تحت المشيئة الإلهية وكذا العلم الإلهي. وأيضًا يعلم ما أودع فيها من الخواص والطبائع وما ﴿تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ أرحام الموجودات وأرحام المعدومات أي وما تغيض من المقدرات أرحام الموجودات بحيث تبقى في الأرحام ولا تخرج منها وما تزداد أي وما تخرج منها ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾⁽²⁾ أي وكل شيء مما يخرج من أرحام الموجودات والمعدومات وما يبقى فيها عند علمه وحكمته بمقدار معين موافق لحكمة خروج ما خرج وبقاء ما بقي⁽³⁾.

وخلاصة القول: إن ما يحدث في الأرحام من تغيرات في الجنين من مرحلة إلى مرحلة وغيرها لا يعلمها إلا الله وحده حتى الملك الموكل بالأرحام لا يعرف شيئًا من هذه المراحل⁽⁴⁾ إنما علم ذلك في علم الله الذي لا يخفى عليه شيء؛ لأنه تعالى قال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾⁽⁵⁾.

(1) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي 15/ 19.

(2) سورة الرعد من الآية: 8.

(3) روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوئي 4/ 348.

(4) الدليل على أن هناك ملكًا موكل بالأرحام ما رواه أنس بن مالك، عن النبي (ﷺ) قال: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّجْمِ مَلَكًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٍ، يَا رَبِّ عَلَقَةٍ، يَا رَبِّ مُضْغَةٍ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ: أَذْكَرٌ أَمْ أُنْثَى، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ وَالْأَجَلُ" الحديث أخرجه البخاري، كتاب الحيض، باب مخلقة وغير مخلقة، رقم الحديث (318) 70/1، وأخرجه مسلم في القدر باب كيفية خلق

الآدمي في بطن أمه رقم 2646

(5) سورة النجم من الآية: 38.

المفتاح الرابع: إخفاء مسألة الرزق، وأثر ذلك على المعتقد الإسلامي

إن مسألة الرزق⁽¹⁾ من المسائل العقدية؛ لأنها من مسائل القضاء والقدر التي أخفاها الله عن عباده وذلك؛ للدلالة على أن الرزق بيد الله تعالى وحده، ومن هنا فقد تكفل سبحانه بهذا الأمر منذ الأزل، ومن ثم فقد أخفاه الله عنا لكي لا نتكاسل أو نتقاعس عن السعي المشروع، والذي أمرنا به ربنا (ﷻ)، والكسب من الغيبات الخمس الواردة في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁽²⁾.

تعريف الكسب:

يقول ابن الأثير: "والكسب: الطلب، والسعي في طلب الرزق والمعيشة. وأراد بالطيب هاهنا الحلال"⁽³⁾. ومن خلال التعريف السابق يظهر أن الكسب يراد به الحلال الطيب الذي أمر الله تعالى به عباده وعلى هذا فقضية الأرزاق قد تكفل الله تعالى بها فمن أسمائه تعالى (الرزاق) ومعناه "هو الذي خلق الأرزاق والمرترقة وأوصلها إليهم وخلق لهم أسباب التمتع بها"⁽⁴⁾.

مصدر الرزق:

مصدر الرزق من الله وحده، ومن ثم فقد أخبر القرآن الكريم عن هذه القضية

(1) تعريف الرزق عند المتكلمين: الرزق في الأصل مصدر سمي به المرزوق وهو ما ساقه الله تعالى إلى الحيوان مما ينتفع به فيدخل رزق الإنسان والدواب وغيرهما من المأكول وغيره "كما يقول الغزنوي الحنفي" الرزق ما يصل إلى العبد ويتغذى به سواء كان حلالاً أو حراماً مملوكاً أو غير مملوك لأنه لو كان الرزق حلالاً أو مملوكاً لما تصور أن يرزق من لم يقدر على الحلال أو من ليس له ملك: يراجع: المقاصد، للتفتازاني، 2/ 162، كتاب أصول الدين: جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي (المتوفى: 593هـ) المحقق: الدكتور عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، 1419 - 1998م، ص91.

(2) سورة لقمان آية: 34.

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر، بن الأثير - 4 / 171.

(4) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، ص85.

في أكثر من موضع من هذه المواضع قول الله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽¹⁾ والمعنى "وكم من دابة لا تحمل رزقها أي لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله الله يرزقها وإياكم أي يقيض لها رزقها على ضعفها، ويرزقكم مع قوتكم واجتهادكم. فهو الميسر والمسهل لكل مخلوق من رزقه ما يصلحه. فلا يختص رزقه ببقعة دون أخرى، بل خيره عام وفضله شامل لخلقه، حيث كانوا وأنى وجدوا"⁽²⁾. وقد أمر الله عباده بالسعي والأخذ بالأسباب المأمور بها شرعاً فهو يرزقنا مع اجتهدنا وسعينا قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾⁽³⁾ والمعنى: "وكلوا من رزقه انتفعوا بما أنعم جل شأنه وكثيرا ما يعير عن وجوه الانتفاع بالأكل؛ لأنه الأهم الأعم. واستدل بالآية على ندب التسبب والكسب"⁽⁴⁾ ولذلك "فإن الأرض وما فيها من خيرات ومنافع وكنوز مسخرة للإنسان هي من نعمة الله وفضله، وهي حقل التجارب، ومرصد السلوك الإنساني، والله الذي ذللها ويسر لعباده الأرزاق فيها"⁽⁵⁾ ولقد حفلت السنة النبوية بعدد من الأحاديث التي تشير إلى قضية (الرزق) من هذه الأحاديث ما جاء في سنن ابن ماجة وغيره من حديث عمر بن الخطاب حيث قال: "سمعت رسول الله (ﷺ)، يقول: ((لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُوا خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا))"⁽⁶⁾.

(1) سورة العنكبوت آية: 60.

(2) محاسن التأويل، للقاسمي، 7 / 563.

(3) سورة الملك آية: 15.

(4) روح المعاني، 15 / 17 بتصرف.

(5) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د / وهبة الزحيلي، 24 / 29.

(6) أخرجه الإمام الترمذي في "سننه" في "أبواب الزهد" باب: في التوكل على الله (573/4) (2344)، وابن ماجة في "سننه" كتاب "الزهد" باب: التوكل واليقين (1394/2) (4164)، وأحمد في "مسنده" (332/1) (205) ثلاثتهم من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه.

حكمة إخفاء مسألة الرزق عن العباد في أمرين:

1. حسن التوكل على الله في جميع الأوقات:

جاء هذا المعني عند الإمام الألوسي رحمه الله حيث قال: "وإنما لم يعلمك لكي تكون في كل وقت بسبب الرزق راجعا متوكلا عليه سبحانه ولكيلا تأمن الموت إذا كنت في غير الأرض التي أعلمك سبحانه أنك تموت فيها فإذا لم يعلمك ما تحتاج إليه كيف يعلمك ما لا حاجة لك إليه وهو وقت القيامة وإنما الحاجة إلى العلم بأنها تكون وقد أعلمك جلّ وعلا بذلك على السنة أنبيائه تعالى عليهم الصلاة والسلام انتهى" (1).

ويقول الفخر الرازي: "وإنما لم يعلمك لكي تكون في وقت بسبب الرزق راجعا إلى الله تعالى متوكلا على الله" (2) "ولكون الإنسان - مع أنه ألصق الأشياء وألزمه له - لا يعلمه مع إيساعه الحيلة في معرفته، عبر فيه بالدراية؛ لأنها تدل على الحيلة بتصريف الفكر وإجالة الرأي - أن مادة "درى" تدور على الدوران، ومن لوازمه إعمال الحيلة وإمعان النظر، فهي أخص من مطلق العلم فقال: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ﴾ (3) أي من الأنفس البشرية وغيرها ﴿مَا﴾ وأكد المعنى بـ"ذا" وتجريد الفعل فقال: ﴿ذَا تَكْسَبُ غَدًا﴾ أي في المستقبل من خير أو شر بوجه من الوجوه، وفي نفي علم ذلك من العبد مع كونه ألصق الأشياء به دليل ظاهر على نفي علم ما قبله عنه؛ لأنه أخفى منه، وقد تقدم إثبات علمه له (عَلَيْكَ)، فصار على طريق الحصر، وعلم أيضًا أنه لا يسند إلى العبد إلا على طريق الكسب؛ لأنه لو كان مخلوقًا له لعلمه قطعًا، فثبت أنه (عَلَيْكَ) خالقه، فعلم اختصاصه بعلمه من هذا الوجه أيضًا" (4).

(1) روح المعاني 11 / 108.

(2) مفاتيح الغيب، للرازي، 133/25.

(3) سورة لقمان جزء من الآية: 34.

(4) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 218 / 15، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 124 / 1.

2. الإنسان محجوب عن دراية المستقبل:

الإنسان لا يدري ماذا يحدث غدًا وبالتالي فإنه لا يستطيع أن يحدد رزقه في الغد؛ لأن علم ذلك إنما هو محجوب عنه؛ لأنه لو علمت نفسه ذلك "ربما كانت عازمة على خير فعملت شرا، وعازمة على شر فعملت خيرا"⁽¹⁾.

المفتاح الخامس إخفاء (مكان الموت) ودلالاته العقدية

وهذا المفتاح أحد مفاتيح الغيب الخمسة التي استأثرها الله تعالى بعلمه، فلا يطلع عليها ملك مقرب ولا نبي مرسل فلا يدري الإنسان متى سيموت؟، ولا يدري مكان موته؟، ولا يدري الأرض التي سيقبض فيها؟ فكل هذه الأمور من الغيب الخفي الذي لا يعلمه إلا الله وحده، وهذا الغيب الخفي قد جاء ذكره في الآية الكريمة في قول الله. ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾⁽²⁾

حقيقة الموت:

يقول الجرجاني "الموت: صفة وجودية خلقت ضدًا للحياة، وباصطلاح أهل الحق: قمع هوى النفس، فمن مات عن هواه فقد حَيَّى بهداه"⁽³⁾ ومن هنا نجد أن الموت ضد الحياة ويقابلها كتقابل العدم للملكة تقابل تضاد، وإذا كان الأمر كذلك فإن الموت من المغيبات الخمسة التي أخفاها الله تعالى عن عباده وذلك لحكم جليلة.

مكان موت الإنسان لا يعلمه إلا الله وحده:

"مكان الموت الذي هو ختام الأمر الدنيوي وطى سجل الأثر الشهودي، وابتداء الأمر الآخروي الظهر لأحوال البرزخ في النزول مع المنتظرين لبقية السفر

(1) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، 3/ 505، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) 2/ 722.

(2) سورة لقمان آية: 34.

(3) التعريفات، 1/ 235.

إلى دائرة البعث وحالة الحشر إلى ما هنالك من ربح وخسران، وعز وهوان، وما للروح من الاتصال بالجسد والرتبة في العلو والسفول، والصعود والنزول، إلى ما وراء ذلك إلى ما لا آخر مما لا يعلم تفاصيله وجملته وكلياته وجزئياته إلا مخترعه وبارئه ومصطنعه⁽¹⁾.

الموت ليس له مكان معين ولا زمان معين:

من المعلوم لدى الدارسين أن الموت ليس له مكان معين وليس له زمان معين وإذا كان الأمر كذلك فإن مرد علمه عند الله تعالى، فقد يموت الطفل الصغير ويبقى الرجل الكبير، وقد يموت الإنسان الصحيح، وقد يبقى السقيم حيناً من الدهر، والعكس صحيح، فكل ما يحدث في هذه القضية إنما هو مما استأثره الله في علمه تعالى، وليس للموت زمانٌ معيّن ولا وقت معين، وأيضاً ليس له مقدماتٍ تترتب عليها نتائج كما هو معروف عند المناطقة⁽²⁾.

وقد أخفى الله عن الإنسان ساعة موته ومكان أجله، وجعل الموت يدور على العباد على غير قاعدة. فمنهم مَنْ يموت بعد دقائق من مولده، ومنهم مَنْ يعمر مئات السنين، كما أنه سبحانه لم يجعل للموت مقدمات من مرض أو غيره، فكم من مريض يُعافى، وصحيح يموت، كما يقولون: كيف مريضكم؟ قال: سليمان: كذلك الموت لا يرتبط بالسِّن: إذن: أخفى الله القيامة وأخفى الموت؛ لنظل على دُكر له نتوقعه في كل لحظة، فنعمل له، ولنتوقع دائماً أننا سنلقى الله، فنعد للأمر عُدتَه؛ لأن مَنْ مات فقد قامت قيامته؛ لأنه انقطع عمله، ففي إبهام موعد القيامة وساعة الموت عيّن البيان لكل منهما، فالإبهام أشاعه في كل وقت⁽³⁾.

(1) نظم الدرر، للبقاعي، ص220.
(2) المقدمة: تطلق تارة على ما يتوقف عليه الأبحاث الآتية، وتارة تطلق على قضية جعلت جزء القياس، وتارة تطلق على ما يتوقف عليه صحة الدليل، يراجع: التعريفات، ص225.
(3) الخواطر، للشعراوي، 19 / 11765 وما بعدها.

ومن المعلوم لدى الدارسين أن الحياة الدنيا ستقضي وتنتهي وهذا أمر ضروري" والإنسان لا يستطيع أن يحدد موعد انتهاء أجله، ومع ذلك لا يستطيع ولا تستطيع أي نفس كانت أن تدري مكان موتها هل هو في الأرض التي وُلد فيها أم في أرض غيرها؟ أفي هذا البلد أو ذاك من بلاد الله الواسعة المترامية الأطراف، وفي أي بقعة أو مكان من هذا البلد أو ذاك؟ وهل سيكون ذلك براً أو بحراً أو سهلاً أو جبلاً... إلى غير ذلك مما يقف الإنسان أمامه عاجزاً إذ لا يعلم ذلك كله إلا الخالق سبحانه الذي أحاط بكل شيء علماً⁽¹⁾.

"ولما كان لا يعلمه الإنسان بنوع حيلة من شدة حذره منه وحبه لو أنفق جميع ما يملكه لكي يعلمه، عبر عنه عن الذي قبله فقال مؤكداً بإعادة النافي والمسند: ﴿وَمَا تَدْرِي﴾ وأظهر؛ لأنه أوضح وأليق بالتعميم فقال: ﴿نَفْسٌ﴾ أي من البشر وغيره ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾⁽²⁾ ولم يقل: بأي وقت، لعدم القدرة على الانفكاك عن الوقت مع القدرة على الانفكاك عن مكان معين، وإحاطة العلم بكراهة كل أحد للموت، فكان ذلك أدل دليل على جهله بموضوع موته إذ علم به لبعد عنه ولم يقرب منه"⁽³⁾.

فلسفة إخفاء موعد الموت، ومكانه عن البشر:

1. عمر الإنسان إما أن يكون طويلاً وإما أن يكون قصيراً فإذا كان طويلاً فيترتب عليه:

أ- الانهماك في الشهوات والمعاصي وأنواع الفساد وغيرها.

إن كان طويل العمر وقد تحقق ذلك فهو واثق بالبقاء فلا يبالي بالانهماك في الشهوات والمعاصي وأنواع الفساد ويقول إذا قرب الوقت أحدثت توبة وهذا

(1) عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي، عثمان ضميرية، ص98.

(2) سورة لقمان من الآية: 34.

(3) نظم الدرر، للبقاعي، ص220 وما بعدها.

مذهب لا يرتضيه الله تعالى من عباده ولا يقبله منهم ولا تصلح عليه أحوال العالم ولا يصلح العالم إلا على هذا الذي اقتضته حكمته وسبق في علمه⁽¹⁾.

ب- وإن كان عمر الإنسان قصيرًا يترتب عليه أنه لم يهنأ بالعيش.
"قلو عرف الإنسان مقدار عمره فإن كان قصير العمر لم يتهنأ بالعيش وكيف يتهنأ به وهو يتربص الموت في ذلك الوقت فلولا طول الأمل لخربت الدنيا وأنما عمارتها بالآمال"⁽²⁾.

2. كثرة الشر وقلة الخير في العالم الدنيوي عند معرفته:
وتظهر الحكمة أيضًا في عدم معرفة الإنسان موعد موته، ولا الأرض التي سيُدفن فيها؛ "قلو أن كل إنسان عرف أجله لقلّ الخير وكثّر الشر في هذا العالم لماذا؟؛ لأن كل إنسان سيرتكب من الآثام والشرور الكثير ما دام يعرف أن للأجل بقية.. ولن يفعل الخير إلا إذا اقترب أجله، ولكننا لا نعرف الأجل فقد يكون غداً أو بعد غدٍ.. أو بعد سنواتٍ أو بعد ساعةٍ فكل إنسانٍ مؤمنٍ يُسرّع إلى عمل الخير خوفاً من أن يكون أجله قد اقترب . وبحلول الأجل لا يكون للإنسان اختيار يزيد به حسناته، أو يقلل به سيئاته فعمل الإنسان ينتهي بالموت"⁽³⁾.

3. الاستعداد للموت في كل لحظة:
وإذا كان الله تعالى قد أخفى موعد الموت فقد أخفى أيضًا مكان الموت فالإنسان لا يدري مكان موته ولا التربة التي سيدفن فيها وقد "أخفى توقيت الموت وسببه عن الإنسان. متى يأتي؟ في أي زمان وفي أي مكان؟ كل ذلك أخفاه فأصبح على المؤمن أن يكون مترقباً للموت في كل لحظة"⁽⁴⁾ والسر في أن الحق سبحانه

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، 1 / 283.

(2) السابق نفسه، ونفس الصفحة.

(3) الغيب، الشيخ الشعراوي، ص 97.

(4) الخواطر، 3 / 1321.

وتعالى قال: ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾⁽¹⁾ ولم يقل بأي وقت؟؛ لأن الإنسان يفارق أرضاً ما بخلاف الوقت فإن الأوقات تختلف من آنٍ لآخر فالجهة غير منفكة في الأوقات بخلاف جهة الأرض فإن انفكاك الجهة فيها واضح. فيقول " ولم يقل: بأي وقت، لعدم القدرة على انفكاك عن الوقت مع القدرة على الانفكاك عن مكان معين، وإحاطة العلم بكراهة كل أحد للموت، فكان ذلك أدل دليل على جهله بموضوع موته إذ علم به لبعد عنه ولم يقرب منه"⁽²⁾.

4. معرفة تدبير الله لخلقه:

ومن الحكم أيضاً في إخفاء مكان الموت وجهته أن هذا أمرٌ خفي لا يعرفه الإنسان بل يسير حسب ما تقتضيه الإرادة الإلهية وفيه أيضاً إشارة إلى أمور العالم السفلي⁽³⁾ وما يحدث فيه فربما يموت الإنسان في بلدة (ما) لكنه لا يُدفن في مكانه الذي يريده، ويدفن في مكانٍ آخر حسب الإرادة الإلهية، ولقد أورد ذلك بن حجر في كتابه فتح الباري فقال: "﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾"⁽⁴⁾ تموت إشارة إلى أمور العالم السفلي مع أن عادة أكثر الناس أن يموت ببلده ولكن ليس ذلك حقيقة بل لو مات في بلده لا يعلم في أي بقعة يدفن منها ولو كان هناك مقبرة لأسلافه بل قبر أعده هو له⁽⁵⁾ ومن هنا فإن الله تعالى فإن الله تعالى قد

(1) سورة لقمان من الآية: 34.

(2) نظم الدرر، للبقاعي، ص220 وما بعدها.

(3) يقول الشيخ رشيد رضا في تفسيره "العوالم ثلاثة:

الأول: القريب الداني الذي نقيم فيه قبل الموت.

والآخر: الذي نقيم فيه بعد الموت أبداً إلى غير نهاية،

والثالث: الوسط بينهما، وهو ما نقيم فيه بين العالمين حتى يتم جمعنا بانتهاء الدنيا، ونفد على الله تعالى جميعاً، فالثاني والثالث من الغيب الذي ليس مشهوداً لنا، ومفتحهما الساعة والموت، وأما الأول فمنه ما هو مشهود لنا ولا يحصل فيه زيادة يبرزها الله تعالى من العدم كالأحجار والمعادن ونحوها من الموجودات التي وجدت في الكون تدريجاً أو دفعة واحدة، ومنه ما هو غيب وهو ما يتجدد بصورة مخصوصة لم تكن مشهودة، وهو النبات ومفتحه الغيث، والحيوان ومفتحه الأرحام غالباً أو عبر بها عنه، وكسب الحيوان وعمله، وهو مفتوح وخزانة من خزائن الغيب. اهـ، تفسير المنار، 7 / 391.

(4) سورة لقمان من الآية: 34.

(5) فتح الباري شرح صحيح البخاري، 13 / 365.

أخفى هذه المغيبات الخمس المذكورة في آخر سورة لقمان؛ لأنها مما استأثرها الله تعالى في علمه وحده ولا يطلع عليها ملك مقرب ولا نبي مرسل وهذه إرادة الله تعالى في كونه.

حكمة حصر الغيب في هذه المفاتيح الخمسة:

الناظر في هذه المفاتيح الخمس المذكورة في آخر سورة لقمان وهي (علم الساعة - نزول الغيث - علم ما في الأرحام - والكسب - وعدم تحديد موعد ومكان الموت) أنها قد أخفاها الله تعالى عن مسامع وأبصار العباد ولكن لماذا انحصرت هذه المغيبات في الخمسة؟ ووجه الحصر في هذه الأمور السابقة قد ذكرها بن حجر فقال: "والحكمة في جعلها خمساً الإشارة إلى حصر العوالم فيها.

- المفتاح الأول: علم الساعة، إشارة إلى علوم الآخرة فإن يوم القيامة أولها وإذا نفى علم الأقرب انتفى علم ما بعده.
- المفتاح الثاني: إنزال الغيث إشارة إلى أمور العالم العلوي وخص المطر مع أن له أسباباً قد تدل بجري العادة على وقوعه لكنه من غير تحقيق.
- المفتاح الثالث: علم ما في الأرحام: إشارة إلى ما يزيد في النفس وينقص وخص الرحم بالذكر لكون الأكثر يعرفونها بالعادة ومع ذلك فنفى أن يعرف أحد حقيقتها فغيرها بطريق الأولى.
- المفتاح الرابع: علم ما في غد، إشارة إلى أنواع الزمان وما فيها من الحوادث وعبر بلفظ غد لتكون حقيقته أقرب الأزمنة وإذا كان مع قرب لا يعلم حقيقة ما يقع فيه مع إمكان الأمانة والعلامة فما بعد عنه أولى.
- المفتاح الخامس: علم مكان الموت، إشارة إلى أمور العالم السفلي مع أن عادة أكثر الناس أن يموت ببلده ولكن ليس ذلك حقيقة بل لو مات في بلده لا يعلم في أي بقعة يدفن منها ولو كان هناك مقبرة لأسلافه بل قبر أعده هو له، فجمعت الآية أنواع الغيوب وأزلت جميع الدعاوي الفاسدة وقد

بين بقوله تعالى في الآية الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ ۚ أَحَدًا﴾ (٣٦) إِلَّا مَن أَرَزَقْنِي مِن رَّسُولٍ ﴿١﴾ "إن الاطلاع على شيء من هذه الأمور لا يكون إلا بتوفيق" (٢) وعلى هذا فإن الاطلاع ببعض أمور الغيب لا يختص به أحد من البشر على الإطلاق إلا من رسول اختصه الله تعالى لهذه المهمة وكل ذلك لا يتم إلا بتوفيق الله تعالى.

(١) سورة الجن من الآيتان: ٢٦، ٢٧.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٣ / ٣٦٥.

الفصل السادس

نعمة إخفاء معرفة أوقات بعض الشعائر التعبدية

مدخل

من المعلوم لدى الدارسين أن العبادات في الإسلام مصدرها العقائد الإيمانية السليمة البعيدة عن الشك والريبة، فالعقيدة هي الأصل، والشرعية هي الفرع، ومن ثم فهما متلازمان⁽¹⁾، فالعقيدة تشتمل على التوحيد، أو مبحث الإلهيات كما يراه المتكلمون، أو إثبات الصانع كما يراه الفلاسفة المسلمون، وتشتمل أيضًا على النبوات التي تعد مبحثًا مهمًا من مباحث علم الكلام وذلك؛ لأن البشر في حاجة إلى رسول يرشداهم إلى طريق الله أو أن عالم السماء لا بد أن يرتبط بعالم الأرض ولن يتم ذلك إلا بواسطة رسول موحى إليه من قبل الله تعالى عن طريق أمين الوحي جبريل، وبهذا يرتبط العالم الأرضي بعالم السماء عن طريق الأنبياء، وتشتمل العقيدة أيضًا على المعاد أو اليوم الآخر وما فيه من بعث ونشر وجنة ونار... إلخ⁽²⁾، وإذا كان الأمر كذلك فإن الشريعة الإسلامية تشتمل على العبادات، والمعاملات والأخلاق... إلخ ولن تُقبل هذه العبادات ولن تصح أيضًا الأحكام التكليفية المعروفة مثل (الوجوب، والحرمة، والإباحة، والحرام، والاستحباب، والكراهة)، إلا إذا كانت هناك عقيدة سليمة خالية من الغش وخالية من الشك والريبة وغيرها. ويظهر هذا التلازم بين العقيدة والشرعية في العبادات مثل: الصلاة، والصوم، والزكاة... إلخ بناءً على أن العقيدة هي الأصل أو هي الجانب النظري، بينما الشريعة هي الفرع أو الجانب العملي. فلقد تلقى محمد عن ربه الأصل الجامع في عقائده، وتشريعه وهو القرآن الكريم، وكان القرآن الكريم عند الله وعند المسلمين المصدر الأول في تعرف

(1) الملازمة: لغةً امتناع انفكاك الشيء عن الشيء، وال لزوم والتلازم بمعناه، واصطلاحًا: كون الحكم مقتضيًا للآخر على معنى أن الحكم بحيث لو وقع يقتضي وقوع حكم آخر اقتضاء ضروريًا، كالدخان للنار في النهار، والنار للدخان في الليل: التعريفات / 229.

(2) يقول التفنيزاني في المقاصد "موضوع الكلام ذات الله تعالى لأنه يبحث عن صفاته الثبوتية والسلبية وأفعاله المتعلقة بأمر الدنيا ككيفية صدور العالم عنه بالاختبار وحدث العالم وخلق الأعمال وكيفية نظام العالم كالبحث عن النبوات وما يتبعها أو بأمر الآخرة كبحث المعاد وسائر السمعيات فيكون الكلام هو العلم الباحث عن أحوال الصانع من صفاته الثبوتية والسلبية وأفعاله المتعلقة بأمر الدنيا والآخرة" يراجع: المقاصد، 1 / 12.

التعاليم الأساسية للإسلام، ومن القرآن عُرِف أن الإسلام له شعبتان أساسيتان لا يوجد حقيقته ولا يعرف معناه إلا إذا أخذت الشعبتان حظهما من التحقيق والوجود في عقل الإنسان وقلبه وحياته وهاتان الشعبتان هما (العقيدة، والشريعة) فالعقيدة هي الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به أولاً وقبل كل شيء لا يرقى إليه شك ولا تؤثر فيه شبهة ومن طبيعتها تضافر النصوص الواضحة على تقريرها وإجماع المسلمين عليها من يوم أن ابتدأت الدعوة مع ما حدث بينهم من اختلاف بعد ذلك فيما وراءها وهي أول ما دعا إليه الرسول وطلب من الناس الإيمان به في المرحلة الأولى من الدعوة وهي دعوة كل رسول جاء من قبل الله كما نزل على ذلك القرآن في حديثه عن الأنبياء والمرسلين أما الشريعة فهي النظم التي شرعها الله أو شرع أصولها ليأخذ الإنسان بها نفسه في علاقته بربه، وعلاقته بأخيه المسلم وعلاقته بأخيه الإنسان وعلاقته بالكون وعلاقته بالحياة⁽¹⁾ ومن هنا فإن بعض الشعائر التعبدية التي أمرنا الله تعالى بتأديتها في جميع الأوقات وأخفى علينا تحديد وقتها، وذلك من أجل أن يتنافس المتنافسون في تأديتها فتسلم عقائدهم من الزلل، وبالتالي ينعكس هذا الأمر على أخلاقهم وسلوكهم حين تقوى عقائدهم وتتافسهم في فعل الخيرات التي تقربهم من الله تعالى.

(1) الإسلام عقيدة وشريعة، الشيخ محمود شلتوت، ص9، وما بعدها.

المبحث الأول

نعمة إخفاء معرفة وقت الصلاة الوسطى

وأثر ذلك في الاعتقاد والأخلاق

من الشعائر التعبدية التي حثنا عليها الشرع الحنيف، الصلاة فهي ركن من أركان الإسلام، وهي عماد الدين، ولقد شرعها الله على العموم وأمر بالمحافظة عليها فقال تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾⁽¹⁾

أقوال أهل العلم في تحديد الصلاة الوسطى

اختلف آراء أهل العلم حول هذه المسألة على أقوال:

أحدها: أنها الصبح وعليه عمرو، وأبو أمامة وأنس وجابر وأبو العالية وعبيد بن عمير وعطاء وعكرمة ومجاهد والربيع بن أنس وغيرهم وهو أحد قولي علي ومعاذ بن جبل وابن عمر وابن عباس وهو قول مالك⁽²⁾ والشافعي فيما نص عليه في الأم⁽³⁾ واحتجوا على ذلك بعدة أدلة وهي أن فيها القنوت وقد قال الله تعالى ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾⁽⁴⁾ وبأنها لا تقصر في الصلاة، ولأنها بين صلاتين سر، وجهر.

(1) سورة البقرة آية: 238.

(2) جاء في موطأ الإمام مالك هذه الرواية وهي "أن علياً بن أبي طالب وعبد الله بن عباس كانا

يقولان: «الصلاة الوسطى صلاة الصبح» قال مالك: «وقول علي وابن عباس أحب ما

سمعت إلي في ذلك" يراجع: موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني

(المتوفى: 179هـ) صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء

التراث العربي، بيروت - لبنان، عام النشر: 1406 هـ - 1985 م، 1/ 139

(3) الأم، للإمام الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب

بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ) دار المعرفة - بيروت، بدون طبعة، سنة

النشر: 1410هـ/1990م، في الكلام على صلاة الفجر، 1/ 75.

(4) سورة البقرة آية: 238.

الثاني: أنها الظهر وعليه زيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري وعائشة وأسامة بن زيد وعبد الله بن شداد، وهو أحد قولي علي بن عمر، وروايته عن أبي حنيفة⁽¹⁾.
الثالث: أنها العصر وإليه ذهب علي بن أبي طالب وأبو أيوب، وابن عمر، وابن عباس، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وأبي بن كعب، وسمرة بن جندب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وعبيدة السلماني، والحسن البصري، وإبراهيم النخعي، والكلبي، وقتادة، والضحاك، ومقاتل، وأبو حنيفة، وأحمد، وداود، وابن المنذر، نقله عن هؤلاء النووي، وابن سيد الناس في شرح الترمذي وغيرهما، ونقله الترمذي عن أكثر العلماء من الصحابة وغيرهم. ورواه المهدي في البحر عن علي والمؤيد بالله وأبي ثور وأبي حنيفة⁽²⁾. قال بن عاشور "بعد بحث طويل في الأقوال الواردة فيه" والأصح من هذين القولين أولهما لما في «الموطأ» و«الصحيحين» أن عائشة وحفصة أمرتا كاتبي مصحفيهما أن يكتبتا قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وصلَاة العصر وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾⁽³⁾ وأسندت عائشة ذلك إلى رسول الله (ﷺ)، ولم تسنده حفصة، فإذا بطل أن تكون الوسطى هي العصر، بحكم عطفها على الوسطى تعين كونها الصبح، هذا من جهة الأثر⁽⁴⁾.

المذهب الرابع: أنها صلاة المغرب وهو قول قبيصة؛ لأنها في وسط العدد ليست بأقلها ولا بأكثرها ولا تقصر في السفر وأن رسول الله (ﷺ) لم يجعل لها إلا وقتاً واحداً لا تتقدم إليه ولا تتأخر عنه.

المذهب الخامس: أنها إحدى الصلوات الخمس، ولا تعرف بعينها وهو قول

(1) اليد البسطى في تعيين الصلاة الوسطى، الإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق ودراسة د / عبد الحكيم الأنيس، الألوكة، ص30.

(2) نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) تحقيق: عصام الدين الصبايطي، دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، 1413هـ - 1993م، 1/ 384.

(3) سورة البقرة آية: 238.

(4) التحرير والتنوير، 2/ 468.

نافع، وسعيد بن المسيب، والربيع بن خيثم؛ لأن إبهامها وترك تعيينها أحب على المبادرة لجميعها وأبعث على المحافظة على سائرهما فكان أولى من التعيين المفضي إلى إهمال ما سواها، فهذه مذاهب الناس في الصلاة الوسطى على اختلافها، أما مذهب الشافعي فالذي يصح عليه أنها صلاة الصبح استدلالاً، لكن مهما قلت قولاً فخالفت فيه خبراً فأنا أول راجع عنه، وقد وردت الأخبار نقلاً صحيحاً بأنها صلاة العصر فصار مذهبه على الأصل الذي مهده، أنها صلاة العصر دون ما نص عليه من الصبح، ولا يكون ذلك على قولين كما وهم بعض أصحابنا فهذا ما ورد نفي كتاب الله تعالى وذكر مواقيت الصلاة، فأما ما جاءت به السنة من تحديد أوقاتها أولاً وآخراً واختياراً وجوازاً⁽¹⁾ وهناك أدلة تقيد أن الصلاة الوسطى هي العصر، لكن هناك أفضلية بين الصلوات كصلاة الصبح حيث ورد فيها أحاديث وآيات تثبت أن صلاة الصبح هي أفضل الصلوات " وأما من جهة مسالك الأدلة المتقدمة، فأفضلية الصبح ثابتة بالقرآن، قال تعالى مخصصاً لها بالذكر ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾⁽²⁾، وتوسطها بالمعنى الحقيقي ظاهر، لأن وقتها بين الليل والنهار، فالظهر والعصر نهاريتان، والمغرب والعشاء ليليتان، والصبح وقت متردد بين الوقتين، حتى إن الشرع عامل نافلته معاملة نوافل النهار فشرع فيها الإسرار، وفريضته معاملة فرائض الليل فشرع فيها الجهر⁽³⁾، وعلى هذا فالصلاة الوسطى هي صلاة العصر، جاء في "المنتقى" فإنه يحتمل أن يريد به الوسطى من الصلوات التي شغل عنها وهي الظهر والعصر والمغرب ووصفها بأنها وسطى من هذه الثلاث لتأكد فضيلتها على الصلاتين اللتين معها

(1) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999 م، 7/2.

(2) سورة الإسراء آية: 78.

(3) التحرير والتنوير، 468/2.

ولا يدل ذلك على أنها أفضل من الصبح ويحتمل أيضا أن توصف بأنها وسطى إذا قرنت ذكرها واسمها وكذلك سائر الصلوات وإنما الخلاف عند الإطلاق⁽¹⁾.

حكمة إخفاء معرفة تحديد وقت الصلاة الوسطى

إن الناظر في التشريع الإسلامي يجد أنه يحث أتباعه على الفضائل التي تقربهم من الله تعالى، وينهاهم عن الرذائل التي تبعدهم عنه، ومن الفضائل التي حثهم عليها الشرع الحنيف وجعلها من أفضل الأعمال عند الله تعالى (الصلاة) فأمر بالمحافظة عليها، وكذا الصلاة الوسطى، التي هي أفضل الصلوات كما بين العلماء من قبل، وإذا كان الأمر كذلك فقد أخفى الله تعالى تحديد هذه الصلاة عن العباد لحكم هي:

أولاً: أن العبادات ليست مبنية على التعليل:

ومعنى ذلك أن الله تعالى أمر عباده مثلاً بالصلاة فهذا أمر لا يجوز للعباد أن يعللوا هذه الفريضة بأدوات التعليل بكيف، ولما؟ وغيرها من أدوات التعليل. ولذا التمس العلماء مقصداً خاصاً في العبادات وهو: الخضوع لله والانقياد له تعالى. قال إمام الحرمين: "... ومثال هذا القسم العبادات البدنية المحضة فإنه لا يتعلق بها أغراض دفعية ولا نفعية ولكن لا يبعد أن يقال تواصل الوظائف يديم مرون العباد على حكم الانقياد [وتجديد العهد بذكر] الله تعالى ينهى عن الفحشاء والمنكر"⁽²⁾.

ويقول الإمام الشاطبي: "إن مقصود العبادات الخضوع لله، والتوجه إليه،

(1) المنتقى شرح الموطأ: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: 474هـ) مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، 1332هـ، 1/ 246.

(2) البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى 478هـ) المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1418هـ - 1997م، 2/ 80.

والتذلل بين يديه، والانقياد تحت حكمه، وعمارة القلب بذكره، حتى يكون العبد بقلبه وجوارحه حاضرا مع الله، ومراقباً له غير غافل عنه، وأن يكون ساعياً في مرضاته وما يقرب إليه على حسب طاقته"⁽¹⁾، ومن هنا فإن المقصد الأسمى من العبادات هو الخضوع والتذلل لله تعالى والانقياد لحكمه ظاهراً وباطناً وكل ذلك حسب طاقة الإنسان.

ثانياً: المواظبة على أداء الصلوات الخمس المفروضة في أوقاتها: يقول الفخر الرازي: "أنه تعالى لما خصها بمزيد التوكيد، مع أنه تعالى لم يبينها جوز المرء في كل صلاة يؤديها أنها هي الوسطى فيصير ذلك داعياً إلى أداء الكل على نعت الكمال والتمام"⁽²⁾ وخفاء الصلاة الوسطى دليل على أن يجتهد الإنسان في العبادة والمواظبة على جميع الصلوات في جميع الأوقات الخمس المفروضة على الإنسان المكلف، وترجع هذه الحكمة أنها تقيد الإنسان في دنياه وآخرته ذلك أن الإنسان إذا نظر بعين البصيرة إلى عدم البيان في هذه الآية صراحة حمله ذلك على المواظبة على صلاة الأوقات الخمس المفروضة في أوقاتها وعدم التهاون فيها، ولا شك أن هذه المواظبة ترجع بفائدة عظيمة وثواب كبير على المصلي"⁽³⁾ ومن هنا فإن الله تعالى - لما لم يبينها بل خصها بمزيد التوكيد، جاز في كل صلاة أن تكون هي الوسطى، فيصير ذلك داعياً إلى أداء الكل بصفة الكمال، والتمام"⁽⁴⁾.

ثالثاً: أخفاها للتفريق بين الشيء لذاته والشيء الذي يُبهم في سواه:

(1) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م، 2/ 383.

(2) مفاتيح الغيب، 6/ 484.

(3) حكمة التشريع الإسلامي وفلسفته، الشيخ علي أحمد الجرجاوي، مراجعة خالد العقاد، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1424 هـ، 2003 م، ص 100.

(4) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ) المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998م، 4/ 227.

وهذا دليل على أهمية الشيء لذاته ما يدخل فيه، كالصلوات الخمس بصفة عامة والصلاة الوسطى بصفة خاصة، وكل ذلك ليحافظ الإنسان على المواظبة عليها. "فأخفاها لينتبه كل منا ويعرف أن هناك فرقا بين الشيء لذاته، والشيء الذي يُبهم في سواه؛ ليكون كل شيء هو الشيء فيؤدي ذلك إلى المحافظة على جميع الصلوات. فما دامت الصلاة الوسطى تصلح لأن تكون الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء فذلك أدعى للمحافظة على الصلوات جميعا. فإبهام الشيء إنما جاء لإشاعة بيانه"⁽¹⁾، وأخفاها لأداء ذلك إلى المحافظة على الكل"⁽²⁾.

(1) الخواطر، 2/ 1025.

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، أبو بكر البقاعي، 3/ 364، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ) مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، عام النشر: 1285هـ، 1/ 156.

المبحث الثاني

نعمة إخفاء معرفة وقت ليلة القدر وأثر ذلك في الاعتقاد والأخلاق

ليلة القدر والحكمة من إخفائها في المنظور الإسلامي

ليلة القدر من الليالي المفضلة عند الله تعالى وذلك لشرف نزول القرآن فيها قال الله (ﷻ): ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿حَمْدٌ ۝١ وَلَكِتَابٌ أَلْمِينٌ ۝٢ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾⁽²⁾، وليلة القدر: ليلة يختص فيها السالك بتجلٍ خاص يعرف به قدره ورتبته بالنسبة إلى محبوبه، وهو وقت ابتداء وصول السالك إلى عين الجمع ومقام البالغين في المعرفة⁽³⁾، وليلة تقدير الأمور وقضائها والحكم والفضل، يقضي الله فيها قضاء السنة، وهو مصدر قولهم: قدر الله الشيء قدرا وقدرًا، لغتان، كالنهر والنهر، وقدره تقديرًا بمعنى واحد. وقيل: سميت بذلك لخطرها وشرفها. وعن الزهري: هي ليلة العظمة والشرف، من قول الناس: فلان عند الأمير قدر، أي: جاه ومنزلة. ويقال: قدرت فلانًا أي عظمته، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾. أي: ما عظموه حق عظمتهم⁽⁴⁾. كما نجد أن ليلة القدر من الليالي المباركة التي يقدر الله تعالى لملائكته جميع ما ينبغي أن يجري على أيديهم من تدبير بني آدم ومحياهم ومماتهم إلى ليلة القدر من السنة القابلة، وكان يدخل في هذه الجملة أيام حياة

(1) سورة البقرة من الآية: 158.

(2) سورة الدخان الآيات: 1 - 5.

(3) التعريفات، 1/ 194.

(4) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني، 11/ 128.

النبي (ﷺ)، أي: يقدر فيها ما هو منزله من القرآن إلى مثلها من العام القابل⁽¹⁾ "ليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾⁽²⁾ ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله (ﷻ)"⁽³⁾، ففي ليلة القدر تجدد الأمور على مقاديرها جعلها الله في الآجال والارزاق والمواهب التي يجعلها الله للعباد ويقع فيها غفران السيئات⁽⁴⁾ "وسميت بذلك؛ لأن الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره، إلى مثلها من السنة القابلة، من أمر الموت والأجل والرزق وغيره. ويسلمه إلى مديرات الأمور، وهم أربعة من الملائكة: إسرافيل، وميكائيل، وعزرائيل، وجبريل"⁽⁵⁾ ومن هنا فإن ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر فالعمل الصالح فيها يعدل عمل ألف شهر وهذا إن دلَّ فإنما يدل على فضل الله تعالى على أمة محمد (ﷺ) على سائر الأمم على الإطلاق.

الحكمة من إخفاء هذه الليلة عن العباد

أولاً: ترغيب المكلف في الطاعات:

"الحكمة في إخفاء ليلة القدر كالحكمة في إخفاء وقت الوفاة، ويوم القيامة، حتى يرغب المكلف في الطاعات، ويزيد في الاجتهاد، ولا يتغافل، ولا يتكاسل، ولا يتكل. ومن الإشفاق أيضاً ألا يعرفها المكلف بعينها لئلا يكون بالمعصية فيها

(1) فضائل الأوقات، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) المحقق: عدنان عبد الرحمن مجيد القيسي، مكتبة المنارة - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1410هـ، 1 / 212.

(2) سورة القدر آية: 1.

(3) إحياء علوم الدين، 1 / 235.

(4) التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر الطوسي، 10 / 385.

(5) الجامع لأحكام القرآن، 20 / 130.

خاطئاً متعمداً. وإذا اجتهد العبد في طلب ليلة القدر بإحياء الليالي المظنونة، باهى الله تعالى ملائكته، ويقول: كنتم تقولون فيهم: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾⁽¹⁾ فهذا جدّهم في الأمر المظنون، فكيف لو جعلتها معلومة لهم؟ فهناك يظهر سر قوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾.

ثانياً: تعظيم سائر ليالي شهر رمضان:

إن الله تعالى قد أخفى هذه الليلة عن العباد من أجل أن يحرصوا على قيامها إيماناً بالله تعالى لحديث البخاري من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال النبي (ﷺ): ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))⁽³⁾ ونجد أن الله تعالى لم يُعين هذه الليلة من أجل أن يتنافس فيها المتنافسون، وإنما لم تعين هذه الليلة ليتوفر على العباد على العمل في سائر الليالي⁽⁴⁾ ولهذه الحكمة - أخفى الله (ﷻ) ليلة القدر في شهر رمضان لأجل أن يطلبها الإنسان في عموم الشهر ولا تلفت لمن قال إن ليلة القدر حصلت مرة واحدة وانتهت ولن تعود⁽⁵⁾ "وقد أخفى ليلة القدر ليجتهد المكلف في العبادة في ليالي الشهر كلها"⁽⁶⁾ "وحكمة إخفاء تعيينها إرادة أن يكرر المسلمون حسناتهم في ليال كثيرة توخيا لمصادفة ليلة القدر"⁽⁷⁾.

(1) سورة البقرة من الآية: 30.

(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د / وهبة بن مصطفى الزحيلي دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، 1418 هـ، 338/30.

(3) الحديث أخرجه الإمام البخاري في مواضع من "صحيحه" منها في كتاب "الإيمان" باب: قيام ليلة القدر من الإيمان (16/1)(35)، ومسلم في "صحيحه" كتاب "صلاة المسافرين وقصرها" باب: الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح (523/1)(760)، و"أبو داود في "سننه" كتاب "الصلاة" باب: في قيام شهر رمضان (49/2)(1372) ثلاثتهم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(4) التبيان في تفسير القرآن، 385/10.

(5) حكمة التشريع الإسلامي وفلسفته، الشيخ على أحمد الجرجاوي، 2003 م، ص 100.

(6) روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي 3/292.

(7) التحرير والتنوير، 462/30.

ثالثاً: قياس إخفاء ليلة القدر على خفاء سائر الأشياء:

"أنه تعالى أخفاها، كما أخفى سائر الأشياء، فإنه أخفى رضاه في الطاعات، حتى يرغبوا في الكل، وأخفى غضبه في المعاصي ليحترزوا عن الكل، وأخفى وليه فيما بين الناس حتى يعظموا الكل، وأخفى الإجابة في الدعاء ليبالغوا في كل الدعوات، وأخفى الاسم الأعظم ليعظموا كل الأسماء، وأخفى في الصلاة الوسطى ليحافظوا على الكل، وأخفى قبول التوبة ليواطب المكلف على جميع أقسام التوبة، وأخفى وقت الموت ليخاف المكلف، فكذا أخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان⁽¹⁾. "وأخفى ساعة الإجابة لأجل أن تكون العبادة مقبولة وتقع في جميع أوقات اليوم المبارك وأخفى اسمه الأعظم في جميع الأسماء لأجل حفظ وتلاوته في جميع أسمائه الشريفة"⁽²⁾.

رابعاً: الاجتهاد في طلبها:

يقول الفخر الرازي: "أخفيت هذه الليلة حتى يجتهد المكلف في طلبها، فيكتسب ثواب الاجتهاد" أن العبد إذا لم يتيقن ليلة القدر، فإنه يجتهد في الطاعة في جميع ليالي رمضان، على رجاء أنه ربما كانت هذه الليلة هي ليلة القدر، فيباهي الله تعالى بهم ملائكته، ويقول: كنتم تقولون فيهم يفسدون ويسفكون الدماء فهذا جده واجتهاده في الليلة المظنونة، فكيف لو جعلتها معلومة له!⁽³⁾ وقد أبهمها الله تعالى تحريضا للعباد على المحافظة على أداء جميعها كما أخفى ليلة القدر في شهر رمضان وساعة إجابة الدعوة في يوم الجمعة وأخفى الاسم الأعظم في الأسماء ليحافظوا على جميعها⁽⁴⁾. ومن هنا فإن الله تعالى أخفى هذه الليلة العظيمة

(1) مفاتيح الغيب، 6/ 484.

(2) حكمة التشريع الإسلامي وفلسفته، الشيخ على أحمد الجرجاوي، ص 100.

(3) مفاتيح الغيب، للرازي، 32/ 229.

(4) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البيهقي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البيهقي (المتوفى: 510هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م، 1/ 289.

لشرفها ولقدورها ولنزول الملائكة بالرحمات والبركات على أهل الطاعات فهذه الليلة خيرٌ من ألف شهر كما أخبر بذلك الحق (ﷺ) وقد أخفاها الله تعالى من أجل أن يجتهد الإنسان في جميع الليالي لينال بركة هذه الشهر الكريم إخفائها قياسًا على إخفاء الصلاة الوسطى، وكذا ساعة الإجابة من يوم الجمعة، وكل ذلك طلبًا لمرضاة الله تعالى ورضوانه على أهل طاعته. ولهذا السبب أخفى الله تعالى ليلة القدر في رمضان، وأخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وأخفى اسمه الأعظم في جميع الأسماء، وأخفى وقت الموت في الأوقات ليكون المكلف خائفًا من الموت في كل الأوقات، فيكون آتيا بالتوبة في كل الأوقات، وهذا القول اختاره جمع من العلماء⁽¹⁾ "ولعل الداعي إلى إخفائها أن يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبًا لموافقتها وهذا كإخفاء الصلاة الوسطى واسمه الأعظم وساعة الإجابة في الجمعة ورضاه في الطاعات وغضبه في المعاصي"⁽²⁾ ومن هنا فإن الله تعالى "لم يبين تلك الليلة؛ لتطلب من بين الليالي جميعًا؛ ليحيوا ليالي غيرها"⁽³⁾.

(1) مفاتيح الغيب، 6 / 484.

(2) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي 3 / 665.

(3) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، 10 / 584.

المبحث الثالث

الدعاء وإخفاء موعد استجابته، وأثر ذلك على المعتقد الإنساني

تعريف الدعاء

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس أنه "مأخوذ من مادة (دعو) الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك"⁽¹⁾ "والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحد هم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة"⁽²⁾. وفي الشرع. استدعاء العبد ربه (ﷻ) العناية واستمداده إياه المعونة. وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله (ﷻ)، وإضافة الجود، والكرم إليه"⁽³⁾ ومن هنا فإن الدعاء معناه أن يطلب العبد كل شيء من الله تعالى؛ لأن العبد لا يملك ضرًا ونفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، بل إن هذه الأمور كلها مردها إلى الله تعالى فالعبد يطلب من الله تعالى ويخضع له فالدعاء معناه العبادة بل هو فضل أنواع العبادة على الإطلاق، فكيف يستكبر العبد عن عبادة الخالق الرازق الذي بيده النفع والضرر والإحياء والإماتة، والدعاء هو أعلى أنواع العبادة وأرفعها وأشرفها وإلى هذا أشار بقوله (ﷻ) ((الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ))⁽⁴⁾ والآية الكريمة قد دلت على أن الدعاء من

(1) معجم مقاييس اللغة، 2/ 279.

(2) لسان العرب، 14/ 259، تهذيب اللغة، 3/ 78.

(3) شأن الدعاء للخطابي 1/ 3.

(4) أخرجه الإمام الترمذي في "سننه" في "أبواب الدعاء" باب: منه (456/5)(3371)، والطبراني في "معجمه الأوسط" (293/3)(3196)، والحكيم الترمذي في "نواذر الأصول" (652/1)(745) ثلاثتهم من طريق الوليد بن مسلم، عن عبد الله بن لهيعة، عن عبيد الله بن أبي جعفر، عن أبان بن صالح، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -، به، بلفظه. وقال الترمذي بعده: هذا حديث غريب من هذا الوجه. قلت: هذا حديث ضعيف وعلة ضعفه ضعف عبد الله بن لهيعة "ميزان الاعتدال"

العبادة فإنه (عَلَيْهِ) أمر عباده أن يدعوه ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِي يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾⁽¹⁾ فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة وأن ترك دعاء الرب سبحانه استكبار ولا أقبح من هذا الاستكبار وكيف يستكبر العبد عن دعاء من هو خالق له ورازقه وموجده من العدم وخالق العالم كله ورازقه ومحبيه ومميتة ومثيثة ومعاقبة فلا شك أن هذا الاستكبار طرف من الجنون وشعبة من كفران النعم⁽²⁾.

الدعاء وعلاقته بالعقيدة الإسلامية

العبد لا يرجو إلا الله تعالى ولا يخاف إلا منه وبالتالي فإن عقيدته تقوى وذلك لشدة لجوء العبد إلى خالقه في كل وقت في السراء والضراء وهذا يختلف عن الإنسان الذي يسأل ربه حين الشدة أو الكرب فإنه يلجأ إلى الله تعالى ليكشف عنه ما هو فيه. "ونظير ذلك من ينزل به بلاء عظيم، أو فاقة شديدة، أو خوف مُقْلَق، فجعل يدعو الله سبحانه ويتضرع إليه، حتى فتح له من لذيذ مناجاته، وعظيم الإيمان به، والإنابة إليه ما هو أحبُّ إليه من تلك الحاجة التي قصدها أولاً، ولكنه لم يكن يعرف ذلك أولاً حتى يطلبه، ويشتاق إليه"⁽³⁾. وحينما يشتاق العبد إلى ربه يعلم أن الله يسمع دعاءه ويستجيب له حين يدعوه وهذا دليل قاطع على تقوية الجانب العقدي داخل النفس البشرية مما يجعلها تؤمن وتسلم بوجود الله تعالى،

للذهبي(475/2)(4530) ط: دار المعرفة - بيروت، وكذا عنونة الوليد بن مسلم، فهو موصوف بالتليس الشديد "طبقات المدلسين" للحافظ ابن حجر(ص51)(127). قلت: وأصح منه حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - بلفظ: "الدعاء هو العبادة" أخرجه الترمذي في "سننه" في "أبواب تفسير القرآن" باب: ومن سورة البقرة(211/5)(2969) وقال الترمذي بعده: هذا حديث حسن صحيح.

(1) سورة غافر من الآية: 60.
(2) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) دار القلم - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1984م، 1/33.
(3) إغاثة اللفهان في مصابيد الشيطان، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (691 - 751) حققه: محمد عزيز شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1432هـ، 1/54.

ولذلك نجد الإمام الألويسي يعلل هذه القضية فيقول: "لأن الداعي لا يقدم على الدعاء إلا إذا عرف من نفسه الحاجة إلى غير ذلك المطلوب وأنه عاجز عن تحصيله وعرف أن ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم الحاجة وهو قادر على إيصالها إليه. ولا شك أن معرفة العبد نفسه بالعجز والنقص ومعرفته ربه بالقدرة والكمال من أعظم العبادات"⁽¹⁾.

نعمة إخفاء موعد استجابة الدعاء

من المعلوم لدى الدارسين أن الله تعالى أمر عباده بالدعاء فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾⁽²⁾ "فالدعاء يطلق على سؤال العبد من الله حاجته وهو ظاهر معناه في اللغة، ويطلق على عبادة الله على طريق الكناية؛ لأن العبادة لا تخلو من دعاء المعبود بنداء تعظيمه والتضرع إليه، وهذا إطلاق أقل شيوعاً من الأول، ويراد بالعبادة في اصطلاح القرآن أفراد الله بالعبادة، أي الاعتراف بوحديته. والاستجابة تطلق على إعطاء المسئول لمن سألته وهو أشهر إطلاقها وتطلق على أثر قبول العبادة بمغفرة الشرك السابق وبحصول الثواب على أعمال الإيمان"⁽³⁾ فهناك عدة أمور مترتبة على خفاء موعد استجابة الدعاء هي:

أولاً: التضرع والابتهاال إلى الله في الخفاء:

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الْمُعْتَدِينَ﴾⁽⁴⁾ وذلك أن دعاء الله عند الحاجة ولا سيما في حال الشدة هو مخ

(1) روح المعاني، 4 / 378.

(2) سورة غافر آية: 60.

(3) التحرير والتنوير، 24 / 182.

(4) سورة الأعراف آية: 55.

العبادة وروحها، وله مظهران: التضرع والابتهاال، والخفية والإسرار. أي ادعوا ربكم ومدبر أموركم متضرعين مبتهلين إليه تارة، ومسرين مستخفين تارة أخرى، أو دعاء تضرع وتذلل وابتهاال، ودعاء مناجاة وإسرار ووقار، ولكل من الدعاءين وقت، وداعية من النفس، فالتضرع بالجهر المعتدل تحسن في حال الخلوة والأمن من رؤية الناس الداعي ومن سماعهم لصوته، فلا جهره يؤذيهم ولا الفكر فيهم يشغله عن التوجه إلى الرب وحده، أو يفسد عليه دعاءه بحب الرياء والسمعة⁽¹⁾؛ ولأن رفع الصوت مشعر بالقوة والجلادة وإخفاء الصوت مشعر بالضعف والانكسار وعمدة الدعاء الانكسار والتبري عن حول النفس وقوتها والاعتماد على فضل الله تعالى وإحسانه⁽²⁾. "ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم"⁽³⁾.

ثانيًا: من مواطن الإخلاص الإسرار بالدعاء:

ومن حكمة خفاء موعد الإجابة مبادرة العبد دائماً وأبداً بالإسرار بالدعاء وبينما يقوم العبد بهذا العمل فإن رحمة الله تدركه كما "أحاطت بعبده زكريا، حين دعا ربه دعاءً مستورًا عن الناس، ولم يسمعه أحد منهم وإنما أخفى دعاءه عليه السلام، وأسر به وهو يتضرع إلى ربه؛ لأن الإسرار بالدعاء أدل على الإخلاص، وأبعد عن الرياء، وأقرب إلى الخلاص من لائمة الناس على طلب الولد وقت الكبر والشيخوخة⁽⁴⁾. وقد راعى نبي الله زكريا "سنة الله في إخفاء دعوته لأن الجهر

(1) تفسير المنار، 8 / 406.

(2) مفاتيح الغيب، للرازي، 21 / 519.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، 485/12.

(4) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (1393هـ = 1973م) - (1414هـ = 1993م) 6 / 942.

والإخفاء عند الله سيان فكان الإخفاء أولى لأنه أبعد عن الرياء وأدخل في الإخلاص. وثانيها: أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في زمان الشيخوخة. وثالثها: أسره من مواليه الذين خافهم. ورابعها: خفي صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات، فإن قيل من شرط النداء الجهر فكيف الجمع بين كونه نداء⁽¹⁾ "وكان الصحابة حين أخبرهم الرسول بذلك قد جهرُوا بالذكر أمر تعالى بالدعاء مقرونا بالتذلل والاستكانة والاختفاء إذ ذاك أدعى للإجابة وأبعد عن الرياء والدعاء خفية أفضل من الجهر"⁽²⁾.

ثالثاً: الرجاء في توقع الإجابة:

من الحكم الإلهية في عدم معرفة الإنسان موعد استجابة الدعاء لما في ذلك من حصول الإنسان على الرجاء وهو تعلق القلب بمحصول محبوب في المستقبل⁽³⁾. ومن هنا فإن الرجاء يولد في الإنسان التضرع إلى الله في الخفاء وعلى ذلك فإن الله " قريب بالعلم والحفظ لا يخفى علي شيء، وفيه إشارة إلى سهولة إجابته لمن دعاه وإنجاح حاجة من سألَه"⁽⁴⁾ والدعاء مع الرجاء، والاستغفار والتوحيد وهو السبب الأعظم الذي فقه فقد المغفرة، ومن جاء به فقد جاء بأعظم أسباب المغفرة⁽⁵⁾. ومن هنا فالرجاء من أهم أسبا خفاء موعد الإجابة؛ لأن ذلك يجعل الإنسان دائماً وأبداً في حالة قرب من الله تعالى.

(1) مفاتيح الغيب، للرازي، 507 / 21.

(2) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ، 5 / 68.

(3) التعريفات، ص108.

(4) لباب التأويل في معاني التنزيل، للقاسمي 1 / 115.

(5) التحفة الربانية في شرح الأربعين حديثاً النووي - ومعها: شرح الأحاديث التي زادها ابن رجب الحنبلي، إسماعيل بن محمد بن ماضي السعدي الأنصاري (المتوفى: 1417هـ) مطبعة دار نشر الثقافة - الإسكندرية، الطبعة: الأول 1380 هـ، ص94.

الحكمة في إخفاء وقت ساعة الإجابة يوم الجمعة

وتظهر الحكمة في إخفاء هذه الساعة والتي جاء ذكرها في حديث أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: أَسَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فِي شَأْنِ سَاعَةِ الْجُمُعَةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: ((هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ))⁽¹⁾. وقد "أخفى تعالى وقت هذه الساعة، فلا يُعلم هل هي في أول النهار، أو آخره، أو وسطه؟ وإخفاؤها عين الحكمة والرحمة؛ ذلك أنه لو عُلم وقتها، لما التمسها المسلمون بالعبادة والدعاء إِلَّا تلك الساعة، ولكن إخفاءها يجعلهم يلتزمون كل يوم الجمعة، عَلَّهْم يَقْعُونَ عَلَيْهَا، فتكثر أعمالهم الصالحة، وإخفاؤها كإخفاء ليلة القدر، وإخفاء اسم الله الأعظم، ونحو ذلك من الأشياء المفضلة⁽²⁾). ومن هنا فإن مسألة الإجابة إنما هي في علم الله تعالى لأنه أقرب إلينا من كل شيء ومن ثم فإن إخفاء ساعة الإجابة تجعل العبد بين أمرين لا ثالث لهما وهما (الطلب، وتوقع الاستجابة) "يبدو كثيرٌ من الناس مفتونين في مسألة الدعاء، ولا سيما حينما يدعون ويتوقعون الاستجابة ولا يستجاب لهم، وبخاصة أن الاستجابة وعد من وعود الله، فكيف يعالج منطق السنن هذه المسألة؟ هنا ينبغي أن نقرر أن نقرر حقيقة أن الدعاء مستجاب ولكن الأمر في أن الإنسان لا يحس بالاستجابة؛ لأنها قد لا تكون بالطريقة أو الكيفية التي يريدها، وكأنه يتوقع أن تأتيه الإجابة في شكل يراه بعينه ويلمسه بيده، ولذا عندما يحس الإنسان باستجابة الله لدعائه يحمده على ذلك، وقد لا يستجاب لدعاء الإنسان لخير أراد الله له فيؤجله له، وقد يحس الإنسان به بعد حين أو لا يحس به إلى الأبد"⁽³⁾.

(1) أخرجه مسلم، كتاب، الجمعة، باب في الساعة التي في يوم الجمعة، رقم (853)، 584 / 2.
(2) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي (المتوفى: 1423هـ) مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، الطبعة: الخامسة، 1423هـ - 2003م، 2 / 609.
(3) سنن التداول ومآلات الحضارة، د/ محمد هيشور - ص220، مرجع سابق.

ومن هنا فإن نعمة خفاء الدعاء تعود بالأثر النافع على الإنسان وذلك في سلوكه وأخلاقه، وحياته ومعاشه؛ لأن الإنسان إذا دعا الله تعالى في الخفاء فإنه سبحانه يعلم السر وأخفى، ويعلم الجهر وما يخفى فلا يخفى عليه خافية، ولكن دعاء الخفاء يظهر أثره في حياة الإنسان؛ لأنه يقربه من مولاه فالعبد دائماً وابدأ في حالة قرب من ربه عن أبي هريرة، أن رسول الله (ﷺ) قال: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ))⁽¹⁾ والفعل (فَأَكْثَرُوا) فعل أمر والأمر للوجوب وكأن الرسول (ﷺ) يحث أتباعه على المبادرة والمصارعة بالدعاء في كل مكان من أرض الله وفي جميع الأوقات حتى يكون الإنسان في معية الله تعالى، فإذا فعل ذلك صحت عقيدته وسلوكه.

(1) أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" كتاب "الصلاة" باب: ما يقال في الركوع والسجود (350/1) (482)، وأبو داود في "سننه" كتاب "الصلاة" باب: في الدعاء في الركوع والسجود (231/1) (875)، وأحمد في "مسنده" (274/15) (9461) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - .

البَابُ الثَّانِي

فلسفة نعمة الخفاء في بعض قضايا العلم

الفصل الأول

نعمة الخفاء من فرط الصغر

مدخل

من المعلوم لدى الدارسين أن هناك علاقة وطيدة بين القرآن الكريم والعلم الحديث باعتبار أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للعقيدة الإسلامية ومن ثم فهناك علاقة بينهما من حيث الوصول إلى وجود خالق لهذا الكون وعلى هذا فهناك عالم نراه ويسمى بالعالم المنظور، وعالم لانراه ويسمى بالعالم الغير منظور، وهناك أشياء لا نراها في هذا العالم السفلي⁽¹⁾ وأما العالم العلوي فهو ما يشتمل أعلى الأرض كالكواكب والأفلاك، والشمس، والقمر والسيارات وكل ما في السماء، وعالم سفلي يتكون من: ما هو في البحر من مخلوقات وكائنات وما على الأرض من معادن ونبات وحيوان وإنسان...، ولكن هل الوجود هو هذين العالمين فقط؟...، وهل هذا ما قصد القرآن؟...

إن التقدم في العلوم قد أثبت أن الوجود ينقسم إلى قسمين "عالم منظور، وآخر غير منظور... فالأول كل ما يراه الإنسان سواء بعينه المجردة أم بالمجاهر والأجهزة المقربة، فكل ما في السماء وما تحت الأرض وما في قاع المحيطات وما في السحب وكل ما يمكن رؤيته بالعين إنما هو من العالم المنظور، والعالم الغير منظور قد أصبح حقيقة لا تقبل الشك⁽²⁾ والجدل...ويقول العلماء إن هذا العالم أوسع وأرحب من العالم المنظور وأكثر ازدحاماً!!...⁽³⁾ فهذا العالم الغير منظور عالم يحتوى على كثير من المخلوقات التي خلقها الله تعالى ولكن مع ضعف أبصارنا وقوتنا لا نستطيع أن نرى هذه الأشياء ومن عظمتها وفخامتها

(1) العالم: عبارة عما يعلم به الشيء، واصطلاحاً عبارة عن كل ما سوى الله من الموجودات؛ لأنه يعلم به الله من حيث أسماؤه وصفاته، التعريفات /145.

(2) الشك: هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك، وقيل: الشك: ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين الشبنيين لا يميل القلب إلى أحدهما، فإذا ترجح أحدهما على الآخر فهو ظن، فإذا طرحة فهو غالب الظن، وهو بمنزلة اليقين، المرجع السابق: 128.

(3) القرآن والعلم الحديث، عبد الرازق نوفل، الطبعة الثانية، مكتبة صايغ، 147.

أقسم الله بها في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ^(١). يقول الإمام الماتريدي: "فلا أقسم بما تبصرون من خلق السماوات والأرضين وأنفسكم، وما لا تبصرون في أنفسكم من الأسماك، والأبصار، والقلوب، والعقول. أو ما تبصرون من الخلائق ممن حضركم، وما لا تبصرون من الخلائق ممن غاب عنكم، فيكون القسم بما نبصر وما لا نبصر قسم بالخلائق أجمع؛ لأن جملة الخلائق على هذين الوجهين، فصنف منهم يرى، وصنف لا يرى"^(٢).

والعقل هو الوسيلة الوحيدة التي من خلالها يستطيع الإنسان أن يقف عند المحسوس المدرك بالحواس المعروفة، أما الشيء الغير مرئي فإن الحواس تتوقف عنده ولا تستطيع أن تدركه.

يقول كريسي موريسون (A. Cressy Morrison)^(٣): إن العقل مهما بلغ من القوة والذكاء ليس إلا حاسة من الحواس التي تربطنا بعالمنا المحدود، فكما يكون للعين مدى تنتهي عنده مقدرتها على الإبصار فلا تدرك ما وراء هذا المدى من مرئيات إلا أشباحا باهتة وصورًا شائهة لا تعني من الحق شيئاً.. وكذلك الشأن في كل حاسة من حواسنا لكل مجال تعمل فيه، وتؤدي وظيفتها كاملة في حدوده، فاذا أريد بها الخروء عن هذا المجال ضلت وأضلت. وكذلك شأن العقل وهو حاسة الإدراك له مجاله المحدود الذي يعمل فيه ويدرك حقائق الأشياء في محيطه"^(٤) "ولقد توصل العلم إلى اكتشاف مواد حيوية غير مرئية من أشباه الجراثيم،

(١) سورة الحاقة الآيتان: 38، 39.

(٢) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، 10 / 188.

(٣) كريسي موريسون - هو الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك، ورئيس المعهد الأمريكي لمدينة نيويورك، وعضو المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي بالولايات المتحدة، وزميل في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، وعضو مدى الحياة للمعهد الملكي البريطاني، يراجع: العلم يدعو للإيمان، المترجم: محمود صالح الفلكي/1.

(٤) العلم يدعو للإيمان، كريسي موريسون، المترجم: محمود صالح الفلكي، بدون ط، ولا نشر، 8.

والميكروبات.. عرفت بآثارها الخطيرة وتميزت بتحويلات معينة كيميائية... ولم يستطع العلم رؤيتها لا لدقتها... ولكن؛ لأنها غير مرئية... وقد أطلق عليها اسم (الفيروس) (Virus)... وبسبب هذا الكائن غير المنظور يتعرض الإنسان والحيوانات والتنباتات بعدة أمراض خطيرة، فهذا الفيروس متعدد الأنواع..⁽¹⁾ وهذه الفيروسات التي اكتشفها العلم الحديث يراها الإنسان عن طريق الميكروسكوب، ومن ثم فالإنسان يدرك آثارها فقط كما أثبت العلم الحديث.

وهناك كواكب ونجوم لا يراها الإنسان؛ وذلك لبعدها عنا؛ لأنها تبعد عنا بمسافات عديده كما أثبت العلم الحديث، وأيضاً نحن لا نعلم عنها شيئاً وذلك؛ لأننا في في حيز الزمان والمكان، وإذا اعتبرنا في السماء أقرب نجم إلينا يبعد عن الشمس نجد أن هذا النجم هو (سنتورا بركسيما) (Centura Proxima) وهو يبعد عنا أربع سنوات ضوئية تقريباً وهذا يعني أن الضوء يصل إلينا من هذا النجم بسرعة (300000) كيلو متر في الثانية بعد أربع سنوات ونصف سنة فإذا نظرنا في وقت (ما) إلى هذا النجم وأبصرناه تكون قد انقضت حينما يصل إلينا ضوءه أربع سنوات ونصف سنة يجري خلالها هذا النجم إلى مكان آخر ويتطور، وربما تغير أو اضمحل تماماً وهذا يدل على أننا لا نستطيع أن نعلم من أمر هذا النجم شيئاً في وقت (ما) ونتيجة ذلك أننا لا نستطيع أن نجد حل معادلات (قانون الحالة) (Case law) لهذا النجم، ولذلك أقسم الله بمواقع النجوم فقال تعالى:

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ۖ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾ فهذا القسم عظيم فعلاً؛ لأننا لا نستطيع ولن نستطيع أبداً أن نعرف لا مواقع النجوم فحسب بل مواقع كل ما في الدنيا؛ لأننا في خلقتنا نحن بشر تحت حكم الزمان والمكان، ولا نستطيع أن نعلم ذلك إلا من ليس تحت حكم الزمان والمكان (الله) الذي هو في كل زمان

(1) القرآن والعلم الحديث، عبد الرازق نوفل، الطبعة الثانية، مكتبة صايغ / 148 وما بعدها.

(2) سورة الواقعة الأيتان: 75، 76.

ومكان⁽¹⁾. "ومن الأدلة على وجود عالم غير منظور... ما يراه المحتضر قبل وفاته مما يجعله يبتسم أو يعبس... وينادي على من يراهم من أهل مودته أو أقاربه ممن سبقوه إلى الموت... فإذا ردت الروح في جسمه لا يرى ما كان يراه... وغالبًا ما يكون ذلك علامةً على موته... إذا ترددت روحه بين العالمين... المنظور وغير المنظور"⁽²⁾.

ومن هنا فإن العالم الغير منظور، فيه من العجائب التي لا تخفى على كل ذي لب يعرف حقيقة هذا العالم الغير مرئي، وبالتالي فإن وجود هذا العالم الغير منظور، دليل على أن هناك قوة خفية أوجدته لا من شيء، بل هي السبب في وجود هذا العالم بنوعيه، وفي إطار الحديث عن فلسفة الخفاء في بعض قضايا العلم سنتحدث عن حكمة إخفاء الكائنات الدقيقة (الميكروبات - البكتريا - الفيروسات - فايروس كورونا المستجد (كوفيد-19) (COVID-19) وأثرها على سلوك الإنسان ومعتقدده. وذلك من خلال ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالكائنات الدقيقة التي لا ترى بالعين المجردة (الميكروبات - البكتريا - الفيروسات).

المبحث الثاني: نعمة إخفاء فايروس (كورونا كوفيد 19)، وعلاقة ذلك باعتقاد الإنسان.

المبحث الثالث: نعمة إخفاء رؤية الكائنات الدقيقة، وعلاقة ذلك باعتقاد الإنسان.

(1) الله العلم، الدكتور/ بشير التركي، 1399هـ، 1979م، بدون نشر / 47 وما بعدها.

(2) القرآن والعلم الحديث، عبد الرازق نوفل / 151.

المبحث الأول التعريف بالكائنات الدقيقة التي لا ترى بالعين المجردة (الميكروبات - البكتريا - الفيروسات)

تعريف الميكروبات Microbes

"هي الكائنات الحية الدقيقة تعيش تلك الكائنات غير المرئية في كل مكان على الأرض"⁽¹⁾ وجاء في تعريفها أيضًا بأنها "مخلوقات حية مكونة من خلية واحدة صغيرة جدًا لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة إلا بعد تكبيرها آلاف المرات تقاس طولًا وعرضًا بالميكرون (Micron)⁽²⁾ أو أجزائه"⁽³⁾ ومن هنا فإن هذه الميكروبات لا يدركها الإنسان بباقي حواسه المعروفة؛ لأنها مخفية عن إدراكنا، ومن ثم فهي تعيش في أماكن عديدة لا يمكن حصرها، ولا عدها، فالميكروبات صغيرة جدًا جدًا لا يمكن أن يتبينه، أبدًا لكن كثيرًا من المتفائلين يأمل أن ينظر إليه من خلال المجهر⁽⁴⁾ وعلى هذا فإن الميكروبات التي لا يراها الإنسان ولا يدركها بأحد حواسه تعيش معه وتتكاثر وتنمو في كل وقت، فأكثر من نصف جسم الإنسان مليء بالكائنات الدقيقة كما اثبت ذلك العلم الحديث.

-
- (1) الميكروبات وكرامات الشهداء، الدكتور / عبد الحميد القضاة، المملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة الثانية، 1425 هـ، 2004 م، ص-15، د / دوروثي إتش كروفورد، الفيروسات، ترجمة اسامه فاروق حسن، مراجعة هاني فتحي سليمان، مؤسسة هنداي، الطبعة الأولى، 2014 م / 12.
- (2) الميكرون مِلْيَانُ المتر، معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، الدكتور ف. عبد الرحيم، دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م / 16.
- (3) الميكروبات والإنسان، د / جون لو سيجيت، ترجمة د / عزت شعلان، عالم المعرفة، 1985 م / 11.
- (4) الفيروسات، الدكتور / دوروثي إتش كروفورد، ترجمة / أسامة فاروق حسن، مراجعة: هاني فتحي سليمان، مؤسسة هنداي، الطبعة الأولى، 2014 م / 12.

تعريف البكتريا

يعرف العلماء مصطلح البكتريا بأنه "كائنات حية دقيقة بدائية النواة لا ترى بالعين المجردة بل تتم رؤيتها تحت الميكروسكوب وهي تتصف بنفس صفات الكائنات الحية الأخرى مثل النمو، والتنفس، والتكاثر والتغذية تتكاثر بالانقسام الثنائي البسيط ولا تحتوي على نواة حقيقية ولكن تحتوي على كرموسوم واحد منتشر في السيتوبلازم غير محاط بغشاء نووي"⁽¹⁾ ومن خلال التعريف السابق لمصطلح البكتريا يظهر أنها كائن حي يعيش غالباً في كل مكان، وعلى هذا فهي متنوعة الأشكال وتتواجد في كل مكان فقد تعيش على سطح الأرض، وقد تعيش في الهواء، وقد تعيش في التراب، ومن هنا فهي لا ترى إلا تحت الميكروسكوب.

تعريف الفيروسات

جاء في قاموس المورد الحديث للبلعكي أنها "سُم أو الحُمة وهو محدث للمرض أو هو سُم عقلي أو أخلاقي"⁽²⁾ والعلم الذي يبحث في الكائنات الحية البالغة الصغر والتي لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة وإنما؛ لابد من تكبيرها مئات المرات بواسطة المجهر، "ولقد توصل إلى إكتشاف مواد حيوية غير مرئية من أشباه الجراثيم، والميكروبات... إلخ عرفت بآثارها الخطيرة وتميزت بتحويلات معينة كيميائية.. ولم يستطع العلم رؤيتها لا لدقتها... ولكن لأنها غير مرئية... وقد أطلق عليها اسم (الفيروس) (Virus)... وبسبب هذا الكائن غير المنظور يعرض الإنسان، والحيوانات، والنباتات بعدة أمراض خطيرة، فهذا الفايروس متعدد الأنواع"⁽³⁾.

(1) الميكروبيولوجيا الزراعية، الدكتور / وجدي عبد المنعم مشهور، سنة الطبع 2007م /23.

(2) قاموس المورد الحديث، د/ رمزي البلعكي، دار العلم للملايين، طبع في لبنان /1314.

(3) القرآن والعلم الحديث، عبد الرازق نوفل، ص148 وما بعدها.

خطورة الفيروسات

من المعلوم لدى الدارسين أن هذا الكائن الحي الذي لا يُرى بالعين المجردة من أخطر الكائنات التي تعيش على ظهر الأرض، وذلك؛ لأنه في الحقيقة يُعد أصغر من البكتريا وغيرها من أنواع الميكروبات التي لم يكتشفها الإنسان إلا في الآونة الأخيرة عن طريق التقدم التكنولوجي، وغيره من أنواع تطورات العصر الحديث، وقد يتحكم الإنسان في أنواع البكتريا عمومًا عدا هذا النوع والذي يطلق عليه الفيروسات، "وهذه الكائنات أصغر من البكتريا بنحو 10-100 مرة، وقد أصبحت في السنين الأخيرة كأسباب رئيسية للأمراض وقد تحكم الإنسان في أغلب الأمراض البكتيرية اليوم، ولكن الفيروسات ما زالت في معظمها غير خاضعة لبصر الإنسان"⁽¹⁾.

الفيروس ونشأة الحياة

هذا الفايروس لم يتم إكتشافه إلا متأخرًا "ففي نهاية القرن التاسع عشر ظهر إلى دائرة الضوء جسم صغير جدًا لا يرى بالعين المجردة، ولا بالمجهر الضوئي، ولا يمكن فصله من السوائل التي تحتوي عليه بالترشيح فهو ينفذ من مسامات أدق المرشحات التي تمنع مرور جميع البكتريا، ولم يمكن رؤيته إلا منذ فترة قريبة بواسطة المجهر الإلكتروني . ولقد تم الاستدلال على وجوده من خلال التجارب التي كانت تجري لمعرفة سبب انتشار بعض الأمراض في نباتات التبغ إذ وجد عصير تلك الأوراق المصابة بإمكانه أن يصيب نباتات أخرى إذا وصل إليها ولو جرى ترشيحه عبر ترشيحات دقيقة جدًا؛ لأن السائل الناتج سوف يبقى محتفظًا بنسبة عالية من التلوث بهذا الجسيم الغريب"⁽²⁾ ومن هنا فقد تبين أن هذا الكائن الذي لا يرى بالعين

(1) السابق نفسه /148.

(2) الموسوعة الكونية الكبرى - آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية وفي خلق الأرض وتأمين معاشها، الدكتور/ ماهر صوفي أبو طالب /45.

المجردة قد أوجده الله تعالى في جسم الكائنات الحية وهذا إن دل فإنما يدل على قدرة المبدع الذي يعلم السر وأخفى. وبناء على ذلك فإن هذا الفيروس يحارب الإنسان الكائن الحي بل وينتقل من إنسان لآخر عن طريق العدوي.

"وفي عام 1988م أعلن العالم النباتي "بيجرانك" (Bigger Inc) أن تلك الأمراض المنقولة ليس سببها الجراثيم وإنما كيميائيات سامة سماها بالفيروس وهي كلمة لاتينية تعني سام - إنه جسم جديدة معرفتنا به لكنه قديم جدًا فهو ينسب إلى الحياة واللا حياة في الوقت نفسه فهو ليس جسمًا كيميائيًا عاديًا ولا يوجد دليل مباشر على حياته إذ يسلك الفيروس سلوك جزئي ميت حيا وقد يستمر في موته هذا عدة سنوات"⁽¹⁾.

إخبار القرآن الكريم عن هذه الميكروبات

لقد أثبت العلم الحديث أن هذه الميكروبات قد اكتشفها القرآن الكريم منذ أن نزل القرآن على رسول الله (ﷺ)، ومن ثم فهناك آية قرآنية جاء ذكرها في مطلع سورة طه تشير إلى ذلك حيث قال الله ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾⁽²⁾

المدلول اللغوي لكلمة الثرى (Buried)

جاء في لسان العرب أن "الثرى: التراب الندي، وقيل: هو التراب الذي إذا بل لم يصر طينا لازبًا. وقوله (ﷻ): ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾⁽³⁾ معناها" ما تحت سبع الأرضين أو هو الصخرة التي تحت الأرض السابعة"⁽⁴⁾.

(1) السابق نفسه، / 55.

(2) سورة طه الآية: 6.

(3) سورة طه من الآية: 6.

(4) لسان العرب، 14 / 111، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (2 / 357).

أقوال العلماء حول الآية الكريمة

يقول الإمام البيضاوي: "في معنى قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَحْتُ الثَّرَى﴾⁽¹⁾ ليدل بذلك على كمال قدرته وإرادته، ولما كانت القدرة تابعة للإرادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك بإحاطة علمه تعالى بجليات الأمور وخفياتها على سواء"⁽²⁾ فالله تعالى يعلم ما تحت الثرى ولا يخفى عليه شيء من أمور المخلوقات، وهذا دليل على شمول علمه تعالى بخلقه وإحاطته.

ويقول الإمام أبو السعود في معنى قوله تعالى: "﴿وَمَا تَحْتُ الثَّرَى﴾"⁽³⁾ أي ما وراء التراب وذكره مع دخوله تحت ما في الأرض لزيادة التقرير روي عن محمد بن كعب أنه ما تحت الأرضين السبع وعن السدي أن الثرى هو الصخرة التي عليها الأرض السابعة"⁽⁴⁾ "وهنا يراد مطلق التراب، والمراد: الأرضون السبع؛ لأنها تحت التراب"⁽⁵⁾. وعلى هذا فإن معنى الثرى أي ما وراء التراب، وما تحت الأرض السابعة، فهذا يدل دلالة قاطعة على كمال علمه تعالى الذي خلق كل شيء بقدرته.. والعطف في قول الله تعالى: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتُ الثَّرَى﴾⁽⁶⁾ من عطف الخاص على العام ولهذا العطف فائدة أوردها الإمام السيوطي في كتابه الإتقان حيث قال: "عطف الخاص على العام وفائدته التنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنس العام تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات. وحكى أبو

(1) سورة طه من الآية: 6.

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (4 / 23).

(3) سورة طه من الآية: 6.

(4) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، الإمام أبو السعود، (6 / 5).

(5) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د / وهبة الزحيلي، 16 / 177.

(6) سورة طه من الآية: 6.

حيان عن شيخه أبي جعفر بن الزبير أنه كان يقول هذا العطف يسمى بالتجريد⁽¹⁾ كأنه جرد من الجملة وأفرد بالذكر تفضيلاً، ومن أمثلته: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾⁽²⁾. ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾⁽³⁾ ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾⁽⁴⁾ ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾⁽⁵⁾ فإن إقامتها من جملة التمسك بالكتاب وخصت بالذكر إظهاراً لمرتبتها لكونها عماد الدين وخص جبريل ميكايل بالذكر ردّاً على اليهود في دعوى عداوته وضم إليه ميكايل؛ لأنه ملك الرزق الذي هو حياة الأجساد كما أن جبريل ملك الوحي الذي هو حياة القلوب والأرواح⁽⁶⁾ وهذا العطف الذي بينه الإمام السيوطي يدل على فضل سعة علم الله تعالى بكل ما في الكون. وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الأرض وما فيها وما تحت الثرى، فيه من الكنوز والمعادن التي تعد أرزاقاً سخرها الله تعالى لعباده، وكل ذلك إنما يحتاج إلى البحث عنه في باطن الأرض وفي مستنقعات البحار من الأسرار لا يعلمها إلا الله وحده "وكانه سبحانه يلفت أنظار خلقه إلى ما في الكون من مقومات حياتهم المادية ليجتثوا عنها، ويستنبطوا ما ادّخره لهم من أسرار وثروات في السموات والأرض، والناظر في حضارات الأمم يجد أنها جاءت إما من حفريات الأرض،

(1) التجريد: إمالة السوي والكون على السر والقلب؛ إذ لا حجاب سوى الصور الكونية، والأغيار المنطبعة في ذات القلب، والسر فيهما كالنتوء والتشعيرات في سطح المرآة القادحة في استوائه، المزيلة لصفائه، التعريفات، 1 / 52.

(2) سورة البقرة من الآية: 238.

(3) سورة البقرة من الآية: 98.

(4) سورة آل عمران من الآية: 104.

(5) سورة الأعراف من الآية: 170.

(6) الإتيان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م، 3 / 240).

أو من أسرار الفضاء الأعلى في عصر الفضاء . ولو فهم المسلمون هذه الآية منذ نزلت لَعَلِمُوا أن في الأرض وتحت الثرى وهو: (التراب) كنوزًا وثروات ما عرفوها إلا في العصر الحديث بعد الاكتشافات والحفريات، فوجدنا البترول والمعادن والأحجار الثمينة، كلها تحت الثرى مطمورةً تنتظر مَنْ يُنْقَب عنها وينتفع بها⁽¹⁾.

ماذا تحت الثرى بمفهوم المعاصرين؟

لقد اكتشف العلماء العديد من المخلوقات في باطن التربة، منها البكتيريا، والفطريات، والديدان بأنواعها وغير ذلك، وعلى هذا فإن الثرى تحته أشياء خفية لا يراها الإنسان بعينه المجردة ولنترك المجال للعلم الحديث ليبين لنا تلك القضية على وجه التفصيل وذلك لقول الله تعالى: ﴿فَسأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾.

يقول كريسي موريسون (A. Cressy Morrison): "إن معظم الكائنات الحية الآن تتطور من خلية ميكروسكوبية فريدة، على أثر خروجها من طور الحياة تحت الميكروسكوب واقتربها من طور السدفة⁽²⁾ الذرية ويبدو أن تلك الخلية قد وهبت القدرة على التكاثر، ومواءمة نفسها على أشكال عديدة من الحياة، وأنها أعدت لكي تعيش في كل ركن وشق على ظهر الأرض. والعلم يقر بأن الواقع لا يمكن أن يكون إلا كذلك. ويعتقد البعض أن هذا مصادفة من المواد الكيماوية والماء والوقت. ويرى البعض الآخر النظام مائلاً في كل جانب فسيح من الحياة إذ تمضي قدمًا من منبعها إلى هدفها، سواء أكانت ستصبح حيواناً رخواً أم إنساناً - دون أن تعبر الفجوة مرة أخرى"⁽³⁾ فالإنسان حينما يتدبر في خلق الله تعالى يجد أن التربة

(1) الخواطر، الشيخ الشعراوي، 15 / 9219.

(2) السدافة الحجاب والستر من السدفة والظلمة، يعني أخذت وجهها وأزلتها عن مكانها الذي أمرت به، وقيل: معناه أي أخذت وجهها هتكت سترك فيه، وقيل: معناه أزلت سدافته، وهي الحجاب، من الموضع الذي أمرت أن تلزميه وجعلتها أمامك، لسان العرب، 9 / 144.

(3) العلم يدعو للإيمان، كريسي موريسون، ص14.

التي خلقها الله تعالى مليئة بالمواد العضوية، المتباينة التكوين حينما تتحلل تلك المواد وتتخمر ينتج عنها البكتريا أو الكائنات الدقيقة التي لا يدركها الإنسان وقد تصل هذه الكائنات الدقيقة إلى 20 في المائة من المادة العضوية التي بها، وهذا إن دلّ فإنما يدل على علم الله تعالى بما تحت الثرى.

يقول صاحب كتاب الله يتجلى في عصر العلم: "إن التربة الخصيبة تتكون من مواد معدنية، ولكن بها فوق ذلك بعض المواد العضوية التي ترجع في أصلها إلى أجسام الحيوانات والنباتات الأخرى وتتعرض هذه المادة العضوية لعمليات التحلل، ومع ذلك ففي أثناء هذه العمليات تنبثق حياة كثير من النباتات والحيوانات. وبفضل هذه العناصر مجتمعة مع الهواء والماء تستمر العمليات الحيوية داخل أجسام الكائنات الحية. وتعتبر التربة التي لا تحتوي إلا على المواد الصخرية والمعدنية المتحللة تربة مجدبة لا يمكن أن تكون مهدا لنمو النباتات. أما التربة المنتجة الخصيبة فهي تربة حية يعيش بها عدد لا يحصى من الكائنات الدقيقة من حيوان ونبات. وقد تصل نسبة الكائنات الحية التي تعيش بهذه التربة الخصيبة إلى ما يقرب من 20% من المادة العضوية التي بها. وقد يصل عدد هذه الكائنات الحية إلى بضعة بلايين في الغرام الواحد من التربة. وعلى ذلك فإن التربة تتكون من تأثير العوامل الجوية على الجزيء الصلب من سطح الأرض بالإضافة إلى ما يعيش فيها من الكائنات الحية ومنتجاتها على طول الزمان"⁽¹⁾ ومن هنا فما تحت الثرى ما هو إلا كائنات دقيقة خلقها الله تعالى بقدرته وحكمته، فهي لا تُرى إلا بالأجهزة الحديثة التي اخترعها الإنسان في العصر الحديث وعلى ذلك فإننا نجد النص القرآني قد سبق العلم الحديث بعدة قرون، وهذا دليل على إعجاز القرآن

(1) الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض، أشرف على تحريره: جون كلوفر مونسيم، ترجمة: الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: الدكتور /محمد جمال الدين الفندي، دار القلم، بيروت - لبنان، 1 / 128.

العظيم. "والله تعالى أشار الى أن هناك ثروات هائلة في باطن الأرض.. ثم أنبأنا عن معجزة الخلق.. وكيف يتم؟!.. وأبان لنا أشياء وصلنا إليها بالعلم الأرضي... وأشياء لم نصل إليها حتى الآن"⁽¹⁾ "فإنّبات التفسير العلمي للقرآن لا ينبغي أن يفهم بمعنى كمون النظريات العلمية في آياته بجميع تفاصيلها إنما يقصد به والله أعلم صدق المقالة القرآنية في أخبارها عن الأشياء بحيث لا نجد في ما اكتشفت عنه العلوم من خصائصها الثابتة ما يتعارض مع ما جاء في القرآن عنها فأصبح من أسرار الإعجاز القرآني هذه الأسبقية الزمنية في تصوير حقائق الأشياء فهي التي نفهم بها سر تحدي الإنس والجن أن يأتوا بمثله إذا أنهم كلما تقدموا خطوة إلا وكان القرآن متضمناً لها دائماً داعياً إلى أجوازها إلى غيرها"⁽²⁾.

(1) معجزة القرآن، للشيخ/ محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، المختار الإسلامي، للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1398هـ - 1978 م، 1 / 4.

(2) التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق الدكتورة / هدى شلبي، تونس، 1406هـ، 1985م، 149.

المبحث الثاني

نعمة إخفاء فايروس كورونا (كوفيد 19)

وعلاقة ذلك باعتقاد الإنسان

من المعلوم لدى الدارسين ما يحدث في العالم كله من انتشار فايروس كورونا وخطورته على العالم أجمع. فهذا الفايروس الذي انتشر في العالم وحير الأطباء عن أسبابه وطرق علاجه لنعيش عيشة هنيئة مطمئنة.

تعريفه: "حمى يسببها فيروس، تتميز بالتهاب رئوي في الجهاز التنفسي أو الهضمي أو العصبي، يصحبها صداع وأرق وهي كلمة إيطالية"⁽¹⁾. وفايروس كورونا المستجد "كوفيد 19" هو أحد أنواع الفيروسات التي تسبب نقل العدوى من مصاب إلى مصاب فماذا قال الطب الحديث في تعريفه.

الكورونا في الطب الحديث

التعريف الطبي لهذا الفايروس كما ورد في موسوعة الملك عبد العزيز للمحتوى الصحي بأن "فيروسات الكورونا أو الفيروسات المُكَلَّلة هي عائلة كبيرة من الفيروسات، تشتمل على فيروسات قد تُسبب مجموعة من الأمراض للبشر، بدءًا من نزلات البرد إلى السارس (المرض التنفسي الحاد الشديد)، وقد تُصيب الكورونا أيضًا الحيوانات. وتصيب معظم هذه الفيروسات المُكَلَّلة نوعًا حيوانيًا واحدًا عادةً، أو عددًا قليلًا من الأنواع الحيوانية المتشابهة فيما بينها على الأكثر. ولكن، يمكن أن يُصيب السارس البشر والحيوانات، بما في ذلك القروذ والققط

(1) معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، الدكتور ف. عبد الرحيم، دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، 1432هـ، 2011م، 39/1.

والكلاب والقوارض⁽¹⁾. ومن هنا فإن هذا الفايروس لا يرى بالعين المجردة بل يظهر من خلال التحاليل التي يجريها الفريق الطبي من خلال الأجهزة الموجودة في المعامل على أعلى مستوى.

كيف تنتقل العدوى؟

ليس معروفًا بشكل قطعي إلى الآن مصدرُ هذا الفايروس. ولكن، يمكن أن تنتشر العدوى إلى الآخرين الذين هم على اتصالٍ وثيق مع شخصٍ مصاب، وذلك من خلال:

1. الانتقال المباشر: عندما يسعل الشخصُ المصاب أو يعطس، يطلق رذاذًا دقيقًا في الهواء، ويكون هذا الرذاذُ محمّلًا بالفيروس؛ علمًا أنَّ الكثير من الفيروسات، بما فيها فيروساتُ كورونا الأخرى والأنفلونزا، تنتشر بهذه الطريقة.
2. الانتقال غير المباشر: بلمس السطوح الملوّثة بالفيروس أو استعمال الأشياء الملوّثة، مثل الأكواب والطاولات، ثمّ لمس الفم أو الأنف أو العينين.
3. ثبت أيضًا أنَّ إصابةَ بعض المرضى بالفيروس كانت بسبب مخالطتهم لإبل مصابة بفيروس كورونا⁽²⁾ والعدوى موجودة، ويدل على وجودها قوله (ﷺ): ((لَا يُورِدُ الْمُمْرِضُ عَلَى الْمَصِحِّ))⁽³⁾، الممرض ذو المشية المريضة، والمصح ذو المشية الصحيحة. وقيل معناه أن يأتي الرجل بإبله أو غنمه الجربة، فيحل بها على مشية صحيحة، فيؤذيه بذلك بأن يحتبس إليها

(1) <https://kaahe.org/ar-sa/Pages/Disease> موسوعة الملك عبد الله بن عبد العزيز، للمحتوى الصحي، 21، مايو، 2013م.

(2) <https://www.google.com/search?client=firefox-b-D>

(3) رواه مسلم (2221) كتاب: السلام، باب: لا يورد ممرض على مصح. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد جاء الحديث أيضًا بلفظ: "لا يورد" رواية أخرجه ابن عبد البر في الاستذكار: 57 / 27 - 58، والتمهيد: 190 / 24 من طريق سحنون عن ابن وهب، وهي في الصحيحين.

الجرب⁽¹⁾. وفي الحديث إشارة إلى علة النهي وهي " لئلا يمرض الصحاح من قبل الله جلت قدرته عند ورود المرضى، فيكون المرضى كالسبب فيها⁽²⁾."

خطورة فايروس كورونا على المجتمع الإنساني

من المعلوم لدى الدارسين أن هذا الفايروس ليس له علاج إلا من خلال الطرق الوقائية. قالوا إن خطورة هذا الفايروس تكمن من خلال ثلاثة جوانب. هي:

1. صعوبة تمييز الحاملة للمرض من غيرها.
2. أنه لا يوجد علاج فعال لهذا المرض.
3. لا يعرف سبب إصابتها بالمرض⁽³⁾ وعلى ذلك فإن خطورته تنتشر حتى لا تترك صغيرة ولا كبيرة إلا ما رحم ربي، لكن هناك عدة إجراءات وقائية لهذا المرض وهي تماماً لا تخرج عما جاءت به الشريعة الإسلامية وعلى ذلك فإن الإسلام قد وضع حلاً لهذا الفايروس قد سبق العلم الحديث بعدة قرون.

الإجراءات الوقائية والتدابير الصحية للوقاية من فايروس كورونا كوفيد الخفي

1. للوقاية منه يجب عزل المصاب، غسل اليدين استخدام الكمادات في أماكن الزحام⁽⁴⁾ والعزل والحجر الصحي قد جاءت بهما السنة النبوية المطهرة من

(1) المسالك في شرح موطأ مالك، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ) قرأه وعلق عليه: محمد بن الحسين السليمانى وعائشة بنت الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م: 7 / 468.

(2) شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلْقَاضِي عِيَاضِ الْمُسَمَّى إِكْمَالُ الْمُعْلَمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ، عِيَاضُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيَاضِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْحِصْبِيِّ السَّبْتِيِّ، أَبُو الْفَضْلِ (المتوفى: 544هـ) المحقق: الدكتور يَحْيَى إِسْمَاعِيلُ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م، 7 / 141.

(3) الجلالة في الحديث النبوي، الكورونا في الطب الحديث، الأستاذ الدكتور/ جوهرة صالح المجد الضبيبان، أستاذ الحديث المساعد، حولىة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالأسكندرية، جامعة الأزهر، المجلد الثالث، العدد الحادى والثلاثون، 322/.

(4) السابق نفسه 322/.

قبل ذلك فهذا قول الرسول (ﷺ) كما في "الصَّحِيحَيْنِ" عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَسْأَلُ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ: ((مَاذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فِي الطَّاعُونَ؟ فَقَالَ أَسَامَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): ((الطَّاعُونَ رِجْزُ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَعَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَارًا مِنْهُ))⁽¹⁾، وهذه القاعدة هي المتبعة حالياً لمنع انتشار الأوبئة بعمل كردونات حول البلد الموبوءة ومنع الدخول والخروج إلى أن يتم القضاء على الوباء⁽²⁾ كما أن من رحمة الله تعالى بنا أن شرع لنا التوقي عن المحذور وقد صح أن المصطفى (ﷺ) لما بلغ الحجر منع أصحابه من دخوله وأما نهيه عن الخروج فلأنه إذا خرج الأصحاء ضاعت المرضى من متعهد والموتى من التجهيز والصلاة عليهم وقال الغزالي: إنما نهى عن الخروج كالدخول مع أن سببه في الطب الهواء وأظهر طرق التداوي الفرار من المضر وترك التوكل في نحوه مباح؛ لأن الهواء لا يضر من حيث تلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام استنشاقه فإنه إذا كان فيه عفونة ووصل إلى الرئة والقلب أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر إلا بعد استحكام التأثير في الباطن فالخروج لا يخلص لكنه يوهم الخلاص فيصير من جنس الموهومات كالطيرة فلو تجرد هذا المعنى لم يكن منهيًا لكنه انضم له شيء آخر وهو أنه لو رخص للأصحاء في الخروج لم يبق بالبلد إلا من طعن فيضيع حالهم فيكون محققًا لإهلاكهم وخلصهم منتظر كما أن صلاح الأصحاء منتظر ولو أقاموا لم تكن الإقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يقطع بالخلاص والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضًا أو ينعكس هذا فيمن لم يدخل البلد فإن الهواء لم يؤثر بباطنه ولا بأهل البلد حاجة إليه فإن لم يبق بالبلد إلا مطعون وافتقروا لمتعهد وقدم

(1) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم (3473) 175/4، وأخرجه مسلم في السلام باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، رقم 2218.

(2) مدخل إلى الطب الإسلامي، الأستاذ الدكتور/ علي محمد مطاوع، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1985م، ص17.

عليهم لم ينه عن الدخول بل يندب للإعانة ولأنه يعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين كما يؤخذ من تشبيهه الفرار هنا بالفرار من الزحف لأن فيه كسرا لقلوب البقية وسعيا في إهلاكهم⁽¹⁾، "وقد ذكر بعض الأطباء أن المكان الذي يقع فيه الوباء تتكيف أمزجة أهله بهواء تلك البقعة فتألفها ويصير لهم كالأهوية الصحيحة كغيرهم فلو انتقلوا إلى الأماكن الصحيحة لم توافقهم بل ربما إذا استنشقوا هواءها استصحب معه إلى القلب من الأبخرة الردية التي حصل تكيف بدنها بها فأفسدته منع من الخروج"⁽²⁾.

2. وللوقاية من فايروس كورونا كوفيد الخفي "الإكثار من غسل اليدين بالماء والصابون. وإذا لم يتوفر الماء والصابون، فيجب استخدام مطهر لليدين يحتوي على الكحول. المضمضة والاستنشاق خمس مرات يوميا على الأقل، ولذلك الالتزام بالوضوء مع كل صلاة يعد من أهم سبل الوقاية الناجحة"⁽³⁾. وغسل اليدين إنما المراد به الطهارة الحسية التي حثت عليها الشريعة الإسلامية وجاء الطب الحديث ليبدلي بدلوه في هذه القضية فقال "الوضوء يتكرر عدة مرات يوميا وينظف الأشياء المكشوفة من جسم الإنسان وهو الأكثر تلوثا بالجراثيم وجود أعداد هائلة من الجراثيم على السنتمتر المربع من الجلد الطبيعي وفي المناطق المكشوفة يتراوح العدد بين 1 - 5 مليون سم² وهذه الجراثيم في تكاثر مستمر"⁽⁴⁾.

3. من طرق الوقاية من هذا الفايروس الخفي تجنب مخالطة الشخص المصاب عن قرب. وهذا ما جاءت به الشريعة الإسلامية فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول

(1) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، 4/ 286.

(2) شرح العلامة الزرقاني، المتوفى 1122 هـ على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للعلامة القسطلاني المتوفى سنة 923 هـ، ضبطه وصححه محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، 9/ 225.

(3) الجلالة في الحديث النبوي الكورونا في الطب الحديث، الدكتور / جوهرة صالح المجد 322/ مرجع سابق.

(4) تفوق الطب الوقائي في الإسلام، الدكتور / عبد الحميد القضاة، مديرية المكتبات والوثائق الوطنية، عمان، 1987م

الله (ﷺ): ((لَا عَدُوَّ وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا هَامَةً وَلَا صَفَرَ، وَفَرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَقَرُّ مِنَ الْأَسَدِ))⁽¹⁾ حيث أمر الرسول (ﷺ) الإنسان الصحيح أن يفر من الإنسان الذي به برص لما في ذلك من انتقال العدوى منه إلى غيره من الأصحاء ومعنى الفرار " وهو انتقال الداء من جسد لجسد بواسطة الملامسة والمخالطة وشم الرائحة ولذلك يقع في كثير من الأمراض في العادة انتقال الداء من المريض إلى الصحيح بكثرة المخالطة وهذه طريقة بن قتيبة فقال المجذوم تشتت رائحته حتى يسقم من أطل مجالسته ومحادثته ومضاجعته وكذا يقع كثيرا بالمرأة من الرجل وعكسه وينزع الولد إليه ولهذا يأمر الأطباء بترك مخالطة المجذوم لا على طريق العدوى بل على طريق التأثير بالرائحة لأنها تسقم من واطب اشتماها"⁽²⁾ ومن هنا فإن الإسلام يحث أتباعه على أن يتجنبوا المريض الذي به برص أو جذام من الأمراض المعدية وقياساً على ذلك فإن قايبرس كورونا كوفيد يجب أن يأخذ الإنسان الحذر مما ابتلاه الله به.

4. من طرق الوقاية من (فايرس كورونا كوفيد) العناية بالنظافة في كل مأكول أو مشروب حفاظاً على الصحة العامة⁽³⁾ والنظافة قد جاء بها الإسلام وهي

(1) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الجذام، رقم الحديث (5707) (126/7)، من فتح الباري ولم يرو هذا الحديث "لا عدوى" أبو هريرة فقط؛ بل رواه جمع من الصحابة رضي الله تعالى عنهم منهم، أنس بن مالك: رواه عنه البخاري في كتاب الطب باب الفأل، فتح الباري (214/10)، وباب لا عدوى، فتح الباري (244/10)، ومسلم في صحيحه كتاب السلام. صحيح مسلم. ط: دار الفكر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، حديث: (111، 112) بد الله بن عمر: رواه عنه البخاري في كتاب البيوع باب شراء الإبل الهيم، فتح الباري (321/4)، وكتاب الطب باب لا عدوى فتح الباري (10/243)، ومسلم في كتاب السلام، ط: دار الفكر، حديث: (116)، وأحمد بن حنبل (2/24، 153)، عبد الله بن مسعود: رواه الترمذي في كتاب القدر باب من جاء في العدوى، حديث: (2143)، وأحمد (1/440) - عبد الله بن عباس: رواه عنه ابن ماجه (2/1171)، حديث: (3539) في المقدمة باب في القدر، وأحمد (1/269، 328)، جابر بن عبد الله: رواه عنه مسلم في كتاب السلام، حديث رقم: (107، 109)، وأحمد (3/312، 382).

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب: 160 / 10.

(3) الجلالة في الحديث النبوي، الكورونا في الطب الحديث، الأستاذ الدكتور/ جوهرة صالح المجد الضبيبان، ص327.

تشمل نظافة البيئة المحيطة بالإنسان على جهة العموم، وكذا نظافة الملبس والطعام والشراب على جهة الخصوص ولقد جاء البيان النبوي في ذلك فعن أبي هريرة، قال: ((قال النبي ﷺ: لله تعالى على كل مسلم حق، أن يغتسل في كل سبعة أيام يومًا))⁽¹⁾، فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة، والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة، وكل روح تميل إلى ما يناسبها⁽²⁾، ومن هنا فإن النظافة هي التي تقي الإنسان من جميع البكتريا والفيروسات التي تهدد البشرية بالدمار والهلاك إلا من أخذ بوسائل النجاة لذا فالإسلام أول مبدأ عقائدي بل وأول نظام علمي يأمر بالتعقيم ويحارب التلوث، فلقد أطلق الإسلام على كلمة التعقيم اصطلاح الطهارة والمقصود بها خلو الشيء من الميكروبات أو المواد الحاملة للميكروبات وأطلق على الشيء الملوث أو الحامل للميكروبات كلمة النجاسة⁽³⁾.

5. من طرق الوقاية نظافة الأنف من الجراثيم الممرضة. وهذا الطريقة جاءت بها الشريعة الإسلامية وسبقت الطب الحديث بعدة قرون ففي الحديث الذي ترويه لنا السيدة عائشة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((عشّر من الفطرة: ومنها الاستنشاق بالماء... الحديث))⁽⁴⁾ والاستنشاق من سنن الفطرة التي قد أشار إليها الحديث السابق ذكره، وقد جاء الطب الحديث ليحسم هذه القضية فنذكر "أن الاستنشاق واستنثار الماء من الأنف له فوائد كثيرة أهمها: أنه يزيل المفرزات المتراكمة في جوف الأنف والغبار اللاصق على غشائه المخاطي، كغبار المنزل

(1) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم، رقم (896) 5/2.

(2) الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) دار الهلال - بيروت، 1/ 210.

(3) الطب الوقائي في الإسلام تعاليم الإسلام الطبية في ضوء العلم الحديث، الدكتور / أحمد شوقي الفنجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، 1991م / 17 وما بعدها.

(4) أخرجه مسلم (261) في الشواهد، والترمذي (2961)، والنسائي في "الكبرى" (9241)، وابن ماجه (293) من طريقين عن زكريا بن أبي زائدة، بهذا الإسناد. وهو في "مسند أحمد" (25060). وأخرجه النسائي في "المجتبى" (5041).

والطلع وبعض بذور الفطريات والعفنيات المتناثرة في الهواء ويرطب جوف الأنف للمحافظة على حيوية الأغشية المخاطية داخله كما أنه يزيل الكائنات الدقيقة التي تعلق في جوف الأنف وتستقر به، ولقد أثبتت الدراسات والبحوث التي أجريت لغرض معرفة تأثير الضوء على صحة الأنف، أنوف من لا يصلون تعيش بها مستعمرات جرثومية عديدة بكميات كثيرة من الجراثيم العنقودية (والمكورات الرئوية والدفترويد والبروتيتوس) وأن أنوف المتوضئين ليس بها مستعمرات من الجراثيم وفي عدد قليل منهم وجد قدر ضئيل من الجراثيم ولبثت أن اختفت بعد تعليمهم الاستنشاق الصحيح لذا فقد وصى النبي (ﷺ) بالمبالغة والاستنشاق ثلاثاً لئتم بهذا القضاء على مخزن من مخازن الكائنات الدقيقة في هذا المكان المهم والحيوي إذ هو المدخل للجهاز التنفسي⁽¹⁾.

موقف العقيدة الإسلامية من فايروس كورونا (كوفيد 19) الخفي

إن العقيدة الإسلامية جوهرها الإخلاص وهو يتضمن التسليم المطلق للعبد تجاه خالقه فلا يقع في الكون إلا مراد الله؛ لأن الله تعالى هو المتصرف في الكون كله فلا يخرج عن مراده ولا أمره أحد، ومن هذا المنطلق فإن موقف العبد المؤمن من هذه القضية يتمثل في أمرين هما: الأول وهو: أن الله هو الشافي، والثاني: هو أن قدرة الله لا حدود لها وهي تقع بين الكاف والنون أي كلمة كن فيكون⁽²⁾ ومن هنا فإن معتقد الإنسان تجاه هذه القضية هو التسليم المطلق لله في كل ما يقع في الكون.

وكذلك فإن العقيدة تأمر أصحابها بعدم السخط أو الانزعاج أو الزعر من المرض والتزام الصبر عند الشدة والرضا بقضاء الله وقدره، وهذه الفلسفة الإسلامية في مواجهة المرض تجعل المسلم يقابل المرض بمعنويات عالية تساعد على

(1) من إعجاز القرآن الكريم والسنة المطهرة في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة، الدكتور / عبد الجواد الصاوي، الهيئة العالمية للكتاب والسنة، 1433هـ، الطبعة الأولى، 2012م / 11، وما بعدها.

(2) مدخل إلى الطب الإسلامي، د / علي محمد مطاوع، ص 181.

سرعة الشفاء إذ تعتبر المرض امتحان من الله للإنسان في عزمته وزكاة عن صحته وغفران لأخطائه وسيئاته وفي هذا يقول الرسول (ﷺ): ((مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ))⁽¹⁾ ونهى الرسول عن التبرم من المرض أو سبه؛ لأن السخط والسب ليس من خلق المسلم علاوة أنه لا يساعده على الشفاء وفي هذا يقول الرسول (ﷺ) حينما نهى أُمُّ الْمُسَيَّبِ عن أن تسب الحمى فقال: ((لَا تَسْبِيهَا فَإِنَّهَا تُذْهِبُ الْخَطَايَا كَمَا يَذْهِبُ الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ))⁽²⁾ ومن تعاليم الإسلام السمحة وجوب الاستعانة بالطبيب المختص لمعرفة المرض وإعطاء العلاج للمريض من دواء وحقن أو إجراء عملية إذا لزم الأمر⁽³⁾.

من تعاليم العقيدة الإسلامية تجاه فايروس "(كورونا كوفيد19)" أنها تأمر بعزل المريض بالمرض المعدي في البيت أو المستشفى وعدم اختلاطه بغيره من الأصحاء حتى لا ينتقل إليهم العدوى.. فإذا كان عاملاً في مصنع أو تلميذاً في مدرسة أو حتى من يركب المواصلات العامة عليه إذا كان مريضاً أن يراعي الله في صحة الناس وأن عتزل مجالسهم وألا يتخلط بهم حتى يشفيه الله وحتى لا يعطل العمل والإنتاج أو يبتلي غيره بالمرض⁽⁴⁾.

(1) أخرجه البخاري (5641) و(5642)، ومسلم (2573) عن عائشة وأشار السيوطي إلى صحته في الجامع الصغير. وإحدى روايات مسلم: "ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها، إلا كتب له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة" وانظر جامع الأصول 581 / 9. ولفظ البخاري: "ما من مصيبة تصيب المسلم، إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها". وعند أحمد 48 / 6، 185، 203، 257 والطحاوي في "مشكل الآثار" (70 / 3) طرق أخرى. وفي الباب عن الخدي وأبي هريرة في مسند الموصلي 433 / 2 برقم (1237).

(2) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، رقم الحديث (2575)، 4 / 1993.

(3) الطب الوقائي في الإسلام تعاليم الإسلام الطبية في ضوء العلم الحديث، الدكتور / أحمد شوقي الفنجري، 35 / .

(4) المرجع السابق، ص36.

وسائل الوقاية من فايروس كورونا في الفكر الإسلامي

- أولاً: الالتزام بمنهج الله بأداء أوامره وإحياء منهجه.
- ثانياً: دوام ذكر الله باستذكار نعم الله التي لا تحصى ولا تعد وابتداء كل عمل بذكر الله ليسعد أنه خليفة عن الله⁽¹⁾.
- ثالثاً: امتحان الله تعالى لعباده، فإن ما يعيشه العالم اليوم من خوف ورعب من انتشار هذا الوباء إنما هو من باب الابتلاء الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾⁽²⁾ أي سنصنع لكم امتحاناً يصفى البطولة للعقيدة الجديدة، والحق سبحانه قد ذكر لنا قبل هذه الآية قمة الابتلاءات؛ وهي أن ينال الإنسان الاستشهاد في سبيل الله، وذكر ثواب الشهيد، وهو البقاء على هيئة من الحياة عند ربه، وكان ذلك مقدمة للابتلاءات الأقل، فقمة الابتلاء في حدود إدراكنا هي فقد الحياة، وأراد الحق أن يعطي المؤمنين مناعة فيما دون الحياة، مناعة من الجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات. وكل ما دون حياة الفرد هو أمر ترفي بالنسبة لفقد الحياة نفسها، فمن لم يفقد حياته، فستأتي له ابتلاءات فيما دون حياته وهي ابتلاءات الجوع ونقص الأموال، ونقص في عدد الأخوة المؤمنين، وكذلك نقص في الثمرات، وكل هذه أشياء يحبها الإنسان، ويأتي التكليف ليطلب من المؤمن أن يترك بعضاً مما يحب، وتلك الابتلاءات تدخل في نطاق بقاء التكليف. وأول تلك الابتلاءات هو الخوف، والخوف هو انزعاج النفس وعدم اطمئنانها من توقع شيء ضار، فالنفس لها ملكات متعددة، وعندما يصيبها الخوف، فهي تعاني من عدم الانسجام، والخوف خور لا ضرورة له، لأنك إذا كنت تريد أن تؤمن

(1) مدخل إلى الطب الإسلامي، الأستاذ الدكتور / علي محمد مطاوع ص109.

(2) سورة البقرة، آية: 155.

نفسك من أمر يخيفك، فأنت تحتاج إلى أن تجتهد بأسبابك لتعوق هذا الذي يخيفك، أما إن استسلمت للانزعاج، فلن تستطيع مواجهة الأمر المخيف⁽¹⁾.

• رابعًا: المحافظة على النفس من هذا الفايروس من ضروريات الدين. من المعلوم لدى الدارسين أن الكليات الخمس التي أمر الإسلام بالمحافظة عليها هي (النفس، والعقل، والمال، والعرض، والدين) فمن مظاهر الرحمة الإلهية بالنفس الإنسانية أن الله تعالى حرم على الإنسان أكل الخبائث، والمستخبث حرام بالنص لقوله تعالى: ﴿وَيَحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ﴾⁽²⁾ ولهذا حرم تناول الحشرات، فإنها مستخبثة طبعًا، وإنما أبيح لنا أكل الطيبات قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْزَيْتُ مَمْوَكُلًا مِنْ طَبِئَتِ مَا رَزَقْنَكُمْ﴾⁽³⁾ فقد أكرم المؤمنين بهذا الخطاب حيث خاطبهم بما خاطب به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم⁽⁴⁾ وقد حرم علينا أكل الميتة؛ لأنها سبب في دمار النفس الإنسانية وإصابتها بجميع الأمراض التي لا علاج لها على الإطلاق ومن ثم فهي محرمة.

يقول الشيخ بن عاشور: "واعلم أن حكمة تحريم الميتة فيما أرى هي أن الحيوان لا يموت غالبًا إلا وقد أصيب بعلّة والعلل مختلفة وهي تترك في لحم الحيوان أجزاء منها فإذا أكلها الإنسان قد يخالط جزءًا من دمه جراثيم الأمراض، مع أن الدم الذي في الحيوان إذا وقفت دورته غلبت فيه الأجزاء الضارة على الأجزاء النافعة، ولذلك شرعت الزكاة لأن المزكى مات من غير علة غالبًا ولأن إراقة الدم الذي فيه تجعل لحمه نقيًا مما يخشى منه أضرار⁽⁵⁾. ومن هنا فإن الطب

(1) تفسير الشعراوي - الخواطر 2 / 660.

(2) سورة الأعراف من الآية: 157.

(3) سورة البقرة من الآية: 172.

(4) المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ) دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1414هـ - 1993م، 220/11.

(5) التحرير والتنوير، بن عاشور، 117/2.

الحديث يؤكد أن "الأضرار الناجمة عن أكل الميتة بسبب التغيرات التي تحدث بعد موت الحيوان من ترسب الدم في جسمه بما يسمى في الطب بـ"الزرقة الجيفية" وتكون أحماض بعدها تتكون الجراثيم الهوائية واللاهوائية التي تؤدي إلى تعفن الحيوان وتكون روائح كريهة وآثار سامة أضف إلى ذلك أحيانا أن موت الحيوان يكون بسبب مرض عانى منه الحيوان. هذه الأضرار التي أكدها الطب الحديث كقيلة ببيان حكم تحريم الميتة"⁽¹⁾ وبناء على ما سبق ذكره من تحريم الميتة وغيرها وكل من كان سبباً في هلاك النفس الإنسانية أو إزهاقها قد حرّمه الإسلام وذلك من أجل المحافظة عليها، ومن هنا فيجب على الإنسان أن يحافظ على نفسه من هذا الفايروس الذي يهدد العالم بأسره، فلا نلقي بأنفسنا إلى التهلكة فقد جاء النهي الإلهي عن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾⁽²⁾ والتهلكة: مصدر من هلك يهلك هلاكاً وهلكاً وتهلكة أي: لا تأخذوا فيما يهلككم. والحق أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل ما صدق عليه أنه تهلكة في الدين أو الدنيا فهو داخل في هذا"⁽³⁾.

• **خامساً: العقيدة الإسلامية تعالج الإكتئاب الذي يمر به العالم كله. وتتمثل طرق الوقاية والعلاج من الاكتئاب فيما يلي:**

1. في القضاء والقدر، وهما من المسائل الكلامية عند المتكلمين⁽⁴⁾ وما

(1) مجلة البحوث الإسلامية -مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 363/ 71.

(2) سورة البقرة من الآية: 195.

(3) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب -دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى -1414 هـ، 222/1.

(4) الأصل عندنا أن هذه المسألة ومسألة الإرادة كلها في خلق الأفعال إن ثبت ذلك ثبت هذه إذ خلق الأفعال بثبت القضاء بكونها والقدر لها على ما عليها من حسن وقبح وبوجب أن يكون مريدا لها أن تكون خلقاً له وقد بينا في هذا ما نرجو به الكفاية لمن أكرم بالهداية لكن الناس أفردوا التكلم في مسألة منها فاتبعناهم في الفعل لما احتمل أن يكونوا أرادوا أن الحق قد يظهر بنوره لمن تأمل بأي لفظ من الألفاظ يعبر به عنه ليعلم أن الحق لا صار حقا للسان ولا لنوع من البيان لكن صار حقا

يحدث في العالم كله إنما هو بقضاء الله وقدره فعلى المسلم أن تقوى صلته بالله؛ لأنها " أمر أساسي في البناء النفسي للمسلم حينما تكون حياته خالية من القلق والحزن فالعقيدة الإسلامية تقي الإنسان من الحزن فالمؤمن بالله إيماناً صادقاً لا يخاف من شيء في هذه الحياة الدنيا فهو يعلم أنه لا يمكن أن يصيبه شر أو أذى إلا بمشيئة الله تعالى ولا يمكن لأي إنسان أو لأي قوة أخرى في هذه الحياة أن تلحق به ضرراً أو تمنع خيراً إلا بمشيئة الله تعالى"⁽¹⁾. فالمؤمن الحق هو الذي يرضى بالقضاء خيره وشره ولهذا فهو يسلم وجهه لله تعالى ويعتمد عليه عند توكله في بداية الأمر ونهايته وبذلك يدفع ما قدر له من المصائب التي تحل به في حياته عن طريق ما يهني به الله عبده من الاستعداد النفسي ليصل ما قد يقع به من هذه المصائب ولذلك يدعو الرسول (ﷺ) المسلم - إلى الإيمان بالله وتوحيده وعبادته وحده لا شريك له"⁽²⁾.

2. الإيمان باليوم الآخر.

والإيمان باليوم الآخر إنما هو إيمان بالشيء الغيبي الذي أخبر عنه الرسول (ﷺ) ومن ثم فعقيدة المؤمن تقوى بالله حينما يؤمن بهذا اليوم وما فيه من جنة ونار وحشر ونشر... إلخ "فالذي يؤمن باليوم الآخر يعلم أن هذه الدنيا لا تساوي شيئاً فهي قصيرة جداً فعندما يفقد جزءاً من هذه الدنيا لا يحزن الحزن الشديد ويتذكر قول الرسول (ﷺ): ((لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى

بما له من الأدلة والبراهين ولا قوة إلا بالله ثم القضاء في حقيقته الحكم بالشيء والقطع على ما يليق به وأحق أن يقطع عليه فرجع مرة إلى خلق الأشياء لأنه تحقيق كونها على ما هي عليه وعلى الأولى بكل شيء أن يكون على ما خلق إذ الذي خلق هو الحكيم العليم والحكمة هي إصابة الحقيقة لكل شيء ووضعه موضعه "يراجع: التوحيد، للماتريدي، 1/ 350 وما بعدها.

(1) العلاج النفسي للإضطرابات النفسية من منظور إسلامي، الاكتتاب نموذجاً، الدكتوراة / أسماء بوعود، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، مجلة العلوم الاجتماعية، 199، العدد 19، ديسمبر، عام 2014م / 6.

(2) السنة النبوية وتوجيه المسلم إلى الصحة النفسية، الدكتوراة / هناء يحيى أبو شهبه، بحث مقدم إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن، إبريل 2007م / 13.

كَافِرًا مِنْهَا شَرِبَ مَاءٍ))⁽¹⁾ فالإيمان باليوم الآخر يجعلنا نتقبل الأحداث بحيث لا يكون لها تأثير سلبي علينا"⁽²⁾.

3. مفهوم المسلم للمصائب والأحزان.

المسلم حينما يفهم أن المصيبة إنما جاءت لتكفر عن الإنسان الذنوب التي بدرت منه، فالمؤمن يثق في الخالق (ﷻ) ويجد دائماً المخرج من الهم وحل للأزمات التي تواجهه بالاتجاه إلى الله تعالى وهو يعلم أن الله سبحانه خالق كل شيء وهو الذي يبيث البلاء ويكشف ورد فعل المؤمن إزاء ضغوط الحياة يكون بالرجوع إلى الله تعالى وهو الأسلوب الأمثل لمواجهة مواقف الحياة العصبية"⁽³⁾.

فلسفة نعمة إخفاء هذا الفايبرس الذي لا يرى بالعين المجردة

إن عدم رؤية هذا الفايبرس لا يعني أنه غير موجود لكنه موجود بالفعل، ومن ثم فإن الله تعالى قد أخفاه عن مداركنا لأمر وهي:

1. أن آلة الإدراك وهي البصر عاجزة عن أن تراه، لأنه غاية في الصغر⁽⁴⁾ من المعلوم لدى الدارسين أن حاسة البصر من أعظم النعم الإلهية على الإنسان "وقد خلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك، وتدرك جهته فتقصدها بعينها"⁽⁵⁾، ومن ثم فالبصر له حدود؛ لأن في الكون آلاف الإشعاعات والأضواء،

(1) أخرجه الترمذي، أبواب الزهد عن رسول الله (ﷺ)، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله (4/

560)، برقم: (2320)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (2/ 299)، برقم: (686).

(2) العلاج النفسي للإضطرابات النفسية من منظور إسلامي، الاكتئاب نموذجاً، الدكتور / أسماء بوعود، / 7.

(3) الاكتئاب المرض.. والعلاج، الدكتور / لطفي الشربيني، دار منشأة المعارف، ط شركة جلال للطباعة / 258.

(4) تفسير الشعراوي، 128/1.

(5) مُخْتَصَرُ مُنْهَاجِ الْقَاصِدِينَ، نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (المتوفى: 689هـ) قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، مكتبة دار البيان، دمشق، 1398هـ - 1978 م، 1 / 284.

ولكن أعيننا لا تستطيع إلا إبصار سبعة منها فقط⁽¹⁾ ومن هنا فالبصر لا يرى الفيروسات وذلك لصغرهما "وهو لا يرى الأشياء الدقيقة كالشعرة والذرة والخيوط الرقيق ولا يهتدي أن يدخل الخيط في ثقب الأبرة الصغيرة ونحو ذلك"⁽²⁾ "والناس متفاوتون في ذلك فمنهم من إذا نحى الشيء الدقيق من موضعه المعتاد أبصره فهذا أهون وأقل ضرراً من غيره وأقرب إلى قوة البصر، ومنهم إذا نحاه لا يراه ولكن إذا قربه من عينيه قريباً شديداً أبصره فهذا أكثر ضرراً من الأول وأضعف بصراً، ومنهم من لا يرى الأشياء الجسيمة الدقيقة رأساً ويرى الأشياء الجسيمة كشخص الآدمي ونحوه ويرى الأعضاء كباراً وربما لا يرى الأصبع ونحوه فهذا أعظم من الأولين وأكثر ضرراً وأضعف بصراً، ومنهم من لا يرى الأشياء الدقيقة كما هي ولكن يراها خيالاً فتراه يفتح عينيه بجهد يشوف شوقاً بعيداً ليهتدي إلى الطريق وتخيل الأشخاص فهذا أقرب إلى العمى ونادراً أن يبرأ"⁽³⁾.

2. التعرف على مظاهر قدرة الله تعالى في الكون:

إن قدرة الله تعالى لها الأثر البالغ في خلق الأشياء الصغيرة والكبيرة، ومن ثم "قاله (ﷺ) ترك بعض خلقه غير مدرك في زمنه لبعض حقائق الكون ليرتقي الانسان ويدرك بعد ذلك.. وكان المفروض أنه يزداد إيماناً.. عندما يدرك وليعرف الخلق بالدليل المادي أن ما هو غيب عنهم موجود وان كنا لا نراه. والله تبارك وتعالى قد أعطانا من آياته في الكون ما يجعلنا ندرك أن لهذا الكون خالقاً.. فالشمس والقمر والنجوم والأرض والإنسان والحيوان والجماد لا يستطيع أحد أن

(1) القرآن وعلوم الأرض، محمد سميح عافية، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة: الأولى 1414هـ- 1994 هـ، 1 / 23.

(2) تسهيل المنافع في الطب والحكمة، الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الأزرق اليميني، ضبطه وصححه، محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية: 124/.

(3) الرحمة في الطب والحكمة، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة 911هـ، دار الكتب العلمية / 52.

يدعي انه خلقهم.. ولا أحد يمكن أن يدعي أنه خلق نفسه أو غيره.. ولا يمكن لهذا الكون بهذا النظام الدقيق أن يوجد مصادفة؛ لأن المصادفات أحداث غير مرتبة أو غير منظمة.. ولو وجد هذا الكون بالصدفة لتصادمت الشمس والقمر والنجوم والأرض ولاختل الليل والنهار.. ولكن كل ما في الكون من آيات يؤكد لنا أن هناك قوة هائلة هي التي خلقت ونظمت وأبدعت.. فإذا جاءنا رسول يبلغنا أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق هذا الكون فلا بد أن نصدقه⁽¹⁾. ومن هنا فالإنسان يتعرف على الله تعالى من خلال مظاهر قدرته التي خلقت الأشياء دون مثال سابق لها، فهذه الفيروسات موجودة بقدرة الله تعالى وحده.

3. إحساس العالم كله بضعفه أمام القدرة الإلهية.

ولقد أخفى الله عن البشر رؤية هذا الفائرس؛ لأنهم لو رأوه ما تهنأ أحد على عيش وغير ذلك من ألوان السعادة والطمأنينة التي وهبها الله لبعض عباده ومن ثم فالإنسان مخلوق ضعيف يقول تعالى: ﴿وَحُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾⁽²⁾ خلقه ضعيفا في كل شيء، فلا يستطيع أن يقاوم وساوس الشيطان. وليس بمقدوره أن يقاوم نفسه وشهواتها. ضعيفا أمام المال والنساء والشهرة والأضواء. ضعيفا في جسمانه.. ضعيفا أمام سلطان النوم.. ضعيفا أمام أصغر الفيروسات..⁽³⁾ ومن ثم فهذا الفائرس الذي حير العالم بأسره ما هو إلا "خلق لطيف خفي له قانونه الخاص، قربنا فضح الفكر الملحد وفضح التشكيك في الغيبات التي يذكرها الله، واكتشفنا أن هناك مخلوقات هي الميكروبات، وهي من الجنس المادي من الطين، لكنها ضئيلة جدًا، وماذا يفعل الميكروب؟ إنه

(1) تفسير الشعراوي، 128/1.

(2) سورة النساء من الآية: 28.

(3) حطّم صنمك وكن عند نفسك صغيرًا، مجدي الهلالي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، عام النشر: 1424 هـ - 2004 م، 1 / 100.

ينفذ في الجسم ولا تدري أنت به وهو داخل في جسمك، وبعد ذلك ماذا يفعل في حرارتك؟ وماذا يفعل في جسمك⁽¹⁾.

ما الحل إذن لكي يقف الإنسان على حقيقة ضعفه أمام هذا الفايروس الخفي؟!
"الحل يكمن في حسن التعامل مع الدواء الرباني الذي يتمثل في رسائله للبشر، والتي تكشف لهم حقيقة ضعفهم.. فمن الرسائل التي تكشف ضعف الإنسان أمام نفسه: وقوع حشرة عليه كالبعوضة - ثملاً - وعدم قدرته على التخلص منها أو تقادى لدغتها. وكذلك بعض الزواحف التي يفاجأ الإنسان بوجودها كل فترة، وينتابه شعور بالضعف أمامها⁽²⁾. ومن هنا فإن وجود هذا الفايروس ما هو إلا رسالة من رب البشر ليعلموا أن الله تعالى واحد لا ند له ولا شريك له في ملكه ولا منازع له في سلطانه.

فهذا الفايروس على سبيل المثال يحمل رسالة تقول لكل منا:
أنت ضعيف لم تستطع مقاومتي. أنت عاجز لا تستطيع شفاء نفسك ودفع الضرر عنها. أنت جاهل لم تعرف أنك ستمرض في هذا الوقت. أنت فقير إلى الله في دفع هذا المرض، ودوام حفظ عافيتك⁽³⁾. كان عيسى ابن مريم عليه السلام يقول: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ لَا أَمْلِكُ مَا أَرْجُو، وَلَا أَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَا أُحَازِرُ، وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ بِيَدِ غَيْرِي، وَأَصْبَحْتُ مُرْتَهَنًا بِعَمَلِي، وَلَا فَقِيرَ أَفْقَرُ مِنِّي))⁽⁴⁾.

(1) تفسير الشعراوي، 212/4

(2) حطّم صنمك وكن عند نفسك صغيراً، مجدي الهلالي، 100 / 1.

(3) السابق نفسه، 100 / 1.

(4) الزهد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م، 79 / 1.

المبحث الثالث

نعمة إخفاء رؤية الكائنات الدقيقة، وعلاقة ذلك باعتقاد الإنسان

الحكمة في خلق الميكروبات

وتظهر الحكمة في خلق هذه الكائنات التي أخفاها الله تعالى عنا فلا نراها رأى العين ولكن بواسطة أجهزة كالميكروسكوب الذي يكبر حجمها فنراها بواسطة، وتظهر الحكمة في لفت الأنظار إلى القدرة الإلهية ليقف العقل آنذاك أمام الكائنات الدقيقة والتي هي صغيرة الحجم كالميكروبات وغيرها، وبين الكائنات العظمية الخلقة كالشمس وغيرها، ويعقد مقارنة بين هذه وتلك ويخرج في النهاية ليتعرف على الخالق الذي خلق فسوى، فخلق ما يخدم الإنسان في حياته ويكون مذللاً له، وخلق ما يحاربه في حياته أيضاً، ويكون عدواً له، وكل ذلك من أجل أن يرجع إليه ويتذلل لعزته وجبروته فيكون قوياً في ضعفه وذلك إذا استعاذ بالله، وتعرف عليه جلّ وعلا.

ومن هنا "فقد الميكروب أو الثعبان أو أي خلق من خلق الله لا تقاس بجانب قدرات الكون كله من شمس وقمر، ورياح، وبحار، وأنهار، والله يريد دائماً أن يلفتنا إلى أن الأشياء مذللة بقدرته وليست بعقولنا فيأتي بأشياء متناهية في عدم القدرة، أمام قدرات الكون، كالميكروبات أمام الشمس مثلاً؛ ليتذكر أنه هو الذي ذلل لنا قوى الكون الهائلة - وأننا بقدراتنا لا نستطيع أن ندلل أدنى الأشياء المتناهية في الصغر كالميكروبات - وذلك حتى لا يظن الإنسان الذي سخر الله الكون كله له أنه مستغن عن الله بل تأتي هذه الأشياء لتذكره بالنعمة وفي الوقت نفسه تجعله يحس أنه محتاج إلى الله في كل دقيقة، وخوف الإنسان من الأشياء التي لم تذلل له هو ربط الإنسان بالخالق وفي نفس الوقت إشعار للإنسان بضعفه

وقدرة خالقه؛ وذلك أنه ضعيف لا يستطيع أن يتغلب على هذه الأشياء، ولكنه في نفس الوقت قوي إذا استعاذ بالله فلا تستطيع هذه الأشياء أن تمسه⁽¹⁾.

الحكمة من خلق هذه الكائنات الخفية

وتظهر الحكمة الإلهية من خلق هذه الكائنات الدقيقة التي لا تدرك بالحواس؛ ليعتبر الإنسان ويتذكر أن الله تعالى من لطفه لم يخلق شيئاً من الأشياء إلا وفيه حكمة بالغة لذلك أقسم الحق تبارك وتعالى بما نبصره من المخلوقات، وما لا نبصره فقال (ﷻ): ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ﴾ (٣٨) ﴿وَمَا لَا تُبْصَرُونَ﴾⁽²⁾ فما لا نبصره بحواسنا، وهو ما نرى آثاره العظيمة فيما بيننا، فخلق هذه الكائنات الدقيقة دليل على قدرة الباري جل وعلا في الإبداع. وهذه الكائنات أطلق عليها العلم الحديث بأسماء عديدة، منها العفن، والخميرة، والطحالب... إلخ، وإذا شئنا إطلاق أسمائها العلمية قلنا إنها البكتيريا، والفيروسات، والفطريات الدنيا، والطحالب الدنيا⁽³⁾ ومن هنا فإن ما لا نراه أعظم مما نراه وهذا يشهد بوجود القوة المطلقة المبدعة التي أوجدت كل شيء وبناء على ذلك "فإن الحكمة من الخلق تظهر في المقارنة الدائمة بين ما هو مسخر لنا وما لم يسخر لنا.. هذه المقارنة الدائمة المستمرة... آية يومية لكل من يبعد نفسه عن الإيمان... إنه جبار في الأرض.. نسي الله، وحسب أنه من ملك الدنيا ومن عليها... يأتي الله ليسلط عليه أدق المخلوقات، وهي الميكروبات.. فيصبح عليلاً لا يقدر على شيء... وربما لا يقدر على الكلام، وهنا تظهر حكمة الخلق أمام خلقه حينما يرون هذا الإنسان الجبار وقد أذله المرض فيصحون"

(1) معجزة القرآن، الشيخ محمد متولى الشعراوي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988م، 3/ 42 وما بعدها.

(2) سورة الحاقة الآيتان: 38، 39.

(3) الإنسان والبكتيريا، د / جون بوستجيت / 10، مرجع سابق.

سبحان الله "وتتجلى القدرة الإلهية أمام هؤلاء الذي ينسيهم بريق الدنيا وزخرفها قوة الله وقدرته"⁽¹⁾ وتظهر الحكمة أيضا في أن هذه الكائنات الدقيقة إذا كان فيها ضرر على الإنسان بوجه عام فإن فيها منفعة للإنسان على وجه الخصوص.

وظائفها الإيجابية

هذه الكائنات الدقيقة لها وظائف عديدة تعود على الإنسان بالنفع تارة، وتعود عليه أيضًا بالضرر تارة أخرى، ومن ثم فهذا الكائن الدقيق له منافع عديدة منها استخدام الأطباء بعض مواد الأدوية التي تتم عن طريق استخراجها من البكتريا وهي على سبيل المثال استخراج مادتي (الأنسولين Insulin، والانتريفيرون Interferon) وهاتان المادتان لهما منافع خاصة في علاج الذين أصيبوا بمرض السكر ومرض الربو الشعبي، وغيرهما من الأمراض المنتشرة في العالم.

يقول الدكتور عبد الحميد القضاة لا زالت هذه الجيوش الجرارة من الميكروبات في خدمة الإنسان وكثير منها طوع إرادته فأصبح بفضل ما أعطاه الله من علم وسخر له من مخلوقات يوجه الميكروبات لخدمات جديدة فهي تنتج له صناعيًا بتقنيات معينة ما يعجز الجسم البشري عن صناعته مثل استعمال بكتريا لإنتاج الأنسولين وإنتاج المادة العلاجية المسماة أنتريفيرون وكذلك أصبحت بواسطة تقنيات الهندسة الوراثية تستعمل لإنتاج مواد مفيدة كمطاعم ضد الفيروسات والميكروبات الممرضة⁽²⁾ وقد جعل الله تعالى مهامًا كثيرة لهذا الكائن الدقيق الحجم ومن مهامه أنه صالح في اقتصاد الأحياء على هذا الكوكب. وإذا كانت البكتريا

(1) معجزة القرآن، الشيخ الشعراوي / 43 .

(2) عجائب الميكروبات السبع، الدكتور / عبد الحميد القضاة، المكتبة الوطنية، الطبعة الأولى، 1424 هـ، 2003م، 62/

المثبتة للنتروجين ذات أهمية أساسية فلا ينبغي لنا أن ننقص من شأن البقية الباقية، فبكتريا التعفن تفيد النتروجين⁽¹⁾ في البروتين إلى الدورة بتكوين الأمونيا⁽²⁾، ولما كانت معظم النباتات تفضل أن تمثل النتروجين على هيئة النترات أكثر من هيئة الأمونيا فإن نوعي البكتريا اللذين يحولان الأمونيا إلى النترات يؤديان وظيفة أساسية اقتصادية نافعة ويطلق عليهما معا بكتريا النترجة⁽³⁾ وعلى هذا فإن البكتريا لها منافع تعود على الإنسان بالنفع باعتباره كائناً من الكائنات الموجودة على ظهر المعمورة، ومن ثم فهي تخدمه، وذلك من خلال ما يستخدمه الإنسان في حياته اليومية فلها دورٌ عظيمٌ في حياته. "ودور الميكروبات في خدمة الإنسان من خلال صناعة الحليب ومشتقاته من الألبان وأجبان ثم المنظفات والملابس والأشربة وصناعة المضادات الحيوية والأسمدة والتخلص من النفايات فحدث عنها ولا حرج، فالدور كبير جداً وفائدة الإنسان من ذلك عظيمة"⁽⁴⁾.

نعمة إخفاء هذه الميكروبات

إن إخفاء هذه الميكروبات عن مدارك الإنسان لمن أعظم النعم الإلهية على البشرية، ومن ثم فعدم رؤية الإنسان لها يؤدي به إلى سلامة صحته، وقد خلق الله تعالى هذه الميكروبات، وذلك لتنظيف الأرض أولاً بأول وفي هذا دلالة على عدم ازدحام الكوكب الأرضي بهذه الميكروبات ويترتب على وجودها.

(1) وصف للبكتريا التي تحول نتروجين الجو إلى مركبات نترينية، يراجع: معجم اللغة العربية، معجم البيولوجيا في علوم الأحياء والزراعة، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1404هـ، 1984م / 157.

(2) الأمونيا "دخيلة": من العقاقير ويراد بها الشب الأبيض. معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق) دار مكتبة الحياة - بيروت، 1377هـ - 1958م، 209/1.

(3) الميكروبات والإنسان، د / جون بوستجيت: ص19.

(4) عجائب الميكروبات السبع، الدكتور / عبد الحميد القضاة ص63.

فساد الحياة على جهة العموم

يقول الدكتور / عبد الحميد القضاة "والله تبارك وتعالى قد مَنَّ علينا أن خلق هذه الميكروبات لتنظيف الأرض أولاً بأول دون أن تزعج البشر على مكان أو طعام... تقوم بعمل عظيم بل تكاليف... ولنا أن نتصور لو أن الله قد خلق هذه المليارات من الميكروبات بحجم كبير... لسدت الطرق وامتألت الأرض بالجراثيم وفسدت الحياة، ولكن قد خلق الله كل شيء بقدر، ولكن أكثر الناس لا يعلمون"⁽¹⁾ والحق أن هذه الكائنات الخفية تعد نعمة أنعمها الله على البشر ليذكروا رحمة الله تعالى بهم في جميع شئون حياتهم، فهي موجودة منذ أن خلق الله هذا الكون.

الميكروبات جند من جنود الله

هذه المخلوقات التي أوجدها الله تعالى إنما هي مسيرة تحت مشيئة الله ووفق إرادته تعالى وعلمه فهي مطيعة لربها يسلطها على من يشاء من عباده، وهذه سنة من سنن الله في خلقه ﴿فَلَنَجْجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنَجْجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾⁽²⁾. ومن هنا فهي "جند من جنوده وطاعتها لخالقها كاملة حين يرسلها على فطرتها لتقوم بعملها وتنفيذ أمر ربها، وفي موقع آخر يسحب هذه الإمكانية منها ويأمرها بعدم القيام بالذي تقوم به في العادة، ومثال ذلك ما حصل للرجل الصالح عندما مرّ ببيت المقدس التي خربها وهدمها الملك بختنصر⁽³⁾ - فمن شدة

(1) عجائب الميكروبات السبع، الدكتور / عبد الحميد القضاة، ص66.

(2) سورة فاطر، من الآية: 43.

(3) بختنصر، هو الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا - عند أهل السير والأخبار والعلم بأمور الماضين في الجاهلية، وعند غيرهم من أهل الملل غلط، وذلك أنهم بأجمعهم مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا في عهد إرميا بن حلقيا، وبين عهد إرميا وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا أربع مائة سنة وإحدى وستون سنة في قول اليهود والنصارى ويذكرون أن ذلك عندهم في كتبهم وأسفارهم مبين، وذلك أنهم يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس إلى حين عمرائها في عهد كيرش بن أخشويرش أصبهذ بابل من قبل أردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب، ثم من قبل ابنته خماني سبعين سنة، ثم من بعد

اندهاشه بهذا الخراب وما قاله العزيز في حينها ذكر الله تبارك وتعالى ذلك في قرآن يتلى إلى يوم القيامة وفيه الكثير من العبر والعظات والمعاني العلمية الكريمة قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ ﴿١﴾ في هذه الآية الكريمة يذكر الله . تبارك وتعالى عن الطعام والشراب بأنه لم يتسنه أي لم يفسد بمعنى لم تتحلله البكتريا وتخربه كما تفعل عادةً وكما هو مألوف لدينا - رغم أنه مكث مائة عام وفي الاحوال العادية لا يمكث الطعام والشراب في العراء (٢) أكثر من عدة أيام حتى تتلفه الميكروبات وحول إلى مواد أخرى كلياً ولا يبقى طعاماً على الإطلاق... إذن أوقف الله تبارك وتعالى عمل الميكروبات الموجودة على الطعام والشراب وفي الهواء المحيط فلا تحرك ساكنًا بل كانت جنذاً مطيعاً لأوامر ربه...» وفي الآية الكريمة نفسها يقول له ربه تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۖ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۖ﴾ (٣) أي أن الله قد ترك الميكروبات على سجيبتها فحللت لحم الحمار وعظمه وأصبح تراباً كغيره من المخلوقات عندما تفسخ وتتحلل ثم أراه

عمرانها إلى ظهور الإسكندر عليها وحياسة مملكتها إلى مملكته ثمانيا وثمانين سنة، ثم من بعد مملكة الإسكندر لها إلى مولد يحيى بن زكرياء ثلاثمائة سنة وثلاث سنين، فذلك على قولهم أربعمائة سنة وإحدى وستون سنة، يراجع: تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري: تاريخ الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ، دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية 1387هـ، 1 / 589.

(1) سورة البقرة من الآية: 259.

(2) عراء، وهو الفضاء، فتصير دورهم في العراء. والعراء: كل شيء أعري من سترته. وتقول: استره عن العراء. وأعراء الأرض: ما ظهر من متونها وظهورها، واحدها عرى. يراجع: لسان العرب: 15 / 49.

(3) سورة البقرة من الآية: 259.

الآية العظيمة كيف ينشز الله العظام ثم يكسوها لحماً فيعود حماره كاملاً كما تركه قبل مائة عام ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ، قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽¹⁾ وفي الحادثة نفسها نرى وبمنطوق القرآن حالتين مختلفتين تماماً لهما علاقة بالميكروبات الأولى أوقف الله تبارك وتعالى فعلها فلم يتحلل الطعام والشراب وفي الثانية أجرى سنته وتركها تقوم بعملها المعتاد فتحلل الحمار كلياً فالميكروبات مخلوقات مطيعة لخالقها تماماً⁽²⁾.

الآثار المترتبة على إخفاء هذه الكائنات الدقيقة

هناك عدة آثار عقدية تترتب على إخفاء هذه الكائنات الدقيقة التي لا يراها الإنسان بعينه المجردة ولهذه الأمور حكم تعود على الإنسان بالنفع في زيادة إيمانه بربه تعالى وسلامة معتقده.

أولاً: التفكير في نعم الله علينا:

إن التفكير فريضة دينية أراد الله لنا من خلالها الوصول إلى حقيقة واجب الوجود الذي وجوده تعالى لذاته أي ليس وجوده مترتب على علة أخرى أو سبب آخر في وجوده تعالى، فهو تعالى قد أوجد الأشياء من عدم فدل ذلك على أنه قادر وقدرته تعالى عين ذاته، والتفكير في المخلوقات سبب لمحبة المنعم الذي بيده النعم كلها ظاهرة وباطنة، والتأمل فيها يذيد القلب يقينا، واطمئناناً وسلامة في عقيدته ويكون صاحبه في حلقة اتصال بينه وبين ربه تعالى. فهذا الباب يدخل منه كل أحد إلى محبته (ﷺ)، فإن نعمته على عباده مشهودة لهم، يتقبلون فيها على عدد الأنفاس واللحظات، فهذه محبة تنشأ من مطالعة المنن والإحسان ورؤية

(1) سورة البقرة من الآية: 259.

(2) الميكروبات وكرامات الشهداء، دكتور/ عبد الحميد القضاة، المملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة الثانية، 1425 هـ، 2004 م: ص 83، 84.

النعم والآلاء، وكلما سافر القلب بفكره فيها ازدادت محبته وتأكدت، ولا نهاية لها فيقف سفر القلب عندها، بل كلما ازداد فيها نظرًا ازداد فيها اعتبارًا وعجزًا عن ضبط القليل منها، فيستدل بما عرفه على ما لم يعرفه، والله (ﷻ) دعا عباده إليه من هذا الباب، حتى إذا دخلوا منه دعوا من الباب الآخر وهو باب الأسماء والصفات الذي إنما يدخل منه إليه خواص عباده وأوليائه، وهو باب المحبين حقًا الذي لا يدخل منه غيرهم، ولا يشبع من أحد منهم، بل كلما بدا له منه علم ازداد شوقًا ومحبة⁽¹⁾ ومن هنا فالتفكير في هذه المخلوقات يوصلك لخالق هذا الكون العظيم الذي خلق الأشياء التي نراها والتي لم نرها؛ وذلك ليتوصل الإنسان وليبحث في هذا الكون من عرشه لفرشه على خالق هذا الكون العظيم الذي خلق الأشياء كلها بقدر وقدرها تقديرًا قال تعالى ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾⁽²⁾ "وكما يرى الحكيم منظر السماء فيقبل البهجة والجمال هكذا ينظر في أمر جسمه فيرى عجبًا يؤهله بل ينسيه منظر الشرقات في الدياجي البهيجات المناظر - فيا ليت شعري من ذا الذي كان يعتقد أو يظن أو يتوهم أن في جسمي أنا آلافًا في آلاف من الجيوش البيضاء شاكية السلاح الحاد القوي تصطف صفوفًا وتحارب جيوشًا تعد جنودها بآلاف الآلاف وتجند لها في ساحات الوغى من الحيوانات الذرية وهي الميكروبات وهي أنواع مخلقة"⁽³⁾.

ثانيًا: استحضار العبد قدرة الله تعالى عليه:

الإنسان باعتباره كائنًا من الكائنات الموجودة على ظهر المعمورة قد أنعم الله تعالى عليه بنعم لا تعد ولا تحصى، وقد خلق الله كائنات دقيقة أخفاها عنا

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، 1394هـ، 1/ 317.

(2) سورة الفرقان من الآية: 2.

(3) الجواهر في تفسير القرآن، الشيخ طنطاوي جوهرى، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، 12 / 146.

وذلك لنستحضر قدرة الله تعالى علينا، عندما يسلط علينا هذه الكائنات الدقيقة التي لا تري إلا بالمجهر والميكروسكوب والآلات التي تكبر حجمها فيراها الإنسان ويعلم حينئذ أن هذه الكائنات الدقيقة قد يسلطها الله على الإنسان الجحود الذي يطغى وينسى ربه تعالى. "إن هذه الجراثيم جنود من جنود الله العديدة يسلطها على من يشاء من البشر لحكمة هو يعلمها فقد سلط الله جرثومة الطاعون على بني إسرائيل⁽¹⁾، وعلى أقوام آخرين عقوبة لهم وسلط غيرها من الجراثيم الأخرى التي تسبب سلسلة الأمراض الجنسية نتيجة للزنا والشذوذ"⁽²⁾ ومن هنا فإن هذه الفيروسات الفتاكة يرسلها الله تعالى على من يشاء من عباده عقوبة لهم كي يعتبروا ويعلموا أن فوق قوتهم قوة خفية قادرة على كل شيء وقد أخفاها الله عنا من أجل الاعتبار والاعتاظ. وليس هذا فحسب بل لقد توصل العلم الحديث إلى إيجاد مواد حية داخل المعامل وذلك حسب ظروف معينة، وهذه الكائنات التي اكتشفها العلم الحديث تعضد ما ذكره القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من وجود كائنات حية لا ترى بالعين المجردة التي تعد آثاراً من آثار رحمت الله تعالى ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾⁽³⁾ "لقد مرت بالبشر فترة كان أغلب الناس يعتقدون فيها أنه من الكفر أن يعتقد المرء أن الكائنات الحية التي تعيش اليوم على سطح الأرض كانت في يوم من الأيام

(1) الحديث بأكمله "عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد ماذا سمعت من رسول الله ﷺ في الطاعون؟ قال أسامة قال رسول الله ﷺ: "الطَّاعُونُ رَجُزٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بَارِضٌ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بَارِضٌ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ" هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في مواضع من "صحيحه" منها في كتاب "أحاديث الأنبياء" باب: حديث الغار (175/4) (3473)، ومسلم في "صحيحه" كتاب "السلام" باب: الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها (1737/4) (2218) من حديث سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه).

(2) عجائب الميكروبات السبع، الدكتور / عبد الحميد القضاة، 63.

(3) سورة الأنفال من الآية: 42.

على صورة تخالف الصورة التي خلقها الله عليها بادئ الأمر. أما في الوقت الحاضر فإن معظم المفكرين يرون أن خلق كائنات لها القدرة على التكاثر وعلى تغيير أشكالها وتركيبها، تبعا للظروف التي تحيط بها، يعد أشد دلالة على قدرة الله من خلق كائنات لا تتطور ولا تستطيع إلا أن تنتج صورا مكررة من أنفسها طيلة الزمان.

ويقف العلماء اليوم على عتبة كشف جديد بالغ الأهمية، ألا وهو خلق الحياة داخل المعمل وفي أنابيب الاختبار، وقد أمكن فعلاً الوصول إلى خلق صورة من صور الحياة داخل المعمل، ولكنها صورة بدائية على درجة كبيرة من البساطة والنقص. وقد تم ذلك بمزج بعض المواد الكيماوية بنسب معينة لكي تتكون منها مادة تسمى حمض ديسوكسي ريبونوكليك (DNA) وهي من المواد التي لم يكن من الممكن إنتاجها من قبل إلا داخل الخلايا الحية⁽¹⁾.

ومن هنا فإن العلم الحديث قد اكتشف هذه الكائنات الدقيقة، وقد أوجدها الله تعالى بقدرته وتتنوع هذه الكائنات، فمنها الذكر والأنثى، والقوي والضعيف، ومع ذلك فإننا لا نشاهدها ولكن نرى آثارها، وعلى هذا فالقرآن الكريم قد ذكر هذا العالم الخفي في موطن القسم الإلهي في قول الله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿2﴾ "أي: فأقسم وأحلف بما تبصرونه وتشاهدونه مما خلق الله وأبدعه وجعله دليلاً على كمال قدرته وعظيم إتيقانه وإبداعه، وأقسم بما لا تبصرونه مما خفى واستتر عنكم من مثل: ذاته سبحانه وأسرار قدرته وبعض مخلوقاته التي لم يأذن لكم في الإطلاع عليها، وما خفي ودق من نعمة الباطنة"⁽³⁾.

(1) الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعات الأرض، 112 /

(2) سورة الحاقة الأيتان: 38، 39.

(3) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (1393 هـ = 1973 م) 10 / 1565.

ثالثاً: العناية الإلهية بالموجودات:

والمقصود بالعناية الإلهية "كون الأول عالماً لذاته بما عليه الوجود من نظام الخير، وعلة لذاته للخير والكمال بحسب الإمكان، وراضياً به على النحو المذكور، فيعقل نظام الخير على الوجه الأبلغ في الإمكان، فيفيض عنه ما يعقله نظاماً وخيراً على الوجه البالغ الذي يعقله فيضاً على أتم تأدية إلى النظام بحسب الإمكان"⁽¹⁾ فالذات الإلهية عالمة بما عليه الوجود، من تدبير الخير للوجود عامة، والعناية ليست معناها علمه تعالى بشئون خلقه، ولكن العناية معناها الحفظ والرعاية.

الغرض من العناية الإلهية:

والغرض من مدلول العناية الإلهية الاهتمام الدائم من الله تعالى بخلقه وبشئون حياتهم "وتحقيق الواجب الإلهي من خلال اهتمام الله الدائم بمخلوقاته وتدبيره لأمرهم ومراقبته لهم وكذا توجيه الأفراد لأمر معينة بما في ذلك تنظيم حياتهم لما فيه خيرهم وصلاحهم، وعلى هذا فحقيقة العناية الإلهية إذن هي ما يظهر من أفعال الله تعالى التي يتجلى فيها لطفه بالكون وتدبيره له وكذا فعل ما هو أنفع لمخلوقاته وبعبارة أخرى علاقة الله بالعالم وفقاً لعلمه وإرادته"⁽²⁾، ومن هنا فعناية الله تعالى تظهر في لطفه بعباده وذلك بربط عملية توازن بين المخلوقات بعضهم البعض فلا يطغى مخلوق على آخر مهما كان حجمه ووزنه. "فالإنسان مثلاً سيدى قمة الهرم قد تسلط عليه الطبيعة عشرات الطفيليات، والميكروبات والجراثيم والبكتريا وبعض الحشرات الصغيرة مثل الديدان وغيرها فتؤدي إلى مرضه ووفاته، وقد يقول البعض أن الإنسان قضى نسبياً على خطورة تلك الأحياء الضارة

(1) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، 2 / 110.

(2) العناية الإلهية ومشكلة الشر في الفكر الفلسفي، الدكتور / ثائر على الحلاق، دار النوادر، الطبعة الأولى 1435 هـ، 2014م، ص57، وما بعدها.

التي تهاجمه، والجواب أن العلم سلاح ذو حدين يستغله الإنسان في توفير راحته وصحته تارة أخرى ويستخدمه في الحروب والفناء وحتى لو هدأت آلة الحرب بعض الشيء تقوم الزلازل والبراكين والفيضانات بالقضاء على الإنسان لإعادة التوازن إلى دورة الطعام بين الآكل والمأكول...، وما يحدث بين الناس يحدث بين المخلوقات الأخرى جميعاً فلو تكدس الزرع في الأرض لأهلك بعضه، ولو تكدس الجراد لقل الطعام، ولو زادت الميكروبات لهلك الإنسان، وهنا تأتي الحكمة الإلهية لوضع الضوابط لكل السلاسل حتى لا يطغى واحد على حساب الآخر في زرعه وإبداعه جلّ من هياً سبل الحياة واستمرارها وتوازنها وأنتم لا تدكون⁽¹⁾.

وعلى هذا فإن كثرة هذه الميكروبات يقضي حتماً على الإنسان لكن التوازن الذي وضعه الله تعالى في البيئة أدى إلى عدم استيلاء نوعٍ على نوعٍ، وأيضاً عدم طغيان كائن على آخر، وكل هذا إنما هو بتدبير مدبرٍ ووجود قوة مهيمنة على هذا الكون العريق، وكذلك الحال فيمن ينظر إلى إخفاء هذه الميكروبات يجد أن الله تعالى قد أخفاها عن البشر حماية لهم من رؤيتها رأي العين إذ لو أنهم رأوها ما تهنأ أحدٌ منهم على رغدٍ من العيش.

رابعاً: العلم الإلهي المحيط بهذه الكائنات:

العلم الإلهي بما خفي من الأسرار الكونية وغيرها. ومعناه انكشاف الموجودات لله تعالى على جهة الإحاطة إنكشافاً تاماً دون سبق خفاءٍ أو جهل، فهو تعالى يعلم بوجود هذه الكائنات صغيرها وكبيرها لا يعزب عنه مثقال ذرةٍ في الأرض ولا في السماء..

يقول الإمام الغزالي: "العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لايعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء صادق في قوله:

(1) الكون كتاب الله المنظور آيات ودلالات، د/منصور محمد حسب النبي، دار الفكر العربي - القاهرة، 2010م، / 23.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽¹⁾ ومرشد إلى صدقه بقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾⁽²⁾ أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو في الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله سبحانه وهو المنتهى في الهداية والتعريف⁽³⁾، ومن ينظر في جنبات الكون العظيم يجد فيه من الإتقان والعظمة والإحكام والروابط التي بين الكواكب بعضها مع بعض، وأيضًا الروابط التي في عالم النبات وغيره كل ذلك يجعل العقل يُقر بوجود خالق لهذا الكون العظيم.

"ومن أدلة ثبوت العلم للواجب ما نشاهده في نظام الممكنات من الإحكام والإتقان ووضع كل شيء في موضعه وقرن كل ممكن بما يحتاج إليه في وجوده وبقائه وذلك ظاهر لجلى النظر بما يشاهد في الأعيان كبيرها وصغيرها علويها وسفليها فهذه الروابط بين الكواكب والنسب الثابتة بينها وتقدير حركاتها على قاعدة تكفل لها البقاء على الوضع الذى قدر لها وإلزام كل كوكب بمدار لو خرج منه لاختل نظام عالمه أو العالم بأسره وغير ذلك مما فصل في علوم الهيئة الفلكية كل ذلك يشهد بعلم صانعه وحكمة مدبرة اعتبر بما تراه جزئيات النباتات والحيوانات من توفيتها قواها وإيتائها ما تحتاج إليه في تقويم وجودها من الآلات والأعضاء ووضع ذلك في مواضعه من أبدانها وإيداع غير الحساس منها كالنبات قوة الميل إلى تناول ما يناسبه من الغذاء دون ما يلائمه فترى بذرة الحنظل تدفن بجوار حبة البطيخ في أرض واحدة ثم تسقى بماء واحد وتنمى بعناية واحدة ولكن تلك تمتص

(1) سورة البقرة من الآية: 29 .

(2) سورة الملك الآية: 14 .

(3) قواعد العقائد، للغزالي، 1 / 178، وما بعدها.

من المواد ما يغذى الزعاق المر⁽¹⁾ وهذه تتناول ما يغذى حلو المذاق وإرشاد الحساس منها إلى استعمال ما منح من تلك الأدوات والأعضاء وسوق كل قوة من قواه إلى ما قدرت له⁽²⁾.

وعلى هذا فعلم الله تعالى بما خفى من المخلوقات علم إحاطة وشمول وإتقان وهذا ما اشارت إليه الآية الكريمة في قول الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾⁽³⁾.

موقف العقيدة الإسلامية من الميكروبات، والفيروسات الغير مرئية

إن الناظر في الشريعة الإسلامية يجد أنها تهتم بالإنسان باعتباره كائنًا من الكائنات الحية وهذا الكائن العاقل قد كرمه الله تعالى بالعقل، وجعله خليفة في الأرض⁽⁴⁾ ومن ثم فإن الإسلام قد جعل له أدوية وعلاجًا مما يصيبه من الأمراض الفتاكة ولقد حثنا عليها النبي (ﷺ) في أقواله وكذا أفعاله.. "ومن هنا فقد خلق الله (ﷻ) الإنسان على هذه الأرض ومن ثم جعله خليفته فيها وسخر له كل ما فيها. وخلافة الإنسان في الأرض، إنما تتحقق بحسن عمارتها وإصلاحها وحمايتها. ومن أجل ذلك منح الله (ﷻ) الإنسان من المؤهلات من عقل وجسد قوي ما يمكنه من أداء هذه المهمة، وأنزل الشريعة تلو الشريعة حتى يتمكن الإنسان من حفظ هذه الضرورات لتستقيم خلافته وفق المعطيات التي وضعها الخالق المصور لهذا الكون، وهكذا فإن حفظ النفس وسلامتها وصحة الجسد ملحظ مهم أعتبره الفقهاء

(1) "الزعاق: المر. ماء ذعاق: كزعاق. قال صاحب العين: سمعنا ذلك من عربي فلا أدري ألغة أم لثغة. وذعق به ذعقا: صاح كزعق. ابن دريد: وذعقه وزعقه إذا صاح به فأفرعه، يراجع: لسان العرب، 10 / 109.

(2) التوحيد، محمد عبده، 1 / 20، وما بعدها.

(3) سورة الملك آية: 14.

(4) قال تعالى ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ سورة هود من الآية: 61.

أحد مقاصد الشريعة الغراء والتي نزلت من أجلها. ومن خلال البحث المنصف نجد أن تشريعات الإسلام كلها تولي هذا المقصد "حفظ البدن وصحته" مكانة خاصة، لا بل نجده ركنًا أساسيًا في معظم هذه التشريعات⁽¹⁾.

أهمية نظافة الفم والأسنان من البكتريا

لقد شرع الإسلام النظافة وجعل الطهور شرط الإيمان كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله (ﷺ): ((الطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ،...))⁽²⁾ ومن هنا فقد شرع الإسلام السواك لتطهير الفم من البكتريا والفيروسات التي لا يراها الإنسان بعينه المجردة⁽³⁾. والسواك بكسر السين ويطلق السواك على الفعل وهو الاستياك وعلي الآلة التي يستاك بها ويقال في الآلة أيضا مسواك بكسر الميم يقال ساك فاه يسوكه سوكا فإن قلت استاك لم تذكر الفم والسواك مذكر نقله الأزهري عن العرب قال وغلط الليث بن المظفر في قوله إنه مؤنث وذكر صاحب المحكم أنه يؤنث ويذكر لغتان قالوا وجمعه سوك بضم السين والواو ككتاب وكتب ويخفف بإسكان الواو قال صاحب المحكم قال أبو حنيفة يعني الدينوري لإمام في النبات وفي اللغة ربما همز فقليل سؤاك قال والسواك مشتق من ساك الشيء إذا

(1) روائع الطب الإسلامي، العلامة الدكتور الطبيب محمد نزار الدقر، اختصاصي بالأمراض الجلدية والتناسلية والعلاج التجميلي - دكتور "فلسفة" في العلوم الطبية كاتب متخصص في الطب الإسلامي المصدر: موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، (2/2) www.55a.net
(2) الحديث رواه الإمام مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم (223) 1 / 103، وأحمد في مسنده، 37 / 536.

(3) يقول الإمام الشافعي " ثم السواك يتأكد استحبابه في مواضع منها عند تغير الفم من أزم وغيره والأزم قيل السكوت الطويل وقيل هو ترك الأكل وقوله وغيره يدخل فيه ما إذا تغير يأكل ماله رائحة كريهة كالثوم والبصل ونحوهما ومنها عند القيام من النوم "يراجع: كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصني، تقي الدين الشافعي (المتوفى: 829هـ) تحقيق: علي عبد الحميد بلطجي ومحمد وهبي سليمان، دار الخير - دمشق، الطبعة: الأولى 1994م، 1 / 21.

دلكه وأشار غيره إلى أنه مشتق من التساو ك يعني التمايل يقال جاءت الإبل تتساو ك أي تتمايل في مشيتها والصحيح أنه من ساك إذا دلك هذا مختصر كلام أهل اللغة فيه وهو في اصطلاح الفقهاء استعمال عود أو نحوه في الاسنان لا ذهاب التغير ونحوه والله أعلم⁽¹⁾.

السواك في الشريعة الإسلامية

تحصل مشروعية الاستياك بكل شيء خشن يصلح لإزالة بقايا الطعام والصفرة التي تعلقو الأسنان والرائحة المتغيرة في الفم كعود الأراك أو الزيتون؛ لأنه شجرة مباركة ويجوز بجريد النخل أو أي شجر معروف بأنه لا يضر ويكره من شجر لا يعرف حيث إن بعض الأشجار بها مواد سامّة أو ضارة⁽²⁾.

قال الإمام النووي: " يستحب أن يستاك عرضا في ظاهر الأسنان وباطنها ويمر السواك على أطراف أسنانه وكراسي أضراسه ويمره على سقف حلقه إمرا خفيفا: قال فأما جلاء الأسنان بالحديد وبردها بالمبرد فمكروه؛ لأنه يضعف الأسنان ويفضي إلى انكسارها ولأنه يخشنها فتتراكم الصفرة عليها والله أعلم⁽³⁾، وهناك خمائر تتراكم فوق الأسنان وبالتالي فإنها تتحول إلى جرثومة تهدد بقايا الأسنان الأخرى" ذلك أن بقايا الطعام في الفم وبين ثنايا الأسنان يمكن أن تتخمر وتتفسخ متحولة ضمن الفم إلى مزرعة جرثومية خطيرة يمكن أن تتعرّج فيها الجراثيم وتتكاثر بسهولة مؤدية إلى حالات مرضية قد تكون وخيمة العواقب، ومن أجل هذا أيضًا كما سنرى شرع استعمال السواك⁽⁴⁾.

(1) المجموع شرح المذهب (مع تكملة السبكي والمطيعي)، أبو زكريا محبي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) تحقيق: محمد نجيب المطيعي، طبعة الإرشاد، 1 / 269، وما بعدها.

(2) السواك، الدكتور / محمد على البار، دار المنار، جدة - مكة، بدون ط، ص33.

(3) المجموع شرح المذهب، 1 / 281.

(4) روائع الطب الإسلامي، الدكتور الطبيب / محمد نزار الدقر، (2 / 38).

نظرة الإسلام لصحة الفرد والاعتناء بها

لقد اعتنى الإسلام بصحة الفرد اعتناءً بالغاً وذلك باتباع تعاليم الإسلام السمحة، التي تهدف إلى المحافظة على الإنسان، ومن هنا فقد شرع الإسلام النظافة؛ وذلك لمنع الأمراض التي تضر الإنسان وتؤثر على صحته وعلى حياته وذلك مثل البكتريا، والميكروبات، والفيروسات، وكورونا كوفيد المستجد، وغير ذلك من الأمراض المنتشرة. والنظافة تأتي من مجموعة من الممارسات اليومية التي يقوم بها المسلم عبادة لله تعالى وهي:

1. الوضوء:

ويتكرر عدة مرات يومياً وينظف الأجزاء المكشوفة من جسم الإنسان وهي الأكثر تلوثاً بالجراثيم وقد أثبت علماء الجراثيم وحددوا أعداداً هائلة من الجراثيم على السنتيمتر المربع من الجلد الطبيعي وفي المناطق المكشوفة يتراوح العدد من 1 إلى 5% سم² وهذه الجراثيم في تكاثر مستمر حتى قد تصل إلى ضعف ذلك، ولذلك في ساعة وللتخلص منها لا بد من غسل الجلد باستمرار والغسل أكثر ديمومة وتكراراً من الوضوء الذي أمرنا به الله وحثنا عليه رسول الله (ﷺ) قال: ((لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ - إِذَا أَحْدَثَ - حَتَّى يَتَوَضَّأَ))⁽¹⁾ وقال: ((مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ))⁽²⁾، ومع أن الوضوء واجب لأمرين إلا أنه من أمور عديدة⁽³⁾.

(1) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة، رقم الحديث (225) 204 / 1.

(2) أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" كتاب "الطهارة"، باب: وجوب الطهارة للصلاة (204/1)(225)، وأبو عوانة في "مستخرجه" (199/1)(637)، وابن خزيمة في "صحيحه" (9/1)(11) ط: المكتب الإسلامي - بيروت، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - روج الخطايا مع ماء الوضوء (216/1)(245)، وأحمد في "مسنده" (516/1)(476)، والبيهقي

(3) تفوق الطب الوقائي في الإسلام، من الأبحاث المختارة في المؤتمر العلمي الأول عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الدكتور / عبد الحميد القضاة، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، الطبعة الأولى 1408 هـ، 1987م، ص7، 8

2. النظافة الشخصية:

النظافة من الشرائع التي سنّها الإسلام فالدين الإسلامي دين النظافة، فنظافة الجسم من الميكروبات والفيروسات وفايروس كورونا كوفيد التي تلتصق الجسم ولا يراها الإنسان ومن ثم شرع الإسلام النظافة فلقد "جاء الإسلام يدعو إلى النظافة والطهارة في الجسم والملبس والمسكن، والطريق؛ لأن الأقدار هي المصدر الرئيس لميكروبات الأمراض فالمسلم لا يدخل الصلاة إلا بالنظافة فإذا توضأ خرجت بقايا الطعام من بين أسنانه وإذا استنشق خرجت من أنفه إفرازات تحمل بعض الميكروبات وبذلك قضى بالوضوء على كثير من الميكروبات قبل أن يشاهدها العلماء بمجهريهم أما الوقاية من أمراض الجهاز الهضمي فقد وضع الإسلام في أحاديث سبل الوقاية وكما تعلم الوقاية خير من العلاج"⁽¹⁾ والنظافة في الإسلام إنما هي الأساس الذي ينبني عليه التشريع الإسلامي بل هي تعدّ باباً من أبواب الفقه الإسلامي، ويصدر الفقهاء فقه العبادات بعنوان باب الطهارة؛ وذلك لأهميتها في حياة البشر فهناك الإغتسالات المسنونة، كغسل العيدين، والجمعة، والغسل من الحيض، والنفاس وغيرها، "ومن أسرار الطب الوقائي في الإسلام أن جعل النظافة أمراً تعبدياً مما يجعل لها روحاً وديمومة لا يتبعها أي قانون آخر قال (ﷺ): ((حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا، يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ))"⁽²⁾ وقد سن لنا الرسول الكريم الغسل في مواقف عديدة كغسل الجنابة والحيض والنفاس والجمعة والعيدين وغيره كل ذلك من شأنه أن يجعل من المسلم متميزاً في نظافته"⁽³⁾.

-
- (1) فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، الدكتور / عز الدين فراج، دار الفكر العربي - مدينة نصر - القاهرة، الطبعة الأولى 1423 هـ 2002م، ص132.
- (2) أخرجه الإمام البخاري في "صحيحه" كتاب "الجمعة" باب: هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم (5/2) (896، 897)، ومسلم في "صحيحه" كتاب "الجمعة" باب: الكيب والسواك يوم الجمعة (582/2) (849) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.
- (3) تفوق الطب الوقائي في الإسلام، الدكتور / عبد الحميد القضاة، ص9.

ومن هنا فقد شرع الإسلام هذه الاغتسالات المسنونة والتي يتم عنها نظافة البدن من البكتريا والفيروسات التي إذا بقيت انتشر الوباء وعمت البلوى" ففي قوله (ﷺ): ((الطَّهْرُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، ...))⁽¹⁾ حث للمؤمن على النظافة ولا نظافة إلا بالطهارة، وفي استعمال الغسل والوضوء عند كل صلاة وتكريره مبالغة في النظافة ووقاية للجسم وعناية بالمسلم في كل حالة من حالاته حتى يظهر بصورة الجمال في جسمه ومنظره وملبسه ومسكنه ومجتمعه وفي المواطن الاجتماعية مع الناس ومع أسرته وزوجته كل ذلك فيه مراعاة وعناية بصحة الإنسان لجميع جوانب حياته وهذا دليل واضح على اهتمام الإسلام بالصحة العامة والرعاية فالإنسان مطالب في اليوم والليلة بخمس صلوات تدعوه إلى أن ينظف نفسه بالماء خمس مرات في أوقات مختلفة ويؤكد هذا أن المسلم أشرف مخلوق يناجي ربه على احسن صورة وأحلى منظر في أجمل مكان وأحسن هيئة وأهنا حياة ورجحان عقل سليم كل هذا مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽²⁾ فإنها لطهارة ونظافة ونعمة تامة تستوجب الشكر الوافر لواهب النعم الجمة في كل الأحوال للفرد والجماعة فالمؤمن يشعر بهذه المعاني فهو أحسن وأطيب ريحاً وألطف منظرًا وأسلم ملامسة وأزكى نفساً وأقرب إلى الملائكة الكرام وأحق به محبة الله له وهو أسعد الناس بشكر الله واتباع سنة نبيه (ﷺ)⁽³⁾ ومن هنا فإن هناك أمراضاً خطيرة ولشدة خطورتها على الإنسان وضع الإسلام وقاية لهذه الأمراض تتلخص في عدة نقاط وهي:

(1) الحديث قدى سبق تخريجه في ص307.

(2) سورة المائدة من الآية: 6.

(3) الطب النبوي المعروف بالمنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي، أبي الفضل جلال الدين السيوطي، تحقيق وتخريج، حسن مقبولي الأهل، مؤسسة الكتاب الثقافية - بيروت - لبنان، الطبعة الثانية 1423 هـ، 2002م، ص23.

أولاً: من الوقاية تطهير ما تلوث بالكلاب:

لقد شدد الإسلام في تطهير الأواني التي يلغ فيها الكلب وما ذلك إلا حرصاً على حياة النفوس والابتعاد بها عن تناول الأطعمة في هذه الأواني التي امتلئت بالبكتريا والفيروسات التي لا يراها الإنسان بعينه المجردة بل تقع تحت المجهر والميكروسكوب مما اكتشفه الإنسان في العصر الحديث ولقد جاء في ذلك علاجاً نبوياً، ما رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه انه قال: قال رسول الله (ﷺ): ((إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي الْإِنَاءِ فَأَغْسِلُوهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَعَقِّرُوهُ الثَّامِنَةَ بِالتُّرَابِ))⁽¹⁾ ووجه الإعجاز في هذا الحديث السابق أن الأطباء بينوا السر في استعمال التراب دون غيره في مقال للصحة العالمية جاء فيه "الحكمة في الغسل سبع مرات أولاً بالتراب أن فيروس الكلب الدقيق متناه في الصغر ومن المعلوم لدى الدارسين أنه كلما صغر حجم الميكروب كلما زادت فعالية سطحه للتعلق بجدار الإناء والتصاقه به ولعاب الكلب المحتوي على الفيروس يكون على هيئة شريط لعابي سائل ودور التراب هنا هو امتصاص الميكروب بالالتصاق السطحي من الإناء على سطح دقائقه"⁽²⁾.

ثانياً: من الوقاية غسل اليدين:

ينبغي للمرء أن يغسل يديه قبل الأكل وبعده وهذا إن دل فإنما يدل على الحفاظ على النوع الإنساني عامة، وإذا كان الأمر كذلك فإن البكتريا التي لا يراها الإنسان تتكاثر بصفة مستمرة دائماً وأبداً في بدن الإنسان، ومن ينظر إلى الشريعة الإسلامية يجد أنها تأمر الإنسان بغسل يديه حفاظاً على بدنه: ورد في حديث أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: ((إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى

(1) أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" كتاب "الطهارة" باب حكم ولوغ الكلب (235/1) (280)، وأبو عوانة في "مستخرجه" (177/1) (544) من حديث عبد الله بن المغفل - رضى الله عنه.

(2) ولوغ الكلب بين استنباطات الفقهاء واكتشافات الأطباء، المؤتمر العالمي للإعجاز العلمي في القرآن الكريم، أ / نجيب بوحنيك، بدون ط، 14.

يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا، فَإِنَّهُ لَا يَذْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ⁽¹⁾). قال الإمام النووي: قال الشافعي وغيره من العلماء في معنى قوله (ﷺ): ((لَا يَذْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ))⁽²⁾ أن أهل الحجاز كانوا يستنجون بالأحجار وبلادهم حارة، فإذا نام أحدهم عرق فلا يأمن النائم أن يطوف يده على ذلك الموضع النجس أو على بُثرة⁽³⁾ أو قملة أو قدر⁽⁴⁾ أو غير ذلك⁽⁵⁾. ومن هنا فإن الإسلام شرع طريق غسل اليدين قبل أن يدخلهما الإنسان الإناء وذلك لما يعلق بهما من البكتريا، والفيروسات التي لا ترى بالعين المجردة، وهذا بناء على الاكتشافات الحديثة عن طريق الميكروسكوب أو المجهر وغيره من آلات العلم الحديث، وتظهر أهمية غسل اليدين قبل تناول الطعام استقبالا للنعمة بالطهارة المشعرة للتعظيم على ما ورد: «بعثت لأتمم صالح الأخلاق»⁽⁶⁾.

والحكمة في غسل اليدين قبل الطعام:

والحكمة في غسل اليدين إنما شرع من أجل المحافظة على بدن الإنسان وبسببه يتقوى أيضًا على العبادة وجاءت الحكمة في أن الإنسان ربما يصفح أخاه فينقل الميكروب عن طريق الملامسة لذا شرع الإسلام غسل اليدين قبل بدء الطعام وتتجلى الحكمة في غسلهما قبل الطعام في أمرين وهما:

- (1) أخرجه الإمام البخاري في "صحيحه" كتاب "الوضوء" باب: الاستجمار وترا (43/1)(162)، ومسلم في "صحيحه" كتاب الطهارة، باب: كراهة غمس المتوضئ وغيره يده المشكوك في نجاستها في الإناء قبل غسلها ثلاثاً (233/1)(278) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
- (2) الحديث قد سبق تخريجه في نفس الصفحة.
- (3) (البثر) و(البثور) خراج صغار واحدها بثرة وقد بثر وجهه بفتح الثاء وضمها وكسرها، يراجع: مختار الصحاح، 1، 29.
- (4) استقذر الثوب: وجده قذرا "استقذر المنظر"، استقذر المكان: قذره، كرهه لوسخه. يراجع: معجم اللغة العربية المعاصر، 3 / 1787.
- (5) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، 3 / 179.
- (6) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا القاري: 7 / 2714. والحديث رواه أحمد (2 / 381) (8939)، والحاكم (2 / 670)، والبخاري في (الأدب المفرد) (273). قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (8 / 191): رجاله رجال الصحيح. وقال البوصيري في (إتحاف الخيرة) (7 / 69): صحيح على شرط مسلم. وصححه السيوطي في (الجامع الصغير) (2584).

أولاً: أيضاً أن الأكل بعد غسل اليدين يكون هنا وأمر؟ ولأن اليد لا تخلو عن تلوث في تعاطي الأعمال، فغسلها أقرب إلى النظافة والنزاهة.

ثانياً: لأن الأكل يقصد به الاستعانة على العبادة، فهو جدير بأن يجري مجرى الطهارة من الصلاة. فيبدأ بغسل اليدين⁽¹⁾ لقول رسول الله (ﷺ): ((إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ))⁽²⁾ وتظهر الحكمة في هذا الحديث في أن "حياة الإنسان اليومية كثيراً ما يصاب شخصاً مريضاً أو حاملاً لجراثيم ممرضة أو يلمس أشياء ملوثة بجراثيم خطيرة فهو يجلس لطعامه غير عالم أن بين أنامله خطراً كامناً ينتظر ذلك الطعام فيلوث لقمة يبتلعها ليصاب بذلك المرض، وأكثر الأمراض انتشاراً عن ذلك الطريق هي الكوليرا⁽³⁾ والتيفوئيد والزحار. هذا وإن الجلد يحتوي على سطحه على أثلام وأخاديد، وإن ما يفرزه من دهن وعرق يساعد على التصاق تلك الجراثيم وبيوض الطفيليات بالجلد وحفظها بين ثناياه⁽⁴⁾.

ثالثاً: من الوقاية نظافة المكان والبيئة:

نظافة المكان والبيئة التي يعيش فيها الكائن الحي من متطلبات الإسلام لذلك نهى الرسول (ﷺ) عن قضاء الحاجة في طريق الناس وتحت الشجر المثمر، وأماكن الظل، وذلك للحفاظ على البيئة وأيضاً لعدم وجود بكتيريا وفيرسات يصاب

(1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (7 / 2714).

(2) أخرجه الإمام البخاري في "صحيحه" كتاب "الوضوء" باب: الاستجمار وترا (43/1)(162)، ومسلم في "صحيحه" كتاب الطهارة باب: كراهة غمس المتوضئ وغيره يده المشكوك في نجاستها في الإناء قبل غسلها ثلاثاً (233/1)(278) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(3) كوليرا مرض وبائي معد، أعراضه إسهال متواصل، وقيء شديد وعطش قوي، وهزال سريع وتشنج الأعضاء، وانحطاط القوى وهبوط في الحرارة، ينتج عنه الموت غالباً "ظهرت الكوليرا في أفريقي، معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، 3 / 1972.

(4) روائع الطب الإسلامي، اختصاصي بالأمراض الجلدية والتناسلية والعلاج التجميلي العلامة الدكتور الطبيب /محمد نزار الدقر، - دكتور " فلسفة " في العلوم الطبية كاتب متخصص في الطب الإسلامي المصدر: موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، (23/1) www.55a.net.

بها الإنسان فيصاب بكثير من الأمراض والفيروسات التي تدمر البنية الإنسانية وقد جاءت السنة المطهرة لتبين ذلك النهي.

والبيان النبوي في ذلك مارواه أبو هريرة، أن رسول الله (ﷺ) قال: ((اتَّقُوا اللَّعَّانِينَ قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ"))⁽¹⁾ "وطريق الناس وظلهم بيئة عامة، ينتفع بها الغني والفقير، والعظيم والحقير، والكبير والصغير، فمن أفسد فيه مفسدة فقد أفسد على الناس، ومن وضع فيه عائقًا، فقد حال بين الناس وبين الانتفاع به، ومن هنا نهى الشارع عن التبول والتبرز في طريق الناس وظلهم، بل حرض المسلمين على إزالة الأذى عنه، وتهيينته للمارة"⁽²⁾، ومما تجدر الإشارة إليه أن البيان النبوي السابق ذكره يشير إلى الوقاية من المنهيات التي تسبب الأمراض الكثيرة المنتشرة في الهواء، أو عن طريق الثمار التي تحملها الأشجار المثمرة حينما تتساقط على الأرض فتتلوث بهذه الأوبئة الفتاكة التي لا ترى بالعين المجردة. "ومما رسمه رسول الله الوقاية من المسببات للأمراض انتشار الجراثيم في الجو وتلوث البيئة من ذلك نهى المسلم حيث كان أن يقضي حاجته في طريق الناس أو في المكان المظلل؛ لأنه موطن للجلوس فتلويثه بالبراز يمنعهم من الجلوس أو ينشر فيهم الجراثيم التي يحملها البراز، كما نهاهم من البراز عند موارد الماء؛ لأنها أيضًا سبب واسع لانتشار الأمراض وتسرب مسبباتها إلى الماء كما نهاهم عن التخلي تحت الشجرة المثمرة؛ لأنها مدعاة لانتشار الجراثيم في الثمار ومن ثمَّ انتقالها إلى الأكلة وانتشار الأمراض في جهازهم الهضمي"⁽³⁾.

(1) أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" كتاب "الطهارة" باب: النهي عن التخلي في الطرق والظلال (226/1) (269)، وابن حبان في "صحيحه" في ذكر الزجر عن البول في طرق الناس وأفنيته (262/4) (1415) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - .

(2) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الأستاذ الدكتور / موسى شاهين لاشين، دار الشروق، الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، 1423 هـ - 2002 م، 8 / 482.

(3) الإعجاز في السنة النبوية، الدكتور / صالح ابن أحمد رضا، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى 1421 هـ 2001 م، مجلد 1، ص 481 .

رابعًا: من الوقاية تغطية الآنية:

من الأمور التي وضعها الإسلام عنايةً بصحتهم الوقاية بتغطية الآنية، وذلك لما يترتب على ذلك من أذى يلحق بالناس حيث يصاب الإنسان بالأمراض المنتشرة في الغلاف الجوي التي تحمل من السموم والبكتريا ما لا تراه الأعين. وجاء البيان النبوي في ذلك ما رواه جابر بن عبد الله، أنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ((عَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وَكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءُ))⁽¹⁾ قال الإمام النووي: "وذكر العلماء للأمر بالتغطية فوائد منها الفائدتان اللتان وردتا في هذه الأحاديث وهما: الفائدة الأولى: صيانته من الشيطان فإن الشيطان لا يكشف غطاء ولا يحل سقاء. والفائدة الثانية: وصيانته من الوباء الذي ينزل في ليلة من السنة. والفائدة الثالثة: صيانته من النجاسة والمقذرات. الفائدة الرابعة: صيانته من الحشرات والهوام فربما وقع شيء منها فيه فشربه وهو غافل أو في الليل فيتضرر به والله أعلم"⁽²⁾.

خامسًا: من الوقاية عدم تناول الطعام الحار والتنفس والنفخ في أواني الطعام

من طرق الوقاية عدم التنفس في آنية الطعام والشراب، وذلك؛ لأنها تحمل من البكتريا والفيروسات الكثير والكثير وهذا ما توصل إليه العلم الحديث عن طريق الميكروسكوب وغيره من الآلات التي تكبر حجم تلك الميكروبات، وجاء البيان النبوي في ذلك ما رواه بن عباس قال: ((نهى رسول الله (ﷺ) عَنِ النَّفْخِ

(1) أخرجه الإمام مسلم كتاب "الأشربة" باب: الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، وإغلاق الأبواب، وذكر اسم الله عليها، وإطفاء السراج والنار عند النوم، وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب (1596/3)(2014)، وأبو عوانة في "مستخرجه" (145/5)(8165) ط: دار المعرفة - بيروت، من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -.

(2) المنهاج شرح صحيح مسلم، للنووي، (13 / 183).

في الطعام والشراب))⁽¹⁾ قال الإمام الشوكاني عند تعرضه لهذا الحديث " (أو ينفخ فيه) أي في الإناء الذي يشرب منه، والإناء يشمل إناء الطعام والشراب فلا ينفخ في الإناء ليذهب ما في الماء من قذارة ونحوها، فإنه لا يخلو النفخ غالباً من بزاق يستقذر منه، وكذا لا ينفخ في الإناء لتبريد الطعام الحار، بل يصبر إلى أن يبرد كما تقدم ولا يأكله حاراً فإن البركة تذهب منه وهو شراب أهل النار"⁽²⁾، وأما النفخ في الشراب، فإنه يكسبه من فم النافخ رائحة كريهة يعاف لأجلها، ولا سيما إن كان متغير الفم. وبالجمله: فأنفاس النافخ تخالطه"⁽³⁾.

أما من الناحية الطبية فقد أثبت العلم الحديث "أن الأظعمة والأشربة الحارة جداً يمكن أن تؤدي كثيراً إلى حروق تبدو غالباً في قبة الحنك أو المنطقة الشفوية. وتعزو الكتب الطبية المدرسية كثرة حدوث السرطانات في القسم العلوي من جهاز الهضم وخاصة سرطان المريء إلى الاعتقاد على شرب المشروبات شديدة الحرارة"⁽⁴⁾.

لقد جاء الإسلام بتعاليم تحدد للإنسان ما ينفعه وما يضره في حياته، وهذا إن دل فإنما يدل على رعاية الإسلام له على قيد الحياة لتسلم صحته وعقيدته فيعلم أن له إلهاً قد أرسل إليه رسلاً يحملون في طي رسالاتهم الخير والنفع له في حياته فإذا التزم بما جاء من عند الله تعالى وكذا بما جاء على السنة الرسل الكرام

(1) أخرجه أبو داود في "سننه" كتاب "الأشربة" باب: في النفخ في الشراب والتنفس فيه (338/3) (3728)، والترمذي في "سننه" في "أبواب الأشربة" باب: (304/4) (1888)، وأحمد في "مسنده" (26/5) (2817) من حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنه -، واللفظ لأحمد، وقال الترمذي بعده: هذا حديث حسن صحيح.

(2) نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، 1413هـ - 1993م، (8 / 121)

(3) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، 1415هـ / 1994م، (4 / 216).

(4) روائع الطب الإسلامي، الدكتور / نزار الدقر، (2 / 40).

الذين هم صفوة الله من خلقه عاش حياةً كريمة هنيئة لا يجد مرضًا يلاحقه ولا أدوية يتعاطاها تسكينًا لما ألمَّ به من مرض أو خبث أو ما شابه ذلك فقد أمر الرسول (ﷺ) بأمور فيها لمن اتبعها نجاة الإنسان من الأمراض المنتشرة في هذه الأونة الأخيرة مما توصل إليه العلم الحديث. "والحق يقال إن التعاليم النبوية في تدبير الطعام والشراب كانت قمة في الدقة العلمية، وقمة في حرص المشرع العظيم على سلامة أتباعه ووقايتهم من شر الوقوع في براثن المرض. فقد أمر (ﷺ) أن يغطي إناء الطعام وتوكأ قرب الشراب فلا يترك مكشوفًا للذباب والتراب، كما نهى عن أن يشرب من في الإناء أو أن ينفخ في الشراب حرصًا على سلامته من التلوث، وأمر بغسل اليدين قبل الطعام وبعده، وأمر بالأكل باليمين، ونهى عن الأكل باليسار التي خصصها للاستنجاء وغير ذلك من الأعمال الملوثة، كل ذلك ليضمن سلامة الطعام وعدم تلوثه بالجراثيم"⁽¹⁾.

تعقيب

إن من نعم الله تعالى على خلقه أن خلق لنا أشياء لا نراها بأعيننا رحمة بنا لأننا لو رأيناها ما استطاع الإنسان أن يعيش على ظهر هذه الأرض، وذلك عند رؤيتها يظل الإنسان مكتئبًا وخائفًا طوال عمره من مشاهدة أشكالها وأنواعها. فسبحان من خلق ﴿كُلُّ شَيْءٍ فَعَدَرَهُ نُفَيْرًا﴾⁽²⁾، والتقدير له معنيان، أولهما: جعل الشيء بقدر معين، والثاني إكسابه القدرة على العمل"⁽³⁾.

وهذه الكائنات الدقيقة التي أخفاها الله على الإنسان يترتب على إخفائها الاعتراف بالقدرة الإلهية التي أوجدت الشيء الظاهر، والباطن، والشيء القوي،

(1) روائع الطب الإسلامي، الدكتور / نزار الدقر، (10/1).

(2) سورة الفرقان من الآية: 2.

(3) التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، حنفي أحمد، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ص 47.

والضعيف، وخلق هذه الأشياء من العدم وصيرورتها إلى عدم دليل على القدرة الإلهية التي أبرزت من العدم إلى الوجود. كما يتبين من خلال ما سبق أن القدرة الإلهية من حيث تعلقها بالممكنات تجعل الشيء الممكن طوعاً لها وذلك حينما يسלט الفيروسات أو البكتيريا أو الكائنات الدقيقة على جهة العموم على آحاد الناس مثل الطاعون الذي أرسله الله على بني إسرائيل فكان عقاباً لهم. والكائنات الدقيقة هي جند من جنود الله تعالى كما أثبت ذلك العلم الحديث وذلك حينما أمرها الله تعالى أن تقف عند طعام الرجل الذي ذكر في القرآن في قول الله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لِّبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ﴾ (1) فالكائنات الدقيقة لم ولن تؤثر في طعام الرجل فالطعام لم يتغير والعلم الحديث يثبت أن الطعام إذا ترك مدة كذا فإن يتغير نتيجة البكتيريا التي سرت إليه، وإذا كان الأمر كذلك فإن الله تعالى قد خلق هذه الأشياء فصدق القرآن وسبحان من قال: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (2).

"وهذا إيجاب؛ لأن الله تعالى خلق كل ما في العالم وإن كل من دونه لا يخلق شيئاً أصلاً ولو كان ههنا خالق لشيء من الأشياء غير الله تعالى لكان جواب هؤلاء المقررين جواباً قاطعاً ولقالوا له نعم نريك أفعالنا خلقها من دونك ونعم هاهنا خالقون كثير وهم نحن لأفعالنا وقوله (﴿يَكْفُرُ﴾): ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (3)، وهذا بيان واضح لا خفاء به؛

(1) سورة البقرة من الآية: 259.

(2) سورة لقمان الآية: 11.

(3) سورة الرعد من الآية: 16.

لأن الخلق كله جواهر وإعراض ولا شك في أنه لا يفعل الجواهر أحد دون الله تعالى وإنما يفعلها وحده فلم تبق إلا الأعراض فلو كان الله (ﷻ) خالقًا لبعض الأعراض ويكون الناس خالقين بعضها لكانوا شركاء في الخلق ولكانوا قد خلقوا كخلقه خلق أعراضا وخلقوا أعراضا وهذا تكذيب لله تعالى ورد للقرآن مجردا فصح أنه لا يخلق شيئا غير الله (ﷻ) وحده والخلق هو الاختراع فالله مخترع أفعالنا كسائر الأعراض ولا فرق فإن نفورا خلق الله تعالى لجميع الأعراض لزمهم أن يقولوا أنها أفعال لغير فاعل أو أنها فعل لمن ظهرت منه من الأجرام الجمادية وغيرها فإن قالوا هي أفعال لغير فاعل فهذا قول أهل الدهر نصا ويكلمون حينئذ بما يكلم به أهل الدهر وإن قالوا إنها أفعال الأجرام كانوا قد جعلوا الجمادات فاعلة مخترعة وهذا باطل محال وهو أيضا غير قولهم فالطبيعة لا تفعل شيئا مخترعة له وإنما الفاعل لما ظهر منها خالق الطبيعة المظهر منها ما ظهر فهو خالق الكل ولا بد والله الحمد⁽¹⁾.

ومن هنا فإن بن حزم يبين أن الطبيعة لن تستطيع أن تخلق شيئا من هذه المخلوقات التي حارت العقول في كيفية تركيبها وإيجادها فدل ذلك على أن الذي أوجدها قادر على انتقالها من العدم بعد وجودها ولا يقدر على ذلك إلا الله تعالى وحده.

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي - القاهرة، (3/ 33).

الفصل الثاني

نعمة الخفاء من شدة البعد

توطئة

إن الكون وما فيه يحمل دلالة عقدية على أن موجدته هو الله وحده، والكواكب العظيمة وما فيها من إعجاز، فيها عبرة لمن يعتبر وقد أمر الله تعالى الإنسان أن ينظر في جنبات الكون العظيم ليتعرف على خالقه، وذلك من خلال النظر في صفحات الكون العظيم الذي يشهد على وحدانية الله تعالى، والعلم الحديث قد اكتشف آلات كالميكروسكوب وغيرها؛ لتثبت أن العالم الذي نراه بأعيننا إنما هو عالم صغير الحجم بخلاف العوالم الأخرى التي لم نرها بأعيننا بل تم اكتشافها ومعرفتها عن طريق الآلات الحديثة. أما النسيج الكوني فقد تحدث القرآن عنه أيضاً في قوله تعالى مُسَمِّيًا بِالسَّمَاءِ ﴿وَأَسْمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾⁽¹⁾ وقد تمكن العلماء حديثاً جداً من رؤية الكون على مقاييس مكبرة فظهر تماماً كالنسيج المحبوك، حتى إننا نجد أدق وصف للمشهد الذي رآه العلماء حديثاً، فتبارك الله مبدع الكون ومبدع هذا النسيج المُحكَّم⁽²⁾.

هذا عن عالم السماء وما فيه من أسرار أما عن عالم الأرض التي هي الكوكب التي نعيش عليها فقد خلقها الله تعالى بقدرٍ كما حكى القرآن الكريم قال تعالى ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾⁽³⁾ "والأرض كمثال قدرها الله بمقدار في الكتلة والحجم والبعد المكاني عن الشمس.. لو كانت أبعد لماتت الأحياء عليها من البرد، ولو كانت أقرب لاحتُرقت من حر الشمس.. ولو كانت الأرض أصغر حجماً وكتلةً لصغر حرها وماءها بسبب ضعف الجاذبية كما هو حال القمر ولأصبحت الحياة مستحيلة.. ولو كانت أكبر حجماً وكتلةً لتضاعفت الجاذبية ولتضاعف وزن

(1) سورة الذاريات آية: 7.

(2) أسرار الكون بين العلم والقرآن، المهندس: عبد الدائم الكحيل، الطبعة الأولى 1427 هـ 2006 م، تم إصدار هذه الطبعة بإشراف: موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، حرستا - دمشق - سورية ص2.

(3) سورة الرعد من الآية: 8.

الكائنات عليها ولما استطاعت الحركة، وقل ذلك في موقع كل نجم فجميع الأجرام السماوية مرتبطة بعضها البعض إرتباط الحبات في مسبحة⁽¹⁾ ومن هنا فإن الكون وما فيه من مجرات وكواكب عظيمة دليل على أن هذا الكون لم يخلق عبثاً وإنما خلق لحكم جليلة، وفي إطار الحديث عن نعمة الخفاء من شدة البعد سنتناول هذه القضية من خلال مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالأجرام السماوية من نجوم وكواكب وأسمائها وعددها وتقريب المسافة بينها وبين الأرض.
المبحث الثاني: نعمة إخفاء بعد الأجرام السماوية عن الأرض وأثر ذلك في الاعتقاد الإسلامي.

(1) من أسرار القرآن، الدكتور / مصطفى محمود، دار المعارف، الطبعة الخامسة، المكتبة العربية ص17.

المبحث الأول

التعريف بالأجرام السماوية من نجوم وكواكب وأسمائها وعددها وتقريب المسافة بينها وبين الأرض

قبل أن نتحدث عن الأجرام السماوية لابد أن نعرف الكون باعتبار أنه يشمل كل المجرات.

فما الكون؟ The universe (1)

الكون هو " الفضاء الشاسع والسماء في اللغة هو كل ما علاك فأظلك وفي علم الفلك هو كل ما يحيط بنا من أجرام ومجرات ونجوم وسدم⁽²⁾ وكواكب وفراغ بينهما، ويقدر عمره نحو 15 - 20 مليار عام"⁽³⁾ ومن هنا فإن عالم الافاق يحمل في جنباته مظاهر القدرة الإلهية على الإبداع والإبتقان وهذا كله من صنع الله تعالى فقرة أعيننا التي في أجسادنا لا ترى الأشياء البعيدة إلا صغيرة جدًا.

يقول (ج. ألن هاينكك J. Allen Hynek) في كتابه أسرار الكون: "إننا نرى الأشياء؛ لأنها تبعث بالضوء، الذي يدخل في أعيننا ويتسبب في الإحساس بالرؤية. فلكي يصبح أي جسم مرئيًا يجب أن يصل إلى العين ضوء قادم منه. ولقد كان أرسطو يعتقد، كما اتفق معه في اعتقاده هذا فلاسفة آخرون من فلاسفة

(1) لقد كان الكون ومفرداته حتى قبل دعوة القرآن، منطلق اكتشاف السنن وميدان بحوثه، غير أن منظور البحث والاكتشاف تعدد حسب اهتمامات النظر والبحث من يومئذ، فكان في نحو ثلاثة منظورات منها: منظور التأمل التعبدية الذي نشأ من خوف مناظر الكون ومفرداته كالكواكب والنجوم وأحداث المطر والرياح والرعد والصواعق فقابلها الإنسان بالتضرع خيفة ورجاء، د / محمد هيشور، سنن التدوال بين الحضارات، ص164، مرجع سابق.

(2) (سدم) الماء سدمًا تغير لطول عهده ووقع فيه التراب وغيره حتى اندفن وفلان أصابه هم أو غيظ مع حزن وبالشيء حرص عليه ولهج به فهو سادم وسدم وسدمان وقلما يفرد السدم عن الندم فيقال هو سادم نادم وسدمان ندمان وسدم ندم وسدم الماء طول العهد غيره انسدم دبر البعير برئ والسدم من الفحول الهائج ومن المياه المندفق، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1/ 424.

(3) أسرار الكون، ج. ألن هاينكك، ترجمة الدكتور / سيد رمضان هداره، مكتبة النهضة المصرية، ص7.

العالم القديم أن العين تخرج وتتنظر " على حد القول - أي يخرج شيء ما من الأعين "يلتقط" الجسم ثم يعود كما يلتقط الرادار الأجسام البعيدة وهذا في الحقيقة هو السبب الذي دعا أرسطو إلى القول بأن النجوم تتلأأ، فالنجوم بعيدة عنا بعدًا ساحقًا ولذلك أشار أرسطو إلى أن قوة أعيننا "تضعف نظرًا للمرحلة الطويلة التي تقطعها ومن ثم ترتعش الإشارة العائدة منها"⁽¹⁾.

التعريف بالأجرام السماوية

قبل أن نبدأ بتعريف الأجرام السماوية والكواكب لابد أن يعرج الحديث بنا عن الكون باعتباره يسع كل ما فيه من كواكب ونجوم وغيرها، وعلى هذا فإن هذا الكون في اتساع دائم وهذا ما جاء واضحًا وجليًا في أي القرآن العظيم.

أولاً: اتساع الكون باستمرار:

لقد توصل العلم الحديث إلى أن الكون وما فيه ليس في حالة توقف، وإنما هو في اتساع دائم ومستمر لا ينقطع وقد أخبر القرآن الكريم عن هذا الاتساع الذي لم يتوقف فقد ذكر اتساع هذا الكون في قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾⁽²⁾ وفي قوله: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ إشارة إلى خلق هذا الكون المرئي وغير المرئي؛ لأن هناك الكثير من الأجرام والمجموعات الشمسية، وما وراء ذلك من اتساع ذلك الكون ما لا يدركه العقل ولا يمكنه تحديده، وهذه السعة المذهلة هي من قدرة الله (عز وجل)⁽³⁾ واتساع الكون إنما هو طريق مدبر دبره وصانع صنعه بلا مثال سابق ولقد أثبت العلم الحديث هذا الاتساع المبهر وذلك عن طريق الاستكشافات العلمية الحديثة، وهناك أدلة ساقها أصحابها ليثبتوا تلك القضية التي قد أثبتتها القرآن الكريم

(1) الموسوعة الفلكية، خليل البدوي، دار عالم الثقافة - عمان - الأردن، الطبعة الأولى 1999م ص5.

(2) سورة الذاريات آية: 47.

(3) تفسير الشعراوي - الخواطر، 6/ 3528

منذ قرون عديدة، "ومن الأدلة المسوقة لبيان اتساع الكون والفضاء الجوي، وأن هذا الوجود الكوني في اتساع مستمر دائم أنه لو تصورنا طائرة خيالية تسير بسرعة 186,000 مترًا في الثانية الواحدة وأن هذه الطائرة الخيالية تطوف حول الكون من الآن فإن هذه الرحلة سوف تستغرق (000,000,000,000) ألف مليون سنة. ولما كان هذا الكون غير متجمد بل يتسع باستمرار فإن هذه المسافات الكونية ستضاعف بعد 1,300,000,000 سنة"⁽¹⁾.

ثانيًا سرعة تمدد الكون المنظور expansion visible universe

إن هذا الكون المنظور يضم عددا كبيرا من النجوم فهناك مجرات نراها، وأخرى لا نراها بأعيننا، ولكن العلم الحديث قد اكتشفها "وفي عام 1919م قام عالم الفلك الأمريكي أدوين هوبل بمراقبة نجوم سيفيد (CVID) من المتغيرات وهي نجوم تغير ضوءها كل 50 يومًا بدقة مذهلة، وذلك في مجرة Wikiwand.

المرأة المسلسلة بالإنجليزية Andromeda: "تسمى أيضًا NGC 224 وM31 أندروميديا" وهي أقرب مجرة لنا حيث تبعد 2.2 مليون سنة ضوئية ويمكن مشاهدتها نحو الجنوب، واستطاع هوبل بذلك تحديد المسافات بين المجرات القريبة منا ثم أعلن عام 1929م أن الكون يتمدد ويتسع، وأن المجرات تبتعد عن بعضها البعض وفي العام التالي توصل إلى طريقة خاصة لحساب سرعة تمدد الكون طبقًا لقانون معين وضعه بنفسه، يعتمد على ثابت عددي يعرف باسمه ولكن من الصعب تحديده"⁽²⁾.

ثالثًا: الأجرام السماوية وترتيبها من الأصغر إلى الأكبر:

الأجرام السماوية تجري بنظام معين ولا ينبغي لفلك أن يدرك فلًا آخر؛ لأن

(1) الإعجاز العلمي في القرآن، د / السيد الجميلي، مكتبة الهلال، دار الوسام، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1992م، ص 60.

(2) الكون ذلك المجهول، جلال عبد الفتاح، مكتبة الأسرة، بدون ذكر الطبع، ص 137.

كل فلك له مهامه وقوانينه التي خلق من أجلها ولقد حوى القرآن الكريم كثيراً من هذه القضايا التي تحدث عنها العلم وذلك بعد عصور طويلة جاء العلم ليستكشف هذه الأمور الخفية فالقرآن الكريم "كتاب يضم من العلوم والمعارف ما لا يقع تحت حصر، ولا ينتهى عند حد، إذ كان موضوعه العالم العلوي وما فيه من أفلاك، وما يدور في هذه الأفلاك من نجوم وكواكب.. والشمس والقمر، هما أظهر ما في العالم العلوي المنظور من نجوم وكواكب.. بحيث يقعان في نظر كل إنسان، ويدنون من مفهوم كل ذي نظر، فلا يكاد يوجد إنسان على ظهر هذا الكوكب الأرض إلا وعنده علم عن الشمس والقمر، على اختلاف في درجة هذا العلم، وعلى تفاوت بعيد بين القدر الذي يقع لكل إنسان منه، إذ بينما يكون هذا العلم عند بعض الناس مجرد نظر جامد بارد، ولا يحرك شعوراً، ولا يثير إحساساً، إذ هو عند آخرين مثار خيال، ومبعث وجدان⁽¹⁾، ومنطلق إدراك، وجامعة علم وفن وفلسفة.. وبهذا النظر المستند إلى الحساب أو الحساب⁽²⁾، عرف الإنسان كثيراً من أسرار هذا العالم، ورأى أن الشمس والقمر اللذين يبدوان وكأنهما سيّدا الأجرام السماوية، ليسا إلا إشارتين باهتتين تطلّان من هذا العالم على الأرض، وأنهما بالنسبة لهذا العالم أشبه بحصّاتين في سفح جبل الهملايا بالهند مثلاً..! فإذا بلغ الإنسان اليوم من العلم بحيث يضع قدميه على القمر، فليس ذلك إلا خطوة قصيرة من مسيرة طويلة للعلم، في مسابح هذا العالم الذي لا حدود له..! فإذا نظر الإنسان إلى الشمس والقمر، نظراً قائماً على الدرس والحساب، أسلمه هذا النظر إلى ما وراء الشمس والقمر، مما حواه العالم العلوي من أجرام ظاهرة يراها رأى العين، أو

(1) الوجدان: إحساس الباطن بما هو فيه. التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، 334/1.

(2) الحساب: معروف وهو مصدر المحاسبة: حاسبته محاسبة وحساباً، والحسبان: الحساب تقول: على الله حسبانك، أي حسابك. والحسبان في التنزيل: العذاب. جمهرة اللغة، للأزدي، 1237/3.

خفية يلتبس لها الوسائل التي يراها من خلالها⁽¹⁾. ومن هنا فإن هناك أجراماً لا يراها الإنسان بعينه وإنما أثبتتها العلم الحديث عن طريق الاكتشافات العلمية الحديثة يلتبس الإنسان لها الوسائل التي يتوصل إليها من خلالها.

تعريف المجرات

والمجرة عبارة عن "تجمع ضخم من النجوم مقيدة معا بالجاذبية، وتدور حول المركز. وهناك أنواع عديدة من المجرات في الكون، وأكبرها ما يزيد عن 300 ألف مليون نجم. ونجوم المركز والقرص نجوم قديمة من العمالقة الحمراء، أما نجوم الأزرع فهي نجوم حديثة التكوين زرقاء اللون"⁽²⁾.

وعرفها محمد إسماعيل إبراهيم: "بأنها جمع مجرة وهي كما يفسرها العلم سحابة ضخمة من غازات ومواد صلبة وعناصر أخرى مختلفة تتحرك بسرعة داخلها، وهي تتجاذب فيما بينها وقد أطلق عليها علماء الفلك من العرب اسم المجرة؛ لأنها تشبه النهر الجاري، وقوام الكون المرئي يربو حتى الآن على ألف مليون مجرة تظهر على الألواح الفوتوغرافية التي يستخدمها العلماء لتصويرها، أما الكون غير المرئي فلا يعلمه إلا الله الذي ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾⁽³⁾ وتتباعد المجرات بعضها عن بعض بسرعة هائلة فينتسح تبعاً لذلك حجم الكون"⁽⁴⁾.

(1) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، 14/ 665.

(2) الكون ذلك المجهول، جلال عبد الفتاح، مكتبة الأسرة، بدون ذكر الطبع، ص 206.

(3) سورة البقرة من الآية: 255.

(4) القرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي - دار الثقافة العربية للطباعة، (1/ 59).

أنواع المجرات

من المعلوم لدى الدارسين أن وحدات الكون تتمركز في المجرات وهي لبنات الكون وقد اكتشف العلم الحديث أنواعًا من المجرات التي أخفاها الله تعالى عن الإنسان وهي عديدة وكبيرة من حيث الحجم والطول فمن حيث الشكل:

1. البيضاوية Oval: وهي مجرات قديمة أغلب نجومها من العماليق الحر.
2. الحلزونية Helical: وهي تشكل مسطحًا كعجلة . ضخمة ولها مركز يحوطه قرص تخرج منه أزرع طوال مفتوحة أو مقفولة، ولها دوران حول مركزها واضح.
3. القضيبية Phallus: وهي بالحلزونية أشبه وكل الاختلاف أن مركزها ليس قرصي الشكل وإنما على شكل عارضة طولية أو قضيبية تخرج الأزرع من طرفها ونجوم المركز أقدم من نجوم الأزرع ولها دوران واحد حول مركزها.
4. العدسية Lenticularity: وهي وسط بين المجرات البيضاوية والمجرات الحلزونية فهي ذات مركز وقرص وشكل مسطح ولكن بلا أزرع واضحة.
5. القُبَّعية Hats: وهي بالقبعات المشهورة في المكسيك قُبَّعات سومبريو أشبه وتتميز بانتفاخ عادي حول المركز⁽¹⁾ وهناك تقسيم آخر للمجرات وذلك تبعًا للشكل الذي تتخذه المجرة وهذا ما تحدث عنه علماء الفضاء أنفسهم وذلك عن طريق الاستكشافات العلمية، وهذا التقسيم على النحو التالي:

1. المجرات الأهلية (بيضاوية) National galaxies (oval)

2. المجرات الحلزونية (لولبية) Spiral galaxies (spiral)

(1) للكون إله قراءة في كتاب الله المنظور والمسطور، الدكتور / صبري الدمرداش، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الثانية، 1427هـ / 2006م / 213.

3. المجرات غير المنتظمة (الشاذة) Irregular galaxies

4. المجرات القزمة الصغيرة Little dwarf galaxies⁽¹⁾.

وهناك إحصائيات توضح مسارات هذه المجرات كل واحدة تختلف عن الأخرى "كما دلت الآيات والإحصاءات الفلكية أن حوالي 78% من المجرات لولبية، و18% إهليجية⁽²⁾، و4% فقط غير منتظمة، وهذه المليارات من المجرات تتطلق بسرعة هائلة في الفضاء وتتخذ كل منها اتجاهًا ليباعد عن المجرات الأخرى"⁽³⁾ ومن هنا فإن هذه المجرات لا يستطيع الإنسان رؤيتها بعينه المجردة وقد أوجدها الله تعالى لتكون في خدمة الإنسان، وعلى هذا فإن نشأة تلك المجرات إنما يتم بعد مرحلة نشأة الكون "ونظرًا لضخامة المسافات التي تفصل أجرام المجرة بعضها عن بعض؛ فقد أصبح من المتعذر حسابها بواسطة وحدات القياس العادية؛ ولذلك فقد اتفق على أن تستخدم في حسابها وحدة خاصة هي السنة الضوئية Light Year وهي المسافة التي يقطعها الضوء "وسرعته 300 ألف كيلو متر في الثانية" في سنة كاملة، وتستخدم بجانبها وحدة أخرى أصغر منها لقياس المسافات بين أفراد المجموعة الشمسية، ويطلق عليها "الوحدة الفلكية" Astronomical Unit، وهي متوسط المسافة بين الأرض والشمس وطولها 149 مليون كيلو متر "93 مليون ميل"⁽⁴⁾.

-
- (1) موسوعة الفيزياء الكونية العلوم الفضائية، الأستاذ: / على مولا، بدون نشر ولا طبع، ص157.
- (2) الإهليجي المنسوب إلى الإهليج أو المشبه لحبة في الشكل، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص32.
- (3) الموسوعة الكونية الكبرى، آيات العلوم الكونية وفق أحداث الدراسات الفلكية والنظريات العلمية، الدكتور / ماهر أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة الأولى 1428هـ، 2007م، ص161.
- (4) المقدمات في الجغرافيا الطبيعية، دكتور عبد العزيز طريح شرف، مركز الأسكندرية للكتاب، ص2.

نشأة المجرات في الكون

الكون وما فيه عبارة عن ذراتٍ متناثرة فلابد من عملية الانجذاب المتبادل بينها وهذا التجاذب هو الذي يؤدي إلى استمرارها واستقرارها، "وانطلاقاً مما رأينا عن الكون تكتنفت محلية تناثرت هنا وهناك في الفضاء بسبب عدم قدرة الانجذاب المتبادل بين الذرات الذي يعتبر غير كافٍ لتأمين استقرارها بينما استمرت التكتنفتات الكبرى في حين أن الجاذبية التي تمارسها على الذرات المعزولة جعلها تكبر حجماً وتتضخم فبلغت ما هي عليه الآن فكان من جزء ذلك أن أدت حركة الذرات المنبعثة من الطاقة الانجذابية إلى ارتفاع درجة حرارة الأجرام الأولية فتولد عن ذلك حركة دوران بطيئة وهذه هي المرحلة الثانية من نشوء الكون، أما المرحلة الأخيرة من نشوء المجرات فقد استعرض عدة مئات من ملايين السنين وتدرجياً بدأت الأجرام بالتقلص بسبب الحرارة المشعة والتبريد الذي يتبعها بعد أن ازدادت سرعة دورانها"⁽¹⁾.

شكل المجرة

والمجرة التي تقترب من كوكب الأرض لها شكل معين وسمك معين، يراها الإنسان مرة صغيرة مثل حبة العدس، وتتخذ أشكالاً مختلفة، وإلى هذه الإشارة السابقة يقول صاحب كتاب عجائب الخلق في الكون العظيم " وشكل المجرة أنها تشبه الرغبة المستدير المقرب وأحياناً يقولون إنها تشبه بيضتين مقلبتين ظهر إحدهما بوضوح، وأحياناً يقولون إنها تشبه طبقين من أطباق ملتصقين ببعضهما في تعاكس، وفي وسط المجرة نواة سميكة وهي تدور بنجومها حول محور عمودي على أواسط النواة فتتخذ شكلاً حلزونياً له جناحان ويبلغ طول المجرة من طرف

(1) الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في الموت ونهاية الكون وقيام الساعة وبعث الخلائق وتبديل دوران الأرض، الدكتور /ماهر أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، سيدا - بيروت، الطبعة الأولى، 1428 هـ، 2007م، ص89.

إلى طرف نحو مائة سنة ضوئية أي مليون $\times 100$ ، 100 ميل أما سمكها نحو 20 ألف سنة ضوئية⁽¹⁾.

الدلائل العقدية في الكون

أولاً: الأرض، والقمر والشمس: First: Earth, Moon and Sun

الأرض في اللغة: Earth

جاء في معجم مقاييس اللغة أن "الهمزة والراء والضاد ثلاثة أصول، أصل يتفرع وتكثر مسائله، وأصلان لا ينفاسان بل كل واحد موضوع حيث وضعته العرب. فأما هذان الأصلان فالأرض الزكمة⁽²⁾، رجل مأروض أي مزكوم، وهو أحدهما، والآخر الرعدة، يقال بفلان أرض أي رعدة. وأما الأصل الأول: فكل شيء يسفل ويقابل السماء، يقال لأعلى الفرس سماء، ولقوائمه أرض⁽³⁾ وفي القاموس المحيط "الأرض، مؤنثة: اسم جنس، أو جمع بلا واحد، ولم يسمع أرضه جمعها أرضات وأروض وأرضون وآراض، والأراضي غير قياسي، وأسفل قوائم الدابة، وكل ما سفل"⁽⁴⁾.

الأرض في العلم الحديث: Earth in modern science

يعرفها الدكتور محمد باسل الطائي بقوله: "الأرض جسم كروي الشكل تقريباً يتفلطح قليلاً عند خط الاستواء يبلغ قطرها حوالي (12756) كيلومتراً... يغطي الماء أربعة أخماس سطحها وتدور حول نفسها دورة كاملة كل أربع وعشرين ساعة تقريباً كما تدور حول الشمس في فلك بيضوي"⁽⁵⁾.

(1) من عجائب الخلق في الكون العظيم، محمد إسماعيل الجاويش، الدار الذهبية، ص 134.

(2) والزكمة بالضم: الثقل الجافي، تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي 321/32.

(3) معجم مقاييس اللغة: 1/ 79 - 81، لسان العرب: 3/ 2107.

(4) القاموس المحيط، 1/ 636.

(5) صيرورة الكون مدارج العلم ومعارج الإيمان، محمد إسماعيل الجاويش، عالم الكتب الحديثة، إربد - الأردن، 2010م، ص 9.

الأرض في الاصطلاح الإسلامي:

يقول الراغب الأصفهاني "الأرض: الجرم المقابل للسماء، وجمعه أرضون، ولا تجيء مجموعة في القرآن، ويعبر بها عن أسفل الشيء، كما يعبر بالسماء عن أعلاه"⁽¹⁾ و"أصل معناها ما سفلى في مقابل معنى السماء الذي هو ما علا على سفلى الأرض"⁽²⁾ وعلى هذا فإن تسمية الأرض بالكوكب تسمية خاطئة؛ لأنه يلزم على هذه التسمية أن تكون الأرض زينة للسماء الدنيا وعلى ذلك فإن "الكواكب في السماء، والأرض في السفلى، ولم يطلق على الكواكب اسم الأرض، ومن لازم هذا الإطلاق أن تكون الأرض زينة للسماء الدنيا، وجعلها رجوماً للشياطين، وهذا باطل"⁽³⁾.

حجم الأرض:

"يبلغ حجم الأرض مليون مليون مليون كيلو متراً مربعاً، بينما تبلغ مساحتها 510 مليون كيلو متراً مربعاً بينما يبلغ وزنها ستة آلاف وستمائة مليون مليون مليون طن"⁽⁴⁾ هذا وقد أثبت العلم الحديث " أن كتلة الأرض تبلغ قرابة ستة ملايين مليار كيلو غرام، ويبلغ قطرها في خط الإستواء 12756 كيلو متراً وكثافتها الوسطية 25, 5 غراماً للسنتي متر المكعب (وحقل ثقالتها)⁽⁵⁾ في الإستواء 78، 9 متراً مربعاً وسرعة تحرر الأجسام من هذا (الحقل الثقالي) 2، 11 مربع الثانية وتدور الأرض حول نفسها 9345، 23 ساعة، وتبلغ مدة دورانها حول الشمس 3،

(1) المفردات في غريب القرآن، 1 / 73.

(2) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، 1 / 45.

(3) معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، الشيخ أبو بكر أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غييب بن محمد (المتوفى: 1429هـ) دار العاصمة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة: الثالثة، 1417هـ - 1996م 1 / 118.

(4) للكون إله قراءة في كتاب الله المنظور، الدكتور / صبري الدمرداش، ص84.

(5) يقصد (الجاذبية الأرضية).

5 36 يوما وتبعد وسطياً عن الشمس 6، 149 مليون كيلو متراً⁽¹⁾ وعلى هذا فإن قطر الأرض لو كان أقل مما هو عليه الآن؛ لاختل النظام الكوني ولم تحتفظ الأرض بما فيها من معادن ومياه وغيرها. "ولو أن الأرض كانت صغيرة كالقمر، أو حتى لو أن قطرها كان ربع قطرها الحالي لعجزت عن احتفاظها بالغلافين الجوي والمائي اللذين يحيطان بها، ولصارت درجة الحرارة فيها بالغة حد الموت"⁽²⁾. هذا وقد خلق الله تعالى الأرض على هذا النظام البديع الذي يدل دلالة قاطعة على وجود مدبر لهذا الكون العظيم فالأرض صالحة لوجود الحياة عليها دون زيادة أو نقصان في حجمها وقطرها وكثافتها.

يقول كريسي موريسون (Cressy Morrison) "والمتفق عليه الآن عموماً، أن الحياة لم توجد قط، ولا يمكن أن توجد، في أي شكل معروف، على أي كوكب سيار غير الكرة الأرضية. لذلك لدينا في البداية الأولى، كوطن للمخلوقات البشرية، كوكب سيار صغير، قد أصبح بعد سلسلة تغيرات في مدى بليون سنة أو أكثر، مكاناً صالحاً لوجود الحياة الحيوانية والنباتية التي توجت بالإنسان⁽³⁾ ومن الملاحظ أنه لا توجد حياة إلا على هذا الكوكب وعلى هذا لا يمكن الفرار من هذا الكوكب إلى كوكب آخر وهذا الكوكب الأرضي لا يأخذ إلا قدرًا ضئيلاً من الظلام الدامس الذي يعم باقي الكواكب الأخرى.

يقول كارل ساجان Carl Sagan "فكوكبنا ليس سوى بقعة من الظلام الكوني الفسيحي المحيط بنا، وفي هذه الظلمة وفي وسط هذا الاتساع لا تبدو أي إشارة خفية أو حتى تلميح إلى أي مساعدة ستأتي من مكان آخر لإنقاذنا من

(1) الموسوعة الكونية الكبرى آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية وفي خلق الأرض وتأمين معاشها، الدكتور / ماهر أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 2010 م، 1428 هـ، ص 41.

(2) الله يتجلى في عصر العلم، 14 / 1.

(3) العلم يدعو للإيمان، كريسي موريسون ص 21.

أنفسنا"⁽¹⁾ "إن كوكب الأرض هو العالم الوحيد المعروف حتى الآن كماوى للحياة، ولا يوجد أي مكان آخر عليه أن يهاجر إليه نوعنا في المستقبل القريب وعلى أي حال فكوكب الأرض سواء رضىنا أم لم نرض هو مقامنا"⁽²⁾.
ورود الأرض بصيغة المفرد دائما والحكمة منه:

لقد جاء التعبير القرآني للفظ الأرض بصيغة الإفراد في قول الله تعالى:
﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾⁽³⁾ للدلالة على أن هناك أرضين متعددة ولكن الناس لا يرونها وقد جاءت الصيغ القرآنية للفظ الأرض مفردة؛ ليكون مناسباً لعقول البشر: وقد "وردت الأرض في جميع الآيات بصيغة المفرد دائماً لحكمة منه تعالى في التنزيل مع أنه خلق أرضين متعددة، وذلك أن الناس لا يرون سوى الأرض التي يعيشون عليها. فلو وردت بصيغة الجمع يكون المقصود منها جميع الأرضين لتولى الناس الدهشة ولوجدوا تعارضاً بين ما يشاهدونه من أرض واحدة وما يذكره تعالى من أرضين كثيرة لذلك أنزلت بصيغة المفرد دائماً ليكون لظاهرها معنى مناسب لعقول عامة الناس"⁽⁴⁾.

كروية الأرض ودلالاتها على فلسفة نعمة الخفاء : Spherical Earth

إن من يبحث عن هذه الحقيقة وهي أن الأرض كروية الشكل يجد أن العلم الحديث قد أثبت أن آيات تولد الليل والنهار في فصل التسخير بالحركة بالباب الأول أن الأرض في أثناء سبجها في فلكها حول الشمس وفي أثناء إتمام خلقها، جعلت، ذات سطح منحنى مفلطحة عند الجانبين، وتلف حول محورها الأصلي أمام الشمس،

(1) كوكب الأرض نقطة زرقاء باهتة - رؤية المستقبل الإنسان في الفضاء، كارل ساجان، ترجمة شهرت العالم، مراجعة، حسين بيومي، عالم المعرفة، 2000م ص27.

(2) السابق نفسه: ص27.

(3) سورة الفرقان من الآية: 59.

(4) التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن ص132.

وتبين من آيات موجز الخلق في قولها: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾...⁽¹⁾ إن تعاقب الليل والنهار على سطح الأرض حدث بعد تمام خلق الأرض في أربعة أيام أي بعد أن تجمدت طبقتها السطحية بالبرودة وصارت معتمة⁽²⁾.

سبب دوران الأرض حول نفسها: Earth's rotation

نجد أن السبب في دوران الأرض حول نفسها هو "أن كل جرم ساخن يدور حول نفسه ودورته ناتجة عن الحرارة التي في جوفه، وعن الغازات التي تنبعث منه والأرض وإن وجدنا وجهها باردًا ولكن جوفها لا يزال ملتهبًا فدوران الأرض ناتج عن حرارة جوفها وحركة أجزائها الباطنية وكذلك باقي السيارات، وإن الأرض سوف تقف دورتها إذا انتهت تلك الحرارة"⁽³⁾ ومن الملاحظ "أن الأرض تدور حول نفسها مرة كل أربعة وعشرين ساعة تقريبًا أي أن سرعتها حول نفسها تبلغ حوالي 1647 كيلومترًا في الساعة كما تدور حول الشمس في فلك بيضوي بسرعة هائلة تبلغ أكثر من مائة ألف كيلو متر في الساعة فهي تطوف بمن عليها كأنها طائرة سريعة جدًا دون أن نشعر بها"⁽⁴⁾.

ثانيًا: السماء في اللغة: The sky is in language

تأتي بمعانٍ متعددة فهي مأخوذة من السمو، والسحاب والمطر... إلخ. يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي "والسما: سقف كل شيء، وكل بيت. والسماء: المطر الجائد، يقال أصابتهم سماء، وثلاث أسمية، والجميع: سمي. والسموات السبع:

(1) سورة الأعراف من الآية: 55.

(2) التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن ص 331.

(3) الكون والقرآن يبحثان في علم الفلك، محمد علي حسن الجيلي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط 1. ص 64..

(4) خلق الكون بين العلم والإيمان، محمد باسل الطائي ص 33.

أطباق الأرضين. والجميع: السماء والسموات. والسماوي: نسبة إلى السماوة⁽¹⁾. ويقول الزبيدي: "والسماء: معروفة، وهي التي تظل الأرض"⁽²⁾ وفي الاصطلاح: منطقة فضائية مرئية من الأرض، تبدو كالقبة عليها، تحتوي على الغلاف الجوي"⁽³⁾.

السماء في العلم الحديث: Heaven in modern science

والسماء قد وصفها الله تعالى في القرآن الكريم بأوصاف كثيرة منها أنها (ذات الرجع) حيث ذكر القرآن الكريم هذا الوصف في قول الله ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الرَّجْعِ﴾⁽⁴⁾ وجاء معنى الرجع في الآية "أي ذات المطر الذي ينزل من السحاب، وسمى المطر رجعا؛ لأنه خرج من الأرض، وإليها يرجع..⁽⁵⁾" وكلما تقدم العلم اكتشفت حقائق جديدة تدعم هذا الوصف الموجز المعجز، فالقمر يسير في مدار حول الأرض، يذهب، ثم يرجع إلى مكانه الأول، والشمس تجري لمستقر لها في مدار حول نجم آخر، وتعود إلى مكانها السابق، والمذنبات أيضا، فمذنب هالي مثلا زار الأرض في عام (1910) بالضبط، وعاد إلينا في عام (1986)، تستغرق دورته ستة وسبعين عاما، فالأرض تدور وترجع، والقمر يدور، ويرجع، والشمس تدور وترجع، والمذنبات تدور وترجع، وكل ما في السماء يدور في فلك بيضوي أو إهليلجي ويرجع، إذا ربنا (ﷻ) حينما وصف السماء بكلمة واحدة قال: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الرَّجْعِ﴾⁽⁶⁾ وهذا وصف خالقها الحق، فتبارك الله أحسن الخالقين⁽⁷⁾.

(1) كتاب العين، 7 / 319.

(2) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، 38 / 301.

(3) الموسوعة العربية العالمية: 13 / 90، والموسوعة العربية الميسرة إشراف محمد شفيق غربال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مصورة عن طبعة 1965م، 2 / 1010.

(4) سورة الطارق آية: 11.

(5) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب 16 / 1524.

(6) سورة الطارق آية: 11.

(7) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، دار المكتبي - سورية - دمشق - الحلبوني - جادة ابن سينا، الطبعة: الثانية 1426هـ - 2005 م. 1 / 2.

التطلع بالفطرة إلى السماء :

من المعلوم لدى الدارسين أن الإنسان قد جاء خلقه بعد خلق الأرض والسماء بفترة طويلة من الزمن، ومن ثم فهو خليفة فيها كما ذكر القرآن الكريم، وعلى هذا فإنه دائماً يتطلع إلى السماء ليرى عظمة الباري جل وعلا، وهذا التطلع يُعد عاملاً من عوامل الفطرة داخل الإنسان؛ لأنه لا يوجد إنسان سواء أكان صغيراً أم كبيراً إلا ويتطلع إلى الآفاق ليرى العظمة الإلهية في خلق هذا الكون العريق.

يقول العلم الحديث: "جاء الإنسان من طين الأرض بعد بلايين السنين التي تم فيها بناء الإنسان وإعداد كوكب الأرض لاستقباله وكما نعلم أن الإنسان خليفة الله في الأرض فهو خليفة يجمع بين المادة والروح أي يتكون من جسم مادي ومشود ومرتبطة بالأرض بالإضافة إلى جسم نوراني أي روح شفاف تتطلع به فطرياً إلى السماء ولهذا يتجه بنو آدم دائماً بأبصارهم إلى السماء فالطفل وهو لم يدرك ما حوله بعدُ نجده إذا سأل الله.. نظر إلى السماء وإذا دعا رفع ذراعيه إلى السماء ويظل هذا حاله حتى تصعد روحه إلى الرفيق الأعلى وما ذلك إلا؛ لأن السماء هي العلو وهي السمو وأن الله (ﷻ) هو الأعلى ورغم اعترافنا كمسلمين بهذه الحقيقة فإن علينا أن ندرك وجود الله في الأرض والسماء"⁽¹⁾ ومن هنا فإن السماء على الرغم من اتساعها وكذا ارتفاعها تقوم على أعمدة خفية دون أن يراها أحد من البشر وهي أعمدة الجاذبية الأرضية والتي تعد معجزة من معجزات الكون العظيم، ومن مخلوقات الله العظيمة السموات السبع الطباق، وكل طبقة من هذه الطبقات قد حددها الحق (ﷻ) بميزان محسوس وكل ذلك إن دل فإنما يدل على وجوده تعالى.

يقول العلم الحديث: "وهي سبع طبقات بعضها من ياقوتة حمراء والأخرى من درة بيضاء والأخرى من زبرجدة خضراء وهلمَّ جرَّ"⁽²⁾.

(1) سلسلة الكون المنظور، آيات ودلالات، منصور حسب النبي، العروج إلى السماء ص12.

(2) من عجائب الخلق في الكون العظيم، محمد إسماعيل الجاويش ص11.

الأجرام السماوية العظيمة

إن الناظر في السماء يجد أنها مليئة بالنجوم والكواكب السيارة، وهذه النجوم دليل على أن هناك إله أوجدها وسخرها للإنسان قال تعالى: ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾⁽¹⁾

ما حقيقة النجوم؟

النجوم في اللغة: جاء في معجم مقاييس اللغة أن (نجم) النون والجيم والميم أصل صحيح يدل على طلوع وظهور. ونجم النجم: طلع. ونجم السن والقرن: طلعا⁽²⁾. وجاء أصل هذه الكلمة عند الراغب الأصفهاني بمعنى "الكوكب الطالع، وجمعه نجوم، ونجم: طلع، نجومًا ونجمًا، فصار النجم مرة اسمًا، ومرة مصدرًا، فالنجوم مرة اسمًا كالقلوب والجيوب، ومرة مصدرًا كالطلوع والغروب"⁽³⁾.
والنجوم في العلم الحديث هي أجسام كروية عملاقة من الغاز ومن الهيدروجين بشكل أساسي⁽⁴⁾.

حكمة الله تعالى في خلق النجوم وكثرتها

وتظهر الحكمة في هذه النجوم أن الله تعالى قد أقسم بها في أكثر من موضع في القرآن الكريم لذلك يقول الحق: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ۖ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّلْمُونَ عَظِيمٌ﴾⁽⁵⁾ وإنما خص القسم بهذه الحال، لما في غروبها من زوال

(1) سورة النحل من الآية: 12.

(2) معجم مقاييس اللغة، مادة نجم، 5/ 395، 396.

(3) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، 1 / 791.

(4) النجوم من ولادتها حتى تصبح ثقوبًا سوداء، آلان داير، ترجمة جمال عبد الرحيم، الرياض - الطبعة الأولى 1435هـ، 2014م ص7.

(5) سورة الواقعة الأيتان: 75، 76.

أثرها، والدلالة على وجود مؤثر دائم، ومن ثم استدل إبراهيم بالأقول على وجود الإله جلت قدرته⁽¹⁾ وتظهر الحكمة في خلق هذا الكوكب العظيم الذي يعد أثرًا من آثار القدرة الإلهية، وما ذلك إلا بتدبير مدبر وصانع حكيم جلت قدرته وتعالى عظمته، والنجوم زينة للسماء الدنيا، ومصدر الاهتداء في ظلمات البر والبحر ومنافع العباد والبلاد كما حكى القرآن حيث قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾⁽²⁾ "وأنها زينة للسماء وأدلة يهتدي بها في طرق البر والبحر وما جعل فيها من الضوء والنور بحيث يمكننا رؤيتها مع البعد المفرط ولولا ذلك لم يحصل لنا الاهتداء والدلالة ومعرفة المواقيت ثم تأمل تسخيرها منقاداً بأمر ربها تبارك وتعالى جارية على سنن واحد اقتضت حكمته وعلمه أن لا تخرج عنه فجعل منها البروج والمنازل والثوابت والسيارة والكبار والصغار والمتوسط والأبيض الأزهر والأبيض الأحمر ومنها ما يخفى على الناظر فلا يدركه"⁽³⁾.

إخفاء مواقع النجوم ودلالاتها العقدية

وعن عظم مواقع النجوم نجد أن القرآن الكريم قد ذكر عظمها فقال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾⁽⁴⁾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. مواقع النجوم المذكورة في هذه الآية.

ومواقع النجوم المذكورة في الآية الكريمة لها عدة معان هي:
المعنى الأول: أن بين النجوم مسافات يستحيل على العقل تصورها، فبين

(1) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371 هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م، (27 / 150).

(2) سورة الأنعام من الآية: 97.

(3) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة) 1 / 210.

(4) سورة الواقعة الأيتان: 75، 76.

الأرض وبعض المجرات على سبيل المثال عشرون ألف مليون سنة ضوئية، فإذا علمنا أن الضوء يسير في الثانية الواحدة ثلاث مئة ألف كيلو متر، فكم يسير في الدقيقة؟ هذا العدد الكبير ثلاث مئة ألف مضروب في ستين، فكم يسير في الساعة إذا؟ وكما يسير في اليوم؟ وكما يسير في الشهر؟ وكما يسير في السنة؟ ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّتَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿١﴾، بين الأرض والقمر ثانية ضوئية واحدة ونيف، أي ثلاث مئة وستون ألف كيلو متر، وبين الأرض والشمس ثمانى دقائق، أي مائة وستة وخمسون مليون كيلو متر، والمجموعة الشمسية طولها ثلاث عشرة ساعة، ودرب التبانة طوله مائة وخمسون ألف سنة ضوئية، ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّتَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٢﴾.

المعنى الثاني: أن هذه النجوم ليس لها موقع واحد، بل لها مواقع، إذا فهي نجوم متحركة، وكل شيء يسبح في فلك خاص به، ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٣). إن كلمة (بمواقع) في هذه الآية هي سر إعجازها، فالموقع لا يعني أن صاحب الموقع موجود فيه، فالله (جَلَّالَهُ) لم يقسم بالمسافات التي بين النجوم، ولكنه أقسم بالمسافات التي بين مواقع النجوم، ذلك لأن النجوم متحركة، وليست ثابتة، ولو قرأ عالم الفلك هذه الآية لخر ساجدا لله (عَزَّ وَجَلَّ) تدور الأرض حول الشمس في ثلاثمئة وخمسة وستين يوما، غير أن نجما آخر في المجموعة الشمسية يدور حول الشمس في سنتين أو ثلاث أرضية، وبعضها في أقل من سنة، فكل نجم له مواقعه الخاصة، وله مدار طويل أو قصير، وشكل مداره دائري، أو إهليلجي، ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ (٤)،

(1) سورة الواقعة الأيتان: 75، 76.

(2) سورة الواقعة الأيتان: 75، 76.

(3) سورة يس الآية: 40.

(4) سورة الواقعة الآية: 75.

فكل نجم له موقع في كل ثانية، وأدق ساعات العالم تضبط على بعض النجوم، قد يجد صانعوها أنها تأخرت، أو تقدمت في العام ثانية واحدة، فما الذي يضبطها؟ يضبطها مرور نجم لا يتقدم ولا يتأخر عن مواعده الدقيق، فهذه المواقع وفق نظام عجيب، ففي كل ثانية يكون للنجم موقع جديد، حتى إن المذنب هالي يقطع مساره في ستة وسبعين عاما، وقد رآه الناس في عام (1910)، ورأيناه في عام (1986)، وكان قد رئي قبل الميلاد بألفي عام، لم يتقدم ولم يتأخر، ويكون على بعد ثلاثة ملايين كيلو متر من الأرض، هذا هو المعنى الثاني لمواقع النجوم.

المعنى الثالث: بين النجوم تجاذب، فالكتلة الأكبر تجذب الكتلة الأصغر، وثمة عامل آخر هو مربع المسافة بينهما، فلو أن مواقع النجوم تغيرت لاختل توازن الكون، ولارتطمت النجوم بعضها ببعض، وأصبح الكون كتلة واحدة، هذه المواقع مدروسة بعناية فائقة، حيث يكون محصلها دوراناً واستقراراً.

فالمعنى الأول المسافات الشاسعة، والمعنى الثاني حركي، وهو تنقل النجم من موقع إلى آخر، والمعنى الثالث أن هذه الكتل بعضها كبير، وبعضها صغير، بعضها قريب، وبعضها بعيد، وقد وضعت هذه النجوم المتفاوتة في الأحجام، والمتفاوتة في الأبعاد في أماكن دقيقة، حيث لو تجاذبت لكان محصلة هذا كله ذلك النظام البديع الذي نراه بأعيننا⁽¹⁾.

أعداد النجوم في السماوات

ومن يتأمل في الكون يجد أن هناك محاولات لرصد أعداد النجوم قام بها بعض علماء الفلك والجغرافيا ومنهم الدكتور / عبد العزيز طريح شرف حيث قال "تعتبر النجوم بصفة عامة من الأجرام السماوية الكبيرة؛ ولكنها تتباين فيما بينها

(1) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، 2 / 14، 15، للكون إله، صبري الدمرداش ص186.

تباينًا سواء في أحجامها أو في طاقاتها الإشعاعية؛ فبينما لا يكاد حجم بعضها يزيد كثيرًا عن حجم الكواكب الكبيرة فإن بعضها عظيم الضخامة. وعلى الرغم من أنها جميعًا مكونة من مواد ملتهبة وتتبعث منها طاقة إشعاعية كبيرة إلا أن هذه الطاقة تختلف اختلافًا كبيرًا من نجم إلى آخر. وتتوقف درجة لمعانها في السماء بصفة خاصة على طاقتها؛ ولكنها تتأثر كذلك بدرجة بعدها عنا. وأكثر النجوم لمعانًا في السماء هو النجم المسمى "الشعرى اليمانية Sirius" وهو نجم متلألئ يبعد عنا بنحو 6508 سنة ضوئية، وتقدر طاقته الإشعاعية بما يعادل الطاقة الإشعاعية للشمس حوالي 26 مرة. ولا يعرف حتى الآن عدد نجوم السماء كلها، أو حتى عدد نجوم مجرتنا وحدها إلا أن الفلكيين يقدرون عدد نجوم هذه المجرة بنحو 300 مليون نجم⁽¹⁾ ومن هنا فإن السماء مليئة بالنجوم الكثيرة التي تدل على عظمة الخالق جلا وعلا ولذلك فإن القرآن الكريم يوجهنا دائمًا وأبدًا ويحثنا على النظر والتأمل في خلق السموات وما فيها وعلى ذلك فإن السماء قد وصفها الله تعالى بالسعة فقال: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾⁽²⁾ "لذلك نجد أن لفظ البناء يأتي في القرآن الكريم لوصف السماء بينما يأتي لفظ البنيان متعلقًا بما يبني الإنسان على الأرض"⁽³⁾ وإذا كانت السماء متسعة البنيان كما قصَّ القرآن الكريم فهناك ملايين النجوم بل يصل العدد إلى مليارات كما أثبت ذلك علماء الفلك.

يقول الدكتور محمد راتب النابلسي: "كان علماء الفلك فيما مضى يعدون النجوم بالألوف، وبعد حقبة من الزمن أصبحوا يعدونها بالملايين، وقبل سنوات عدة أصبح العلماء يعدونها بالمليارات، وفي تقدير مبدئي لعدد نجوم مجرتنا، وهي مجرة متوسطة، درب التبانة، عد العلماء فيها ثلاثين مليون نجم، والمجموعة

(1) المقدمات في الجغرافيا الطبيعية، دكتور عبد العزيز طريح شرف، مركز الأسكندرية للكتاب ص2.

(2) سورة الذاريات آية: 47.

(3) للكون إله، د / صيري الدمرداش، ص288.

الشمسية إحدى نجومها، وفي مجرة أخرى بدأ العلماء يصلون في عدهم لهذه النجوم إلى رقم خيالي، مليون مليون نجم، فالتقدير الحديث أنه تم اكتشاف مليون مليون مجرة، وفي كل مجرة رقم تقديري قد يصل إلى مليون مليون نجم، ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِأَيُّدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾⁽¹⁾ وصار العدد الأخير مليون مليون، فما أعظم ما في السماء⁽²⁾.

ولقد أكد العلماء بأن المجموعة الشمسية بما فيها تدور وهذا الدوران في حد ذاته يعد دليلاً على وجود القوة الخفية التي تحرك ولا تتحرك وعلى هذا ولا يسع المتأمل في عظمة صنع الله وما خلق من تلك الأجرام السماوية العظيمة، ومواقعها السحيقة إلا أن يردد بخشوع عميق قوله تعالى: ﴿فَلَا أَفْهَمُ مَوْقِعَ الْجُجُوبِ وَإِنَّهُ لَقَسْرٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾^(٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾⁽³⁾.

إن من نعم الله تعالى على الإنسان أن جعل له الكون العظيم بما فيه من نجوم وكواكب وشموس وأقمار وغيرها كل ذلك لخدمة الإنسان وحماية له من التلف والإصابة بالأمراض الفتاكة التي أخفاها الله تعالى عنه وما ذاك إلا رحمة منه ولطفًا بهذا المخلوق الضعيف، ونلاحظ أيضًا أن الكون وما فيه يسير بنظام معين وبحدود لا ينبغي لكوكب ولا نجم أن يدرك الكوكب الآخر ومن ثم فالكل كما قال القرآن: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁽⁴⁾ وإذا كان الأمر كذلك فإنني أتناول في المبحث القادم نعمة الله تعالى المتمثلة في إخفاء سير الكواكب وعدم توقف

(1) سورة الذاريات آية: 47.

(2) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، 2/ 15.

(3) سورة الواقعة الأيتان: 75 - 80.

(4) سورة يس آية: 40.

أي كوكب من كواكب المجموعة الشمسية عن محوره وعن مجراه المحدد له؛ لأنه في هذه الحالة يحدث انقلاباً عظيماً لكوكبنا الأرضي الذي نعيش عليه ويختل النظام الإلهي الذي خلقه الله تعالى وسخره للإنسان وصدق الحق حيث قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (1) إذا الكون وما فيه مسخر لخدمة الإنسان فعلى الإنسان أن يشكر المنعم على هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى.

(1) سورة الجاثية الآية: 13.

المبحث الثاني

نعمة إخفاء بُعد الأجرام السماوية عن الأرض

وأثر ذلك في المعتقد الإسلامي

بُعد الأرض وأثر ذلك في سلوك الإنسان ومعتقده

من المعلوم لدى الدارسين أن الأرض التي نعيش عليها قد وصفها الخالق (ﷻ) بعدة أوصاف تحمل في طياتها مظاهر القدرة الإلهية في الاختراع والإبداع، وهذا ما حكاه القرآن الكريم في أكثر من آية فقد وصفها الله تعالى بالفراس⁽¹⁾ في قول الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾⁽²⁾ ووصفها أيضًا بالمهاد⁽³⁾ في قوله الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾⁽⁴⁾ ووصفها بالبساط⁽⁵⁾ في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾⁽⁶⁾ ومن خلال الآيات السابقة نرى نعم الله التي لا تعد ولا تحصى التي أسبغها على الإنسان ظاهرة وباطنة؛ ليشكر المنعم الذي بيده الإنعام والعطاء، ومن ينظر إلى الكون يجد فيه ما يسمى بالتلاؤم⁽⁷⁾ بين كل كوكب من كواكب الكون العظيمة وهذا التلاؤم عليه يدور الكون العريق وعليه مداره.

(1) يقول الراغب عن معنى فراشا " أي ذلها ولم يجعلها نائمة لا يمكن الاستقرار عليها، يراجع:

المفردات في غريب القرآن، للراغب، 1/ 629.

(2) سورة البقرة من الآية: 22.

(3) المهاد أجمع من المهد كالأرض جعلها الله مهادا للعباد، يراجع: لسان العرب، فصل الميم، 3/ 410.

(4) سورة طه من الآية: 53.

(5) البساط: الأرض المتسعة وبسيط الأرض: مبسوطه، واستعار قوم البسط لكل شيء لا يتصور فيه تركيب وتأليف ونظم، يراجع: المفردات في غريب القرآن، للراغب، 1/ 123 .

(6) سورة نوح آية: 19.

(7) تلائم القوم اجتمعوا واتفقوا والشينان اجتماعا واتصلا والكلام اتسق وانتظم (تلائم) التأم وفلان لأتمته ليسها، يراجع: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، باب اللام، 2/ 810، ومعجم اللغة العربية المعاصر، مادة (ل أ م) 3/ .

قضية التلاؤم بين الأرض والشمس والقمر

إن مما يسلم به العقل السليم أنه يوجد في هذا الكون قوة خفية لا تراها العيون بل يدرك الإنسان بمدركاته المعروفة آثار هذه القوة وعللها ومن ثم فهذا الكون بما فيه وما فيه إنما هو أثر من آثار رحمة الله تعالى التي سيرها وسخرها للإنسان، وقد أخفى الله تعالى قوانين تنظيم الكون عن الإنسان، وكل ذلك ليتدبر ويتأمل، وفي النهاية يصل إلى وجود المدبر الذي يدبر الأمور بأسرها. ومن هنا فإننا لو تأملنا بعقولنا قول الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ...﴾ (1)

يقول بن عاشور: "وتخصيص تسخير الشمس والقمر بالذكر من بين مظاهر خلق السماوات والأرض لما في حركتهما من دلالة على عظيم القدرة، مع ما في ذلك من المنة على الناس إذ ناط بحركتهما أوقات الليل والنهار وضبط الشهور والفصول" (2) ومن هنا فإن من عظيم قدرة الله تعالى أن جعل الشمس والقمر يسيران بانتظام وإتقان، فلو لم يكن هذا النظام وهذا الاتقان لاختل نظام العالم ولصار العالم أجمع إلى بوار "ولقد جعل الله الأرض في موقعٍ يبعدُ بُعدًا مناسبًا عن الشمس فلو اقتربت الأرض من الشمس قليلاً لاحتترقت الأحياء التي تعيش عليها، ولو ابتعدت عنها قليلاً لتجمدت هذه الأحياء وماتت، فبعد الأرض عن الشمس هو البعد الملائم للحياة، وكذلك لو كانت الأرض أقرب أو أبعد مما هي عليه عن القمر لحدثت كوارث على الأرض لطغيان مياه المحيطات على اليابسة بسبب تزايد المد والجزر (3) فبعد الأرض عن القمر هو أيضاً البعد الملائم لازدهار

(1) سورة العنكبوت من الآية: 61 .

(2) التحرير والتنوير، بن عاشور، 21 / 26.

(3) هما حركتا ارتفاع وانخفاض ماء البحر أمام معظم سواحل البحار والمحيطات بتتابع يومي منتظم يتكرر فيه كل منها مرتين. ولكن على الرغم من أن الفترات التي تفصل بين المد والجزر الذي يليه، أو بين المدين أو الجزرين اللذين يحدثان خلال اليوم الواحد تكون واحدة تقريباً من يوم إلى آخر؛ فإن أوقات حدوثها تتأخر يومياً بمعدل 52 دقيقة خلال الشهر العربي، وهي نفس المدة التي

الحياة"⁽¹⁾ ومن هنا فإن النظام الإلهي في الكون يسير وفق مطلق الإرادة الإلهية التي بيدها كل شيء ولا يخفى عليها من أمور الكون شيء مهما عظم، أو قلّ أو أكثر. وعلى هذا فإن الكون بما فيه المجموعة الشمسية يسير بنظام وكل ذلك بعيد عن تخيلات البشر ومداركهم.

يقول بن عاشور: "فالكرة العظيمة كالشمس تبدو مقاربة لكرة القمر في المرأى وإنما ذلك من تباعد الأبعاد فأبعاد فلك الشمس تفوت أبعاد فلك القمر بمئات الملايين من الأميال، حتى يلوح لنا حجم الشمس مقارباً لحجم القمر. فبين الله أنه نظم سير الشمس والقمر على نظام يستحيل معه اتصال إحدى الكرتين بالأخرى لشدة الأبعاد بين مداريهما"⁽²⁾.

معقولية زمن دوران الأرض حول نفسها وإخفاء ذلك عن مدارك البشر

من المعلوم لدى الدارسين أن الأرض تدور حول نفسها وهذا ما أثبتته العلم الحديث ففي كتاب (للكون إله) يذكر صاحبه "أن الأرض تدور حول نفسها كل 24 ساعة مرة وتدور معها نحن بسرعة تصل نحو (1000) ميل ساعة إذا كنا عند خط الإستواء، ولكن ماذا لو أكملت الأرض دورانها حول نفسها في مدة أطول أو في مدة أقصر؟ في كل ذلك هلاك، فلو أطال زمن الدوران ل طال نهارنا وطال ليلنا ولهلكنا جميعاً من حرٍ وبردٍ، ولو قلّ زمن الدوران لقصر نهارنا وقصر ليلنا ولاختل ميزان الحياة، علاوة على أن هذا الإسراع في الدوران يؤدي إلى تفكك الأرض ذاتها وتناثر أجزائها وكل ما عليها ومن عليها"⁽³⁾ ومن هنا فإن إخفاء تلك

يتأخر بها ظهور القمر كل ليلة منذ مولده في أول الشهر حتى إختفائه في آخره، يراجع: المقدمات في الجغرافيا الطبيعية، دكتور عبد العزيز طريح شرف، مركز الأسكندرية للكتاب، 1 / 220.
(1) الإعجاز القرآني، محمد عادل القليلي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ، 1997م، ص40.

(2) التحرير والتنوير، بن عاشور، 23 / 23.

(3) للكون إله، د / صيري الدمرداش، 72/.

الأمر عن مدارك البشر دليل على وجود الخالق الذي بيده كل شيء فلو اختل النظام قدر أنملة لمات كل من عليها وإذا اهتزت الأرض فلا يملك سكان الأرض أن يوقفوا هذا الاهتزاز لحظة واحدة إذ أن منشأ الاهتزاز هو القدرة الإلهية.

الأرض مسطحة

وعن تسطّيح الأرض وخفاؤه عن مدارك البشر يقول القرآن الكريم: ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِّحَتْ﴾⁽¹⁾ وسطحت بمعنى "بسطت ومدّت ومهدّت، ليستقر عليها ساكنوها، وينتفعوا بما فيها من خيرات ومعادن دفيئة، وما تخرجه من نباتات وزروع وأشجار متنوعة، بها قوام الحياة والمعيشة"⁽²⁾.

إخفاء تسطّيح الأرض عن أعين الناظرين والآثار المترتبة على ذلك

إذا كانت الأرض مسطحة فإن هذا التسطّيح لا يمكن من خلاله رؤية الأرض مستديرة؛ لأنها لو كانت مستديرة في أعين الناظرين لترتب على ذلك عدة أمور ذكرها بشير التركي في كتابه (لله العلم) فقال: "تلك آيات الله إنه أحكم حجمها حتى لا تكون صغيرة بالنسبة للإنسان فتصعب الحياة عليها؛ لأنه لو كانت صغيرة: أ. لظهر شكلها المستدير جلياً فتصعب الحركة عليها ويصعب إنشاء البناءات فيها والطرق وغيرها ذلك إذ إن الأشكال الهندسية غير مستقيمة"⁽³⁾.

ب. ولضعفت فيها الجاذبية فيذهب هواؤها في الفضاء، وكذلك ماؤها وينتج فرق كبير جداً من حرارة الليل وحرارة النهار ولا حياة تصبح ممكنة عليها"⁽⁴⁾.

(1) سورة الغاشية آية: 20.

(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د / وهبة الزحيلي، 315/ 30.

(3) لله العلم، بشير التركي، 136/.

(4) سورة الغاشية آية: 20.

2 . ولا تكون كبيرة جدًا؛ لأنها لو كانت كبيرة جدًا:

أ . لأصبح سطحها لا نهاية له نسبيًا.

ب . ولقويت الجاذبية فيها كثيرًا فتتغير المعطيات الطبيعية فيها ويرتفع ضغط الهواء فيها وكذلك حرارته فتصعب الحركة عليها ويستحيل الحياة فيها، فالأرض مستديرة بقطر مناسب وهي آية من آيات الله حتى تبدوا لنا منبسطة فنرتاح فيها " (1)

ومن هنا فإن وجود الأرض على ما هي عليه، إنما هو بتقدير الله تعالى الذي بيده مقاليد الأمور فالأرض لو زاد حجمها على ما هي عليه لم يكن عليها ثبات ولا استقرار وقد أخفى الله تعالى عنا هذه الأمور لنتذكر المنعم الذي أنعم علينا بهذه النعم الباطنة الخفية والتي لا يعقلها إلا العالمون.

الثنائيات وخفاؤها عن مدارك البشر

إن من ينظر في الكون يجد سنن الله في الكون ومن سننه سبحانه في كونه التنوع في الموجودات كلها فلا يمكن أن تكون الأشياء على وتيرة واحدة، ومن ينظر في النوع الإنساني يجد الذكر يقابل الأنثى وكذا الأنواع الأخرى المندرجة تحت أجناسها فمثلاً الحيوان الذي هو جنس للإنسان وغيره من الأنواع المندرجة تحته، وأيضاً الموجودات الأخرى متنوعة الوجود فمثلاً (الليل يقابل النهار، وكذا الأرض تقابل السماء والشمس تقابل القمر والشروق يقابل الغروب... إلخ، وإذا تأملنا معاني الشروق والنور والظهور وجدناها متلازمة متفاوتة حتى لكأنها ذات معنى واحد فإن الشروق يؤدي إلى انتشار النور وانتشار النور يلازمه ظهور الأشياء وقل ذلك عند الغروب والظلام والإخفاء فإن الغروب يتبعه الظلام وبالظلام تختفي الأشياء" (2).

(1) لله العلم، بشير التركي، 136/.

(2) الهندسة الإلهية في سورة الكهف، محمد عادل القلقيلي، دار عمار - عمان - الأردن الطبعة الأولى 1406 هـ 1986 م / 88.

الليل والنهار آيتان من آيات الله الكونية

إن الليل والنهار⁽¹⁾ من آيات الله الدالة على عظمته تعالى ووجوده، ومن ثم فإنهما يتعاقبان، الليل يأتي أولاً ثم يتبعه النهار ثانياً، فمن الذي نظم تعاقبهما وتنوعهما؟ إنها القوة التي لا يخفى عليها من أمر الكون شيء، ومن يتأمل في القرآن الكريم يجد بعضاً من الآيات التي تتحدث عن هذه الظاهرة ففي قول الله تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾⁽²⁾ وقوله: ﴿ذَلِكَ يَاتُكَ اللَّهُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾⁽³⁾ ومعنى يولج أي "يدخل الليل على النهار، فيأخذ منه جزءاً جزءاً فيطول الليل ويقصر النهار، ثم يدخل النهار على الليل فيأخذ منه جزءاً جزءاً، فيطول النهار ويقصر الليل؛ لذلك نراهما لا يتساويان، فمرة يطول الليل في الشتاء مثلاً، ويقصر النهار، ومرة يطول النهار في الصيف، ويقصر الليل. فزيادة أحدهما ونقص الآخر أمر مستمر، وأغيار متداولة بينهما"⁽⁴⁾.

إخفاء اختلاف الليل والنهار عن مدارك البشر

والمقصود باختلاف الليل والنهار أي "تفاوتهما في الطول والقصر فمرة يعتدلان ومرة يزيد أحدهما على الآخر وذلك بحسب أزمنة الفصول وبحسب إمكانية

(1) الليل: اللام والياء واللام كلمة، وهي الليل خلاف النهار، والليل عقيب النهار ومبدؤه من غروب الشمس، والليل ظلام الليل، والنهار الضياء فإذا أفردت أحدهما من الآخر قلت: ليلة يوم. النهار: النون والهاء والراء أصل صحيح يدل على تفتح شيء أو فتحه. ومنه النهار: انفتاح الظلمة عن الضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس "يراجع: معجم مقاييس اللغة: 225 / 5.

(2) سورة آل عمران آية: 27.

(3) سورة الحج آية: 61.

(4) تفسير الشعراوي، 16 / 9906.

الأرض في أطوال البلاد وأعراضها كما هو مقرر في علم الهيئة⁽¹⁾ ويذكر بن كثير الاختلاف بمعنى الطول والقصر فيقول: "فتارة يطول هذا ويقصر هذا، ثم يعتدلان، ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيرًا، ويقصر الذي كان طويلًا وكل ذلك تقدير العزيز الحكيم"⁽²⁾ وقد بين الإمام القرطبي اختلاف الليل والنهار على خمسة أوجه وهي: الأول: أي جعلهما مختلفين، والثاني: اختلافهما نقصان أحدهما وزيادة الآخر. والثالث: اختلافهما في النور والظلمة. والرابع: تكررها يوما بعد ليلة وليلة بعد يوم. والخامس اختلاف ما مضى فيهما من سعادة وشقاء وضلال وهدي⁽³⁾.

من خلال ما سبق نجد أن اختلاف الليل والنهار إنما هو للاعتبار والتذكر لنعم الله تعالى على الإنسان؛ لأن الليل والنهار نعمة ومن أجل النعم على الإنسان أنه تعالى أخفى هذا التداخل عن مدارك الإنسان وذلك ليُسعد الإنسان في معاشه ومعهاده عندما يأخذ من هذا التقلب والتغيير عبرة، كما قال القرآن الكريم في سورة النور ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾⁽⁴⁾.

الآثار العقدية من تقلب الليل والنهار

من الآثار العقدية المترتبة على تقلب الليل والنهار⁽⁵⁾ التفكير في عظمة

(1) التحرير والتنوير، بن عاشور، 2 / 79.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 2 / 184، الأساس في التفسير، سعيد حوى (المتوفى 1409 هـ)، دار السلام - القاهرة، الطبعة: السادسة، 1424 هـ، 2 / 962.

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 4 / 64.

(4) سورة النور آية: 44.

(5) ولقد ذكر تقلب الليل والنهار في السنة النبوية ومن ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: «قال الله تعالى: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسْبُ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي أَمْرٌ أَقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ». أخرجه الإمام البخاري في "صحيحه" كتاب "تفسير القرآن"، باب "وما يهلكنا

الخالق وقدرته الإلهية التي تجمع بين الضدين⁽¹⁾ كالليل والنهار فهما لا يجتمعان ولا يرتفعان فسبحان الله العظيم ﴿الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾⁽²⁾ "إن في هذا لعبرة لمن اعتبر، وعظة لمن تأمل فيه ممن له عقل، فهو واضح الدلالة على أن له مدبراً ومقلّباً لا يشبهه شيء"⁽³⁾.

ومن هنا فإن وجودهما فيه عبرة وعظة لمن تأمل وتدبر هذا الصنع الإلهي الذي يدهش العقول وذلك؛ لأن الليل والنهار من أعظم بدائع الصنعة الإلهية ومن عجائبها؛ لأنهما يترتب عليهما معاش العباد وحياتهم ومن ثم فقد أنعم علينا الحق (ﷻ) نعمتي الليل والنهار وقد جعل الليل للسكن واللباس والراحة والنهار للكد والمعاش، ومن آياته (ﷻ): الليل والنهار، وهما من أعجب آياته وبدائعه فانظر إلى هاتين الآيتين وما تضمنتاه من العبرة والدلالة على ربوبية الله وحكمته: كيف جعل الليل سكناً ولباساً يغشى العالم فتسكن فيه الحركات، وتأوي الحيوانات إلى بيوتها، والطير إلى أوكارها، وتستجم فيه النفوس وتستريح من كد السعي والتعب. حتى إذا أخذت منه النفوس راحتها وسباتها، وتطلعت إلى معاشها وتصرفها، جاء فالق الإصباح (ﷻ) بالنهار يقدم جيشه بشير الصباح، فهزم تلك الظلمة ومزقها كل ممزق، وأزالها وكشفها عن العالم فإذا هم مبصرون، فانتشر الحيوان وتصرف في معاشه ومصالحه وخرجت الطيور من أوكارها. فيا له من معاد ونشأة دالة على قدرة الله سبحانه على المعاد الأكبر، وتكرره ودوام مشاهدة النفوس له بحيث

إلا الدهر" (133/6)(4826)، ومسلم في "صحيحه" كتب "الألفاظ من الأدب وغيرها" باب النهي عن سب الدهر (1762/4)(2246) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه

(1) الضدان: صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضع واحد، يستحيل اجتماعهما، كالسواد والبياض، والفرق بين الضدين والنقيضين: أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان كالعدم والوجود، والضدان لا يجتمعان ولكن يرتفعان، كالسواد والبياض. يراجع: التعريفات، للجرجاني، 137، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، 1 / 164.

(2) سورة الفرقان من الآية: 62.

(3) تفسير المراغي: 117/18.

صار عادة ومألفا منعها عن الاعتبار به والاستدلال على النشأة الثانية وإحياء الخلق بعد موتهم ولا ضعف في قدرة القادر التام القدرة، ولا قصور في حكمته ولا في علمه يوجب تخلف ذلك⁽¹⁾.

- من الآثار العقدية المترتبة على تقلب الليل والنهار (إثبات قضية البعث الأخرى)⁽²⁾، لذلك فإن الليل جعل لراحة الإنسان ونومه وهذا النوم كما قال بعض العلماء أنه أخو الموت، وبالنهار تتجدد الطاقة الإنسانية للكائن الحي فينشط خلالها ويعمل⁽³⁾ وهاتان الحالتان إنما يشبهان (الموت والبعث)⁽⁴⁾.

"وكانه بهذا يضم الكائنات الحية تحت جناحه، لتأخذ حظها من الراحة، والهدوء، بعد سعيها، وتعبها خلال النهار.. فهي تحت هذا الجناح لا تملك إلا أن تستسلم للدعة والسكون، حتى يتجدد نشاطها، ويتجمع ما ذهب من قوتها، لتستقبل صبحها الجديد بالعمل الجاد والسعى المتصل.. فهذا نظام تقرضه الطبيعة، ومن مصلحة الكائن الحي أن يأخذ به ويلتزمه"⁽⁵⁾. فالنوم واليقظة من الآيات الدالة على قدرته تعالى وعظمته، وكما أنهما دليلان على الوجدانية فهما أيضًا دليلان على البعث، والنشور. ويشير إلى هذا المعنى الإمام الشوكاني بقوله: "من آياته العظيمة

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، بن القيم، 2 / 578، 579.

(2) البعث هو الرجوع إلى الوجود بعد الفناء، أو رجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد التفرق وإلى الحياة بعد الموت والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة. "تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام، لفخر الدين والملة - الشيخ عبد القادر السنندجي الكردستاني، وحواشي متفرقة لبعض الأفاضل للمحقق، السيد الشريف الجرجاني، المكتبة الأزهرية للتراث - بدون ط، ولا سنة نشر: 2 / 241.

(3) يقول ابن عطية "ذكر تعالى النوم بالليل والنهار وعرف النوم إنما هو بالليل وحده، ثم ذكر الابتغاء من فضله كأنه فيهما، وإنما معنى ذلك أنه عم بالليل والنهار فسمى الزمان، وقصد من ذلك تعديد آية النوم، وتعدد آية ابتغاء الفضل، فإنهما آيتان تكونان في ليل ونهار، والعرف يجيز كل واحدة من النعمتين، أي محلها من الأغلب، يراجع: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: 333 / 4.

(4) البعث: هو إحياء الله الموتى، وإخراجهم من قبورهم، وقد اتفق المحققون من الفلاسفة وجميع الملليين (اليهود والنصارى والمسلمين) على أن البعث حق واقع لامحالة، ولكنهم اختلفوا في كيفية المعاد.

(5) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب: 35/10.

أنكم تتامون بالليل وتتامون في بعض الأحوال للاستراحة كوقت القيلولة، وابتغواكم من فضله فيهما، فإن كل واحد منهما يقع فيه ذلك، وإن كان ابتغاء الفضل في النهار: أكثر، والأول: هو المناسب لسائر الآيات الواردة في هذا المعنى، والآخر: هو المناسب للنظم القرآني هاهنا، ووجه ذكر النوم، والابتغاء هاهنا، وجعلهما من جملة الأدلة على البعث⁽¹⁾ كما لا يستغني أي كائن عن النوم؛ لأنه لا يأتي إلا إذا كان فيه ليل وهذا الليل نعمة من الله تعالى "إنه من أهم ما أنعم الله به على الكائن الحي النوم وهو في الواقع دليل لا يقاربه شك في وجود الله فالنوم عملية تتم دون أن يكون للإنسان دخل بها، فهو في وقت معين تبدأ قواه في التناقض وتعتريه حالة من الاستعداد للنوم؛ ثم لا بد بعد ذلك أن ينام، وأهمية النوم يمكن إدراكها بالتجارب التي أجريت على الحيوان، واتضح منها أن النوم أهم للحياة من الطعام والشراب. وقد قرّر علماء الروس أن التجارب التي أجريت على صغار الكلاب أثبتت أنها لم تستطع الحياة لأكثر من خمسة أيام بلا نوم، بينما عاشت مثيلاتها التي نامت عشرين يومًا بلا أكل، ولم يمكن للعلماء أن يقرروا ماذا يتم في الجسد أثناء النوم أكثر من النائم يتخلص من إجهاده الجسدي وإرهاقه الفكري، إن استرخاء عضلات الإنسان بنومه، تساعد على تنشيط وتنظيم الدورة الدموية، التي تطرد من الجسم ما قد يكون الإجهاد من مواد ضارة"⁽²⁾ وعلى هذا فإن هذه الصورة من النوم إنما تشير إلى الموت الأصغر "أن النوم ظاهرة غير ظاهرة الراحة والسكون.. فقد يستريح الإنسان ويسكن، ولكن وجوده كلّ حركة عن طريق العقل، الذي لا يكفّ عن العمل والتفكير، إلا بالنوم المستغرق، الذي يسكن فيه العقل، كما تسكن الجوارح. فالسبات، هو السكون التام.. الذي يمثل صورة مصغرة

(1) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414هـ: 2 / 142 .

(2) الله والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل: ص142 وما بعدها.

للموت⁽¹⁾ ومن هنا فإن الليل والنهار من آيات الله تعالى الدالة على وجوده ووحدانيته⁽²⁾.

مقادير الليل والنهار وإخفاء ذلك عن البشر

إن الليل والنهار مقدران بقدر الله تعالى لهما والتقدير "هو الحكم على قيمة الشيء لا على وجوده. والمقصود بالحكم على قيمة الشيء بيان مبلغه من الكمال بالقياس إلى غاية معينة كالحق، والخير، والجمال، والمنفعة... إلخ⁽³⁾.

أما عن التقدير الإلهي لظاهرتي الليل والنهار نجد أن الله تعالى قدرهما على هذا الحال وهذا المقدار، لا يزيدها ولا ينقصها؛ لأن في زيادتهما عن معدلها أو نقصانها عن معدلها المقدر لهما من قبل الإرادة الإلهية فيه هلاك العالم أجمع. ومن هنا "قالليل والنهار كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق فصار بينهما كل واحد إذا امتد خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك أُرئيت لو كان النهار مقدراً مائة ساعة أو مائتين ألم يكن في ذلك بوار ما على الأرض من حيوان أو نبات، أما الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقر طول هذه المدة من العمل ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار، ولا الإنسان كان يفتر على العمل والحركة فكان ذلك ينهكها أجمع ويؤدي بها إلى التلف، وأما النبات فكان يدوم عليه حر النهار ووهج الشمس حتى يحترق ويجف، وكذلك الليل لو امتد مقدار هذه المدة

(1) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، 35/ 10.

(2) فالوحدانية ثابتة له تعالى في الذات والصفات والأفعال، أما ما يتعلق بالذات فالمولى منفي عنه الكم المتصل، وهو تركيب ذاته تعالى من أجزاء، ومنفي عنه الكم المنفصل، وهو أن تكون ثمة ذات مماثلة لذاته تعالى، أما ما يتعلق بالصفات فصفاته تعالى منفي عنها الكم المتصل، وهو تعدد كل صفة من صفاته، كأن يكون له علمان أو قدرتان مثلاً ومنفي عنها الكم المنفصل، وهو أن يكون لغيره مثل صفاته، أما ما يتعلق بالأفعال أن يكون غيره مشاركاً له في فعل من أفعاله، فهو المنفرد وبالإيجاد والتدبير بلا واسطة ولا معالجة ولا مؤثر سواه في شيء من الأشياء، حاشية البيجوري على جوهر التوحيد: 114.

(3) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، 324/ 1.

كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة والتصرف وطلب المعاش حتى تموت جوعاً وتخدم الحرارة الطبيعية من النبات حتى يعفن ويفسد كالذي نراه يحدث للنبات إذا كان في موضع لا تقع عليه شمس⁽¹⁾ ومن هنا فإن التقدير الإلهي لهاتين الظاهرتين إنما يسير وفق قوانين منظمة ومحكمة لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب وقد أخفاها الله عنا لنبحث عن وجدها وأنشأها من العدم.

إخفاء العلاقة بين الليل والنهار عن مدارك البشر

ومن ينظر في تعاقب الليل للنهار يجد بينهما علاقة وطيدة وعلى ذلك فالليل والنهار من رحمة الله تعالى على جميع الكائنات لذلك يقول العلم الحديث "فإن توالي الليل والنهار رحمة بالعباد بما يتناسب مع طبيعة أجسامهم وقدراتهم، ففي الضياء معاشهم وفي الليل سكنهم"⁽²⁾ ومن هنا فإن الليل يغشي النهار ومعني التغطية أي الغطاء، قال تعالى: ﴿يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ﴾⁽³⁾ (أي يغطيه يقال منه غشيت امرأتي وتغشيتها قيل هو من المباشرة، وقوله فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة أي تجللتها وغطته، ومنه غشيتهم الرحمة، ومنه فغشيتها ألوان في سدره المنتهى"⁽⁴⁾ وعلى ذلك فإن عملية إدخال الليل في النهار هذا التداخل إنما هو بتدبير مدبر وعالم حكيم بصنعيته لا يخفى عليه من الصنعة شيء لما فيها من التركيب العجيب. وبعد أن كشفت لنا الدراسات العلمية الإنسانية المؤكدة نظام الشمس والقمر والأرض ومسيراتها الفلكية في مداراتها أو حول نفسها وما يسبب عن ذلك من ليل ونهار

(1) الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير، الإمام عثمان عمرو بن محمد بن بحر الجاحظ، المتوفى سنة 255هـ، دار الندوة الإسلامية، بيروت لبنان، طبع سنة 1987م، 1988م، ص 8، 9..

(2) القرآن وعلوم الأرض، محمد سميح عافية، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة: الأولى 1414هـ- 1994هـ، ص 125،

(3) سورة الرعد من الآية: 3.

(4) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ) المكتبة العتيقة ودار التراث، 3 / 367..

فيكون وقت النهار سببا في تجلية الشمس ويكون وقت الليل سبباً في استتار الشمس فظهر لنا بالتدبر المتأنى التطابق العجيب بين مقرارات العلوم الإنسانية حول الظواهر وبين دلالات النص القرآني الواضحة التي لا إشكال فيها⁽¹⁾، ومن هنا فإن العلاقة بين ظاهرتي الليل والنهار إنما تتمثل في عملية الإغشاء الذي معناه التغطية أو الخفاء الذي يعد نعمة إلهية من الله تعالى على عباده أن جعل الليل ساتراً على الكون، وهذا التغطية فيها عدة فوائد وأضرار قد أثبتها العلم الحديث.

أضرار سرمدية الليل والنهار على الكائنات وإخفاء ذلك عن البشر

لقد تحدث القرآن الكريم عن هذه القضية وهي سرمدية الليل والنهار قال تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَئِنْ سَمِعْتُمْ^(٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ^(٧٢)﴾⁽²⁾ ومعنى سرمدًا أي الدائم⁽³⁾ "والآية وما بعدها، استعراض لقدرة الله (ﷻ)، وإحسانه إلى خلقه، وفضله عليهم، ورحمته بهم.. فلو شاء سبحانه أن يجعل الليل قائماً على هذه الأرض، لا يعقبه نهار أبداً، لاستولى الظلام على هذا الكوكب، وعلى من فيه وما فيه، ولما كان لأحد أن يغير هذا الوضع القائم أبداً.. - وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾⁽⁴⁾ إشارة إلى أن الحاسة العاملة في الإنسان، عند الظلام، هي حاسة السمع، حيث يبطل

(1) معارج التفكير، ودقائق التدبر تفسير تدبري للقرآن بحسب ترتيب النزول وفق منهج كتاب قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبد الرحمن حسن حبكة الميداني، دار القم دمشق، الطبعة الأولى 1420 هـ، 2000م، 2 / 312..

(2) سورة القصص الأيتان: 71، 72.

(3) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، 1 / 408.

(4) سورة القصص جزء من الآية: 71.

عمل البصر، ويتحول المجال الحسى للإنسان كله، إلى أذن تسمع!.. فالناس في عالم الظلام، تتجمع حواسهم في سمعهم.. ومع هذا، فإن هؤلاء المشركين لا يسمعون، حتى حين يكون السمع هو الوسيلة الوحيدة للإنسان في اتصاله بالحياة..⁽¹⁾ وهذا التحول في عملية دخول الليل في النهار والعكس إنما هذا كله من رحمة الله تعالى وفضله على خلقه، والآية تفيد توبيخ المشركين في عدم إيمانهم بوجود الله تعالى.

حكمة سرمدية الليل وأضرارها وإخفاء ذلك عن مدارك البشر

حينما ننظر إلى العدل الإلهي في وجود الكون نجد أن الله تعالى قد هيا الحياة بوجه عام، ومن ثم فإن تعاقب الليل والنهار له دلالة عقدية وهي وجود قوة منظمة لهذا الوجود. فلولا وجود هذه القوة ما وجدنا شمسًا تشرق بنظام معين وتغرب أيضًا بطريقة خفية معينة لا يعلم كنهها إلا خالقها، ولولا وجود هذه القوة أيضًا ما وجدنا تعاقب الليل والنهار اللذين من أجل النعم الإلهية بوجه عام على الكون بأسره وعلى الإنسان بوجه خاص، فلو كانت الحياة بأسرها نهارًا سرمديًا ماذا يحدث؟

والجواب "أن سقوط الضوء فوق الشبكية ينتقل بوساطة سيالات عصبية عبر ألياف العصب البصري إلى الغدة النخامية، وهي ملكة الغدد، التي تؤمن التكامل والتكيف بين وظائف الأجهزة الداخلية، والنشاط العام للجسم يرتبط بالغدة الدرقية، فالغدة الدرقية التي فيها الاستقلاب، - وهو تحول الغذاء إلى طاقة - فهذا الغذاء يتحول إلى طاقة عالية في النهار، وطاقة متدنية في الليل، هذه الغدة الدرقية، مع الغدة النخامية تتأثر بالزمن، بل هناك ساعة تحسب تعاقب الليل والنهار⁽²⁾ وعلى

(1) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، 10/ 378.

(2) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، 44/1.

ذلك فإن أجهزة الإنسان تتأثر بالزمن الذي يعد جزءًا أساسيًا من أجزاء الكائن الحي وكل ذلك نتيجة تعاقب الليل والنهار اللذين يعدان من أجل النعم على الإنسان. ولقد أثبت العلم الحديث أن ضربات القلب في الكائن الحي على جهة العموم والإنسان بوجه خاص تتأثر بالليل والنهار، فمن الذي نظم هذا الوجود من أجل حياة الكائنات؟ فقد نظم الله هذا الوجود على أحسن نظام وأدله على كمال قدرة خالقه، وكمال علمه، وكمال حكمته، وكمال لطفه⁽¹⁾ وعلى ذلك التنظيم الإلهي نجد أن هناك تأثيرًا وتأثرًا يقعان على الإنسان من قبل تعاقب الليل والنهار وهذا كله من سنن الله في كونه. وقد "تزداد ضربات القلب في النهار، من عشر إلى عشرين ضربة عنها في الليل، ويزداد إدرار البول من ضعفين إلى أربعة أضعاف في النهار عنه في الليل، ومن خلال تسجيل النشاط الكهربائي للدماغ تبين أنه يزداد في النهار، ويضعف في الليل، وتزداد درجة لزوجة الدم في النهار عنها في الليل، ويزداد عدد كريات الدم البيضاء - كمسلاح دفاعي في الإنسان - ما الذي يشعر الجسم أن الوقت وقت نهار؟ أنت بعقلك تدرك، ولكن هذه الخلايا التي تتبدل وظائفها بين النهار والليل، أو ترتفع معدلات وظائفها بين النهار والليل من يشعرها بالزمن؟ هذا ما اصطلح العلماء على تسميته "الساعة البيولوجية Biological Clock"، فالساعة البيولوجية مجموعة خلايا إلى جانب الغدة النخامية، تستشعر ضوء الشمس الذي يسقط على قاع الشبكية في النهار، لذلك إذا عاش الإنسان في ظلام مستمر تختل وظائفه الحيوية؛ لأن هذه الساعة البيولوجية تتعطل عن العمل لانعدام وصول الشمس إلى قاع العين، أوضح شيء في جسم الإنسان أن كميات الهرمونات في الدم تتبدل من النور إلى الظلام، فهذه الهرمونات لها نسب في الليل، ولها نسب في النهار"⁽²⁾.

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، 2/ 586.

(2) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، 1/ 46.

وقد جعل الله تعالى نظام اليوم واللييلة في وضع معين وجهة معينة بحيث لا يزيدان ولا ينقصان عن مقدارهما "فمقدار اليوم واللييلة لو زاد على ما قدر عليه أو نقص لفاتت المصلحة واختلت الحكمة بذلك، بل جعل مكيالهما أربعة وعشرين ساعة، وجعلا يتقارضان الزيادة والنقصان بينهما، فما يزيد في أحدهما من الآخر يعود الآخر فيسترده منه"⁽¹⁾.

ومن أحسن الأنظمة التي وضعها الخالق (ﷻ) أن جعل في اختلاف الليل والنهار عبرة وعظة للإنسان فإذا فكر الإنسان في نفسه وفي أجزائه الداخلية يجد من نعم الله تعالى أن جعل جهاز المناعة في الإنسان يتفاعل في أجزائه الداخلية من ناحية الهرمونات وكل ذلك حينما يأتي الليل والنهار لذلك أمرنا الله تعالى بأن نتدبر وننظر في أنفسنا من أجل أن نعلم أن من أجل نعم الله علينا النعم الخفية التي أخفاها علينا رحمة بنا. وذلك؛ لأن الله جعل النهار معاشا، وجعل الليل لباسا، في الليل يزداد هرمون النمو، وتزداد هرمونات الإخصاب، ويقل استهلاك السكر ثلاثين في المئة عما هو في النهار، ولهذا تقل فعالية الجهاز التنفسي في الليل ثلاثين بالمئة عما هي في النهار، هذا من بعض معاني قول الله (ﷻ): ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾⁽²⁾. وهذا التبديل يحدد مستوى حيوية وظائف الجسم الإنساني إلى أدنى مستوى لها خلال الليل، وتأخذ بالارتفاع إلى أقصى درجة في الساعة السادسة صباحا، ويتبدل نبض القلب من الليل إلى النهار، ويتبدل الضغط الشرياني من الليل إلى النهار"⁽³⁾.

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، 2/ 596.

(2) سورة التين آية: 4.

(3) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، 1/ 46.

مظاهر التقدير في الكون وإخفاؤها عن مدارك البشر

إن الإنسان يرى أن من أجل نعم الله تعالى عليه أن خلق له هذا الكون لخدمته ليرى عظمة الله في خلق الكون؛ لذلك فإن أكثر آيات القرآن الكريم تدعو الإنسان إلى التأمل وإلى التفكير والتدبر تارة أخرى، فمن ينظر بعين الاعتبار يرى أن العالم من عرشه لفرشه لم يكن وليد صدفة وإنما خلق بقدر وصدق الله حيث قال ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ (1).

بُعد الشمس والقمر عن الأرض وإخفاؤه عن مدارك البشر

من المعروف لدى العلم الحديث أن "الشمس، التي هي مصدر كل حياة، تبلغ درجة حرارة سطحها (اثنا عشر ألف فهرنهايت) Twelve thousand degrees Fahrenheit، وكرتتا الأرضية بعيدة عنها إلى حد يكفي لأن تمدنا هذه (النار الهائلة) بالدفع الكافين لا بأكثر منه. وتلك المسافة ثابتة بشكل عجيب، وكان تغييرها في خلال ملايين السنين من القلة، بحيث أمكن استمرار الحياة كما عرفناها، ولو أن درجة الحرارة على الكرة الأرضية قد زادت بمعدل خمسين درجة في سنة واحدة، فإن كل نبت يموت، ويموت معه الإنسان حرقاً أو تجمداً" (2) ومن هنا فإن بُعد الشمس عن الأرض بهذا الوضع تستمر الحياة عليها، ولو كان الأمر خلاف ذلك لتجمد أو احترق كل من على الأرض من شدة الحرارة أو تجمد من عليها من شدة البرودة.. وإذا كان الأمر كذلك فإن القمر له دورة لا يتعداها وله مسار لا يتخطاه؛ لأنه لو كان يبعد عنا بمسافة أكثر لترتب على ذلك انقلاب في عمليتي المد والجزر، وأيضاً يترتب عليه عملية الغرق الذي يعم الكون كله، ولأصبحت القشرة الأرضية غير صالحة للزراعة.

(1) سورة لقمان من الآية: 11.

(2) العلم يدعو للإيمان، كريسي موريسون، المترجم: محمود صالح الفلكي، ص22.

يقول العلم الحديث " ويبعد القمر عنا مسافة 24000 ميل، وبنكرنا المد الذي يحدث مرتين تكثيرا لطيفا بوجود القمر، والمد الذي يحدث بالمحيط قد يرتفع إلى ستين قدما في بعض الأماكن. بل إن قشرة الأرض تتحني مرتين نحو الخارج مسافة عدة بوصات بسبب جاذبية القمر. ويبدو لنا كل شيء منتظما لدرجة أننا لا ندرك القوة الهائلة التي ترفع مسافة المحيط كلها عدة؟؟؟ وتتحني قشرة الأرض التي تبدو لنا صلبة للغاية... ولو كان قمرا يبعد عنا خمسين ألف ميل مثلا، بدلاً من المسافة الشاسعة التي يبعد بها عنا فعلاً، فإن المد كان يبلغ من القوة بحيث إن جميع الأراضي التي تحت منسوب الماء كانت تغمر مرتين في اليوم بماء متدفق يزح بقوته الجبال نفسها، وفي هذه الحالة ربما كانت لا توجد الآن قارة قد ارتفعت من الأعماق بالسرعة اللازمة. وكانت الكرة الأرضية تتحطم من هذا الاضطراب، وكان المد الذي في الهواء يحدث أعاصير كل يوم"⁽¹⁾.

وهذه النعم الخفية التي لا يراها الإنسان بل يدرك آثارها التي يشاهدها ليل نهار، ومن يتأمل في الحكمة الإلهية لوجود القمر يجد أن الله تعالى قد خلقه لحكم سامية وهي " كيف يبيده الله كالخيط الدقيق، ثم يتزايد نوره ويتكامل شيئاً فشيئاً كل ليلة حتى ينتهي إلى إبداره وكماله وتمامه، ثم يأخذ في النقصان حتى يعود إلى حالته الأولى؛ ليظهر من ذلك مواقيت العباد في معاشهم وعباداتهم ومناسكهم، فتميزت به الأشهر والسنين وقام به حساب العالم، مع ما في ذلك من الحكم والآيات والعبر التي لا يحصيها إلا الله"⁽²⁾.

ومن خلال ما سبق ذكره من حكمة الخفاء المتمثلة في (بعد الأجرام السماوية عن الأرض وأثر ذلك في الاعتقاد الإسلامي، نقول إن هذا الكون من فرشه لعرشه إنما هو من صنع الله تعالى ومن آياته، التي لا يعقلها إلا العالمون.. "فمن أعظم

(1) السابق نفسه، ص24.

(2) مفتاح دار السعادة، 2 / 565.

ما يدهشنا في أنفسنا، وفي الكون من حولنا، هذا الإتقان العجيب في الصنع والتركيب، فما ندرك من شيء في الأرض ولا في السماء، إلا وهو في غاية الإتقان، مركب أحكم تركيب يؤدي به إلى غايته التي خلق من أجلها، باعتباره جزءًا من وحدته التي هو أحد أجزائها، أو باعتباره فردًا في مجموعة هو واحد من نوعها، أو باعتباره مجموعة هي واحد من جنس مجموعات كثيرة، كل ذلك في جملة هذا الكون الذي تنظمه وحدة مهيمنة، لا يستطيع أي جزء منه أن يتحرر منها، أو يفلت من قانونها. أليس من الإتقان العجيب هندسة هذا الكون في مخطط كواكبه ونجومه، بحيث إن أي تغيير فيه يؤدي به إلى الخلل والنقص، أو الخراب والفساد؟ ثم إننا لا نرى ترتيبًا متقنًا محكمًا في أي مركب من المركبات إلا استدعى في أذهاننا التفكير بمن أبقاه ورتبه هذا الترتيب المتقن الحكيم، إن إتقان الصناعة في هذا العالم الزاخر بالمتقنات، دليل واضح على الصانع المتقن الحكيم العليم، يشهده من الناس العالم والجاهل الغبي والعاقل، الصغير والكبير، ويحكم به بدهة بأن الله حق، وهو على كل شيء قدير، وليس فوق حكم البدهة حكم لعاقل⁽¹⁾ فهذا الكون كله ما هو إلا دليل على وحدانية الله "وانتظام أمر العالم العلوي والسفلي وارتباط بعضه ببعض وجريانه على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد من أدل دليل على أن مدبره واحد لا إله غيره كما دل دليل التمانع على أن خالقه واحد لا رب له غيره"⁽²⁾ وعلى ذلك فإن النجوم والكواكب تدور في نظام وإتقان محكم لا يعلمه إلا الله وحده من المجرة التي هي أكبر شيء في الكون إلى أصغر شيء وهي الذرة التي هي أصغر عنصر في الكون لا يرى بالعين المجردة يعمل في نظام وإتقان.

(1) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم - دمشق، الطبعة الثامنة 1418هـ - 1997م: 1 / 129-131.

(2) الصواعق المرسلّة في الرد على الجهمية والمعتلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1408هـ، 2 / 464.

يقول فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / أحمد الطيب: "فكل ما يحيط بنا من الكائنات يتسق في نظام وانسجام؟ ينحرفان ولا يتخلفان، فالذرة التي تبلغ حدًا من الصغر، بحيث لو اجتمع بضعة ملايين منها لم يجاوز حجمها جميعاً رأس دبوس، هذه الذرة هي مجموعة شمسية مصغرة تقوم النواة "البروتون" فيها مقام الشمس، وتقوم الإلكترونات⁽¹⁾ فيها مقام الكواكب، وهي تدور بسرعة فائقة حول النواة كما تدور الكواكب حول الشمس ومادة النجوم (الشموس) هي مادة الكواكب وكل منها سابح في فلكه إلى مستقر له يعلمه الله"⁽²⁾.

إن المجموعة الشمسية هي الكواكب الثمانية وهي: كوكب، عطارد، وكوكب الزهرة، وكوكب الأرض الذي نعيش عليه، والمريخ، وكوكب المشتري أضخم وأكبر الكواكب الذي يحتوي على 62 قمرًا صناعيًا وكوكب زحل الذي يحتوي على الحلقات الملونة، وكوكب أورانوس، وكوكب نبتون الذي يهطل فيه الثلج بغزارة والذي يلبس سكانه ملابس من الثلج، وكل ما سبق ذكره قد أوجده الله تعالى وسخره لخدمة الإنسان، ولولا هذه الكواكب موجودة في الكون لأصبح الكون خرابًا لا يستطيع الإنسان أن يعيش فيه لحظة، ومن هنا فقد أوجد الله تعالى هذه الكواكب ليتعرف الإنسان على خالقه (ﷻ)، وصدق الله حيث قال: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾⁽³⁾ وهذا الصنع العجيب يسبح الله تعالى ليلاً ونهارًا سرًا وجهارًا ولكن لا نعلم كيفية تسبيحها، فقد أخفاه الله عنا رحمة بنا وهذا ما سنتناوله في الفصل القادم (نعمة إخفاء تسبيح الكون من شدة كثرتة).

(1) علم الإلكترونيات: فرع من الفيزياء يتناول الإلكترونات وآثارها واستخدام الأدوات الإلكترونية البرمجة الإلكترونية - البريد الإلكتروني - البطاقة الإلكترونية - التقنيات الإلكترونية -... إلخ، ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د / أحمد مختار عبد الحميد عمر، باب (ا، ل، ك ت، رون) 1 / 111.

(2) موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر - مقال للإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب 1 / 473.

(3) سورة النمل من الآية: 88.

الفصل الثالث

نعمة الخفاء من شدة الكثرة

تمهيد

لقد خلق الله الكون بما فيه من إنسان وحيوان وغيرهما فإنه لم يخلقه عبثاً ولكن خلقه لحكم إلهية، فعن خلق الإنس والجن والغاية من خلقهما يقول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁽¹⁾ ومن هنا فإننا نشبت الإدراك والعقل والتميز لهذه الكائنات بما فيها (الحيوانات، والنباتات، والجمادات) ولقد خلقنا الله تعالى نحن البشر لعبادته، فكل ما في الكون لا يخرج عن إرادته تعالى وعلمه، وإذا كان الأمر كذلك فإن الله تعالى قد أمر الكون أن يسبحه تسبيح خضوع وإجلال، لذلك يقول الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾⁽²⁾، ومن هنا "فالجبال تُسَبِّح مع داود، وتُسَبِّح مع غيره، ولكن المراد هنا أنها تُسَبِّح معه ويوافق تسبيحها تسبيحه، وكأنهما في أنشودة جماعية منسجمة. إذن: فلا بُدَّ أن داود قد فُهِم عنها وفهمت عنه. وكذلك النملة التي تكلمت أمام سليمان ففهم كلامها، وتبسم ضاحكاً من قولها. وقد علّمه الله منطق الطير. إذن: لكل جنس من الأجناس منطق يُسَبِّح الله به، ولكن لا نفقه هذا التسبيح؛ لأنه تسبيح بلغة مؤدّية مُعبّرة يتفاهم بها مَنْ عرف التواضع عليها"⁽³⁾ فالكون كله يسبح بحمد الله تعالى، وينزهه عن الشبيه والمثيل والشريك، وعلى هذا فكل الوجود يسبح خالقه. "وهذا التحليل السابق إن دلَّ على شيءٍ فإنما يدل على أن جميع المخلوقات من الجمادات والنباتات والحيوانات مهما تضاءلت أو تعاظمت أحجامها لها قدر من الوعي والإدراك الذي تعرف به خالقها، وهي مفطورة على أن تسبح بحمده وتسجد له وتنطق بعظمته وتشهد على بديع

(1) سورة الذاريات، آية: 56.

(2) سورة الإسراء آية: 44.

(3) الخواطر، 14 / 8564.

قدرته وعلى وحدانيته المطلقة فوق جميع خلقه⁽¹⁾ وقد جاء التسبيح في القرآن الكريم على صيغ متعددة، فجاء بصيغة المضارع في قول الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽²⁾؛ للدلالة على الدوام والاستمرار في التسبيح والتتزيه.

يقول ابن عاشور: "وهذا يفيد ابتداء تقرير تنزيه الله تعالى وقوة سلطانه؛ ليزداد الذين آمنوا إيماناً ويكون لهم تعليماً وامتناناً، ويفيد ثانياً بطريق الكناية تعريضاً بالمشركين الذين لم ينزهوه ولا وقروه فنسبوا إليه شركاء. وجيء بفعل التسبيح مضارعاً للدلالة على تجدد ذلك التسبيح ودوامه"⁽³⁾.

ومن هنا فالكون يسبح بحمد الله تعالى بما فيه من الملائكة والإنس والجن وغيرهم للدلالة على أنهم ينقادون لخالقهم وبارئهم، وقد جاء التعبير القرآني بلفظ التسبيح على صيغة المضارع للدلالة على الاستمرار والدوام، وجاء التعبير أيضاً باسم الموصول (ما) في الآيات الكريمة للدلالة على العموم "أي ينزه الله ويمجده ويقدّسه كل شيء في الكون من إنسان، وحيوان، ونبات، وجماد، وصيغة المضارع ﴿يُسَبِّحُ﴾ لإفادة التجدد والاستمرار، فهو تسبيح دائم على الدوام"⁽⁴⁾.

وعن سجود الكائنات يخبرنا ربنا في قوله (جَلَّالَهُ) عن سجودها صغیرها وكبیرها فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾⁽⁵⁾

(1) من صور تسبيح الكائنات لله، الدكتور / زغلول النجار، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، / 9.

(2) سورة التغابن آية: 1.

(3) التحرير والتنوير (28 / 260).

(4) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1997م، 3 / 356.

(5) سورة الحج من الآية: 18.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعِيوْا ظِلُّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ (٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١). فالله تعالى "يخبر عن عظمته وجلاله وكبريائه الذي خضع له كل شيء، ودانت له الأشياء والمخلوقات بأسرها: جمادها وحيواناتها، ومكلفوها من الإنس والجن والملائكة، فأخبر أن كل ما له ظل يتفياذات اليمين وذات الشمال، أي: بكرة وعشيا، فإنه ساجد بظله لله تعالى. قال مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله (ﷻ)" (٢). فالحق جل وعلا قد أثبت سجود جميع الكائنات لله تعالى ولكن سجودها ليس معروفا كسجود البشر أي على سبعة أعضاء. ومن هنا فإن الكون بما فيه من حيوان وجمادٍ وغيرهما من المخلوقات العلوية والسفلية في تسبيح دائم ومستمر حتى تقوم الساعة، وسوف أعرض في هذا الفصل الحكمة الإلهية من إخفاء تسبيح الكون العظيم عن مدركات البشر وعقولهم لنرى فلسفة هذا الخفاء وأثره على المعتقد الإسلامي ومن هنا فإن الكون كله يسبح الله تعالى تسبيح خضوع وانقياد له وحده. وهذا ما سيكشف عنه من خلال مبحثين:

المبحث الأول: تسبيح الكون وإخفاؤه عن مدركات البشر وأثر ذلك في سلوك الإنسان..

المبحث الثاني: صور تسبيح المخلوقات لله تعالى وإخفاء ذلك عن البشر.

(1) سورة النحل الآيات، 48 - 50.

(2) تفسير القرآن العظيم، 4 / 576.

المبحث الأول

تسبيح الكون وإخفاؤه عن مدركات البشر

وأثر ذلك في سلوك الإنسان

التسبيح في اللغة:

يقول ابن فارس: " (سبح) السين والباء والحاء أصلان: أحدهما جنس من العبادة، والآخر جنس من السعي. ومن الباب التسبيح، وهو تنزيه الله جل ثناؤه من كل سوء. والتنزيه: التبعيد. والعرب تقول: سبحان من كذا، أي ما أبعد⁽¹⁾ وقال الزجاج "لا اختلاف بين أهل اللغة في معنى التسبيح أن التبرئة لله جلّ وعزّ"⁽²⁾ ويظهر من خلال ما سبق ذكره أن هذه الكلمة لها استعمالات في لغة العرب⁽³⁾ وعلى هذا فإن التسبيح معناه التنزيه أي تنزيه الذات عليه عن الشريك والند والصاحبة وغيرها.

التسبيح في الاصطلاح:

يقول ابن حجر: "التسبيح ومعناه تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل"⁽⁴⁾. ويقول الجرجاني: "التسبيح:

(1) مقاييس اللغة، 3 / 125.

(2) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، 2 / 278.

(3) استعملت هذه الكلمة في لغة العرب على ثلاث حالات هي:

أحدها: أنه من تتمة النداء أي: نودي بالبركة وتنزيه رب العزة. أي: نودي بمجموع الأمرين. الثاني: أنه من كلام الله تعالى مخاطباً لنبيينا محمد عليه الصلاة والسلام، وهو على هذا اعتراض بين أثناء القصة.

الثالث: أن معناه: وبورك من سبح الله. يعني أنه حذف «من» وصلتها وأبقى معمول الصلة إذ التقدير: بورك من في النار ومن حولها، ومن قال: سبحان الله و«سبحان» في الحقيقة ليس معمولاً لـ«قال» بل لفعل من لفظه، وذلك الفعل هو المنسوب بالقول، ينظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الحلبي أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ) الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، 8 / 575.

(4) فتح الباري، 11 / 206.

تنزيه الحق عن نقائص الإمكان والحدوث⁽¹⁾. ومن هنا فإن التسبيح يراد به التنزيه أي تنزيه الذات العلية عن شوائب النقص، وكل ما يؤدي إلى كونها حادثة؛ لأنها لو كانت حادثة لاحتاجت إلى محدث والاحتياج علة الحدوث والبارئ تعالى منزّه عن الإمكان والحدوث؛ لأنه واجب الوجود بذاته.

الكون كله كائن حي

من المعلوم لدى الدارسين أن القرآن الكريم قد ذكر آيات تشير إلى أن الكون بما فيه وكل ما فيه يسبح ويمجد الذات الإلهية، ومن ثم فالإنسان ليس وحده هو الذي يسبح رغم أنه عاقل بل كل ما في الكون سواء أكان عاقلاً أم غير عاقل، وسواء أكان ناطقاً أم غير ناطق. ومن الآيات القرآنية الدالة على أن الكائنات كلها تسبح بحمد الله قول الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾⁽²⁾ والمعنى المراد من الآية هو "إن السموات السبع والأرض ومن فيهن من مخلوقات ناطقة أو صامتة، كبيرة أو صغيرة كلها تسبح بحمده تسبيح ولاء وخضوع، كما يقول جلّ شأنه: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾⁽³⁾ وكما يقول سبحانه عن الملائكة: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٣٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾⁽⁴⁾ وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾⁽⁵⁾ أي إن هذه العوالم المبتوثة في السموات والأرض، تسبح لله تسبيحا لا يفقهه إلا العالمون،

(1) التعريفات، 1 / 57.

(2) سورة الإسراء، آية: 44.

(3) سورة مريم آية: 93.

(4) سورة الأنبياء الأيتان: 26 - 27.

(5) سورة الإسراء من الآية: 44.

الذين يرون في تجاوب هذا الوجود، وفي خضوعه للسنن التي أجراه الله عليها، تسبيحا وولاء، وعبودية خالصة لله رب العالمين..⁽¹⁾.

إخفاء تسبيح الجمادات

من الجمادات التي تسبح الله تعالى ليلاً ونهاراً (البر والبحر) وما فيهن فهما دائبين التسبيح والتلهيل وكذا إشفاقهن من يوم الجمعة كما جاء في سنن بن ماجه من حديث لبابة بن عبد المنذر أنه قال: قال النبي (ﷺ): ((إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ، وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْمِ الْأَضْحَى وَيَوْمِ الْفِطْرِ، فِيهِ خَمْسُ خَلَائِلٍ: خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ، وَأَهْبَطَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ، وَفِيهِ تَوَفَّى اللَّهُ آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ اللَّهُ فِيهَا الْعَبْدُ شَيْئاً إِلَّا أُعْطَاهُ، مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَاماً، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، مَا مِنْ مَلِكٍ مَقْرَبٍ، وَلَا سَمَاءٍ، وَلَا أَرْضٍ، وَلَا رِيَّاحٍ، وَلَا جِبَالٍ، وَلَا بَحْرٍ، إِلَّا هُنَّ يَشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ))⁽²⁾، ومن هنا فإن الجمادات تسبح بحمد الله تعالى، ومن ثم فهي طائعة لله تعالى ودلالة هذا التسبيح يدل على وجود الله تعالى وقدرته ولكن تسبيحها غير معروف لنا نحن البشر.

"وهذا يقتضي أن تسبيح هذه الأشياء غير معلوم لنا، ودلالاتها على وجود قدرة الله تعالى وحكمته معلومة لنا، فوجب أن يكون التسبيح المذكور في هذه الآية مغايراً لكونها دالة على وجود قدرة الله تعالى وحكمته سبحانه"⁽³⁾.

(1) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب. 8 / 493.

(2) الحديث أخرجه ابن ماجه في "سننه" كتاب "إقامة الصلاة والسنة فيها" باب: في فضل الجمعة (344/1) (1084)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" كتاب "الجمعة" باب: في فضل الجمعة ويومها (477/1) (5516)، وأحمد في "مسنده" (314/24) (15548) من حديث أبي لبابة بن عبد المنذر البدرى (رحمته الله) وحسن البوصيري هذا الحديث في كتابه "مصباح الزجاجة" (129/1) (387) ط: دار العربية - بيروت.

(3) اللباب، بن عادل الحنبلي، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي (المتوفى: 775هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998م، 12 / 297.

سجود ما في الكون لله تعالى وإخفاء ذلك عن البشر

السجود معناه الخضوع لله تعالى والذل له وهذا ما أقره الإسلام وأمر به أتباعه. ومعناه "خشوع القلب والجوارح لله تعالى هذا بالنسبة للبشر الناطقين والمكلفين منهم، أما سجود الكائنات التي هي مخلوقات الله تعالى وحده فمعناه الانقياد والخضوع للإرادة الإلهية المهيمنة على الكون بأسره لا يشذ عن إرادته وعلمه منهم شيء والمراد به "سجود الذل والقهر والخضوع، فكل أحد خاضع لربوبيته، دليل لعزته، مقهور تحت سلطانه تعالى"⁽¹⁾.

حكمة سجود الكائنات لله تعالى

إن فلسفة سجود الكائنات لخالقها وبارئها لمن أعظم الأدلة على وجود الله تعالى وذلك من حيث وجود مؤثر قادر على وجود هذه العوالم العاقلة وغير العاقلة، والناطقة وغير الناطقة، فالكلي يسبح والكل يسجد له تعالى طوعا وكرها علانية وسرا بكيفية لا ندركها، ولكن نعلم يقينا أنها تسجد لله تعالى وذلك من خلال النص القرآني حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبَرُونَ﴾⁽²⁾.

أقوال العلماء حول كيفية سجود الكائنات لله وإخفاء ذلك عن مدارك البشر

يقول الفخر الرازي: السجود هاهنا فيه وجوه:

أحدها: قال الزجاج أجود الوجوه في سجود هذه الأمور أنها تسجد مطيعة لله تعالى وهو كقوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، 1 / 128.

(2) سورة النحل آية: 49.

طَائِعِينَ ﴿١﴾، وكقوله: ﴿أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٢﴾، وكقوله ﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ ﴿٣﴾، وكقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْحَبُ بِهِ﴾ ﴿٤﴾، وكقوله ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ ﴿٥﴾.

والمعنى أن هذه الأجسام لما كانت قابلة لجميع الأعراض التي يحدثها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة أشبهت الطاعة والانقياد وهو السجود، فإن قيل هذا التأويل يبطله قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ ﴿٦﴾ فإن السجود بالمعنى الذي ذكرته عام في كل الناس فإسناده إلى كثير منهم يكون تخصيصاً من غير فائدة. والجواب من وجوه: أحدها: أن السجود بالمعنى الذي ذكرناه وإن كان عاماً في حق الكل إلا أن بعضهم تمرد وتكبر وترك السجود في الظاهر، فهذا الشخص وإن كان ساجداً بذاته لكنه متمرد بظاهره، أما المؤمن فإنه ساجد بذاته وبظاهره فلأجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر.

وثانيها: أن نقطع قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ ﴿٧﴾ عما قبله ثم فيه ثلاثة أوجه: الأول: أن نقول تقدير الآية: والله يسجد من في السموات ومن في الأرض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الأول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى الطاعة والعبادة، وإنما فعلنا ذلك لأنه قامت الدلالة على أنه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في معنييه جميعاً.

(1) سورة فصلت من الآية: 11.

(2) سورة النحل من الآية: 40.

(3) سورة البقرة من الآية: 74.

(4) سورة الإسراء من الآية: 44.

(5) سورة الأنبياء من الآية: 79.

(6) سورة الحج من الآية: 18.

(7) سورة الحج من الآية: 18.

الثاني: أن يكون قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾⁽¹⁾ مبتدأ وخبره محذوف وهو مثاب؛ لأن خبر مقابله يدل عليه وهو قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾⁽²⁾.

والثالث: أن يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كأنه قيل وكثير من الناس وكثير حق عليهم العذاب. وثالثها: أن من يجوز استعمال اللفظ المشترك في مفهومييه جميعا يقول: المراد بالسجود في حق الأحياء العقلاء العبادة وفي حق الجمادات الانقياد، ومن ينكر ذلك يقول إن الله تعالى تكلم بهذه اللفظة مرتين، فعنى بها في حق العقلاء، الطاعة وفي حق الجمادات الانقياد⁽³⁾.

ويقول العلامة بن كثير "إنما ذكر هذه على التنصيص؛ لأنها قد عبدت من دون الله فبين أنها تسجد لخالقها وأنها مربوبة مسخرة"⁽⁴⁾.

ويقول الإمام أبو السعود: "والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهه بأكمل أفعال المكلف في باب الطاعة إيذانا بكونه في أقصى مراتب التسخر والتذل لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء"⁽⁵⁾.

ومن خلال الأقوال السابقة نرى أن تسبيح الكائنات عبارة عن الانقياد والخضوع والذل لله تعالى، فهو تعالى يستحق أن يسجد له العباد وجميع الكائنات الداخلة في العموم في قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾⁽⁶⁾ وكلمة (شَيْءٍ) الواردة في الآية الكريمة تشمل عمومها حتى الجماد من الصخر والتراب

(1) سورة الحج من الآية: 18.

(2) سورة الحج، من الآية: 18.

(3) مفاتيح الغيب، للرازي، 213 / 23.

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (5 / 354).

(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، 6 / 101.

(6) سورة الإسراء من الآية: 44.

والمعادن والنبات ألا تشمل الحيوان وهي كائنات حية لها روح، والسؤال لماذا تسبح وهي لا تعقل؟ ولماذا تصلي وهي لا تعقل؟

والجواب: أن عظمة الله أوجبت على كل كائن حي أو جماد أن يسبح لهذا الخالق العظيم، ألم يخلقها الله؟ ألم يوجدها الله؟ ألم يؤمن لها رزقها ونومها وراحتها؟ وإن من كمال قدرة الله سبحانه أن تسبح هذه المخلوقات وتصلي لله سبحانه فهو الإله العظيم الذي يستحق التقدير والطاعة والتسبيح والصلاة⁽¹⁾.

إن عظمة الله تعالى تتجلى في جعل الكون كله يضج بالتسبيح والتهليل والتحميد، وكل ذلك يشير إلى وجود الله تعالى وما ذاك التسبيح إلا دليل على أن هناك إله واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، وهذا الإله واجب الوجود لذاته، الذي يلجأ إليه كل العالم في جميع الأوقات فيتضرعون إليه. وإذا كان تسبيح الكون نعمة من الله فإخفاء هذا التسبيح إنما يُعد نعمةً على الخلق إذ لو سمع الإنسان كل ما حوله يسبح بصوت عالٍ ماذا عساه أن يكون؟ إنه لو سمع تسبيح الكون لصُعق لعدم تحمل النفس البشرية هذه الأصوات التي تسبح الله تعالى. وأيضًا لو سمعها الإنسان لأصيب بالجنون إذ كيف يسمع من يعقل صوت من لا يعقل؟

(1) الموسوعة الكونية الكبرى آيات الله في خلق الحيوانات البرية والبحرية، الدكتور / ماهر أحمد الصوفي، 11 / 104.

المبحث الثاني صور تسبيح المخلوقات لله تعالى وإخفاء ذلك عن مدركات البشر

من المعلوم لدى الدارسين أن الكون كله في طاعة الله تعالى بدليل قول الله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾⁽¹⁾ "إن تسبيح كل مخلوق من مخلوقات الله تعالى من الأحياء والجمادات⁽²⁾ هو تسبيح حقيقي وذاتي لكل واحد منها فكل نوع من المخلوقات له لغة خاصة به منحها الله له وميزه بها عن غيره وإن كنا لا نفقه هذا التسبيح ولا نعرف ماهيته"⁽³⁾.

إخفاء تسبيح الجبال عن مدركات البشر

الجبل في اللغة: جاء في معجم مقاييس اللغة أن "الجيم والباء واللام أصل يطرد ويقاس، وهو تجمع الشيء في ارتفاع. فالجبل معروف، والجبل: الجماعة العظيمة الكثيرة"⁽⁴⁾. وجمع جبل أجبل وقد ورد في القرآن الكريم أكثر من موضع⁽⁵⁾.

(1) سورة آل عمران من الآية: 83.

(2) وفي تسبيح الجمادات ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه تسبيح لا يعلمه إلا الله.

والثاني: أنه خضوعه وخشوعه لله.

والثالث: دلالاته على صانعه، فيوجب ذلك تسبيح مبصره، يراجع: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزية، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى - 1422هـ، 36/3.

(3) صور السماء والأرض في القرآن دراسة بلاغية، نوال على عبد الرحمن خضر، رسالة ماجستير في اللغة العربية، في جامعة النجاح الوطنية في نابلس - فلسطين، عام 2011م / 109.

(4) مقاييس اللغة، 1/ 502.

(5) جاء ذلك في كتاب بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز حيث ذكر مؤلفه قوله "وقد ورد الجبل في القرآن على عشرين وجهًا. الأول: جبال الموج للسلامة في حق نوح، والهلكة في حق المشركين من قومه ﴿وَيَمْحَىٰ بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [سورة هود: 42]. الثاني: جبال تُمَوِّد للمهارة والجدافة ﴿وَكَاوُوا يَحْمُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُوَئَا أَمْنًا﴾ [سورة الحجر: 82]. الثالث: محل موسى حال الرؤية ﴿فَلَمَّا بَلَغَ

الجبال في العلم الحديث

الجبل هو كل مرتفع من الأرض له قمة لا يقل علوها عن 1000 متر تقريباً. أما إذا قل الارتفاع عن ذلك فإن المرتفع يسمى تلا. والجبل والتل لا يختلفان

رَبُّهُ، لِلْجَبَلِ ﴿[سورة الأعراف: 143]. الرابع: جَبَلُ إِبْرَاهِيمَ لإظهار القدرة والإحياء بعد الإماتة﴾ ثُمَّ
أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جُزْءًا ﴿[سورة البقرة: 260]. الخامس: جبل بنى إسرائيل لقبول الأمر والشرعية
﴿وَإِذْ نَفَخْنَا فِي جَبَلٍ مِنْهُمْ دُخانًا﴾ [سورة الأعراف: 171]. السادس: الجبل المذكور لتأثير المَكْر والجيلة من
القرون الماضية ﴿وَإِنْ كَانَتْ مِنْهُمْ أَهْلًا مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [سورة إبراهيم: 46]. السابع: جبل النخل
لتحصيل العسل للشفاء والراحة ﴿أَنْ تَخْذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [سورة النحل: 68]. الثامن: المذكور للكن
والكفاية ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَائًا﴾ [سورة النحل: 81]. التاسع: المذكور لقهر المتكبرين عن
الرَّعونَة والتكبر ﴿وَلَوْ تِلْغَ الْجِبَالُ طُولًا﴾ [سورة الإسراء: 37]. العاشر: تَرَعْرُعُ الجبال بيانًا لصعوبة
حال القيامة ﴿وَيَوْمَ تُسْأَلُ الْجِبَالُ﴾ [سورة الكهف: 47] ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا﴾ [سورة الطور: 10] ﴿وَإِذَا
الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [سورة التكويد: 3]. الحادي عشر: المذكور للمتكبرين والمدعين لإظهار السياسة ﴿وَنَحْرُ
الْجِبَالِ هَذَا﴾ [سورة مريم: 90]. الثاني عشر: السؤال عن حال الجبال وبيان صعوبتها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ
الْجِبَالِ﴾ [سورة طه: 105] الثالث عشر: المذكور بالتسبيح موافقةً لداود عليه السلام ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ،
يُسَبِّحْنَ﴾ [سورة ص: 18] ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ﴾ [سورة الأنبياء: 79] ﴿بِجِبَالٍ أَوْيَ مَعَهُ﴾ [سورة
سبا: 10] الرابع عشر: المذكور للانقياد وموافقة للشجر والنجوم إظهارًا للخدمة ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ
وَالْجِبَالُ﴾ [سورة الحج: 18] سورة الحج من الآية: 18، الخامس عشر: جبال البرد والمطر ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
يُزَيِّجُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ، ثُمَّ يُجْعَلُهُ رُكامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ، وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن
يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ، عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَافِرُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ [سورة النور: 43]، السادس عشر: الإخبار عن حال
الجبال في القيامة لبيان الحيرة والدهشة ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ﴾ [سورة النمل: 88] السابع
عشر: المذكور لعرض الأمانة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ [سورة الأحزاب: 72].
الثامن عشر: المذكورة في سورة الواقعة والحاقة والقارة لتأثير صعوبة القيامة ﴿وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾
[سورة الواقعة: 5]، ﴿وَمُجِلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [سورة الحاقة: 14] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ
الْمَنْفُوشِ﴾ [سورة القارة: 5]، التاسع عشر: المذكور لتثبيت الأرض وتسكينها ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسُنَهَا﴾
[سورة النازعات: 32] العشرون: لبيان برهان الموحدين ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [سورة الغاشية: 19]
يراجع: بصائر نوي التمييز، الفيروزآبادي، 2 / 362.

عن بعضهما في ظروف تكوينهما أو في بنائهما، والخلاف بينهما لا يعدو الارتفاع. وقمة الجبل أو التل هي أعلى نقطة فيه، فإذا امتدت واستطالت سميت حافة⁽¹⁾ والجبل تكوين يرتفع بشكل بارز فوق ما يحيط به ويتميز الجبل عموماً بمنحدرات شديدة التمدد وقمة ضيقة نسبياً وارتفاع شاهق⁽²⁾ ومن هنا فإن الجبال من النعم التي أنعم الله بها على عباده "ومن آيات الله العظمى، ومنه الكبرى: الرواسي؛ التي هي الجبال التي تشكّل ميزاناً للأرض في حركتها وثباتها؛ فضلاً عما تضمه هذه الجبال من نعم يتأمل العابد أمرها"⁽³⁾.

الحكمة من خلقها

والحكمة من خلق الجبال هي أن الله تعالى جعلها رواسي للأرض قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾⁽⁴⁾ والمراد من الرواسي في الآية ثابته من رسا الشيء إذا ثبت. أن تميد بهم كراهة أن تميل بهم وتضطرب⁽⁵⁾.

ومنها: أن الله تعالى جعل الجبال مخازن للمياه التي تنزل من السماء على قممها، والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شِمَخَاتٍ وَأَسْفَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾⁽⁶⁾ والمعنى "أي جبالات ثوابت شامخات مرتفعات، ومنه شمخ بأنفه. ووصف

(1) قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، جودة حسنين جودة - فتحي محمد أبو عيانة، دار المعرفة الجامعية. بدون ط. / 188.

(2) أطلس العالم الكبير، طبع 1999 م بيروت - لبنان. ص 202.

(3) الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، ص 852.

(4) سورة الأنبياء آية: 31.

(5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 4 / 50.

(6) سورة المرسلات آية: 27.

جمع المذكور بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد: ﴿أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾⁽¹⁾ وتذكيرها للتفخيم أو للإشعار بأن في الأرض جبالا لم تعرف ولم يوقف عليها، فأرض الله تعالى واسعة وفيها ما لم يعلمه إلا الله (ﷻ). وقيل للإشعار بأن في الجبال ما لم يعرف وهو الجبال السماوية وهو مما يوافق أهل الفلسفة الجديدة إذ قالوا بوجود جبال كثيرة في القمر وظنوا وجودها في غيره وتعقب بأنه تفسير بما لم يعرف ﴿وَأَسْفَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾⁽²⁾ أي عذبا وذلك بأن خلقناه في أصولها وأجريناه لكم منها في أنهار وأنبعناه في منابع تستمد مما استودعناه فيها⁽³⁾.

ومنها: أن الله تعالى جعلها أوتادا للأرض والدليل على ذلك قول الله تعالى ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾⁽⁴⁾ وشبه الجبال بـ"الأوتاد" لأنها تمسك وتنقل وتمنع الأرض أن تميد⁽⁵⁾ والعلم الحديث يثبت أن الجبال عبارة عن ركائز صلبة تعمل على ثبات الكرة الأرضية وهذه الجبال التي تمتد في الأعماق ولا تراها سواء في اليابس أو في البحار هي الركائز الصلبة التي تعمل على ثبات الكرة الأرضية وتوازنها عند دورانها مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾⁽⁶⁾ فرسالة الجبال أن تحقق للأرض التوازن والثبات وهي أيضا تحقق أهدافا أخرى من أجل تسيير الحياة⁽⁷⁾.

أ- عبودية الجبال وإخفاء ذلك عن مدركات البشر:

وتتمثل عبودية الجبال لخالقها وبارئها دون أن يراها أحد من البشر، وهذا من رحمة الله تعالى على عباده أن جعل للجبل عبودية يشترك فيها مع بعض

(1) سورة البقرة من الآية: 197.

(2) سورة المرسلات من الآية: 27.

(3) روح المعاني، 15 / 194.

(4) سورة النبا آية: 7.

(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 5 / 424.

(6) سورة النبا آية: 7.

(7) من عجائب الخلق في الكون العظيم، د / محمد اسماعيل الجاويش، 151.

البشر ومع الملائكة الكرام، وعلى هذا فإن القرآن الكريم يحكي لنا أن الجبال تسجد بين يدي الله تعالى دون أن يراها أحد من البشر يقول الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾⁽¹⁾ "وأما الجبال والشجر فسجودهما بفيء ظلالهما عن اليمين والשמائل"⁽²⁾ وهناك آيات في القرآن العظيم تشير إلى هذه القضية، وهي تسبيح الجبال في خفاء تام لا يسمعها الإنسان وفي هذا إشارة إلى شمول قدرة الله تعالى وعلمه الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، يقول الله تعالى عن تسبيح الجبال مع سيدنا سليمان ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾⁽³⁾ ونلاحظ في النص القرآني السابق أن كلمة الجبال مقدمة على الطير؛ "لأن تسبيحها أعجب وأدل على القدرة، وأدخل في الإعجاز؛ لأنها جماد. والتذييل بقوله ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾"⁽⁴⁾ إشارة إلى أنه ليس ببدع في جانب القدرة الإلهية، وإن كان عند المخاطبين عجيبيًا"⁽⁵⁾ ويقول ابن كثير "ولا شك أن صدور التسبيح من الحصى الصغار الصم التي لا تجاوب فيها، أعجب من صدور ذلك من الجبال، لما فيها من التجاوب والكهوف، فإنها وما شاكلها تردد صدى الأصوات العالية غالبًا"⁽⁶⁾ وهذه الأصوات العالية

(1) سورة الحج آية: 18.

(2) تفسير القرآن العظيم، 5 / 355.

(3) سورة الأنبياء، آية: 79.

(4) سورة الأنبياء من الآية: 79.

(5) محاسن التأويل، 7 / 211.

(6) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، دار الفكر، عام النشر: 1407 هـ - 1986 م، 6 / 286.

يختلف كل صوت عن الآخر وذلك لئلا يتوهم الإنسان أن الجبال كلها تسبح بصوت واحد وهذا أبلغ في الدلالة القرآنية أن اختلاف الأصوات يشير إلى التمييز فجاء التعبير بصيغة المضارع (يُسَبِّحْنَ) "ولما كان وجود التسبيح من الجبال شيئاً فشيئاً أعجب؛ لأنها جماد، عبر بالفعل المضارع، فقال مصوراً لتلك الحال معبراً بضمير الإناث إشارة إلى أنها بعد ما لها من الصلابة صارت في غاية اللين والرخاوة، يسبح كل جبل منها بصوت غير مثبه بصوت الآخر، لأن ذلك أقرب إلى التمييز والعلم بتسبيح كل على انفراده: ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ ولم يقل: «مسبحة» أو «تسبح» لئلا يظن أن تسبيحها بصوت واحد ليشكل الأمر في بعضها"⁽¹⁾.

والتسبيح للجبال إنما هو على الحقيقة فحقيقة الأمر أن الأرض تسبح والجبال جزء من الكل أي من بعض الأرض وإثبات الأخص يستلزم إثبات الأعم، وجاء التسبيح بصيغة الجمع في أكثر من آية في القرآن الكريم. "و التسبيح إما حقيقة أو مجاز، وقد قال بالأول جماعة وهو الظاهر. وذلك أن داود كان إذا سبح سبحت الجبال معه وقيل: إنها كانت تصلي معه إذا صلى، وهو معنى التسبيح. وقال بالمجاز جماعة آخرون، وحملوا التسبيح على تسبيح من رآها تعجبا من عظيم خلقها وقدرة خالقها وقيل: كانت الجبال تسير مع داود، فكان من رآها سائرة معه سبح"⁽²⁾. ومما يؤكد أن تسبيح الجبال مع نبي الله داود على سبيل الحقيقة وليس على سبيل المجاز ما ذكره الإمام القرطبي حيث قال: "قال وهب: كان داود يمر بالجبال مسبحا والجبال تجاوبه بالتسبيح، وكذلك الطير. وقيل: كان داود إذا وجد فترة أمر الجبال فسبحت"⁽³⁾ وتسبيح الجبال والطير مع نبي الله داود إنما معناه الترجيع⁽⁴⁾

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، 16 / 351.

(2) فتح القدير، للشوكاني، اليمني، 3 / 494.

(3) الجامع لأحكام القرآن 11 / 319.

(4) الترجيع: تردد الصوت في الحلق، مثل ترجيع أهل الألحان في القراءة والغناء، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: 573هـ) تحقيق: د. حسين

"ومعنى رجعي معه سبحي معه ورجعي التسبيح معه"⁽¹⁾ "وقلنا يا جبال رجعي معه التسبيح والطيير أي وأمرنا الطير بالترجيع معه كذلك"⁽²⁾ "ومن هنا فإن كل شيء أي موجود في الكون سواء أكان صغيراً أم كبيراً قويا كان أم ضعيفاً جماداً كان أم حيواناً يسبح الله تعالى.

ب- سجود الجبال وإخفاء ذلك عن مدارك البشر:

إن سجود الجبال لله تعالى أمر بديهي؛ لأنه قدورد الدليل من القرآن الكريم مبيناً على أن الجبال والشجر يسجدان لله تعالى ومن ثم فإن سجود الجبال قضية لا ينكرها إلا من غاب عقله وحسه، فهي خلق من مخلوقات الله تعالى تسجد له فمثلها كمثل أي مخلوق آخر يسجد لخالقه (ﷻ)، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾⁽³⁾ فهذه الآية الكريمة تشير إلى سجود الجبال بين يدي الله تعالى ولكننا لا نفقه هذا السجود كما لا نفقه أيضاً كيفية التسبيح. "قيل إن الكل يسجد له ولكننا لا نفقه عليه كما لا نفقه على تسبيحها قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾"⁽⁴⁾ وقيل سمي مطاوعة غير المكلف له فيما يحدث من أفعاله وتسخيره له سجوداً له تشبيهاً لمطاوعته بسجود المكلف الذي كل

بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م، 4 / 2438.

(1) معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج 4 / 243.

(2) المصحف المفسر، محمد فريد وجدي، مطبعة العلوم، 1368 هـ، 1948 م، 566.

(3) سورة الحج آية: 18.

(4) سورة الإسراء من الآية: 44.

خضوع دونه"⁽¹⁾ ومن هنا فإن الجبال تخشع لله تعالى وتسجد له سبحانه وهذا السجود لا نعلم كيفيته.

فلسفة سجود الجبال وركوعها وإخفاء ذلك عن مداك البشر:

إن سجود الجبال وركوعها في المنظور الإسلامي يقف عنده العقل السليم ويسلم به؛ لأن هذا السجود والركوع لا ينقطعان أبدًا فمثله كمثل بقية النسيج الكوني بأكمله ولكن الإنسان يفكر في كيفية سجود تلك الجبال الشامخات المرتفعة دون أن يراها أحد.

والجواب كما يقول الدكتور ماهر الصوفي "الجبال جزء من خلق الله سبحانه التي تسجد لله وسجودها مستمر ودائم ولا ينقطع عنها وكما أن المؤمن لا ينقطع عن سجود الله سبحانه كل يوم كذلك باقي الخلائق فهي ساجدة ومسبحة لله تعالى على الدوام وفي كل الأوقات، ولكن الناس تركع لله على هيئة معينة وتسجد لله على هيئة معينة ولكن نحن لا نرى الجبال إلا في هيئة واحدة لا تركع ولا تسجد ولا يتغير شكلها ولا هيئتها فكيف تسجد هذه الجبال وهي شامخة هذا الشموخ ومرتفعة هذا الإرتفاع الذي يصل في بعض الأحيان إلى حوالي 9000 أي تسعة آلاف كيلو مترات؟ صحيح أننا لا نرى، وهذا جبل نعيش بجواره وما شاهدناه مرة تغير في هيئته ولا مكانه، ولم نر هرمه الأعلى ينحني فيأخذ صفة السجود.. نعم إن الجبل لا يتحرك ولن يتحرك فهي تسبح وتسجد ولكن... لا تفقهون تسبيحهم ولا سجودهم، وعبادتهم وطاعتهم لله سبحانه يقول الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾⁽²⁾ فعالم الغيب كبير جدًا وما أخفي عنا لا يقارن بما أعلمنا الله سبحانه به

(1) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، 2 / 432.

(2) سورة الإسراء آية: 44.

وأدراكنا به، فما علمناه لا يشغل في علم الله أكثر من حبة رمل واحده على شاطئ
بحر يمتد آلاف الكيلومترات⁽¹⁾.

ج- خشوع الجبال وإخفاء ذلك عن مدارك البشر:

ومعنى الخشوع هو "الانقياد للحق، وقيل: هو الخوف الدائم في القلب،
وقيل: من علامات الخشوع أن العبد إذا غضب أو خولف أو رُدَّ عليه استقبل ذلك
بالقبول"⁽²⁾ وجاء التعبير القرآني بمعنى الإنقياد والخضوع في قول الله تعالى: ﴿لَوْ
أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشَعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾⁽³⁾ والمعنى أي أي
جبل كان ﴿لَّرَأَيْنَاهُ﴾ مع صلابته وفوته يا أشرف الخلق إن لم يتأهل غيرك لمثل
تلك الرؤية ﴿خَشَعًا﴾ أي مطمئنًا مخبئًا على صلابته متذللاً باكياً ﴿مُتَصَدِّعًا﴾
أي متشقّقًا غاية التشقق كما تصدع الطور لتجلينا له بما دون ذلك من العظمة
التي جلونا كلامنا الشريف لموسى في ملابسها ﴿من خشية الله﴾ أي من الخوف
العظيم من له الكمال كله حذرًا من أن لا يكون مؤديًا ما افترض عليه من تعظيم
القرآن عند سماعه⁽⁴⁾ وإذا كانت الجبال تسجد لله تعالى فإن هذا السجود والانقياد
دليل على كمال القدرة الإلهية التي تفوق عقول البشر وكذا سمعهم وأبصارهم وقد
جعل الله تعالى هذا السجود في خفاء دائم وكل ذلك في حيز الإمكان.

يقول الدكتور / ماهر الصوفي: "وطالما أننا نؤمن بكل القرآن وبكل آياته
وكلماته فهذا يعني أن الإيمان المطلق على أن الجبال تسبح لله سبحانه سواء
سمعنا أولم نسمع رأينا أولم نر فإن قدرة الله سبحانه تفوق عقول البشر وسمعهم

(1) الموسوعة الكونية الكبرى، 9، 10 / 5.

(2) التعريفات، 98 / 1.

(3) سورة الحشر من الآية: 21.

(4) نظم الدرر في تناسب الآيات والصور، البقاعي، 16 / 462.

وأبصارهم وأن عالم الغيب مخفيٌ عنا كله، ومن جملة هذا الغيب تسبيح الجمادات لله سبحانه وسجودها له، وقد جعل الله سبحانه عالم الغيب جزاء من الامتحان للبشر على هذه الأرض يقول الله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾⁽¹⁾ وقد ذكر الله سبحانه الجبال وخصها بالذكر في السجود والتسبيح وأدخلها أيضًا في عموم الآية القرآنية⁽²⁾ التي يبين أنه ما من شيء إلا يسبح بحمد الله (عز وجل)⁽³⁾، ومن هنا فإن الجبال تسبح وتذكر الله تعالى ولكن لا نفهم كيفية تسبيحها؛ لأنه أخفاه عن مدارك العباد ليتداركوا رحمة الله بعباده، وإذا كانت الجبال تسبح ربها فإن هناك الرعد والصواعق تسبح أيضًا ولكن الله أخفى تسبيحها وتهليلها عن مدارك العباد لحكم جليلة.

حكمة إخفاء تسبيح الجبال وسجودها عن البشر

وتظهر الحكمة في إخفاء تسبيح وسجود الجبال عن مدارك البشر في الأمور التالية.

أولاً: أن في إخفاء تسبيحها لمن أعظم الأدلة على وجود الله تعالى ووحدانيته: من المعلوم لدى الدارسين أن الجبال تخر هذا وذلك بسبب من يدعي اتخاذ الولد لله تعالى وفي ذلك يحكي القرآن هذا المشهد فيقول: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ

(1) سورة المائدة من الآية: 94.

(2) الآية القرآنية التي تشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿سُبْحٌ لَّهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [سورة الإسراء: آية: 44].

(3) الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في الجبال والصحارى والنباتات، د/ ماهر الصوفي، المكتبة العصرية - صيدا بيروت، ص 50.

هَذَا ﴿١﴾ ومدلول الآية يشير إلى "عرض لمقولة من مقولات الضالين، وهم تلك الطوائف من اليهود والنصارى، الذين نسبوا إلى الله الولد، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ أَبْنَى اللَّهِ وَوَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحَ ابْنُ اللَّهِ﴾ (٢) وفي الإخبار بقولهم هذا، تهديد لهم، ووعد شديد، بما سيلقون من وراء هذا الافتراء، الذي فرغت له السموات والأرض، حتى لقد اضطرب كيانهما، فكادت السموات تتشقق، وكادت الأرض تتصدع وتنخسف، وكادت الجبال تنهدّ وتتهاوى.. فمن يمسك على هذه الموجودات وجودها، ومن يحفظ عليها نظامها، إذا كان لله ولد؟ إن إلها يتخذ ولدا لأعجز من أن يقوم على أمر نفسه، فضلاً عن أن يدبر وجود غيره ويحفظه" (٣).

والإمام الألوسي يوضح أن اتخاذ الولد يعطل وظيفة هذه الجمادات عن التسبيح وتنزيه الذات العلية عن الولد والشريك والند، فكل ذرة تشهد بوحدانية تعالى، ومما دلت عليه السموات والأرض والجبال بل وكل ذرة من ذراتها أن الله تعالى مقدس عن نسبة الولد إليه: فالمعتقد نسبة الولد إليه (عَلَيْهِ) قد عطل دلالة هذه الموجودات على تنزيه الله تعالى وتقديسه فاستعير لإبطال ما فيها من روح الدلالة التي خلقت لأجلها إبطال صورها بالهد والانفطار والانشقاق (٤).

ثانياً: إثبات القدرة الإلهية:

إن الجبال والجمادات تسبح بحمد ربها، وكيف لا وقد بين القرآن الكريم في أكثر من آية، أن الجبال تخضع لنزول القرآن عليها وقلوب العباد التي هي مضغة لحم أقسى من الجبال، وإذا كان الأمر كذلك فإن خشوع الجبال وسجودها دليل على كمال القدرة الإلهية "فهذا حال الجبال وهي الحجارة الصلبة، وهذه رقتها

(١) سورة مريم، الآيات: ٨٨ - ٩٠.

(٢) سورة التوبة: ٣٠.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، ٨ / ٧٧٢.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٨ / ٤٥٥.

وخشيتها وتدكدكها من جلال ربها وعظمتها، وقد أخبر عنها فاطرها وباريها أنه لو أنزل عليها كلامه لخشعت ولتصدعت من خشيته. فيا عجباً من مضغة لحم أقسى من هذه الجبال! تسمع آيات الله تتلى عليها، ويذكر الرب تبارك وتعالى، فلا تلين ولا تخشع ولا تنيب فليس بمستنكر لله (ﷺ) ولا يخالف حكمته أن يخلق لها ناراً تذيبها إذ لم تلتن لكلامه وذكره وزواجه ومواعظه. فمن لم يلن لله في هذه الدار قلبه، ولم ينب إليه، ولم يذبه بحبه والبكاء من خشيته، فليتمتع قليلاً، فإن أمامه الملئ الأعظم، وسيرد إلى عالم الغيب والشهادة فيرى ويعلم⁽¹⁾. وليس أمر تسبيح الجبال وسجودها لله (ﷺ) إلا دليل قدرته تعالى... فكيف الجمادات ونحن لا نرى منها شيئاً سوى أنها مادة صلبة أو سائلة لا حياة فيها ولا روح وهنا يكمن الإعجاز الإلهي وإعجاز يفوق حد التصورات العقلية البشرية.. فإذا كنا أمرنا بالإيمان بالغيب فتسبيح الجبال وسجودها جزء من الغيب إلا أنها فعلاً تسبح الله سبحانه وتسجد ليس من قبيل الإيمان بالغيب وحسب بل إن العقل يدلنا أن هذا أمر نافذ وصحيح لإيماننا المطلق بقدرة الله سبحانه المطلقة⁽²⁾.

ثالثاً: الإيمان بعالم الملائكة:

من المعلوم لدى الدارسين أن الإيمان بالملائكة ركن من أركان العقيدة الإسلامية ومن ثم فإن هناك ملائكة موكلين بالجبال لذلك عندما عرض النبي (ﷺ) نفسه على أهل الطائف⁽³⁾ ليدعوهم إلى دين الله تعالى وحده وترك ما عداه

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، 2 / 228 وما بعدها.

(2) الموسوعة الكونية الكبرى، د / ماهر الصوفي، 9، 10 / 52.

(3) ولما كانت مدينة الطائف هي المدينة الثالثة الكبيرة (بعد مكة ويثرب) التي سعدت بقدوم النبي (ﷺ) إليها، وقد كانت هذه الرحلة في سبيل الدعوة حدثاً كبيراً، ليس في السيرة النبوية وحدها بل في تاريخ النبوات والدعوات وقد قصدتها مرتين، الأولى في شوال في السنة العاشرة بعد البعثة، والثانية في شوال في السنة الثامنة بعد الهجرة- استحققت- أكثر من مدينة أخرى في الجزيرة- أن تلقى عليها بعض الأضواء لتعرف مكانتها التاريخية والجغرافية والاجتماعية، وإلى القارئ بعض المعلومات عنها: تقع مدينة الطائف على مسافة خمسة وسبعين ميلاً تقريباً إلى الجنوب، يراجع: السيرة النبوية

لكنه لم يجد منهم إلا الإعراض، وعدم الاستجابة لدعوة النبي (ﷺ) بل آذوا وأدموه... وما إلى ذلك "وفيه يقول النبي (ﷺ): ((فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَتَنَظَّرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَتَنَادَانِي. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ (ﻋَزَّ وَجَلَّ) قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. قَالَ: فَتَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَحْشَبِينَ". فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))⁽¹⁾ ومن هنا فإن الجبال خلق من خلق الله تعالى يسبح الله تعالى ولكن لا نعرف كنه هذا التسبيح بل أخفاه الله عنا لحكمة هو يعلمها وحده دون سواه.

فلسفة تسليم الحجر على النبي (ﷺ) وإخفاء ذلك عن الصحابة

والدليل على ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله (ﷺ): ((إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ؛ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ))⁽²⁾ يقول الإمام النووي "فيه معجزة له (ﷺ) وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة ﴿وَأِنْ مِنْهَا

لأبي الحسن الندوي علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: 1420هـ) دار ابن كثير - دمشق، الطبعة: الثانية عشرة - 1425هـ، ص209.

(1) الحديث أخرجه الإمام البخاري في "صحيحه" كتاب "بدء الخلق" باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه (115/4) (3231)، ومسلم في "صحيحه" كتاب "الجهاد والسير" باب ما لقي النبي (ﷺ) من أذى المشركين والمنافقين (1420/3) (1795) من حديث عائشة - رضي الله عنها.

(2) الحديث أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" كتاب "الفضائل" باب فضل نسب النبي (ﷺ)، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (1782/4) (2277)، وأحمد في "مسنده" (419/34) (208282)، من حديث جابر بن سمرة - رضي الله عنه.

لَمَّا يَهْطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴿١﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ﴿٢﴾ وفي هذه الآية خلاف مشهور والصحيح أنه يسبح^(٣) ومن هنا فإن الحجارة تسلم على النبي ﷺ) ويخلق الله تعالى لها أصواتًا بقدرته تعالى، وهذا كله في حيز الإمكان، وقد أخبر الصادق المصدوق عن ذلك فيجب الإيمان، وعلى هذا فإن تسبيح الحجر وتسليمه على الرسول ﷺ لا يسمعها أحدٌ من الصحابة؛ لأن ذلك السماع وتلك اللغة لا يفهمها إلا الأنبياء والمرسلون فقط لذلك " فإن الصحيح من مذاهب أئمتنا أن كلام الجمادات راجع إلى أن الله تعالى يخلق فيها أصواتًا مقطعة من غير مخارج يُفهم منها ما يُفهم من الأصوات الخارجة من مخارج الفم وذلك ممكن في نفسه والقدرة القديمة لا قصور فيها فقد أخبر بها الصادق فيجب له التصديق كيف لا وقد سمع من حضر تسبيح الحصى في كفه وحنين الجذع والمسجد قد غُص بأهله^(٤).

إخفاء تسبيح الرعد والبرق

الرعد في اللغة: جاء في معجم مقاييس اللغة أن "الراء والعين والذال أصل واحد يدل على حركة واضطراب. وكل شيء اضطرب فقد ارتعد... ومن الباب

(1) سورة البقرة من الآية: 74.

(2) سورة الإسراء من الآية: 44.

(3) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، 15 / 36.

(4) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمى: الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج) الهزري محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهزري، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، المستشار برابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة، ج 23، ص 12، دار المنهاج - دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (578 - 656 هـ) حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت) الطبعة: الأولى، 1417 هـ، 1996 م، 6 / 51.

الرَّعْدُ، وهو مَصْعُ مَلَكٍ يسوق السَّحَابَ. والمَصْعُ: الحركة والذهاب والمجيء ويقال مصعت الدابة بذنبها، إذا حركته. ثم يتصرف في الرعد، فيقال رعدت السماء وبرقت. ورعد الرجل وبرق، إذا أوعد وتهدد. وأجازوا: أرعد وأبرق⁽¹⁾. وفي الصحاح: الرعد: الصوت الذي يسمع من السحاب⁽²⁾ ويعرف علماء الجغرافيا الرعد بأنه "يحدث نتيجة لتمدد الهواء الذي تخترقه هذه الشرارة بسبب شدة الحرارة ثم انكماشه وانضغاطه بشدة نتيجة للتبريد الذي يحدث بعد مرورها، ونظرًا لأن الضوء ينتقل بسرعة 298.000 كيلومتر في الثانية بينما ينتقل الصوت بسرعة 340 مترًا في الثانية"⁽³⁾.

الأدلة على تسبيح الرعد وإخفاء ذلك عن البشر

من الأدلة التي ساقها القرآن إخفاء تسبيح الرعد قول الله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾⁽⁴⁾.
أقوال العلماء حول هذه الآية:

"الرَّعْدُ: هو الصوت المسموع خلال السحاب بسبب احتكاك الأجرام السماوية، وتصادم سحابتين مختلفي الشحنة الكهربائية. والرعد بصوته الهادر المخيف يسبح الله تعالى وينزهه، ويعلن بلسان الحال خضوعه لله، وانقياده لقدرته

(1) مقاييس اللغة، 2 / 411.

(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2 / 474.

(3) الجغرافيا المناخية والنباتية، عبد العزيز طريح شرف، دار المعرفة الجامعية الطبعة: الحادية عشرة، 5 / 21.

(4) سورة الرعد الآية: 13.

وحكمته⁽¹⁾. ومن هنا نجد أن العلة في تقديم البرق في الآية الكريمة على الرعد لما في ذلك من التباين في سرعة كل منهما. "وهنا يأتي بالرعد وهو صوتي، ونحن نعرف أن سرعة الضوء أسرع من سرعة الصوت؛ ولذلك جاء بالبرق أولاً، ثم جاء بالرعد من بعد ذلك"⁽²⁾.

وعلى هذا فإن تسبيح الرعد وإخفاؤه عن البشر يدل دلالة قاطعة على أن يلتفت الإنسان إلى عظمة الله تعالى الذي يسبح له كل شيء سواء أكان ناطقاً أم صامتاً. وهذا الرعد الذي ينطلق من السحب، مدوياً هذا الدوى الذي يملأ الآفاق، هو صوت منطلق في الوجود، بين يدي تلك السحب المحملة بالغيث، ينادى بحمد الله، ويهتف بكل موجود أن يصحو من نومه، ويفيق من غفلته، ليستقبل هذه الرحمة المرسلة بحمد الله، والشكران له، على ما ساق إلى عبادته من نعم! وفي جعل «الرَّعْدُ» مسبِّحاً بحمد الله إشارة إلى أن الرعد دائماً يصحبه المطر، وهذا يعني أنه يبشر بتلك النعمة، ويزفّ إلى من يسمعون هذا الصوت، أن رحمة الله قريب منهم، إذ كان من شأن الرعد أن يتبعه المطر دائماً.. وليس كذلك البرق، الذي قد يصحبه مطر، وقد لا يصحبه، وهو الذي يسمّى البرق الخلب⁽³⁾، أي الذي يخدع، حيث يوعد بأن وراءه مطراً، ثم يخلف هذا الوعد.. وليست الإشارة إلى تسبيح الرعد، إلا إلفاتاً للإنسان، ودعوة له إلى أن يسبح ربه ويحمده، وإلا، فإنّ كل شيء يسبح بحمد الله دائماً⁽⁴⁾.

(1) التفسير الوسيط للزحيلي، 2 / 1153.

(2) تفسير الشعراوي - الخواطر، 12 / 7250.

(3) الخلب: الذي لا غيث فيه، كأنه خادع يومض، حتى تطمع بمطره، ثم يخلفك. ويقال: برق الخلب، وبرق خلب، فيضافان؛ ومنه قيل لمن يعد ولا ينجز وعده: إنما أنت كبرق خلب. ويقال: إنه كبرق خلب، وبرق خلب، وهو السحاب الذي يبرق ويرعد، ولا مطر معه. والخبّ أيضاً: السحاب الذي لا مطر فيه. يراجع: لسان العرب، 1 / 364.

(4) التفسير القرآني للقرآن، 7 / 84.

نعمة إخفاء شدة صوت الرعد والبرق عن مسامعنا في العلم الحديث

من حكمة البارئ جلا وعلا أنه قد أخفى شدة صوت الرعد عن مسامعنا رحمة بنا ولطفًا منه (ﷺ) لذلك حينما نشاهد البرق فإننا نستمع لأصوات شديدة فهذه الذبذبة قليلة بالنسبة للبشر؛ لأن الله تعالى حجب شدتها وارتفاعها عن مسامعنا "ومن غريب الرعد والبرق أنهما لا يكونان في المناطق الباردة؛ لأن البرد يطفئ البخار الدخاني الذي يتمثل في ذرات عضوية سالبة وموجبة. غير أن شدة البرق والرعد تحدث انهيارًا شديدًا للمطر بسبب تكاثف الغمام وسهولة تحول خصائصه الغزية إلى ماء؛ وعندما نشاهد البرق في السماء ننتهيًا لسماع صوت الرعد؛ لأن سرعة الضوء أسبق من سرعة الصوت، يخترق الرعد كل درجات الصوت التي تحدث على سطح الأرض؛ لأن ضجيجها يملأ السماء ضجًا ورعًا وهي تصلنا مخففة لبعدها عن سطح الأرض وكلما اقتربنا من مصدر الصوت كلما كان تأثير أخطر على أذاننا وربما كانت قوة الصوت تفوق قدرة الإنسان في اسماعها فتخسر بذلك حاسة السمع"⁽¹⁾.

فلسفة تسبيح الرعد حمدًا والملائكة خيفة وإخفاء ذلك عن البشر

والمتأمل في الآية الكريمة يجد أن تسبيح الرعد على سبيل الحمد لما يترتب عليه أنه يقع على إثره الأمطار التي تحيا بها العباد والبلاد ويسبح الرعد بحمد الله ليشارك الناموس الكوني في التسبيح ويشارك معه الملائكة الكرام الذين يسبحون الله تعالى في كل وقت وحين⁽²⁾.

(1) بناء الكون ومصير الإنسان، نقض لنظرية الانفجار الكوني الكبير، حقائق مذهلة في العلوم الكونية والدينية، هشام طالب، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى 1427هـ، 2006م. / 392.

(2) فعن أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): ((إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطُ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ)). الحديث أخرجه الترمذي في سننه، كتاب "الزهد"، باب في قول النبي (ﷺ) لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا (556/4) (2312)، وابن ماجه في "سننه" كتاب "الزهد" باب: الحزن والبكاء (1402/2)

يقول الدكتور عبد الله شحاته -رحمه الله-: "الرد هو ذلك الصوت المفرق المدوي، وهو أثر من آثار الناموس الكوني الذي صنعه الله أيًا كانت طبيعته وأسبابه فهو رجع صنع الله في هذا الكون وهو يحمد ويسبح بلسان الحال للقدرة التي صاغت هذا النظام كما أن كل مصنوع متقن يسبح ويعلن عن حمد الصانع والثناء عليه بما يحمله من جمال وإتقان وقد اختار التعبير أن يحصل صوت الرد تسبيحًا والحمد اتباعًا لمنهج التصوير القرآني في مثل هذا السياق وخلع سمات الحياة وحركاتها على مشاهد الكون الصامتة لتشارك في المشهد بحركة من جنس حركة المشهد وقد انضم إلى تسبيح الرد بحمد الله تسبيح الملائكة من خوفه ومن تعظيمه⁽¹⁾ ومن هنا فإن الرد ينطق ويسبح ولا مانع من ذلك؛ لأن كل ذلك في قبضة الله تعالى وحده ولا متصرف في الخلق سوى الخالق وحده فكل الكون يضج بالتسبيح والتحميد ولكن العباد لا يفهمون تلك اللغة التي يتحدث أو يتكلم بها. ويقول الإمام الشوكاني: "ويسبح الرد بحمده أي يسبح الرد نفسه بحمد الله، أي: متلبسًا بحمده، وليس هذا بمستبعد، ولا مانع من أن ينطقه الله"⁽²⁾.

إخفاء تسبيح السموات والأرض عن مدارك البشر

السموات والأرض يسبحان بحمد الله تعالى كل لحظة وكل وقت ولكن الله تعالى من واسع رحمته وفضله أن أخفى هذا التسبيح عن أعيننا ولم نشعر به. يقول تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ

(4190)، وأحمد في "مسنده" (405/35) (21516)، والحاكم في "مستدرکه" (554/2) (3883)، من حديث أبي ذر الغفار (رضي الله عنه) قال الترمذي بعد تخريجه لهذا الحديث: هذا حسن غريب. وقال الحاكم بعده: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(1) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د / عبد الله شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م، ص155.

(2) فتح القدير، للشوكاني، 3 / 87.

وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١﴾ والمعنى أنه "أعاد على السموات والأرض ضمير من يعقل، لما أسند إليها فعل العاقل وهو التسبيح. وقوله: "ومن فيهن" يريد الملائكة والإنس والجن، ثم عم بعد ذلك الأشياء كلها" (2).

التسبيح لا يكون إلا انصياعاً لفطرة الله تعالى وتوحيده

من المعلوم لدى الدارسين أن الكون بما فيه لا يخرج عن إرادة الله تعالى وعلمه، لذلك فإن كل ذرة في جنبات الكون تشهد بربوبيته تعالى ووحدانيته، وليس في العالم شيء إلا وقد دل على صانع لهذا الكون الفسيح دلالة الأثر على المؤثر والصنعة على صانعها والمعلول على علته. ومن هنا "فإن كل شيء في العالم بلا شك منزله لله تعالى عن السوء الذي هو صفة الحدوث وليس في العالم شيء إلا وهو دال بما فيه من دلائل الصنعة واقتضائه صانعاً لا يشبه شيئاً مما خلق، على أن الله تعالى منزله عن كل سوء ونقص، وهذا هو الذي لا يفهمه ولا يفقهه كثير من الناس كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (3) فهذا هو تسبيح كل شيء بحمد الله تعالى بلا شك وهذا المعنى حق لا ينكره موحد فإن كان قولنا هذا متفقاً على صحته وكانت الضرورة توجب أنه ليس هو التسبيح المعهود عندنا فقد ثبت قولنا وانتفى قول من خالفنا بظنه الكاذب وأيضاً فإن الله تعالى يقول ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (4) والكافر الدهري شيء لا يشك في أنه شيء وهو لا يسبح بحمد الله تعالى ألبتة. أ هـ" (5).

(1) سورة الإسراء آية: 44.

(2) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 10/ 266.

(3) سورة الإسراء من الآية: 44.

(4) سورة الإسراء من الآية: 44.

(5) الفصل في الملل والأهواء والنحل، بن حزم، ص72.

فلسفة تسبيح الجمادات ودواب الأرض وإخفاء ذلك عن مدارك البشر

جاء ذلك في قول الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾⁽¹⁾

يقول الدكتور أحمد شوقي إبراهيم "فالآية الكريمة تشير إلى تسبيح المخلوق غير العاقل كالجماد والدواب، وإلى تسبيح المخلوقات العاقلة في السموات والأرض في قوله تعالى ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾"⁽²⁾ ونلاحظ أنه قدم تسبيح المخلوقات غير العاقلة كالجماد والدواب، على تسبيح المخلوق العاقل؛ لأن في ذلك عبرة كبيرة وهي أن تسبيح غير العاقل أعجب في الخلق من تسبيح العاقل وأظهر على المقدرة، فقدم الأظهر على الظاهر، والأعجب قبل العجيب؛ وذلك حتى لا يظن الإنسان المسبح لله تعالى أنه وحده الذي يسبح خالقه وإنما يسبقه في التسبيح لله تعالى كل الجمادات وكل الدواب في السموات والأرض إلهامًا وفطرةً وانصياعًا وكرهاً"⁽³⁾.

وهذا التسبيح يدل دلالة قاطعة على أن هناك إلهًا واحدًا مريدًا سميعًا بصيرًا لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فالكل يسبحه ويمجده، يسبحه تسبيحًا لا نفهمه ولا نعقله. ومن هنا فإن الله "يخبر تعالى أنه يسبح له من في السموات والأرض أي من الملائكة والأناسي والجان والحيوان حتى الجماد، كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾"⁽⁴⁾ وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾"⁽⁵⁾ أي

(1) سورة الإسراء آية: 44.

(2) سورة الإسراء من الآية: 44.

(3) تسبيح الكون، الدكتور / أحمد شوقي إبراهيم، ص33.

(4) سورة الإسراء آية: 44.

(5) سورة النور آية: 41.

في حال طير أنها تسبح ربها وتعبد به بتسبيح ألهمها وأرشداه إلهيه، وهو يعلم ما هي فاعلة، ولهذا قال تعالى: ﴿كُلُّ قَدْعِلْمٍ صَلَاتُهُ، وَتَسْبِيحُهُ﴾⁽¹⁾ أي كل قد أرشده إلى طريقته ومسلكه في عبادة الله (ﷻ)⁽²⁾.

ويقول الفخر الرازي: أما قوله: ﴿كُلُّ قَدْعِلْمٍ صَلَاتُهُ، وَتَسْبِيحُهُ﴾⁽³⁾ ففيه ثلاثة أوجه:

- الأول: المراد كل قد علم الله صلاته وتسبيحه قالوا ويدل عليه قوله سبحانه: والله عليم بما يفعلون وهو اختيار جمهور المتكلمين.
- والثاني: أن يعود الضمير في الصلاة والتسبيح على لفظ كل أي أنهم يعلمون ما يجب عليهم من الصلاة والتسبيح.
- والثالث: أن تكون الهاء راجعة على ذكر الله يعني قد علم كل مسبح وكل مصل صلاة الله التي كلفه إياها⁽⁴⁾.

ومن هنا فإن الكون كله في مهرجان دائم ومستمر إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها وما ذاك إلا أن هناك إلهًا واحدًا يُسَبِّحُ له من في السموات والأرض. "إن تسبيح الكون حقيقة لا شك فيها وكأن الكون كله في مهرجان نوراني... إنه مشهد كوني حقيقي حاصل في كل لحظة من اللحظات منذ وجود الكون إلى يوم القيامة وما تسبيح الناس جميعًا إلا نغمة من النغمات ضمن سيمفونية كونية cosmic symphony رائعة الجمال عذبة الألحان"⁽⁵⁾.

(1) سورة النور من الآية: 41.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 6 / 66.

(3) سورة النور من الآية: 41.

(4) مفاتيح الغيب، للرازي، 24 / 402.

(5) تسبيح الكون، الدكتور / أحمد شوقي إبراهيم، ص 41.

وعلى ذلك فالعلم الحديث قد أثبت أن الكون بما فيه وكل من فيه يسبح الله تعالى ويمجده وهناك من لا يفهم هذا التسبيح على حقيقته وأما العلماء الذين من الله عليهم بصفاء القريحة ونباهة العقل هم الذين لا يفهمون كنه ذلك التسبيح. "وأما القاصرون فلا يفقهون أصلاً، وأما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله إذ لكل شيء شهادات شتى على تقديس الله سبحانه وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة"⁽¹⁾ والحكمة في ذكر الفقه دون الفهم في الآية؟ فالفقه في اللغة الفهم⁽²⁾، والقرآن الكريم قد ذكر الفقه دون الفهم "إشارة إلى تسبيح المخلوقات على أساس من العلم الصحيح؛ لأن كلمة (فقه) أي فهم على أساس من العلم والفقه علم الشريعة على أسس علمية وليس بمجرد فهم بغير أسس علمية، وهذا هو الفرق بين الفقه والفهم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾⁽³⁾ وفي الآية نفي للعموم وليس عمومًا للنفي بمعنى أن فقه تسبيح المخلوقات ليس محظورًا علينا فقد يصل إلى التعرف عليه بعض العلماء على أساس من العلم"⁽⁴⁾.

حكمة إخفاء تسبيح الكون ودلالته في العلم الحديث

والحكمة من عدم سماع البشر تسبيح المخلوقات الغير ناطقة فيه إشارة إلى لطف الله تعالى بالبشر ورحمته بهم، وذلك لعدم تحمل البشر كافة سماع هذه الأصوات إلا أن الله تعالى قد خص نوعًا من البشر، وهم الأنبياء والمرسلين فهؤلاء قد تحدثوا مع الجمادات وفهموا لغتها وترنيناها، وتفاعلوا معها دون أن يسمعها أو

(1) قواعد العقائد، أبو حامد الغزالي، ص 133.

(2) المصباح المنير: 2/ 656، القاموس المحيط: 4 / 289.

(3) سورة الإسراء من الآية: 44.

(4) تسبيح الكون، الدكتور / أحمد شوقي إبراهيم، ص 41.

يرأها الآخرون من حولهم⁽¹⁾ وقد "أعلمنا الله أنه علم سيدنا سليمان لغات كل الأقوام وكل الأمم المخلوقة لله، ولذلك عندما سمع سيدنا سليمان ما قالت النملة: ﴿فَنَبَسَمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾⁽²⁾. وهكذا علمنا أن الله قد أعطى أذن سليمان (عليه السلام) ما جعلها تمتلك حاسية التقاط الذبذبة الصادرة من صوت النملة وتقوم ما تعطيه وتؤديه تلك الذبذبة، لذلك تبسم سليمان (عليه السلام) من قولها؛ لأن الله علمه منطق تلك الكائنات. ولو علمنا الله منطق هذه الكائنات لفقهنا تسبيحهم لله، ونحن لا نفقه تسبيحهم؛ لأننا لم نتعلم لغتهم. ومثال ذلك -ولله المثل الأعلى- قد يسافر إنسان عربي إلى بلاد تتحدث الإنجليزية وهو يجهل تلك اللغة، فلا يفهم مما يقال شيئاً. إذن لو علمك الله منطق الطير، ومنطق الجماد، ومنطق النبات؛ لعلمت لغاتهم"⁽³⁾.

والحكمة في إخفاء تسبيح المخلوقات تظهر فيما يلي:

أولاً: لو سمعنا تسبيح هذه المخلوقات؛ لترتب على ذلك أن الحياة تصبح جحيماً لا يطاق، لذلك أخفاها الله تعالى عنا نحن البشر.

ثانياً: لو سمعنا تسبيحها؛ لما استطاع الإنسان العمل أو التفكير أو التدبر

(1) 1- أما عن تسبيح النمل ما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ، فَأَمَرَ بِجَهَازِهِ، فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِبَيْتِهَا، فَأُخْرِقَ بِالنَّارِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: فَهَلَّا نَمْلَةٌ وَاحِدَةٌ (وفي طريق: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَخْرَفْتَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ اللَّهَ؟! أخرج الإمام البخاري في "صحيحه" البخاري كتاب "الجهاد والسير" باب: إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق (62/4)(3019)، ومسلم في "صحيحه" كتاب "السلام" باب: النهي عن قتل النمل (1759/4)(2241)، وأبو داود في "سننه" كتاب "الأدب" باب: في قتل الذر (367/4)(5265) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه .

2- وعن تسبيح الطعام ما جاء عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: إِنَّكُمْ تَعُدُّونَ الْآيَاتِ عَدًّا، وَإِنَّا كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ (ﷺ) بَرَكَةٍ، لَقَدْ كُنَّا نَأْكُلُ الطَّعَامَ مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) وَنَحْنُ نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ، قَالَ: وَآتَى النَّبِيُّ (ﷺ)، فَوَضَعَ يَدَهُ فِيهِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): حَيَّ عَلَى الْوُضُوءِ الْمُبَارَكِ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ السَّمَاءِ، حَتَّى تَوْضَأْنَا كُلُّنَا. الحديث أخرجه الإمام البخاري في "صحيحه" كتاب "المناقب" باب: علامات النبوة في الإسلام (194/4)(3579)، والترمذي في "سننه" في "أبواب المناقب" باب: (597/5)(3633)، وقال الترمذي بعده: هذا حديث حسن صحيح.

(2) سورة النمل من الآية: 19.

(3) تفسير الشعراوي - الخواطر، 6 / 3609.

أو الراحة أو الاستحمام⁽¹⁾ أو النوم أو الاسترخاء⁽²⁾.

ثالثاً: لو سمعنا تسبيحها لفقد الإنسان عقله إذا سمع كل ما في الوجود من حوله يتكلم في وقت واحد - الحجر، والشجر، وغيره من النباتات، والزهور، والثمار، والمدر، والثرى، وغير ذلك من أنماط السكن والطعام والملابس والماء والهواء والثرى والغبار والقمر والكواكب والشمس والنجوم وغير ذلك من مختلف صور الخلق⁽³⁾.

إن من نعم الله تعالى على عباده أن جعل الكون كله يسبح بحمد الله، وهذا التسبيح معناه الانقياد والخضوع وهذا ما حكاه القرآن في قول الله تعالى: ﴿وَلَهُ ۥ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾⁽⁴⁾ وإذا كان الكون قاطبة يسبح الباري جلا وعلا فإن هذا دليل على وجوده تعالى، ومن هنا فإن الكون كله لو كان له ضجة تسبيح وتهليل وتحميد بصوت مرتفع ما استطاع الإنسان أن يعيش، وكيف وجهاز السمع في الإنسان لا يتحكم في أن يسمع أو لا يسمع بخلاف البصر فإن الإنسان يتحكم فيه في أن يبصر أو لا يبصر وهذا ما جاء به العلم، فالبصر حاسة يتحكم فيها الإنسان بإرادته، فأنا أستطيع أن أبصر ولا أبصر، وأستطيع أن أغمض عيني عما لا أريد أن أراه أو أدير وجهي، أو أدير عيني بعيداً عن الشيء الذي أريد أن أتجاهله، ولكن الأذن ليس لها اختيار في أن تسمع أو لا تسمع، فأنت في حجرة يتكلم فيها عشرة أشخاص، تصل أصواتهم

(1) المستحم: بضم الميم وفتح الحاء، من حم الشيء إذا سخن، واستحم فلان: اغتسل بالماء الحار، ثم صار كل اغتسال استحماماً، والمستحم: مكان الاستحمام، يراجع: معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبي، دار النفائس للطباعة، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م، ص427.

(2) الاسترخاء عدم الدقة أو عدم الانضباط، انتقلاً من الدلالة الحسية إلى الدلالة المعنوية، يراجع: معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، الدكتور أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، 1 / 110.

(3) من صور تسبيح الكائنات لله، د زغول النجار، دار نهضة مصر، / 9، بتصرف من الباحث.

(4) سورة آل عمران من الآية: 83.

جميعاً إلى أذنك، سواء أردت أم لم ترد، أنت تستطيع أن تدير بصرك، فترى منهم من تريد أن تراه، ولا ترى من لا تريد رؤيته، ولكنك لا تستطيع أن تسمع ما تريد أن تسمعه، ولا تسمع ما لا تريد، قد تتجاهله وتحاول أن تبدو وكأنك لم تسمعه، ولكنه يصل إلى أذنك، سواء أردت أم لم ترد⁽¹⁾.

ومن هنا فإن جهاز السمع لن يستطع أن يتحمل فوق معدله الذي خلق له، فسرعة الصوت في الهواء حوالي 340م/ثانية، وتتأثر بالحرارة: فهي 331 م/ثانية في 0° درجة و343 م/ثانية في 20° درجة. وكأن من رحمة الله تعالى بالإنسان الضعيف الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إنما هو مخلوق كأى مخلوق لكن الله تعالى خصه بتفضيله وتكريمه عن باقي المخلوقات ومن آثار تكريم الله تعالى للإنسان بأن حفظ عليه سمعه فلا يسمع تسبيح الكون إذ لو سمعه ماذا ستكون حياته؟ إن حياته يملؤها الجحيم والتعب والمشقة فلا يستطيع الإنسان أن يسير في الكون بل يتوقف عقله وفكره عما خلق له من العبادة والخضوع. وتتجلى الرحمة الإلهية في حجب هذه الأصوات المرتفعة عن الإنسان ليتهيأ لمعاشه، ولذلك فإن الإنسان لو جلس في مكان مليء بالأصوات المرتفعة فإنه سيفقد خصائص موجودة في الدماغ وهذه الخصائص من شأنها أنها تعمل على توازن الكائن الحي.

يقول العلم الحديث: "إن في الدماغ البشري خصائص لو فقدت إحداها لكانت حياتنا جحيماً، من هذه الخصائص خاصة الانتباه، وخاصة الاعتقاد، خاصتان متناقضتان، فالانتباه يركز الإنسان به على مفهوم واحد في وقت واحد"⁽²⁾. ومن نعم الله تعالى علينا أن جعل في الدماغ خاصية لولا وجودها في الإنسان لأصبحت

(1) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المرحلة: ماجستير، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، 1 / 340.

(2) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د/ محمد راتب النابلسي، دار المكتبي، سورية، دمشق - الحلبوني - جادة ابن سينا، الطبعة: الثانية 1426 هـ 2005 م. 1 / 115.

حياة الإنسان جحيماً لا يطاق وهي (الاعتیاد) "اعتاد الشيء: من العادة"⁽¹⁾ وإذا تعود الإنسان على شيء كالأصوات المرتفعة فإن من رحمة الله على عباده أن جعل في الدماغ هذه الخاصية وفي هذا المعنى يقول العلم الحديث "هناك خاصية في الدماغ تنشط هذه التنبيهات وتخمدها، ولا توصلها إلى الدماغ مركز التنبيه، وهذه الظاهرة اسمها الاعتیاد، أي تجاهل المنبه بعد مرور فترة معينة، على الرغم من استمراره. هاتان الظاهرتان في الدماغ لولاهما لأصبحت حياتنا جحيماً"⁽²⁾ ومن هنا فإن إخفاء تسبيح الكون من فرط كثرتة ما هو إلا رحمة الله به، وهذا الخفاء نعمة من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ نَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾⁽³⁾.

(1) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، 4839/7.

(2) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د/ محمد راتب النابلسي، 1/ 117.

(3) سورة إبراهيم من الآية: 34.

الفصل الرابع

نعمة الخفاء من شدة الارتفاع والانخفاض

توطئة

من المعلوم لدى الدارسين أن الله تعالى قد خلق كل شيء لخدمة الإنسان بدليل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾⁽¹⁾ وخلق له كل ما يحتاجه من ضروريات الحياة، وعلى هذا فقد وهب الله تعالى للإنسان العقل به يعرف ما يضره وما ينفعه... إلخ، وإذا كان الإنسان يعرف من خلال عقله ما يضره وما ينفعه فهناك أشياء قد أخفاها الله عن العباد؛ وذلك لوجود ضررها الكبير الذي يحيط بالإنسان من كل جانب وذلك مثل الأشعة فوق البنفسجية وغيرها، وهذه الأشعة هي موجة كهرومغناطيسية ذات طول موجي أقصر من الضوء المرئي. وتسمى الأشعة فوق البنفسجية أحياناً بالأشعة السوداء بسبب عدم رؤيتها بالعين المجردة.. وبعض أشعة الشمس التي ترسلها مرئي والبعض الآخر خفي، ولقد أمكن تحليل أشعة الشمس بمنشور زجاجي منذ عهد نيوتن في القرن السابع عشر الميلادي. وتحلل أشعة الشمس إلى ألوان سبعة هي: الأحمر، فالبرتقالي، فالأصفر ثم الأخضر فالأزرق فالنيلي ثم البنفسجي، وأول أمواج هذه الأشعة هي الحمراء وأقلها البنفسجي، ولقد لوحظ أن أمواج الأشعة الحمراء ترفع درجة الحرارة وأنه إذا انتقل مقياس الحرارة فيما وراء اللون الأحمر فإن الحرارة ترتفع أكثر⁽²⁾ ومن هنا فإن الأشعة التي تسببها الشمس الساقطة على الكون فيها ضرر كبير على الكائنات بأسرها لكن هذا الضرر قد أخفاه الله عن مدارك البشر لحكمة سنبينها في الفصل من خلال مبحثين وهما:

(1) سورة البقرة من الآية: 29.

(2) المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، محمد محمود محمددين، وطه عثمان الفراء، دار المريخ، الطبعة: الرابعة ردمك: 2 - 501 - 24 - 9960 م / 83.

المبحث الأول: نعمة إخفاء الأشعة فوق البنفسجية وأثر ظهورها الضار على الإنسان.

المبحث الثاني: نعمة إخفاء الأصوات المرتفعة على سمع الإنسان وظهور ضررها عليه.

المبحث الأول

نعمة إخفاء الأشعة فوق البنفسجية

وأثر ظهورها الضار على الإنسان

تعريف الأشعة البنفسجية

جاء في معجم اللغة العربية أن "الأشعة فوق البنفسجية: أشعة موجودة في قمة طيف الضوء الأبيض غير المرئي"⁽¹⁾.

الأشعة فوق البنفسجية في العلم الحديث

يعني مصطلح الأشعة البنفسجية الإشعاعات الكهرومغناطيسية Electromagnetic التي يفوق ترددها تردد الضوء البنفسجي، وتمتد الأطوال الموجبة لهذه الشريحة بين الطول الموحى للضوء البنفسجي الذي يبلغ حوالي 38، ميكرون micron وحتى حوالي (1) نانومتر (nanometer) = 10 متر⁽²⁾.

تعريف الإشعاع الشمسي ونصيب الأرض منه

من المعلوم لدى الدارسين أن الشمس مصدر الضوء والطاقة التي لا يستغني أي كائن من الكائنات على ظهر المعمورة عنها، فهي تمد الأرض بالدفء والحرارة ومن ثم فإن الكون بأسره يستفيد من هذه الطاقة الشمسية على جهة العموم و"الإشعاع الشمسي بمعناه العام هو الطاقة الإشعاعية التي تطلقها الشمس في كل الاتجاهات، والتي تستمد منها كل الكواكب التابعة لها وأقمارها كل حرارة أسطحها وأجوائها، وهي طاقة ضخمة جدًا يقدرها البعض بنحو 170 ألف حضان

(1) معجم اللغة العربية المعاصرة، د / أحمد مختار عبد الحميد عمر، 1 / 149.

(2) الأشعة من حولنا، الدكتور / محمد فاروق أحمد، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1422 هـ / 2002 م / 29.

لكل متر مربع من سطح الشمس، ولكن الأرض لا يصيبها إلا حوالي جزء من ألفي مليون جزء من هذه الطاقة، وهذا القدر الضئيل هو المسئول عن كل الطاقة الحرارية لسطح الأرض وغلافها الجوي، وهو الذي نقصده عادة عند الكلام على الإشعاع الشمسي كعنصر من عناصر المناخ⁽¹⁾ "ومصدر حرارة الأرض الرئيسي هو الشمس فمن هذا الجسم الهائل الملتهب الذي تبلغ حرارة سطحه 700 درجة م تخرج أشعة قوية تصل إلى الأرض بعد مرورها في الفضاء لمسافة 93 مليون ميل فتعطي الأرض 1/2000.000.000 من قوة الأشعة التي تخرج من الشمس، هذا الجزء البسيط من أشعة الشمس يصل إلى الأرض فيسخنها ويمدها بالضوء"⁽²⁾ ومن هنا فإن الشمس تصل أشعتها إلى الكوكب الذي نعيش عليه ومن ثم فهي مصدر الدفء وبدونها لا يمكن أن يعيش أي كائن على الإطلاق وعلى هذا فإن الشمس هي السبب في إبقاء الحياة على الأرض - الأشعة الشمسية بما تحويه من حرارة وخاصة هي التي تجعل مياه المحيطات تنبخر ثم تتجمع في صورة سحب بعدها يتجمع السحاب ويتكثف مأؤه ويهطل في صورة أمطار⁽³⁾. "والشمس أيضًا ترسل أشعتها إلى سطح الكرة الأرضية فيسخن اليابس والماء، ولكن اليابس يسخن بسرعة أكثر من الماء. وسبب ذلك طبيعة الماء السائلة، وتحركه في هيئة أمواج وتيارات مائية وحركات مد وجزر، كل ذلك يؤدي إلى توزيع الحرارة على سطوح أكبر من الماء، وعدم حصرها في جزء محدود كما هو الحال في اليابس. أضف إلى ذلك أن أشعة الشمس تستطيع أن تنفذ خلال الماء إلى عمق كبير بسبب شفافيته مما يؤدي إلى توزيع الإشعاع الشمسي في سمك كبير من الماء،

(1) الجغرافيا المناخية والنباتية، عبد العزيز طريح شرف، دار المعرفة الجامعية، الطبعة: الحادية عشرة /43.

(2) جغرافية المناخ والنبات، الدكتور / يوسف عبد المجيد فايد، دار النهضة العربية /22.

(3) الشمس النجم الذي يهينا الحياة، بول برگا، ترجمة محيي الدين عبد الغنى، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى 2016 م / 175.

بينما يتركز الإشعاع في سمك رقيق في حالة اليابس المعتم الذي يتصف برداءة التوصيل للحرارة⁽¹⁾.

تركيب الإشعاع الشمسي الواصل إلى جو الأرض

يتركب الإشعاع الشمسي من عدة أنواع متباينة الأهداف والألوان والصفات وذلك التباين سببه الاختلاف الجوي "وتتوزع أشعة الشمس على النحو التالي: 9% أشعة فوق بنفسجية، وهي أقصر الموجات وتتراوح ما بين 0.1 و0.4 ميكرون. 1% أشعة مرئية وهي مصدر الضوء وهي عبارة عن موجات متوسطة تتراوح ما بين 0.3 و0.8 ميكرون. 21% أشعة تحت الحمراء "حرارية" وهي موجات طويلة تتراوح ما بين 0.8 و0.8 ميكرون. ويقدر ما يصل من أشعة الشمس إلى الأرض بنحو 70% فقط من الأشعة الساقطة عليها ويرتد الباقي 30% تقريبا إلى الفضاء الخارجي"⁽²⁾ ومن الممكن أن نقسم هذه الأنواع من الأشعة وذلك على النحو التالي:

1- الأشعة الحرارية: Thermal rays وهي المصدر الأصلي لحرارة سطح الأرض وجوها.

2- الأشعة الضوئية: Light rays وهي المسئولة عن ظهور ضوء النهار.

3- الأشعة الكيميائية: Chemical radiation وهي ضرورية جدًا لنمو الكائنات الحية؛ لأنها تنشط التفاعلات الكيميائية اللازمة للنمو. وتنتقل الأشعة الشمسية في الفضاء أو في الغلاف الجوي بشكل موجات تنتشر بسرعة عظيمة هي السرعة التي يطلق عليها اسم سرعة الضوء"⁽³⁾.

(1) قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية: جودة حسنين جودة، فتحي محمد أبو عيانة، دار المعرفة الجامعية. / 223..

(2) المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، محمد محمود محمدين/ طه عثمان الفراء. / 262.

(3) المقدمات في الجغرافيا الطبيعية، دكتور عبد العزيز طريح شرف، مركز الأسكندرية للكتاب، ص249.

أقسام الأشعة في العلم الحديث

العلم الحديث يقسم، الأشعة الشمسية عمومًا إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي:

1- أشعة غير مرئية:

وأغلبها أشعة حرارية ويتكون منها 51% من مجموع أشعة الشمس، وهي تنتقل عمومًا في موجات طويلة تتراوح أطوالها بين 0.8 و 0.9 ميكرون 1 وهذه هي أطول الموجات.

2- أشعة مرئية:

ومنها تتكون حوالي 37% من مجموع الإشعاعات الشمسية، وهي تنتقل في موجات متوسطة تتراوح أطوالها بين 0.3 و 0.8 ميكرون، وهي ذات ألوان مختلفة أهمها البنفسجية والزرقاء والخضراء والصفراء والحمراء، ويتكون من اختلاطها ببعضها ظهور الضوء الذي يتميز به النهار. ولكن من الممكن رؤيتها عند تحليل هذا الضوء بواسطة منشور زجاجي، كما يمكن تمييزها بوضوح كذلك عندما يتكسر الضوء على جزيئات الثلج المكونة للسحب، فيظهر نتيجة لذلك قوس قزح " المعروف.

3- أشعة فوق البنفسجية:

وموجاتها هي أقصر الموجات، وتتراوح أطولها بين 0.1 و 0.4 ميكرون، ومنها يتكون حوالي 12% من مجموع أشعة وهي ألف كيلو متر في الثانية. وتختلف الأشعة الشمسية في أطوال موجاتها فمنها ما ينتقل في موجات قصيرة مثل الأشعة فوق البنفسجية، ومنها ما ينتقل في موجات طويلة مثل الأشعة الحرارية وبعض الأشعة الضوئية خصوصًا الأشعة الحمراء⁽¹⁾.

(1) المرجع السابق: ص 250.

أهمية الأشعة فوق البنفسجية في الطبيعة

للأشعة فوق البنفسجية فوائد عديدة سخرها الخالق جلا وعلا للمخلوقات لخدمتهم والعناية بهم. وهذا إن دل فإنما يدل على لطف الله تعالى بالمخلوقات وعلى هذا فإن الأشعة فوق البنفسجية لها فوائد عديدة منها ما يختص بالإنسان ومنها ما يختص بالنبات... وغيرهما.

أولاً: أن فيها فوائد خاصة لصحة الإنسان، حتى إنها تساعد على علاج بعض الأمراض مثل السل والكساح. ويرجع ذلك إلى قدرتها على تكوين فيتامين (D) "د" في الجلد وعلى إضعاف أثر البكتريا وبعض الجراثيم أو قتلها. كما أنها هي التي تعطي لبشرة الإنسان اللون البرونزي الذي تتلون به عند تعرضها لأشعة الشمس على شواطئ البحار وفوق الجبال. وفائدة هذا اللون هي حماية الجلد من التأثير الزائد لهذه الأشعة"⁽¹⁾.

ثانياً: أنها مصدر من المصادر التي تشكل غاز الأوزون.

تعريف غاز الأوزون Ozone: يعرفه العلم الحديث بأنه "عبارة عن غاز شفاف يتكون من ثلاث ذرات أوكسجين ويميل لونه إلى الزرقة قليلاً ونسبته في الغلاف الغازي ضئيلة جداً"⁽²⁾ ومن هنا فإن كلمة الأوزون كلمة يونانية تعني "أنا أشم" والأوزون غاز سام، ويتكون نتيجة لاصطدام أشعة الشمس، وخصوصاً لأشعة فوق البنفسجية، بالطبقات العليا من الجو، وهنا يتحول بعض الأوكسجين إلى أوزون. وتمتص طبقة الأوزون كثيراً من الأشعة فوق البنفسجية التي لو وصلت بكاملها إلى سطح الأرض لقضت على كل الكائنات الحيوانية إذا ما اصطدمت بأجسامها"⁽³⁾ ولغاز الأوزون أهمية بالغة في الحفاظ على الكائنات الحية تتمثل في النقاط التالية:

(1) المقدمات في الجغرافيا الطبيعية، دكتور عبد العزيز طريح شرف /251.

(2) المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، محمد محمود محمد، طه عثمان الفرا. /377.

(3) المرجع السابق نفسه /258.

1. أنه يحمى سطح الكرة الأرضية من الأشعة فوق البنفسجية التي تصل من الشمس ولولاها لزلالت الحياة⁽¹⁾.
2. "أن طبقة الأوزون طبقة حامية أو درع واقية للحياة من أخطار زيادة الأشعة فوق البنفسجية، وقد شاع في السنوات الأخيرة أن هذه الطبقة تتآكل فوق القطبين نتيجة للتوسع في استخدام غازات ومركبات الكلورو فلورو كربون⁽²⁾.
3. أنه ينظم مناخ الأرض لما له من تأثير في توزيع درجات حرارة الغلاف الجوي⁽³⁾ ومن هنا فإن طبقة الأوزون من الأشياء التي تدفع ضرر الأشعة فوق البنفسجية عن الإنسان بوجه خاص وعن جميع الكائنات بوجه عام.

التأثيرات الضارة للأشعة فوق البنفسجية

من المعلوم لدى الدارسين أن الشمس لها أشعة وهذه الأشعة إن زادت عن معدلاتها فإن الحياة تصبح جحيماً لا يطاق ومن ثم فإن هناك فارقاً بين توزيع الأشعة بين أنواعها المختلفة وخاصة الأشعة الضارة "وتتوزع نسبة الأشعة في طيف الشمس على النحو التالي: 9% فوق البنفسجية، 70% مرئية "ضوئية" 21% تحت الحمراء حرارية". ولا يصل إلى الأرض إلا 1: 2000 مليون من أشعة الشمس، ومع ضآلة هذا القدر بالنسبة لما تشعه الشمس من طاقة هائلة، فإنه مسئول عن استمرار الحياة على سطح الأرض في جميع مظاهرها بإرادة الله (ﷻ)⁽⁴⁾.

(1) ثقب الأوزون وآثاره، بحث تكميلي من كلية التربية، جامعة الخرطوم، قسم الأحياء الباحثة: مناهل صلاح على، إشراف الدكتورة / علوية عبد الرحمن نشر سنة 2013م. / 14.

(2) المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة،: محمد محمود محمددين، طه عثمان الفراء / 258.

(3) ثقب الأوزون وآثاره، بحث تكميلي من كلية التربية، جامعة الخرطوم، قسم الأحياء الباحثة / مناهل صلاح على، إشراف الدكتورة / علوية عبد الرحمن / 14. مرجع سابق.

(4) المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، محمد محمود محمددين، طه عثمان الفراء، / 84.

وهناك تأثيرات ضارة فأخفاها الله عن مدارك البشر وذلك لعدم تحمل طاقتهم لها؛ لأنها تسبب أمراضًا كثيرة حيث تسبب أمراض العيون، وكذلك الأمراض الجلدية التي تصيب البشرة بسبب تلك الأشعة فوق البنفسجية، وكثيرًا من أمراض البكتريا عافانا الله من كل هذه الأوبئة فلو كانت الأشعة ظاهرة لنا لظهر على رؤيتها عدة أمراض. أما عن الأمراض التي تسببها الأشعة فوق البنفسجية عند ظهورها فهي:

1. الأمراض الجلدية وذلك بسبب: التعرض لجرعات كبيرة من ضوء الشمس يمكن أن يؤدي إلى حدوث التهابات وحروق في الجلد قد يزول أثرها بعد فترة معينة، وقد يبقى أثرها في صورة ندب دائمة في الجلد ربما تتحول إلى سرطانية جلدية مختلفة، ويُعد التلف الحاصل في الجلد إلى امتصاص طبقة الجلد السطحية للطاقة الضوئية الساقطة عليه⁽¹⁾، وعلى هذا فإن هذه الأشعة تسبب أمراضًا خطيرة تصل إلى مرض سرطان الجلد، ولكن لا يحدث هذا إلا في المناطق البعيدة عن خط الاستواء "ولا سيما بالنسبة لسكان المناطق البعيدة عن خط الاستواء حيث تزيد الأشعة فوق البنفسجية في المناطق التي لا تتعامد عليها أشعة الشمس، ويعرف سرطان الجلد باسم ميلانوما "Melanoma"⁽²⁾

2. ومن الأمراض التي تسببها الأشعة فوق البنفسجية أيضًا عند رؤيتها (مرض العيون Eye infections)، فأضرار العيون الأكثر انتشارًا بسبب ارتفاع أشعة الشمس فوق المعدل المتعارف عليه، وقد ينعكس هذا الضوء المرئي من هذه الأشعة فيؤثر على شبكة العين فيسبب عتامة العين "وتؤثر الحزم الكثيفة من الضوء المرئي والأشعة البنفسجية تأثيرًا سلبيًا على كل من العدسة والشبكية في العين البشرية، يمكن أن يصل إلى عتامة عدسة العين أو إلى حدوث تلف في الشبكية قد يؤدي إلى العمى الدائم ويتمثل التأثير الضار للأشعة فوق البنفسجية

(1) الأشعة من حولنا، الدكتور/ محمد فاروق أحمد /33.

(2) المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، محمد محمود محمددين/ طه عثمان الفراء، /84.

وللحزم الكثيفة في الضوء المرئي إلى التسخين الذي تحدثه هذه الأشعة في العين⁽¹⁾ "كما أن ازدياد تسرب الأشعة فوق البنفسجية يؤدي إلى تعرض العيون للإصابة بالمياه البيضاء "الكاتاركت Cataract" التي تسبب عتامة العيون"⁽²⁾.
وخلاصة القول: أن الأشعة فوق البنفسجية تسبب أمراضًا كثيرة زيادة على ما تقدم وهي:

- 1-نقص إنتاج المحاصيل الزراعية مثل فول الصويا والقطن والبقول.
- 2-تأثيرات مناخية، وحدوث ظواهر جوية غير مألوفة وفي غير مواعيدها.
- 3-التأثير الضار بالكائنات الدقيقة التي تعيش عليها الأسماك مثل البلانكتون مما يضر الثروة السمكية.
- 4-إصابة الحيوانات بالتهاب الملتحمة المشهور باسم العين الحمراء "Pinkeye"⁽³⁾ وعلى هذا فإن تأثير الأشعة فوق البنفسجية لا يقف عند مرض العيون والأمراض الجلدية، ولكن يمتد حتي يشمل الأمراض التي تصيب المحاصيل الزراعية مثل القضاء عليها؛ وذلك عندما تشتد حرارة الشمس في الهواء فتصاب المحاصيل بالتلف وعدم وجود إنتاج جيد، وكذلك الأمراض التي تصيب الثروة السمكية حيث يحدث موت كثير من الأسماك نتيجة الأشعة فوق البنفسجية، وأيضًا ما حدث في الجو من وجود رياح محملة بالأتربة وساخنة لوجود تساقط الأشعة على بعض البلدان فتنتشر الأمراض الحمى والنزلات المعوية وانتشار أمراض الصدر نتيجة ارتفاع أشعة الشمس، وأثبتت الأبحاث أن هناك علاقة بين ازدياد الإصابة بأمراض الجهاز التنفسي والنزلات الشعبية والأزمات الصدرية وبين ازدياد تسرب الأشعة فوق البنفسجية⁽⁴⁾.

(1) الأشعة من حولنا، د / محمد فاروق أحمد / 35 .

(2) المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، محمد محمود محمددين/ طه عثمان الفراء /380.

(3) السابق نفسه /380.

(4) المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، محمد محمود محمددين، طه عثمان الفراء، /380.

فلسفة إخفاء الأشعة فوق البنفسجية في العلم الحديث

هل يمكن للإنسان رؤية الأشعة فوق البنفسجية؟

والإجابة بالنفي وذلك للأسباب التالية هي:

أولاً: محدودية الحواس:

البصر لا يدرك هذه الأشعة؛ لأنه لو أدركها ورآها رأي العين لأصيب بالعمى فضلاً عن وجود أمراضاً خطيرة تصيب بدن الإنسان على الرغم أن فيها فوائد ولكن إذا زادت عن الحاجة فإنها تنعكس على الإنسان بالضرر البين "بل إنها قد تؤدي العين وتعرضها لبعض الأمراض مثل مرض ماء العين"⁽¹⁾ ومن هنا فإن البصر له نطاق لا يستطيع أن يتعداه؛ لأن هناك أشياء لا يمكن أن يراها وبالتالي يمكن أن نثبت أن هناك عالماً غير منظور أو العالم الخفي غير المدرك، وعلى هذا "فإن البصر له حدود لا يتجاوزها كما أن نفس الشيء المرئي إذا ابتعد أكثر من اللازم وتشوشت رؤيته، وهي ما تعرف بنقطة المدى ونقطتي الكتب والألوان المرئية لها طيوف يمكن للعين أن تبصرها، ولكن هناك إشعاعات عديدة لا تراها ولا يدركها البصر - إن هذا يجعلنا نقول إن هناك أشياء غير مرئية في الكون وهناك إشعاعات مجهولة وطاقات خبيثة وقوة خفية ولكن الإنسان كما يستوعب المرئيات ببصره والمسموعات بأذنه كذلك فإنه يستوعب اللامحسوسات بذهنه"⁽²⁾ وبناء عليه فإن البصر نعمة من الله تعالى لا يعرف قدرها إلا من فقدتها فيجب على الإنسان أن يحافظ عليها؛ لأنها من أهم أعضاء الجسم وعلى هذا فإن قدرة الجهاز البصري للإنسان محدودة...

(1) المقدمات في الجغرافيا الطبيعية، دكتور عبد العزيز طريح شرف. / 251.

(2) الطب محراب الإيمان، خالص جبلي كنجو، بحث أشرف عليه الأستاذ الدكتور / محمد فايز المط، مؤسسة لرسالة. 222/1.

ثانيًا عدم تحمل طاقة الإنسان إدراك أشعة الشمس غير المرئية

من المعلوم لدى الدارسين أن الإنسان لو تعرض لأشعة الشمس فإنها تضعف البدن وتسبب له كثيرا من الأمراض التي تضر جهاز المناعة لدى الإنسان، وهذا يرتبط تمام الارتباط بعملية سرطان الجلد. وعلى هذا فإن الأشعة فوق البنفسجية تسبب "الأمراض: وفي مقدمتها سرطان الجلد (skin cancer) ولا سيما بالنسبة لسكان المناطق البعيدة عن خط الاستواء حيث تزيد الأشعة فوق البنفسجية في المناطق التي لا تتعاند عليها أشعة الشمس"⁽¹⁾.

ثالثًا: الأشعة فوق البنفسجية تسبب المرض والوفاة

الإنسان لو تعرض لها لفترة طويلة يكون عرضة لأمراض كثيرة قد تسبب الوفاة ولذلك "أصدر تقريرًا سنة 2006م من منظمة الصحة أن التعرض الشديد للأشعة فوق البنفسجية قد يؤدي إلى حدوث وفيات قد تصل تقريبًا 60 شخص في سنة واحدة، ويرجع ذلك بسبب إلى الإصابة بالورم السرطاني الخبيث وأيضًا أورام الجلد بسبب هذه الأشعة.

1. قد تسبب حروق الجلد وأيضًا الحروق الشمسية.
2. قد تسبب أمراض العين.
3. قد تسبب في سرطان الخلايا الحرشفية (SCC أو SQCC) في العين
4. قد تسبب مرض بهربس الشفة (Herpes labialis) الذي يسبب الكثير من الآلام.
5. قد تسبب تنشيط الفيروس الذي يسبب مرض الإيدز.
6. قد تسبب ضعف جهاز المناعة (Weakened immune system)

(1) المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، محمد محمود محمدين، طه عثمان الفراء. / 380.

في جسم الإنسان مما يؤدي إلى عدم مقاومة الأمراض التي تقتحم جسم الإنسان مثل: السل والجذام والملاريا. تساعد على تدمير وهلاك الحياة النباتية المسؤولة على المحافظة على طبقة الأوزون⁽¹⁾.

حكمة إخفاء الأشعة فوق البنفسجية عن أنظار البشر في العلم الحديث

وتتمثل حكمة الخفاء في أن الله تعالى ركب في الإنسان حاسة البصر وهي من أسرار حكمته الإلهية في هذا الكائن الحي الذي استخلفه الله تعالى من بين سائر الموجودات وكرمه وميزه وقد خلقه الله تعالى في أحسن صورة وأعطاه حاسة البصر وركب فيها من العجائب التي تحтар فيها العقول وذلك لما فيها من التركيب البديع. "ومن العجائب سر كونها مبصرة للأشياء وهذا أمر يعجز عن شرح سره وركبها من سبع طبقات لكل طبقة صفة وهيئة مخصوصة بها، فلو فقدت طبقة منها أو زالت لتعطلت عن الإبصار، وانظر إلى أهمية الأشجار التي تحيط بها، وما خلق فيها من سرعة الحركة لتقي العين مما يصل إليها مما يؤديها من غبار وغيره فكانت الأشجار بمنزلة باب يُفتح في وقت الحاجة، ويُغلق في غير وقتها، ولما كان المقصود من الأشجار جمال العينين والوجه جعل شعرها على قدر لا يزيد زيادة تُضر بالعين ولا ينقص نقصاً يضر بها. وخلق في مائها ملوحة لتقطيع مما يقع فيها وجعل طرفيهما منخفضين عن وسطهما قليلاً لينصرف ما يقع في العين لأحد الجانبين وجعل الحاجبين جمالاً للوجه وستراً للعينين وشعرهما يشبه الأهداب في عدم الزيادة المشوهة"⁽²⁾، ومن خلال النص السابق نرى أن العين لها أسرار وحكم لا يعلمها إلا الصانع المدبر الذي خلق الخلق وهو أعلم بما ينفعهم

(1) تراجع: موقع، الساعة 9 مساء يوم 3 / 7 / 2019م اقرأ المزيد على معلومة ثقافية:

<https://www.thaqfya.com/uv-damage-eye/>

(2) الحكمة في مخلوقات الله، للإمام أبي حامد الغزالي الطوسي، تحقيق الدكتور / محمد رشيد قباني، بيروت، الطبعة الأولى 1978م، 1398 هـ. 46.

وما يضرهم قأعطاهم العقل ليميزوا به الخبيث من الطيب والخير من الشر والنفع من الضر... إلخ.

لخطورة الأشعة فوق البنفسجية أخفاها الله عنا

أثبت العلم الحديث أن الأشعة فوق البنفسجية ما هي إلا خطر مدمر للإنسان خاصة وللكون بصفة عامة وذلك إذا زادت أشعة الشمس عن معدلاتها التي وضعها الخالق الحكيم وصورها لنا القرآن الكريم في قوله: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آتِلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁽¹⁾ والمعنى "أن من قدرة الله (ﷻ)، ومن إحكام علمه، أن أجرى هذه العوالم بعلمه، وسخرها بقدرته، وأقامها على نظام محكم، وأجراها في مجار لا تتعدها.. فلا يصطدم بعضها ببعض، ولا يأخذ بعضها من بعض وضعا غير الذي أقامه الله فيه.. فلا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر. فهي مع سرعتها المذهلة، التي تبلغ ألوف المرات بالنسبة لسرعة القمر فإنها لا تدركه.. فهي لها فلك تدور فيه، كما للقمر فلكه الذي يدور فيه.."⁽²⁾، ومن هنا فإن القدرة الإلهية قد أوجدت الأشياء من العدم المحض إلى الوجود الحقيقي، ومنه إلى العدم مرة ثانية، وكذا الإرادة الإلهية في الكون العظيم التي تخصص الأشياء كل في مكانه لا يتعدى واحداً منهما على الآخر وذلك طبق قانون محدد ونظام شامل لهذا الكون، وقد أثبت العلم الحديث أن الشمس تجري في الكون وهي أكبر من الأرض بعدد كبير من المرات، وهذا من رحمة الله تعالى على البشر كافة، ومن نعم الله تعالى على عباده. وبناء على ذلك فإن "الأرض أصغر من الشمس بثلاث مئة ألف مرة، لولكن تصوروا لو أن الأرض كانت بحجم الشمس... الحياة ستصبح مستحيلة وهذه نعمة من نعم الله علينا"⁽³⁾.

(1) سورة يس آية: 40.

(2) التفسير القرآني للقرآن، 12 / 934.

(3) موسوعة الكحيلي، عبد الدائم الكحيلي، 19 / 21.

ماذا يحدث لو رأينا الأشعة فوق البنفسجية؟

الأشعة فوق البنفسجية لو رآها الإنسان لأصيب بالعمى، وعلى هذا فإن من رحمة الله تعالى أن أخفاها عن البشر رحمةً بهم وحرصاً منه على سلامة خلقه، وذلك أن من أسماء الله تعالى (الحفيظ) ومعناه كما يقول الغزالي "معنى الحفظ وهو على وجهين:

أحدهما: إدامة وجود الموجودات وإبقاؤها وبيضاده الإعدام والله تعالى هو الحافظ للسماوات والأرض والملائكة والموجودات التي يطول أمد بقائها والتي لا يطول أمد بقائها مثل الحيوانات والنبات وغيرهما

ثانيهما: أن الحفظ صيانة المتعدييات والمتضادات بعضها عن بعض وأعني بهذا التعادي ما بين الماء والنار فإنهما يتعاديان بطباعهما، فإما أن يطفئ الماء النار، وإما أن تحيل النار الماء إن غلبت الماء بخارا ثم هواء، والتضاد والتعادي ظاهر بين الحرارة والبرودة إذ تقهر إحداهما الأخرى، وكذلك بين الرطوبة واليبوسة وسائر الأجسام الأرضية مركبة من هذه الأصول المتعادية إذ لا بد للحيوان من حرارة غريزية لو بطلت لبطلت حياته، ولا بد له من رطوبة تكون غذاء لبدنه كالدم وما يجري مجراه ولا بد من يبوسة بها تتماسك أعضاؤه خصوصا ما صلب منها كالعظام، ولا بد من برودة تكسر سورة الحرارة حتى تعتلد ولا تحرق ولا تحلل الرطوبات الباطنة بسرعة وهذه متعادييات متنازعات⁽¹⁾ ومن خلال قول حجة الإسلام نلاحظ أن اسم الله الحفيظ قد شمل كل شيء من مخلوقات الله تعالى وعلى رأسها الإنسان، ومن ثم فإن الله جلت قدرته قد أخفى علينا رؤية هذه الأشعة؛ لأن في رؤيتها ضرراً جسيماً يقع على الإنسان في بدنه.

(1) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، للغزالي، / 111.

أضرار تلك الرؤية أكبر من منافعها فأخفاها الله عنا

وأضرار رؤيتها أكبر من نفعها إن كان في رؤيتها نفع فإن هذا النفع يعود على الإنسان بنسبة ضئيلة، بخلاف الضرر الذي يقع بسبب رؤيتها. والتعرض للأشعة فوق البنفسجية التي تأتي مع ضوء الشمس يعتبر بيئياً عامل مسرطن للبشر. وتأثير الإشعاع الفوق بنفسجي أمر مؤلم ومقلق يؤثر على صحة الإنسان، فتأثيرات الأشعة الخطيرة تدمر خلايا الإنسان، وأقوي شيء تدمره في الإنسان جهاز المناعة الذي يحمي الجسم من الأضرار والسموم التي تلحق به، ومن هنا فإن الكون وما فيه وبما فيه يجري بنظام معين وقواعد منظمة، لذلك وضع الخالق جل وعلا قوانين منظمة في هذا الكون العظيم تحكمه وهذه القوانين تعمل بنظام معين ودقة جيدة.

يقول العلم الحديث: "ولو نقصت المسافة بين الأرض والشمس إلى نصف ما هي عليها الآن لبلغت الحرارة التي تتلقاها الأرض أربعة أمثال، وتضاعفت سرعتها المدارية حول الشمس، ولآلت الفصول إلى نصف طولها الحالي إذا كانت هناك فصول مطلقاً، ولصارت الحياة على سطح الأرض غير ممكنة"⁽¹⁾. لذلك حذر كثير من العلماء بالبعد عن الشمس بحيث لا يصاب الإنسان بأمراض مزمنة كمرض سرطان الجلد، وغيره من الأمراض الخطيرة التي تهدد كيان الإنسان، ومن هنا يأخذ الإنسان الحيطة والحذر بأن لا يسرف على نفسه من التعرض لأشعة الشمس خاصة فوق البنفسجية وعلى ذلك "فالنوم في الشمس يثير الداء الدفين، ونوم الإنسان بعضه في الشمس، وبعضه في الظل رديء"⁽²⁾ وقد روى أبو داود في "سننه" من حديث أبي هريرة، يقول: قال أبو القاسم (ﷺ): ((إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الشَّمْسِ))، وقال مغلط: ((فِي الْفَيْءِ، فَقَلَّصْ عَنْهُ الظِّلَّ، وَصَارَ بَعْضُهُ فِي

(1) الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة: الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، /14.

(2) الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم): محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) دار الهلال - بيروت . بدون ط، / 181.

الشَّمْسِ وَبَعْضُهُ فِي الظِّلِّ، فَلْيَتَّقُمْ))⁽¹⁾ وهذا الحديث له شاهد آخر بسند صحيح عن كثير، عن أبي عياض، عن رجل، من أصحاب النبي (ﷺ): ((أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) نَهَى أَنْ يُجْلَسَ بَيْنَ الصَّحِّ وَالظِّلِّ وَقَالَ: مَجْلِسُ الشَّيْطَانِ))⁽²⁾ و"الضح" بكسر الضاد المعجمة، وتشديد الحاء، هو في الأصل ضوء الشمس، والمراد النهي عن الجلوس على وجه يكون بصفة في الشمس، وبصفة في الظل، وقد جاء ما يدل على جوازه، فيحمل النهي على التنزيه⁽³⁾. وإذا كان الأمر كذلك فإن الجلوس في الشمس يسبب أمراضاً خطيرة ومنها الحمى وكذلك الداء الدفين⁽⁴⁾ وقد نهى بن الخطاب عن الجلوس في الشمس فقد جاء في الطب النبوي للأصبهاني "كان عُمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) يقول: لا تطيلوا الجلوس في الشمس فإنه يغير اللون ويبلي الثوب ويبحث الداء الدفين"⁽⁵⁾. والدفين هو سرطان الجلد وغيره من الأمراض المعدية والمؤذية وذلك عند رؤية هذه الأشعة.

(1) الحديث أخرجه أبو داود في "سننه" كتاب "الأدب" باب: في الجلوس بين الظل والشمس (257/4) (4821) والحميدي في "مسنده" (279/2) (1172)، والبيهقي في "سننه الكبرى" كتاب "الجمعة" باب: ما جاء في الجلوس بين الشمس والظل (335/3) (5921) من طريق سفيان، عن محمد بن المنكر، عن سمع أبا هريرة - رضي الله عنه -، به. وهذا إسناد ضعيف وذلك لإبهار الراوي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - لا يدرى من هو.

(2) الحديث أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" (147/24) (15421)، وابن أبي عاصم في "الأحاديث والمثنائي" (343/5) (2905)، من حديث أبي عياض، عن رجل من أصحاب النبي (ﷺ)، به، وذكره المنذري في "الترغيب والترهيب" (29/4) (4661) وقال: رواه أحمد بإسناد جيد.

(3) مسند الإمام أحمد بن حنبل، 24 / 147.

(4) دفن الشيء في التراب. ودفن الميت. وشيء دفين. ولفلان دفائن. وهل معك دفينة ودفائن وهي النوى يدفن إذا وضع للغرس، كما يفعل بعجم الفرسك. وركية دفن. ومنهل دفن ودفان: وفيه داء دفين وهو الذي لا يعلم به حتى يظهر شره. وسمعت من العرب من يقول في رائحة ذي الرمة: أبياتها كلها دفن أي غامضة معمّاة، وناقة دافنة الجذم وهي التي انسحقت أضرارها من الهرم. (والتدافن) التكاثر يقال: لو تكاشفتما ما تدافنتما. أي لو انكشف عيب بعضكم لبعض، يراجع: أساس البلاغة، الزمخشري، 1 / 291، ومختار الصحاح، أبو بكر الرازي، 1 / 106، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للحموي، 1 / 197.

(5) الطب النبوي، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ) تحقيق: مصطفى خضر دونمز التركي، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، 2006 م، 1 / 259.

القرآن الكريم يكشف لنا طرق الوقاية من ضرر الأشعة فوق البنفسجية

القرآن الكريم يكشف لنا ضرر هذه الأشعة المحرقة ويعطي لنا طرقًا للوقاية من ضررها حيث تؤثر على الأبدان عامة والقضاء على النوع الإنساني بصفة خاصة، وذلك عند التعرض لها، ومن هنا فقد وردت آية في القرآن في سورة (النحل) ولقد وقف عندها المفسرون والعلم الحديث ليستخرجوا معناها ودلالاتها اللغوية وماذا قال العلم الحديث فيها؟ قال الحق (ﷻ): ﴿وَجَعَلَ لَكُم سَرِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسَرِيلَ تَقِيَكُمُ بِأَسَكُمُ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾⁽¹⁾.

وهنا يقف العقل لي طرح على نفسه عدة أسئلة هي:

ما معنى السراويل؟ وما المراد من الحر الذي تقينا منه؟ ولماذا ذكر الله الوقاية من الحر ولم يذكر الوقاية من البرد في الآية الكريمة؟
والجواب عن هذه الأسئلة بما يلي:

أولاً: الآية الكريمة التي ذكرت فيها كلمة (سراويل) قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسَرِيلَ تَقِيَكُمُ بِأَسَكُمُ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾⁽²⁾.

ثانياً: معنى السراويل في قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم سَرِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ﴾⁽³⁾

يقول الزجاج: "أي جعل لكم دروعًا تتقون بها في الحروب من بأس الحديد

(1) سورة النحل من الآية: 81.

(2) سورة النحل الآية: 81.

(3) سورة النحل من الآية: 81.

وغيره⁽¹⁾. "وعلى هذا فإن معنى السراويل أي الدروع لكن الآية الكريمة قد ذكر فيها كلمة (سراويل) مرتين ومعناه القميص الذي يلبسه الإنسان ليقى نفسه من شدة الحر، "ولا خلاف على أنهم جمعوا السراويل على السراويل؛ وأعطوه دلالتين: القميص الذي يلبس من قطن أو صوف أو خز أو غيره؛ والقميص الذي يلبسه المحارب؛ وهو الدرع؛ وقد وردت الدالتان في آية واحدة في القرآن الكريم؛ هي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَبِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَبِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾⁽²⁾ فالسراويل الأولى هي القمصان؛ والثانية هي الدروع⁽³⁾. وبعد عرض معنى كلمة سراويل يظهر أن معناها الدرع أو القميص الذي يرتديه الإنسان من شدة حر الشمس وأشعتها.

ثالثاً: أقوال العلماء حول هذه الآية:

يقول الفخر الرازي: "أنه جعل السراويل على قسمين: أحدهما: ما يكون واقياً من الحر والبرد. والثاني: ما يتقى به عن البأس والحروب، وذلك هو الجوشن⁽⁴⁾ وغيره، وذلك يدل على أن كل واحد من القسمين من السراويل"⁽⁵⁾. وقال ابن حجر العسقلاني: سراويل هي القمص قوله السراويل هو ما يظهر نصف النهار في الفياقي كأنه ماء⁽⁶⁾ "ومن فضل الله على عباده أن جعل لهم -من غير صنعة منهم-

(1) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، 3 / 216.

(2) سورة النحل من الآية: 81.

(3) المعجم العربي لأسماء الملابس «في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث» إعداد: د. رجب عبد الجواد إبراهيم (كلية الآداب - جامعة حلوان) تقديم: أ. د/ محمود فهمي حجازي (كلية الآداب - جامعة القاهرة، عضو مجمع اللغة العربية) راجع المادة المغربية: أ. د/ عبد الهادي التازي (عضو الأكاديمية المغربية ومجمع اللغة العربية بالقاهرة) دار الأفاق العربية، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2002 م، 1 / 231.

(4) الجوشن: ما عرض من وسط الصدر. ويقال: الجوشن اسم الحديد الذي يلبس من السلاح. وجوشن الجراة صدرها، يراجع: كتاب العين، باب الجيم والشين مع النون، 6 / 37.

(5) مفاتيح الغيب، للرازي، 20 / 254.

(6) فتح الباري شرح صحيح البخاري، 1 / 131.

ظلالاً يستظلون بها من وقدة الشمس، حيث يجدون هذه الظلال الفسيحة فيما أنبت الله من شجر، كما جعل لهم -من غير عمل ولا جهد- أكناناً من الجبال، يأوون إليها من البرد.. وذلك رحمة من رحمة الله بكثير من الناس الذين لا يتسع حولهم أو حيلتهم، لبناء البيوت، وصناعة المساكن.. كذلك من فضله سبحانه على عباده، أن هيا لهم أسباب العلم والمعرفة فنسجوا من الحرير، والصوف، والشعر، والوبر.. وغيرها "سراويل" أي ملابس يتسربلون بها، ويغطون أجسادهم، يتقون بها لفح الهجير⁽¹⁾، ولذعة السموم.. ثم مكن لهم سبحانه، من أن يتخذوا من الحديد سراويل، أي دروعاً يتقون بها عدوان بعضهم على بعض بالحرب والسيوف.. وفي قصر منفعة السراويل، التي تتخذ لوقاية الجسم من عادية الحر، على هذه المنفعة وحدها، دون ما يتخذ من الملابس لانتقاء البرد، أو التجميل والتزين - في هذا إشارة إلى تلك المنفعة الخفية التي ربّما غفل عنها كثير من الناس، حيث يحسبون أن انتقاء البرد، هو الدافع الأول للإنسان على اتخاذ الملابس والأغطية وقاية له.. وهذا وإن كان صحيحاً إلا أن انتقاء لفح الحرّ بالملابس لا تقلّ دواعيه عنها في حال البرد. فإن لفح الهواجر، ولذعة السموم، تحرق الأجسام، وتشوى الوجوه، إن لم يتوقّها الإنسان بما يتسربل به⁽²⁾. "ومن هنا بعد أن تكلم الحق سبحانه عن أصحاب البيوت الذين يناسبهم الاستقرار، ويجدون مقومات الحياة، وتكلم عن أهل الترحال والتنقل وما يناسبهم من بيوت خفيفة يحملونها عند ترحالهم. ثم تحدث هنا عن هؤلاء الذين لا يملكون شيئاً، ولا حتى جلود الأنعام.. ماذا يفعل هؤلاء؟ الحق سبحانه جعل لهم الظل يستظلّون به من وهج الشمس، وجعل لهم من الكهوف والسرايب في الجبال ما يأوون إليه ويسكنون فيه. وهكذا استوعبت الآيات جميع

(1) والهجير: شدة الحر والواقد من ودقت الشمس إذا تدلت على الرأس، يراجع: جمهرة اللغة، أبو بكر الأزدي. 2/ 1211.

(2) التفسير القرآني للقرآن، 7 / 336، 337.

الحالات التي يمكن أن يكون عليها بشر، فقد نثر الحق سبحانه نعمه على الناس، بحيث يأخذ كل واحد منهم ما يناسبه من نعم الله..، أما مَنْ لا يملك بيتًا يأويه، وليس عنده من الأنعام ما يتخذ من جلودها بيتًا، فقد جعل الله له الأشجار يستظل بها من حرِّ الشمس، وجعل له كهوف الجبال تُكِنُّه وتأويه⁽¹⁾.

إن من رحمة الله تعالى أن أنعم عليهم بنعمة اللباس الذي يقيهم الحر الشديد الذي تسببه الأشعة فوق البنفسجية، وقد ذكر القرآن هذا اللباس قبل العلم الحديث بعدة قرون، وعلى ذلك فمن يملك بيتًا فهو يأوي إليه من شدة الحر، وهذا نعمة من الله ومن لم يجد فإنه يستظل تحت أوراق الأشجار للوقاية من شدة الحر الشديد والذي يسبب أمراضًا خطيرة ومن أهمها مرض سرطان الجلد وغيرها والعياذ بالله. ومن فضل الله على البشر "أنه جعل لكم أيها الناس من الأشجار والجبال وغيرها ظلالا تستظلون بها من شدة حر الشمس، وشدة عصف الرياح، وجعل لكم من الجبال حصونا ومعازل ومغارات وكهوفًا ونحوها، تأمنون فيها من العدو والحر والبرد، وجعل لكم سراويل، أي ثيابا من القطن والكتان والصوف ونحوها، تقيكم شدة الحر والبرد، وجعل لكم دروعا من الحديد ونحوه تقيكم بأسكم، أي شدة القتال والطعن وضرب الرماح والسيوف والنبال وشظايا القنابل وغيرها⁽²⁾." ونلاحظ هنا أن الآية ذكرت الظل الذي يقينا حرَّ الشمس، ولم تذكر مثلاً البرد؛ ذلك لأن القرآن الكريم نزل بجزيرة العرب وهي بلاد حارة، وحاجتها إلى الظل أكثر من حاجتها إلى الدِّفء. تتلقَّى حرارة الشمس، وإن حُجبت أشعة الشمس فلا تحجب الحرارة، وهنا يلجأون إلى جَعْلِ السقف من طبقتين بينهما مسافة لتقليل حرارة الشمس. وهنا نقول: إن الظلَّ نفسه مُظَلِّل، وكذلك الحال في ظِلِّ الأشجار حيث يظلُّ الورق بعضه بعضًا، فتشعر تحت ظِلِّ الأشجار بجوٍّ لطيف بارد حيث يغطيكَ ظِلُّ ظليل

(1) تفسير الشعراوي، 13 / 8128، 8129.

(2) التفسير الوسيط للزحيلي، د / وهبة بن مصطفى الزحيلي، 2 / 1289.

يحبب عنك ضوء الشمس، ويسمح بمرور الهواء فلا تشعر بالضيق⁽¹⁾.

رابعًا: لماذا ذكر القرآن الكريم الوقاية من الحر ولم يذكر الوقاية من البرد؟ صاحب الكشف يتعرض لهذه اللفتة البلاغية في ذكر شيء دون شيء، أي ذكر الحر دون البرد، وذلك لدلالة السياق القرآني عليه فيقول "لم يذكر البرد؟ لأن الوقاية من الحر أهم عندهم، وقلمًا يهتمهم البرد لكونه يسيرا محتملا. وقيل: ما بقي من الحر بقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد"⁽²⁾ "أو؛ لأن الوقاية من الحر أهم عند العرب، لشدة بأكثر بلادهم وخصوصا قطن الحجاز وهم الأصل في هذا الخطاب. قيل: يبعده ذكر وقاية البرد سابقا في قوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾"⁽³⁾ "وهو وجه الاختصار على الحر هنا، لتقدم ذكر خلافه"⁽⁴⁾.

رؤية الأشعة فوق البنفسجية وضررها في العلم الحديث

في حالتي الكسوف والخسوف⁽⁵⁾ اللذين يحدثان نتيجة ذهاب ضوء الشمس

(1) المرجع السابق نفسه، 13 / 8129.

(2) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، 2 / 626.

(3) سورة النحل من الآية: 5.

(4) محاسن التأويل، للقاسمي، 6 / 398.

(5) تعريف الكسوف في اللغة التغير إلى سواد، يقال: كسفت حاله إذا تغيرت، وكسف وجهه إذا تغير، وكسفت الشمس: اسودت، وذهب شعاعها، والخسوف لغة: النقصان، يقال: خسف المكان يخسف خسوفاً، إذا ذهب في الأرض، ويقال: عينٌ خاسفة: إذا غابت حدقتها، منقول من خسف القمر، وبئر مخسوفة: إذا غاب ماؤها ونزف، منقول من خسف الله القمر، وتُصوّر من خسف القمر مهانة تلحقه فاستعير الخسف للذل، فقيل: تحمل فلان خسفاً، يراجع: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (578 - 656 هـ) حقه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميسو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت) الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م، 2 / 549، الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804 هـ) تحقيق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيخ، دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م، 4 / 264.

كلًا أو بعضًا وهذا هو الكسوف، أو ذهاب ضوء القمر كلًا أو بعضًا وهذا هو الخسوف، ونلاحظ أن كلًا من الكسوف والخسوف يختلفان في مدلولهما⁽¹⁾.

سبب كسوف الشمس وخسوف القمر

"فأما سبب كسوف الشمس فهو توسط القمر بين جرم الشمس وبين أبصارنا، فإن القمر عندهم جسم كثيف مظلم، وقلبه دون فلك الشمس، فإذا كان على مسافته إحدى نقطتي الرأس أو الذنب أو قريباً منهما حالة الاجتماع من تحت الشمس حال بيننا وبين نور الشمس، كسحابة تمر تحتها إلى أن تجاوزها من الجانب الآخر، فإن لم يكن للقمر عرض ستر عنا نور كل الشمس، وإن كان له عرض فيقدر ما يوجبه عرضه، وذلك أن الخطوط الشعاعية تخرج من بصر الناظر إلى المرئي على شكل مخروط رأسه عند نقطة البصر، وقاعدته عند جرم المرئي، فإذا وجهنا أبصارنا إلى جرم الشمس حالة كسوفها فإنه ينتهي إلى القمر أولاً مخروط الشعاع، فإذا توهمنا نفوذه منه إلى الشمس وقع جرم الشمس في وسط المخروط، وإن لم يكن للقمر عرض انكسف كل الشمس، وإن كان للقمر عرض فيقدر ما يوجبه عرضه ينحرف جرم الشمس عن مخروط الشعاع، ولا يقع كله فيه، فينكسف بعضه ويبقى الباقي على ضيائه، وذلك إذا كان العرض المرئي أقل من نصف مجموع قطر الشمس والقمر، حتى إذا ساوى العرض المرئي نصف مجموع القطرين كان صفحة القمر تماس مخروط الشعاع، فلا ينكسف ولا يكون لكسوف الشمس لبث؛ لأن قاعدة المخروط المتصل بالشمس مساو لقطريها، فكلما ابتدأ القمر بالحركة بعد تمام الموازة بينه وبين

(1) يقول بن حجر العسقلاني: "ولا شك أن مدلول الكسوف لغة غير مدلول الخسوف؛ لأن الكسوف التغير إلى سواد والخسوف النقصان أو النذل فإذا قيل في الشمس كسفت أو خسفت لأنها تتغير ويلحقها النقص ساغ وكذلك القمر ولا يلزم من ذلك أن الكسوف والخسوف مترادفان وقيل بالكاف في الابتداء وبالخاء في الانتهاء وقيل بالكاف لذهاب جميع الضوء وبالخاء لبعضه وقيل بالخاء لذهاب كل اللون وبالكاف لتغيره قوله وقال الله عز وجل وخسف القمر ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾ [سورة القيامة: 8] في إيراد هذه الآية احتمالان أحدهما أن يكون أراد أن يقال خسف، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بن حجر، 2/ 235.

الشمس تحرك المخروط وابتدأت الشمس بالإسفار⁽¹⁾. ومن خلال القول السابق نرى أن الكسوف يأتي بمراد الله حيث لا يقع شيء في الكون إلا بمراد الله تعالى فالكسوف والخسوف يحدثان لحكمة.

فلسفة الكسوف والخسوف وإخفاء ذلك عن مدارك البشر

وللكسوف والخسوف عدة فوائد ذكرها الإمام العيني في كتابه عمدة القارئ فقال: "أما الحكمة في الكسوف؟ فيه سبع فوائد هي: إحداهما: ظهور التصرف في الشمس والقمر، والثاني: تبيين قبح شأن من يعبدهما، والثالث: إزعاج القلوب الساكنة بالغفلة عن مسكن الذهول، والرابع: ليرى الناس نموذج ما سيجري في القيامة من قوله: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾⁽²⁾، والخامس: أنهما يوجدان على حال التمام فيركسان، ثم يلطف بهما فيعادان إلى ما كانا عليه، فيشار بذلك إلى خوف المكر ورجاء العفو، والسادس: أن يفعل بهما صورة عقاب لمن لا ذنب له، والسابع: أن الصلوات المفروضات عند كثير من الخلق عادة لا انزعاج لهم فيها ولا وجود هيبة، فأتى بهذه الآية وسنت لهما الصلاة ليفعلوا صلاة على انزعاج وهيبة⁽³⁾ ومن هنا فإن هذه الفوائد التي ذكرها الإمام العيني وغيره من العلماء تدل دلالة قاطعة على أن الكون كله في قبضة الله تعالى وما يحدث من كسوف للشمس أو خسوف للقمر إنما ذلك في علم الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فإذا حدث هذا الأمر فزع الناس إلى من بيده مقاليد السموات والأرض فيتضرعون إليه بالدعاء والاستغفار والإنابة والرجوع إليه جل وعلا.

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، بن القيم، 3 / 1404.

(2) سورة القيامة: آية: 9.

(3) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، 4 / 267.

الكسوف والخسوف في العلم الحديث ودلالاتهما العقدية

يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۗ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۗ﴾⁽¹⁾ فهذه الآية الكريمة تشير إلى ما يحدث في الكون من كسوف للشمس وخسوف للقمر وما يحدث في اليوم الآخر، ومن ثم فإن حدوث هذه الظاهرة يحدث للناس فرعاً وخوفاً مما يشاهدونه من كسوف الشمس، وخسوف القمر إلا أن العلم الحديث قد بين الأسباب التي تؤدي إلى حدوث هذه الظاهرة. "وكان حدوث الخسوف والكسوف يسبب ذعراً وخوفاً للإنسان في العصور القديمة، ولكن هذه المخاوف قد زالت بعد فهم طبيعة نظام المجموعة الشمسية، وحركات كواكبها، وتحديد أوقات الكسوف والخسوف لمئات السنين القادمة، ففي أول الشهر القمري وفي منتصفه تكون الأرض والقمر على مستوى واحد مع الشمس، ولكن القمر لا يعترض أشعة الشمس الواصلة إلى الأرض عادة فهو يمر تحتها أو فوقها، لكنه في بعض الأحيان يعترض جزءاً من هذه الأشعة فيسبب كسوف الشمس. ويتوقف مقدار الكسوف على ما يمنعه جسم القمر من أشعة الشمس. وحينما تقع الأرض بين الشمس والقمر ويقع ظلها على القمر تسبب الخسوف ويصل طول ظل الأرض إلى 1.382.000 كم في المتوسط، ويختلف هذا المتوسط في حدود 22500 كم بين أطول وأقصر ظل. ويبدو من الرقم الدال على متوسط طول ظل الأرض أنه يساوي ثلاثة أمثال طول المسافة بين القمر والأرض، ولذلك فإن هذا الظل يصيب القمر إذا كان في اتجاه الظل، ويبلغ اتساع ظل الأرض عند المسافة التي يقع فيها القمر بعيداً عن الأرض نحو 9170 كم، أي أكثر من ضعفي طول قطر القمر، وتؤدي السحب القريبة من سطح الأرض إلى اتساع منطقة الظل بمقدار 16 كم، ويتوقف اتساع الظل على مقدار بعد القمر عن الأرض، وبعد الأرض

(1) سورة القيامة: الآيات: 7 - 9.

عن الشمس. ويقدر اختلاف اتساع الظل بين أقصاه وأضيقه بنحو 300 كم⁽¹⁾. وبناء عليه فإن حدوث أشعة الشمس يسبب الكسوف الذي يحدث نتيجة مرور أشعة الشمس دون أن يحجبها القمر؛ لأن القمر معروف أنه يستفيد نوره من الشمس. من هنا فإن انخفاض الأشعة فوق البنفسجية يجعل الناس يعاينون الشمس وذلك عند انخفاضها وعلى ذلك فإن الحرارة تقل في الجو مما يجعل بؤرة العين تتسع بدرجة كبيرة عندئذ تتأثر الحدقة بوقوع الضرر الذي يقع على العين والشبكة فيسبب العمى ومن هنا نرى إخفاء هذه الأشعة من حكمة الله (ﷻ) وفضله على عباده؛ لأنه (ﷻ) قد خلق الإنسان في أحسن صورة وتقويم... قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾...⁽²⁾ "والمعنى أن الله تعالى يقسم "أنه قوم الإنسان أفضل تقويم وركبه أحسن تركيب وأكد ذلك؛ لأن الناس بغفلتهم عما كرمهم الله به من العقل كأنهم ظنوا أنفسهم كسائر أنواع الجمادات يفعلون كما تفعل لا يمنعهم حياء ولا تردهم حشمة خصوصاً وقد قال بعضهم إن الإنسان ميال إلى الشر فيقول الله سبحانه تبييناً لفساد هذه المزاعم إنه فطر الإنسان أحسن فطرة نفساً وبدناً وكرمه بالعقل الذي ساد به على العوالم الأرضية وأطلع به على ما شاء الله من العوالم السماوية"⁽³⁾ ومن هنا فإن في إخفاء هذه الأشعة عنا إنما هو من باب اللطف الإلهي بالبشر وإذا كان الله تعالى من رحمته أن خلق كل شيء وسخره لخدمة الإنسان ورفع عنه ما يكون سبباً في إصابته بمرض العين والجلد وغيرهما كذلك من رحمته به أن وهبه نعمة السمع فلا يجوز للإنسان أن يلوثها بالصوت المرتفع؛ لأن ذلك فيه دمار على سمع الإنسان وهذا ما يتناوله البحث في المبحث القادم. نعمة إخفاء الأصوات المرتفعة على سمع الإنسان وظهور ضررها عليه.

(1) المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، محمد محمود محمدين، طه عثمان الفراء، 95.

(2) سورة التين: آية: 4.

(3) تفسير جزء عم، للإمام محمد عبده، مطبعة مصر - الطبعة الثالثة 1341 هـ / 120.

المبحث الثاني نعمة إخفاء الأصوات المرتفعة على سماع الإنسان وظهور ضررها عليه

أولاً: نعمة الخفاء من فرط الغلو

الدلالة اللغوية للصوت:

جاء في لسان العرب أن الصوت معناه "صوت الإنسان وغيره. والصائت: الصائح"⁽¹⁾. ويقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: "صَوَّت فلان (بفلان) تصويته أي دعاه. وصات يصوت صوتاً فهو صائت بمعنى صائح. وكل ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات. ورجل صائت: حسن الصوت شديده. ورجل صيت: حسن الصوت"⁽²⁾ ومن هنا فإن التعريفين السابقين في اللغة يدلان على أن الصوت معناه صائح أي شديد الصوت، بينما ذهب الراغب الأصفهاني فعرّفه بأنه "الهواء المنضغط عن قرع جسمين، وذلك ضربان: صوت مجرد عن تنفس بشيء كالصوت الممتد، وتنفس بصوت ما، والمتنفس ضربان: غير اختياري: كما يكون من الجمادات ومن الحيوانات، واختياري: كما يكون من الإنسان، وذلك ضربان: الأول ضرب باليد كصوت العود وما يجري مجراه، والثاني ضرب بالفم. ويكون بنطق وغير نطق، وغير النطق كصوت الناي"⁽³⁾.

ويعرفه ابن سينا بأنه "تموج الهواء ودفعه بقوة وسرعة من أي سبب كان"⁽⁴⁾ وبعد عرض التعريفات السابقة نجد أن الصوت عرض يخرج من الفم فيتكون منه

(1) لسان العرب، فصل الصاد، 2 / 57.

(2) كتاب العين، باب الصاد والراء، 7 / 146.

(3) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني / 496.

(4) رسالة أسباب حدوث الحروف، للشيخ الرئيس بن سينا، ت محمد حسلن الطيان، ويحيي مير علم، تقديم ومراجعة الأستاذ الدكتور / شاكِر الفحام، والأستاذ: أحمد راتب النفاخ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. / 56.

الحروف، لذلك فإن الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفقتين مقاطع تنثيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً⁽¹⁾.

الصوت في الاصطلاح:

يعرفه الجرجاني بأنه "كيفية قائمة بالهواء يحملها إلى الصماخ"⁽²⁾ وعلى هذا فإن الصوت من الكيفيات التي يتمتع بها الإنسان ولا يستطيع أن يستغني عنها في حياته، وذلك أنه يتعامل مع الآخرين عن طريق هذه الوسيلة. ومن مهامها الأذن التي يتمتع بها الإنسان فيسمع هذه الأصوات فيعلم ما ينفعه وما يضره.

السمع والسماع في العلم الحديث:

السمع⁽³⁾ من النعم التي أنعم الله بها على الكائنات الحية عامة وعلى الإنسان

(1) سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ) دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى 1421هـ-2000م، 1/ 19.

(2) التعريفات، الجرجاني، ص135.

(3) يقول الراغب السمع: قوة في الأذن به يدرك الأصوات، وفعله يقال له السمع أيضاً، وقد سمع سمعاً. ويعبر تارة بالسمع عن الأذن نحو: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة/ 7]، وتارة عن فعله كالسماع نحو: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ﴾ [الشعراء/ 212]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَلْقَ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق/ 37]، وتارة عن الفهم، وتارة عن الطاعة، تقول: اسمع ما أقول لك، ولم تسمع ما قلت، وتعني لم تفهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ شَاءَ لَقُلْنَا﴾ [الأنفال/ 31]، وقوله: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النساء/ 46]، أي: فهمنا قولك ولم نأتمر لك، وكذلك قوله: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة/ 285]، أي: فهمنا وارتسمنا. وقوله: ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون [الأنفال/ 21]، يجوز أن يكون معناه: فهمنا وهم لا يفهمون، وأن يكون معناه: فهمنا وهم لا يعملون بموجبه، وإذا لم يعمل بموجبه فهو في حكم من لم يسمع. ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا﴾ [الأنفال/ 23]، أي: أفهمهم بأن جعل لهم قوة يفهمون بها، وقوله: ﴿وَأَسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ [النساء/ 46]، يقال على وجهين: أحدهما: دعاء على الإنسان بالصمم. والثاني: دعاء له. فالأول نحو: أسمعك الله، أي: جعلك الله أصم. والثاني: أن يقال: أسمعت فلاناً: إذا سببته، وذلك متعارف في السب. يراجع: المفردات في غريب القرآن، باب (سمع) باب سمع، 425.

على وجه الخصوص، فحينما نستعرض آي القرآن نجد أن الله تعالى قد أنعم على الإنسان بنعمة السمع فما معنى السمع؟ "هو قوة مودعة في العصب المفروش في مقعر الصماخ تدرك بها الأصوات بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية الصوت إلى الصماخ⁽¹⁾. وقيل بأنه "قوة السمع (eiuO) قوة من شأنها أن تدرك الأصوات، والسمعي (fitiduA) هو المنسوب إلى السمع والسماع (noitiduA) فعلها. وقد يطلق السماع ويراد به الإدراك، أو الانقياد، أو الطاعة، أو الفهم، أو الذكر المسموع الحسن الجميل، أو الغناء⁽²⁾.

أهمية السمع بالنسبة للإنسان:

وتزداد أهمية السمع للإنسان في أن كل شيء في حواسه يتوقف عند النوم عدا حاسة السمع فإنها من رحمة الله تعالى لا تتوقف أبدًا؛ فتعمل ليلاً ونهارًا؛ لأنها لو توقفت لحدث إنقلاب في حياة الإنسان فهي آلة الاستعداد للكائن الحي عامة. يقول مايكل هاينز (Michael Haynes): "فالأذن لا تنام، فأنت تكون نائمًا تنام كل أعضاء جسمك ولكن الأذن تبقى متيقظة، فإذا أحدث أحد صوتًا بجانبك وأنت نائم قمت من النوم على الفور ولكن إذا توقفت الأذن عن العمل فإن ضجيج النهار وأصوات الناس وكل ما يحدث في هذه الدنيا من ضجيج لا يوقظ النائم؛ لأن آلة الاستعداد وهي الأذن معطلة والعين تحتاج إلى نور حتى ترى تنعكس الأشعة على الأشياء ثم تدخل إلى العين فترى فإذا كانت الدنيا ظلامًا فإن العين لا ترى ولكن الأذن تؤدي مهمتها في الليل والنهار في الضوء والظلام والإنسان متيقظ والإنسان نائم فهي لا تنام أبدًا ولا تتوقف أبدًا"⁽³⁾.

(1) التعريفات، الجرجاني، 121.

(2) المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا، 1/ 672.

(3) القوة العقلية الحواس الخمس، مايكل هاينز، تحقيق الدكتور / عبد الرحمن الطبيب، الأهلية للنشر، مكتبة بيروت، الطبعة الأولى 2009 م. 310.

ومن حكمة الله تعالى أن شق للإنسان حاسة السمع؛ ليدرك بها الأصوات، "وخلق الأذن أحسن خلقه وأبلغها في حصول المقصود منها فجعلها مجوفة كالصدفة لتجمع الصوت فتؤديه إلى الصماخ، وليحس بدبيب الحيوان فيها فيبادر إلى إخراجها وجعل فيها غضونا وتجاويف واعوجاجات تمسك الهواء والصوت الداخل، فتكسر حذته ثم تؤديه إلى الصماخ، ومن حكمة ذلك أن يطول به الطريق على الحيوان فلا يصل إلى الصماخ حتى يستيقظ أو ينتبه لإمساكه وفيه أيضا حكم غير ذلك ثم اقتضت حكمة الرب الخالق سبحانه أن جعل ماء الأذن مرا في غاية المرارة فلا يجاوزه الحيوان ولا يقطعه داخلا إلى باطن الأذن⁽¹⁾ وبناء عليه فإن الأذن وهي جهاز السمع من النعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده ولذلك قدم القرآن الكريم السمع على البصر⁽²⁾ للدلالة على أن الإنسان يسمع أكثر من البصر فلو فقد الإنسان سمعه فقد النطق بخلاف الإنسان الذي فقد بصره فهو يسمع ويمشي ويتكلم... إلخ.

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، 1 / 190.

(2) والمتأمل في الحكمة الإلهية في تقديم السمع على البصر وجمع الأبصار وأفراد السمع في القرآن الكريم يجد أن هذا إن دل فإنما يدل على حكمة الله تعالى في خلقه " فالبصر حاسة يتحكم فيها الإنسان بإرادته، فإنا أستطيع أن أبصر ولا أبصر، وأستطيع أن أغض عيني عما لا أريد أن أراه أو أدير وجهي، أو أدير عيني بعيداً عن الشيء الذي أريد أن أتجاهله، ولكن الأذن ليس لها اختيار في أن تسمع أو لا تسمع، فأنت في حجرة يتكلم فيها عشرة أشخاص، تصل أصواتهم جميعاً إلى أذنيك، سواء أردت أو لم ترد، أنت تستطيع أن تدير بصرك، فتري منهم من تريد أن تراه، ولا ترى من لا تريد رؤيته، ولكنك لا تستطيع أن تسمع ما تريد أن تسمعه، ولا تسمع ما لا تريد، قد تتجاهله وتحاول أن تبدو وكأنك لم تسمعه، ولكنه يصل إلى أذنيك، سواء أردت أو لم ترد. إذاً فالأبصار تتعدد، أنا أرى هذا وأنت ترى هذا وثالث يرى هذا، إلى آخر تعدد الأبصار، وإنسان يغمض عينيه فلا يرى شيئاً، ولكن بالنسبة للسمع فنحن جميعاً، ما دمنا جالسين في مكان واحد، فكلنا نسمع نفس الشيء، ومن هنا اختلف البصر، ولكن توحد السمع؛ كل واحد له بصر ينظر به إلى المكان الذي يريده، ولكننا كلنا نتوحد في السمع، حين نريد وما لا نريد أن نسمع، ومن هنا جاءت كلمة الأبصار، بينما توحدت كلمة السمع ولم تأت كلمة الأسماخ، على أن الأذن مفضلة على العين؛ لأنها لا تنام، والشيء الذي لا ينام أرقى في الخلق من الشيء الذي ينام، فالأذن لا تنام أبداً منذ ساعة الخلق؛ إنها تعمل منذ الدقيقة الأولى للحياة، بينما باقي أعضاء الجسم بعضها ينتظر أياماً وبعضها ينتظر سنوات، والأذن لا تنام، فأنت حين تكون نائماً تنام كل أعضاء جسمك، ولكن الأذن تبقى متيقظة، فإذا أحدث أحد صوتاً بجانبك وأنت نائم، قمت من النوم على الفور، ولكن إذا توقفت الأذن عن العمل؛ فإن ضجيج النهار وأصوات الناس، وكل ما يحدث في هذه الدنيا من ضجيج لا يوقظ النائم؛ لأن آلة الاستدعاء وهي الأذن معطلة، يراجع: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المرحلة: ماجستير، تاليف، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، 333/.

مكونات جهاز السمع:

جهاز السمع في الإنسان هو الأذن ويقسمها العلماء إلى ثلاثة أقسام:

1. الأذن الخارجية.. (auris externa).

2. الأذن الوسطى.. (Middle Ear).

3. الأذن الداخلية.. (Inner ear)⁽¹⁾.

"فالمقصود من الأذن الخارجية الجزء الخارجي الظاهر الذي يطلق عليه اسم صوان الأذن وهو يوجد بجانب الرأس إلى جانب الممر الطويل الأشبه بالأنبوب والذي يصل إلى الرأس ويطلق على هذا الممر اسم قناة الأذن، بالجانب الآخر توجد الأذن الوسطى وتتم ثلاث عظام متناهية الصغر بالأذن الوسطى فتتقل الأصوات من الأذن الخارجية إلى الأذن الوسطى، تضم الأذن الداخلية الأعضاء الحسية المسؤولة عن السمع وحفظ توازن الجسم، ويطلق على العضو الذي يمكنك من سماع الأصوات اسم قوقعة الأذن"⁽²⁾.

فلسفة إخفاء الأصوات المرتفعة عن مدارك البشر:

إن من ينظر إلى الحكمة الإلهية في نظام الكون المنتظم يجد أن الله تعالى خلق كل شيء في الكون بقدر، وذلك لخدمة الإنسان وراحته وقد خلق له الحواس الخمس ليدرك بهما ما حوله من الكون فيتفاعل مع من حوله وهذه الحواس لها حدود لا تستطيع أن تتعداها. وعلى ذلك فالإنسان له وسائل "إدراكات متعددة، وكل جهاز إدراك له مناط: فالأذن تسمع الصوت، والأنف يشم الرائحة، واللسان للكلام، ولذوق المطعومات، والعين لرؤية المرئيات، لكن أفقت شيء يصيب

(1) أمراض الأذن والأنف والعلاج الطبيعي، محمد رفعت، دار المعرفة - بيروت لبنان، الطبعة الخامسة، 1408هـ، 1987م. 45/.

(2) تحت المجهر الحواس، فرانسيسكا باينز Francesca Pines، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية. بدون ط، / 22.

الإنسان من ناحية الجنس هي حاسة البصر"⁽¹⁾ "وحاسة السمع بالهواء يحمل الأصوات في الجو، ثم يلقيه إلى الأذن فتحويه ثم تلقيه إلى القوة السامعة، ولولا الهواء لم يسمع الرجل شيئاً"⁽²⁾.

حاسة السمع والأصوات العالية:

حاسة السمع أول حاسة يستعملها الطفل، ولا يرى إلا بعد عدة أيام ولا يساعد العقل باقي الأجهزة إلا بعد فترة. "فالطفل عندما يولد يسمع ولا يرى لعدة أيام ثم يبدأ في تمييز الضوء والظلام ولا يرى إلا بعد خمسة عشر يوماً... أما العقل والحواس الأخرى فلا يستطيع العقل أن يستعملها إلا بعد أعوام طويلة"⁽³⁾ ومن هنا فإن هناك أصواتاً عالية تؤثر على حاسة السمع، ومن ثم فإن القرآن الكريم قد أمر الإنسان بخفض صوته، وذلك؛ لأن علو الصوت أمر أنكره الشارع الحكيم حيث قال على لسان لقمان الحكيم: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾⁽⁴⁾، ومن هنا فإن جهاز السمع من الأجهزة التي خلقها الله للإنسان وهي من النعم العظام التي امتن الله بها على الإنسانية جمعاء.

يقول العلم الحديث "إن بين جوانحك آيات لا تعد ولا تحصى، منها غشاء الطبل، فكل واحد غشاء طبله يعمل بانتظام، وغشاء الطبل غشاء رقيق، لا تزيد سماكته على نصف مليمتر، ولا يزيد قطره على تسع ميليمترات - أقل من سنتيمتر - متين كالصلب، مرن كالمطاط، حيوي جدا لنقل الأصوات، لو تعطل هذا الغشاء لفقد الإنسان سمعه، لذلك فقد جهزه الله (ﷻ) بما يحفظه من التلف، وجعله في

(1) تفسير الشعراوي، 16 / 10248.

(2) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة 2 / 752.

(3) القرآن والعلم الحديث، عبد الرازق نوفل، ص132.

(4) سورة لقمان من الآية: 19.

آخر قناة منحنية أضيق من خنصر الإنسان، لئلا يبعث به الصغير فيخرقه⁽¹⁾، وعلى هذا فإن الأذن البشرية لا تتحمل أن تسمع فوق طاقتها؛ لأنها لو زاد ارتفاع الصوت عليها أكثر؛ لأدى ذلك إلى الصمم وبناء على ذلك فإن "الأذن البشرية تمتاز بمواصفات مذهشة أذهلت العلماء فالأذن عضو معقد بالغ الحساسية يقوم بتحليل الأمواج الصوتية بمنتهى الدقة إلى مكوناتها وينقلها إلى المخ في صورة تيار كهربائي يسري في العصب السمعي إلى مركز خاص في المخ فيشعر الإنسان بكل صورة أو ضجة من قصف الرعد إلى حنين الأشجار والأذن البشرية لا تستجيب إلا لمدى معين من الذبذبات التي يتراوح عددها في الثانية الواحدة أي ترددها من 1 إلى 2000 ذبذبة ثانية حتى ينعم الإنسان بالهدوء ولا يسمع الموجات التحتية أو الفوق سمعية التي لو استجابت لها أذن الإنسان لأضحت حياتنا جحيماً لا يطاق"⁽²⁾.

شدة الأصوات تصم الآذان فأخفاها الله عنا⁽³⁾

وشدة الأصوات لها أضرار عالية ومنها أنها تسبب الصمم⁽⁴⁾ وذلك أن الأذن تسمع بمقدار معين "فالصوت ينتقل عبر الهواء تارة، وبعد غشاء الطبل عبر أجسام صلبة، وبعد الأجسام الصلبة عبر قناة فيها سائل. وهناك خمسة وعشرون ألف خلية سمعية تلتقط السمع، وتنقله إلى الدماغ كي تدرك، وحتى هذه الساعة لا يستطيع العلماء أن يكتشفوا كيف تستطيع الأذن أن تفرق بين النغم والضجيج"⁽⁵⁾.

(1) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، ص130.

(2) الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، د / منصور حسب النبي، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية 1991م / 36.

(3) المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا، 1 / 673.

(4) الصمم: انسداد الأذن وثقل السمع، المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيدة، 8 / 77.

(5) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د / محمد راتب النابلسي، / 131.

تأثر الضجيج⁽¹⁾ على الإنسان بحسب شدة الصوت، والضجيج الذي شدته دون 30 ديسيبل، لاينجم عنه اية تأثيرات مرضية مقللة، والضجيج الذي شدته (30 - 50) ديسيبل مؤثر على الحالة العصبية، والضجيج الذي شدته من (50 - 80) ديسيبل يسبب في عرقلة الكلام ونقص السمع.، والضجيج الذي شدته (80 - 120) ديسيبل يسبب في إحداث عاهات دائمة في أجهزة السمع واضربات هرمونية وارتفاع نسبة الكلوسترول في الدم وازدياد ضربات القلب وانخفاض مناعة الجسم...إلخ، والضجيج الذي يزيد على (120) ديسيبل يؤدي إلى الأمراض السابقة بالإضافة إلى تخريب آلة السمع⁽²⁾ ومن هنا فإن جهاز السمع لا يتحمل أكثر من طاقته لذلك فإن "الأذن تحتوي على 30 ألف خلية سمعية لنقل جميع الأصوات الأذن تستطيع أن تميز بين 40 ألف لحن مختلف في الشدة والتواتر إلى تمويلها إلى سبالة عصبية ينقلها عصب السمع إلى الجهاز العصبي المركزي الذي يحل رموزها وكل ذلك لا يتطلب إلا جزء من الثانية⁽³⁾.

من الأضرار التي يسببها إرتفاع الصوت أضرار مباشرة وغير مباشرة أما المباشرة فهي التوقف عن العمل الحوول بين الإنسان وبين النوم. والأضرار غير المباشرة أو العامة هي تلك الأضرار الناتجة عن الاضطرار إلى تلقي الضجيج بشكل عام يشكل الضجيج مشكلة غاية في الخصوصية بحكم كون الذاتية تمثل دوراً أساسياً في كيفية تلقيه والقدرة على احتماله تقاس الضجة بوحدة تسمى الديسيبل (Decibel) لقد أظهرت دراسة ميدانية أجريت على مجموعة من الناس

(1) ضج يضج ضجاً وضجيجاً وضجاجاً صاح، والاسم الضجة. وضع البعير ضجيجاً وضع القوم ضجاجاً. وعن أبي عمر و: ضج: إذا صاح مستغيثاً. وسمعت ضجة القوم أي جلبتهم، يراجع: تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، 6/ 76.

(2) التلوث الضوضائي من منظور إسلامي، الإدارة العامة للتوعية البشرية، سنة النشر 2011م. سلطة جودة البيئة. 3/

(3) الموسوعة الكونية، آيات الله في خلق الإنسان وبعثه، د / صوفي أبو طالب، 14/ 109.

أ 77 بالمئة يبدأ بالانزعاج عندما تبلغ قوة الضجة المنبعثة 65 ديسيبل⁽¹⁾. بل إن الأصوات التي تزيد على مائة ديسيبل (Decibel) - وحدة قياس الأصوات - والتي من شأنها أن تؤذي الأذن، هناك آلية عصبية معقدة جدا تخفضها، حين لا تسمع صوت إنسان فتقول له: أعد، ما سمعت، فإن بعض حركات الوجه تؤثر على عصب مشترك بين الوجه، وعضلة متعلقة بعظم الركاب من شأنها أن تزيد حساسية الأذن، أي حينما تتغير ملامح وجهك، حينما لا تفهم الكلام، هناك آلية معقدة جدا تنتقل عبر العصب السمعي إلى عضلة تضاعف حساسية الأذن⁽²⁾.

ارتفاع الأصوات في المنظور الإسلامي:

من محاسن الشريعة الإسلامية أنها حثت الإنسان على غض صوته لما في ذلك من وقوع الأذى بالآخرين ووقوع الضرر عليهم حتى في مجالات العبادات لذلك فإنها قد أمرت أتباعها بخفض الأصوات حتى في قراءة القرآن الكريم، والدعاء وغيرهما.

1- فعند أداء المسلم لصلاته أمره الإسلام ألا يرفع صوته بأكثر من المطلوب وفي حد متوسط يقول الله تعالى ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾⁽³⁾.

2- نهى النبي (ﷺ) عن رفع الصوت في الدعاء أكثر مما يحتاج المستمعين لما روى عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه)، قال: كنت مع رسول الله (ﷺ) في سفر، فلما دنوا من المدينة كبر الناس، ورفعوا أصواتهم، فقال رسول الله (ﷺ): يا أيها الناس، إنكم لا تدعون أصم، ولا غائباً، إن الذي تدعونه بينكم وبين أعناق ركابكم،

(1) الموسوعة العلمية الملونة، موسوعة الفلك، الكون، البنية والتلوث، الفانا مصطفى حمود إشراف

الدكتور. محمد حمود، دار الفكر اللبناني - بيروت، الطبعة الثالثة 1997م. / 175، 176.

(2) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، 130/

(3) سورة الإسراء آية: 110.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): يَا أَبَا مُوسَى، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كُنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ فَقُلْتُ، وَمَا هُوَ؟ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ⁽¹⁾.

3- نهى النبي (ﷺ) أيضًا عن رفع الصوت أثناء تلاوة القرآن في المساجد كي لا يؤثر على قراءة البعض الآخرين إذ لا يمكن أن ينعم المصلي بالطمأنينة والخشوع وسط أجواء صاخبة⁽²⁾.

فلسفة إخفاء الأصوات العالية عن مدارك البشر:

إن فلسفة الخفاء المتمثلة في عدم وجود الأصوات العالية من حولنا؛ لأنها لو وجدت فإن مصير البشرية جمعاء إلى الهلاك والدمار، ومن ثم فإن إخفاء هذه الأصوات عنا إنه رحمة الرحمن بالبشر، ومن ينظر إلى الأمم السابقة نجد أن الله تعالى قد ابتلاهم بالصيحة والغرق، والخسف... إلخ تلك الأوبئة التي أخذهم الله بسبب عصيانهم ومكرهم وخداعهم للأنبياء والمرسلين.

معنى الصاعقة:

جاء في القاموس المحيط أنها "الموت، وكل عذاب مهلك، وصيحة العذاب، والمخراق الذي بيد الملك سائق السحاب، ولا يأتي على شيء إلا أحرقه، أو نار تسقط من السماء. وصعقتهم السماء، كمنع، صاعقة، مصدر كالراعية: أصابتهم بها. وكسمع صعقًا، ويحرك، وصعقة وتصعاقًا، فهو صعق، ككتف: غشي عليه والصعق، محركة: شدة الصوت. وككتف: الشديد الصوت"⁽³⁾ وعرفها الجرجاني بقوله "هي الصوت مع النار، وقيل: هي صوت الرعد الشديد الذي حق للإنسان

(1) أخرجه الإمام البخاري في مواضع من "صحيحه" منها في كتاب "الدعوات" باب: قول لا حول ولا قوة إلا بالله (87/8)(6409)، ومسلم في "صحيحه" كتاب "الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار" باب: استحباب خفض الصوت بالذكر (2077/4)(2704)، وأحمد في "مسنده" (417/32) (19648) من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه.

(2) التلوث الضوضائي من منظور إسلامي، الإدارة العامة للتوعية الدينية، 5/.

(3) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، فصل الصاد، 1 / 900.

أن يغشى عليه منه أو يموت⁽¹⁾. ومن هنا فقد جعل الله الصوت المرتفع أسلوباً للهلاك، فقد كان سبباً من أسباب هلاك الأمم بالسابقة.

تعريف الصيحة:

قال الخليل ابن أحمد "تصيح الخشب ونحوه إذا تصدع... أي تشقق، والصيحة: العذاب... الصياح، الصوت الشديد، صاح صَيْحَةً وصياحاً"⁽²⁾ وقيل "الصيحة رفع الصوت... وأصله من تشقيق الصوت، إذا انشق، فسمع منه صوت، وصيح الثوب إذا انشق"⁽³⁾.

وقال ابن كثير: "الصيحة وهي ما جاءهم به من الصوت القاصف عند شروق الشمس وهو طلوعها، وذلك مع رفع بلادهم إلى عنان السماء، ثم قلبها وجعل عاليها سافلها، وإرسال حجارة السجيل عليهم"⁽⁴⁾ وهي صوت عالٍ جداً، ويقول العلماء إن الترددات الصوتية في مجال محدد تصبح قاتلة، ولذلك قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾⁽⁵⁾ "أي أهلكوا وماتوا بصيحة جبريل الرهيبه بهم، وهي صوت شديد مرعب أدى إلى الصعقة والموت، فأصبحوا بسبب كفرهم وتكذيبهم رسولهم صرعى هلكى"⁽⁶⁾ فإن الصيحة تجمع الصفة التي هلك عليها عاد وثمود، فأنهم أهلكوا بهذا البلاء الذي صاح فيهم صيحة جمد لها الدم فى عروقهم، وتصدعت لها قلوبهم، وتهافت منها ديارهم...⁽⁷⁾.

(1) التعريفات، للجرجاني، 131/.

(2) كتاب العين، 3 / 292.

(3) المفردات في غريب القرآن، باب صيد، 496/.

(4) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) 4 / 466.

(5) سورة المؤمنون آية: 41.

(6) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د / وهبة الزحيلي، 18 / 44.

(7) التفسير القرآني للقرآن، 9 / 1137.

"والصاعقة مزعج قد يخرق طبلة الأذن، ودليل على أن ازعاج الصاعقة فوق طاقة الانسداد بأصبع واحدة؛ لأن الإنسان ساعة يسد أذنيه يسدها بطرف الأصبع لا بكل الأصابع⁽¹⁾. وهذه الصاعقة أنزلها الله تعالى على قوم سيدنا ثمود حينما عقروا الناقة وعتو عن أمر ربهم، وكذا غيرهم ممن كذبوا الرسل⁽²⁾ من الجاحدين والمعاندين لرسولهم فكانت النتيجة أن أرسل الله عليهم الصيحة⁽³⁾. ومن ثم فإن هناك عدة وسائل للعذاب الذي أرسله الله تعالى عليهم"⁽⁴⁾.

الصوت المرتفع وأضراره في العلم الحديث:

من المعلوم لدى الدارسين أن قوم ثمود اهلكوا بالصيحة وهي الصوت المرتفع المدمر الذي أهلكهم، وهناك إصابات قرررها العلم الحديث، وذلك بسبب ارتفاع الأصوات وهذه الاصابات متعددة منها:

(1) تفسير الشعراوي، 5 / 2777.

(2) والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: 40]

(3) يقول صاحب المنار: "أرسل على كل من ثمود ومدين صاعقة ذات صوت شديد؛ فرجفوا أو رجفت أرضهم وزلزلت من شدتها وخروا ميّتين، فكانت صاعقتهم أشد من صاعقة بني إسرائيل؛ لأن هذه تربية لقوم نبي في حضرته، وتلك صاعقة كانت عذاب خزي وهوان لمشركين ظالمين معاندين أنجى الله نبي كل منهم ومؤمنهم قبلها، وأما قول بعض المفسرين: إن الصيحة التي أخذت ثمود ومدين كانت صيحة من جبريل -عليه السلام-، فهو من أخبار الغيب التي لا تقبل إلا من نصوص الوحي ولا نص، فتعين أنه من الرجم بالغيب." [راجع تفسير المنار، 12 / 123].

(4) وسيلة الإهلاك وصفت بأوصاف كثيرة منها: الصيحة، وهي التي لها صوت، ومنها الطاغية قال

تعالى ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ وَأَسْبَحُوا بِالنَّارِ﴾ [سورة الحاقة: 5]، ومنها عذاب يوم الظلة، قال تعالى ﴿فَكَذَّبُوهُ

فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الشعراء: 189]، ومنها الرجفة، قال تعالى:

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمٍ﴾ [سورة الأعراف: 78]، ومنها الصاعقة قال تعالى

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الَّتِي كَانُوا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة

فصلت: 17]، ومنها الدممة، قال تعالى ﴿فَدَمَّرْنَا عَلَيْهِمْ رَبَّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَنَسَوْنَهَا﴾ [سورة

الشمس: 14]، [راجع: الإعجاز العلمي في الإهلاك بالصيحة، د / محمود محمد الشوري، المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، حراء - مكة العدد، 55 / 4.

الإصابات المبدئية: سببها الضغط المباشر على الجسم⁽¹⁾.

يزيد أثرها المدمر بوجود حائط لصد وعكس وتكبير الموجة أمام الجسم (الجال والظلة) لدرجة أن النجار الذي يؤدي إلى إصابة خفيفة لو حدث في العراء يمكن أن يكون قاتلاً لو حدث هو نفسه والمصاب موجود أمام سطح عاكس كحائط صلب والمفارقة هنا أن ثمود وقد بنوا بيوتهم من الجبال لزيادة الأمن قد تكون الجبال نفسها سبباً في تزايد الأثر المميت للبعض بسبب عكسها وتكبيرها والقرآن الكريم أكد أن الهلاك حدث في ديارهم هذا بالإضافة إلى وجود الظلة فوقهم⁽²⁾، ومن هنا فإن ارتفاع صوت الصيحة يؤدي بالإنسان إلى تراكم الأمراض المزمنة والتي تؤدي إلى تلف حياة الإنسان بل تؤدي في بعض الأحيان إلى موته.

و"يحدث الضرر الأساسي في الأعضاء التي تحتوي على تجويف الأذن - الرئة - الجهاز الهضمي، أما الأذن تمزق طبلة الأذن ويمكن أن تتخلع أو تكسر عظام الأذن الوسطى، وتتأثر كذلك الخلايا السمعية الحسية في الأذن الداخلية، ويؤثر هذا كله على وظيفة السمع (الصاخة)⁽³⁾ وفي الحالات الشديدة تتأثر وظيفة التوازن فيفقد الإنسان توازنه فيقع ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثْمِينَ﴾⁽⁴⁾ وأما إصابة الرئة فهي من أخطر وأشيع أسباب الوفاة بسبب الانفجارات وذلك أن زيادة الضغط تؤدي إلى كدمات رئوية وتمزق لجدران الحويصلات الهوائية فهي تبدأ عند (30

(1) التفسير القرآني للقرآن، 9 / 1137.

(2) الإعجاز العلمي في الإهلاك بالصيحة، د / محمود محمد الشوري، المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، حراء - مكة. العدد، 55 / 7 .

(3) الصاخة، تقول: سمعت صخيخ الحجر، إذا ضربته بحجر آخر، وأحسب أن الصاخة التي في التنزيل من هذا الصوت أو شدة الوقع، وهي صيحة تصخ الأذان فتصمها، ويقال: هي الأمر العظيم، يقال: رماه الله بصاخة، أي: بدهاية وأمر عظيم. والغراب يصخ بمنقاره في دبر البعير، أي: يطعن فيه. يراجع: جمهرة اللغة، أبو بكر الأزدي، 2 / 1054، كتاب العين، باب الخاء والسين، 4 / 135.

(4) سورة هود: 67.

بسمل، وتتأكد عند (75) بسمل وبسبب الاختلاف في المرونة بين الرئة⁽¹⁾ (عضو ملئ بالهواء) والاعوية الدموية و(عضو ملئ بالسائل - الدم) تحدث قوة قصيية تمزيقية تسبب نزفاً صدرياً⁽²⁾.

آثار الصيحة على المعذبين:

من المعلوم لدى الدارسين أن الصيحة هي الصوت الشديد الذي أصاب الله تعالى به قوم ثمود ومن سار على منوالهم، وبناء على ذلك فإن هناك عدة آثار لهذه الصيحة وهي:

1. حدوث رجفة من تحت أرجلهم.
2. اختلال توازنهم ووقوعهم جاثمين.
3. صعقتهم وتقطع قلوبهم وموتهم.
4. يبوسة أجسادهم كالغشاء⁽³⁾ والهشيم⁽⁴⁾ ومن هنا فإن هذه الآثار التي دمرت هؤلاء الذين عصوا رسل ربهم، فأحاط الله بهم العذاب من بين أيديهم ومن

(1) من آيات الله الدالة على عظمت هاتان الرئتان، اللتان أودعتا صدر الإنسان، وتتصل كل منهما بالمحيط الخارجي بقصبة هوائية هي الرغامى، هذه القصبة تنفرع إلى ثلاثة وعشرين فرعاً، إلى أن تصل هذه الفروع إلى الأسناخ، أو الحويصلات الرئوية، وهي أصغر وحدة في الرئة، فقطر الحويصلة وهي متنفخة بالهواء ربع ميكرون، أما قطر القصبة فهو خمسة سنتيمترات، أي بمساحة قطعة معدنية، أو أكبر بقليل، لكن مساحة الحويصلات سبعون متراً مربعاً، تتلقى الهواء من قصبة لا يزيد قطرها على خمسة سنتيمترات "يراجع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د/ محمد راتب النابلسي، ص173

(2) الإعجاز العلمي في الإهلاك بالصيحة، الدكتور/ محمود محمد الشوري، المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، حراء - مكة، العدد، 55 / 7 .

(3) الغشاء: غشاء السيل والقدر، وهو ما يطفح ويتفرق من النبات اليابس، وزبد القدر، ويضرب به المثل فيما يضيع ويذهب غير معتد به، ويقال: غشا الوادي غشواً، وغثت نفسه تغثي، المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص602.

(4) الهشيم ما يبس من الورق وتكسر وتحطم، فكانوا كالهشيم الذي يجمعه صاحب الحظيرة أي قد بلغ الغاية في اليبس حتى بلغ أن يجمع. أبو قتبية: الليثاني يقال للنبت الذي بقي من عام أول هذا نبت عامي وهشيم وحطيم، وقال في ترجمة حطر: الهشيم ما يبس من الحظرات فارقت وتكسر، المعنى أنهم بادوا وهلكوا فصاروا كيبس الشجر إذا تحطم، لسان العرب، باب الهاء، 12 / 612

خلفهم جزاء لما عملوا وارتكبوا في حق أنبيائهم وكان حديث القرآن عنهم بقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ عُثَاءً﴾⁽¹⁾ أي هلكى هامدين كغثاء السيل وهو ما يحمله من بالي الشجر من الحشيش والقصب مما يبس وتفتت تناثرهم بلا نظام⁽²⁾ ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾⁽³⁾ "قال ابن عباس: (المحتظر) هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك، فما سقط من ذلك وداسته الغنم فهو الهشيم. وعنه: كحشيش تأكله الغنم. وعنه أيضاً: كالعظام النخرة المحترقة، وهو قول قتادة. وقال سعيد بن جبير: هو التراب المتناثر من الحيطان في يوم ريح. وقال سفيان الثوري: هو ما تناثر من الحظيرة إذا ضربتها بالعصا، وعن ابن عباس: أنهم كانوا مثل القمح الذي ديس وهشم، فالمحتظر على هذا الذي يتخذ حظيرة على زرعه، والهشيم فتات السنبله والتبن"⁽⁴⁾. فمن رحمة الله تعالى بالبشر أن أخفى عليهم الأصوات المرتفعة التي تسبب لهم الضيق وعدم الراحة في حياتهم، وأيضاً الحفاظ على حاسة السمع التي، "إذا زاد الصوت عن هذه المقرر لم تسمع شيئاً، ولكن قد يحدث شعور مزعج غامض قد يصل إلى درجة إيذاء الأذن"⁽⁵⁾.

الإسلام يحارب الضوضاء:

إن من عظمة دين الإسلام أنه يحارب ما يسمى بالضوضاء " فقد منع الإسلام أحداث الضجة والصوت المرتفع سواء أكان من داخل المسجد أم من خارجه حتى لو كانت هذه الضجة لتلاوة القرآن أو الأذان للصلاة فالله تعالى يقول:

(1) سورة المؤمنون آية: 41.

(2) الإعجاز العلمي في الإهلاك بالصيحة، الدكتور/ محمود محمد الشوري، ص9.

(3) سورة القمر من الآية: 31.

(4) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، 17 / 142، 143.

(5) الطب محراب الإيمان، الدكتور / خالص جلبي كنجو، ص196.

﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا وَابْتَغَ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾⁽¹⁾ وحينما أراد رسول الله (ﷺ) أن يحيي وسيلة لنداء الناس وتبليغهم مواعيد الصلاة جاء بعض الصحابة يقترحون عليه استعمال الأبواق⁽²⁾ كاليهود واستعمال الأجراس كالنصارى واقترح بعضهم أن تقرع الطبول كعادة القبائل في الحرب ولكن رسول الله لم يستحب هذه الآلات المزعجة العالية الصوت... وفضل أن يكون الأذان بصوت الإنسان الطبيعي الذي ينبه ولا يزعج فاختر بلالاً للأذان... ولم يكن بلالاً جهر الصوت بل كان صوته خفيضاً رحيماً ترتاح إليه النفوس وتستجيب له القلوب⁽³⁾ ومن هنا فإن الإسلام يحاب الأصوات العالية التي تدمر خلايا المخ والأعصاب وغيرها من خلايا الجسم، ومن ثم فقد أخفاها الله عن عباده.

إن من رحمة الله تعالى بخلقه أن جعل لهم سمعاً به يسمعون وبسببه يتلفظون وبدونه لا يستطيعوا أن يتكلموا أو يسمعوا؛ لأن هذا الجهاز هو أخطر الحواس تعقيداً وتركيباً لذلك فإن القرآن الكريم قدم حاسة السمع على حاسة البصر؛ وذلك لعلوا شأنه ومنزلته على سائر الحواس⁽⁴⁾ وبناء عليه فإن شدة ارتفاع الأصوات يؤدي بالإنسان إلى كثير من العاهات والأمراض مثل الصمم، والطرش⁽⁵⁾ والوقر، الذي هو الثقل في الأذن⁽⁶⁾ والأمراض الأخرى مثل "الاهتزازات إلى الوسط السائل

(1) سورة الإسراء من الآية: 110.

(2) البوق: شبه مثقاب ينفخ فيه الطحان ويقال للذي لا يكتم السر إنما هو بوق مثل به ومن الملاهي الطبل يقال: طبل وأطبال وطبول، يراجع: المخصص، لابن سيده، 4 / 13.

(3) الطب الوقائي في الإسلام، أحمد شوقي الفنجري، / 103، 104.

(4) "ثم إن الله شق السمع وأودعه رطوبة مرة يحفظ بها السمع من ضر الدود ويقتل أكثر الهوام الذين يلجون السمع وحفظ الأذن بصدفه تجمع الصوت فترده إلى صماخها وجعل فيها زيادة حس لتحس بما يصل إليها مما يؤذيها من هوام وغيره وجعل فيها تعويجات ليفرد فيها الصوت ولتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طرفيه فيتأثر وينتبه صاحبها من النوم" يراجع: أسرار المخلوقات المخلوقات، للغزالي، 55.

(5) الطرش: الصمم، وقيل: هو أهون الصمم، وقيل: هو مولد، الأطرش والأطروش الأصم، لسان العرب، فصل الطاء، 6 / 311.

(6) تهذيب اللغة، للهروي، 9 / 215.

في الأذن الداخلية". فإذا خرج الصوت عن المدى السمعي للأذن؛ فإنها قد لا تدركه إذا كان في غير الترددات التي تدركها البشرية وهي المعروفة بالموجات فوق أو تحت الصوتية أو كان خافتاً جداً أو تضرر منه إذا كان عالياً⁽¹⁾. ومن هنا فإن الإسلام قد وضع للإنسان قيماً أخلاقية في تعامله مع الآخرين، ومن هذه القيم (غض الصوت) فقال تعالى: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾⁽²⁾ وعلى هذا فإن الإسلام قد حثَّ أتباعه على أن يحافظوا على البيئة التي يعيشون فيها وذلك بعدم تلوث هوائها بالضوضاء والضجيج اللذان يؤديان إلى وقوع الأذى بالكائنات الحية ومن بينها الإنسان لذلك فإن الباريء جل شأنه قد خلق كل شيء في الطبيعة بقدر فلا يطغى شيء على شيء لذلك يقول الحق ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾⁽³⁾ وعلى هذا فإن الله تعالى الرحمن الرحيم الذي برحمته ﴿عَلَّمَ﴾ أن حجب الأصوات المرتفعة عنا لأن قدراتنا الضعيفة لا تتحمل ذلك حيث قال الله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾⁽⁴⁾.

ثانياً: نعمة الخفاء من فرط الانخفاض

وتتمثل هذه النعمة في أن الله تعالى قد أخفى علينا أشياء لا ندر كها وذلك لصغر حجمها وهي ما تسمى بالأشعة تحت الحمراء فما معناها: الأشعة تحت الحمراء: عبارة عن موجات من الأشعة الكهرومغناطيسية، كالأشعة فوق البنفسجية وهي مجال طيفي من الإشعاع الكبير ومغناطيسي يقع

(1) الإعجاز العلمي في الإهلاك بالصيحة، د / محمود محمد الشوري، المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، حراء - مكة العدد، 55 / 4.

(2) سورة لقمان من الآية: 19.

(3) سورة الحجر من الآية: 19.

(4) سورة النساء من الآية: 28.

بين المجال المرئي ومجال أشعة الراديو"⁽¹⁾.

استخدامات الأشعة فوق الحمراء:

تستخدم هذه الأشعة الغير مرئية في عديد من المجالات العلمية وغيرها مما يعود أثره على البيئة، "وتستخدم الإشعاعات تحت الحمراء في الوقت الحاضر استخداما واسعا في العديد من التطبيقات العلمية والعملية بما في ذلك أجهزة الرؤية الليلية وفي أجهزة التصوير بالأشعة تحت الحمراء وفي القياسات الطبيعية الاهتزازية"⁽²⁾.

الأطوال الموجية للأشعة تحت الحمراء وإخفاؤها عن البشر:

هناك أطوال للأشعة تحت الحمراء وهذه الأطوال تختلف كل أشعة عن الأخرى من حيث الطول والقصر ومن حيث تأثير أشعتها على الكون إيجاباً أو سلباً "أما من حيث طول الموجات فإن أطول الموجات هي موجات الأشعة تحت الحمراء وطولها 7.. ميكرون والأشعة الضوئية وطولها 7.. ميكرون، أما أقصرها فهي الأشعة فوق البنفسجية التي يقل طول موجاتها عن 4.. ميكرون، وفيما بين هاتين النهايتين فإن الأشعة المرئية التي يتكون منها ضوء الشمس موجاتها متوسطة. وهي أكثر الأشعة تأثيراً على حرارة الأرض. وعندما تصل أشعة الشمس عموماً إلى سطح الأرض فإنه يمتص بعضاً منها ويحوّله من موجات قصيرة إلى طاقة حرارية طويلة الموجات تنتقل وتتوزع رأسياً وأفقيّاً لتزود جو الأرض بالوقود اللازم لكل العمليات التي يتضمنها الطقس والمناخ، والتي ينتج عنها تباين الأحوال الحرارية من مكان إلى آخر ومن وقت إلى آخر"⁽³⁾. فالعين البشرية لا تستطيع

(1) تصميم ومحاكاة كاشف الأشعة تحت الحمراء وآبار كمية، يوسف مفتاح، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2010 م، ص2.

(2) الأشعة من حولنا، د/محمد فاروق أحمد، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض 1422 هـ 2002 م، 27/

(3) الجغرافيا المناخية والنباتية، عبد العزيز طريح شرف، ص44.

رؤية معظم الطّيف الكهرومغناطيسيّ عدا الضوء المرئيّ، ولكن يمكن للإنسان أن يشعر بحرارتها.

يقول العلم الحديث: "إن هناك مستقبلات في بعض الحشرات تتحسس بالأشعة تحت الحمراء، فإذا استمر إحساسها بهذا الشيء الحار، وبهذه الأشعة فهي على استقامة معه، وإذا جاء الإحساس نوبيا، فهي تقطعه عرضيا، فإذا جاءت على محوره يستمر هذا الإحساس، وتتجه إليه، وهذا الجهاز موجود في البعوضة، فلو أن رجلين نائمين على فراش، الأول مصاب بالحمى، حرارته مرتفعة، فإن البعوضة على بعد ثلاثة أمتار تميزه، لأن عندها قرون استشعار، فيها نهايات تتحسس بالأشعة تحت الحمراء، فتأتي إليه وحده"⁽¹⁾.

إخفاء الأشعة تحت الحمراء عن مدارك البشر:

الأشعة تحت الحمراء لا يراها الإنسان بعينه المجردة، بل يراها تحت المجهر وغيره من الآلات الحديثة لذلك فإن تأثيرها يقع على جسم الإنسان وذلك عند ارتفاع درجة الحرارة "وبعض أشعة الشمس التي ترسلها مرئي والبعض الآخر خفي، ولقد أمكن تحليل أشعة الشمس بمنشور زجاجي منذ عهد نيوتن في القرن السابع عشر الميلادي. وتتحلل أشعة الشمس إلى ألوان سبعة هي: الأحمر، فالبرتقالي، فالأصفر ثم الأخضر فالأزرق فالنيلي ثم البنفسجي، وأول أمواج هذه الأشعة هي الحمراء وأقلها البنفسجي، ولقد لوحظ أن أمواج الأشعة الحمراء ترفع درجة الحرارة وأنه إذا انتقل مقياس الحرارة فيما وراء اللون الأحمر فإن الحرارة ترتفع أكثر، ومن هنا تم التعرف على الأشعة دون الحمراء أو تحت الحمراء وهي أشعة حرارية"⁽²⁾ ومن هنا فإن العين لن تستطيع أن ترى هذه الأشعة وذلك عند ما ترتفع درجة الحرارة المنبثة في الجو، ومن الممكن أن نرى هذه الأشعة في حالتين

(1) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د / محمد راتب النابلسي، ص335.

(2) المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، محمد محمود محمدين، طه عثمان الفراء، 83/.

لا ثالث لهما كما ذكر ذلك صاحب كتاب (القرآن وعلوم الأرض حيث ذكر "أن أشعة الضوء لا ترى في ذاتها، إلا أنها معروفة بأنها الضوء المرئي، فهي حين تخترق الفضاء الكوني لا نراها، ولكننا نراها في حالتين:

أ- حينما تتناثر في بعض الأوساط المادية الشفافة مثل الغلاف الجوي.

ب- حينما تنعكس على بعض الأسطح المادية مثل سطح القمر.

ويمكن تحليل الضوء إلى سبع مكونات، بإمراره خلال منشور زجاجي، وهذه المكونات السبع هي ألوان الطيف التي تشعر بها حاسة الرؤية في الإنسان، ويختلف طول الموجة من لون لآخر؛ فأطولها موجة اللون الأحمر، وأقصرها موجة اللون البنفسجي، وألوان الطيف مرتبة حسب طول موجاتها هي: البنفسجي - النيلي - الأزرق - الأخضر - الأصفر - البرتقالي - الأحمر⁽¹⁾ وقد أخفاها الله تعالى عنا بالليل لحكمة وهي "حتى يستريح الجسم من كل شيء، من كل حركة ناشئة فيه، ومن حركة وافدة عليه، وهكذا تكون نعمة سكون الليل وظلمته مثل نعمة الصباح، وكلاهما تتمم الأخرى"⁽²⁾ وصدق الله العظيم: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ⁽³⁾

أضرار الأشعة فوق الحمراء عند رؤيتها:

عند التعرض للأشعة تحت الحمراء تتأثر العين بالعمى وكذا شبكية العين تتأثر أيضًا بها، ويترتب على هذه الرؤية إحمرار جفن العين وخلافه وذلك عند التعرض لهذه الأشعة الضارة لذلك فإن من نعم الله على خلقه أن أخفى عليهم رؤيتها وذلك احترامًا لقدراتهم الضعيفة التي لن تستطيع أن تقاوم الخطر الذي

(1) القرآن وعلوم الأرض، محمد سميح عافية، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة: الأولى 1414 هـ -

1994 م، 28/

(2) تفسير الشعراوي، 6/ 3809.

(3) سورة الحاقة، الأيتان: 38 - 39.

يأتي بسبب رؤيتها، ومن نعم الله التي سخرها للإنسان وهي نعمة الليل للسكون والراحة والنهار للمعيشة والسعي حيث قال: ﴿وَجَعَلْنَا لَيَلًا لِبَاسًا ۖ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾⁽¹⁾ "نهار، وليل يتكرران بانتظام دون اختلال، وتعارف البشر على كون الليل بظلمته مجال النوم والراحة، وعلى كون النهار بنوره مجال السعي للرزق"⁽²⁾، فالمنطق الطبيعي للكائن الحي أن يستريح ويهدأ ويسكن لا بحركته فقط ولكن بسكون كل شيء حوله؛ لأنك إن كنت ساكنا ويأتي لك ضوء فهو يؤثر في تكوينك، ولذلك يقولون الآن: إن «الأشعة» التي يكتشفون بها أسرار ما في داخل جسد الإنسان تترك آثارا. إذن فالإشعاع الصادر عن الشمس يمنعه عنك الله ليلا حتى يستريح الجسم من كل شيء، من كل حركة ناشئة فيه، ومن حركة وافدة عليه، وهكذا تكون نعمة سكون الليل وظلمته مثل نعمة الصباح، وكلاهما تتمم الأخرى"⁽³⁾ ومن هنا فإن الليل هو الذي يعطي للإنسان الراحة كي يستريح من خطر الأشعة التي يتأثر بها دون أن يراها وقد أخفاها الله عنه؛ لأن هذا الخفاء يعد جزءاً من النظام الكوني الذي نظمته الله تعالى للإنسان وما ذاك إلا دليل على وحدانية الله تعالى.

يقول منصور حسب النبي: "حقاً إنها تنظيمات رائعة ونعم زاتصال متعددة تدل على الخلق والتدبير وتدل على حب الله لمخلوقاته واهتمامه سبحانه بأمورهم وإن الله سخر لنا ما في الأرض جميعاً وجعلنا جديرين بخلافته والمهم هو التوازن والنظام مع كل ما حولنا فلا نظام بدون منظم، وهذا في حد إثبات لوجود الله كما أن إيضاح التكامل من جميع التنظيمات وعدم تعارضها مع بعضها البعض يدل على وحدانية الخالق؛ لأن تعدد القدرة الإلهية يؤدي حتماً إلى فساد هذا الكون

(1) سورة النبأ، الآيتان: 10 - 11.

(2) القرآن وعلوم الأرض، محمد سميح عافية، 111/.

(3) تفسير الشعراوي - الخواطر، 6 / 3809.

وإختفاء ما السموات والأرض من نظام واحكام وتكامل وتعاون وتنسيق"⁽¹⁾ ومن هنا فإن هذا الاحكام والاتقان دليل على وجود الملك القدوس المهيمن العزيز الجبار المتكبر القائل جل شأنه ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾⁽²⁾

وإذا كان الأمر كذلك فإن هناك أشياء أخرى قد أخفاها الله عنا ولكن ندرك آثارها، ومن خلال تلك الآثار نتعرف عليها طبعاً وهذا أمر بديهي ونتوصل من خلالها إلى معرفة واجب الوجود الذي لا ندرك كنه ذاته ولكن ندرك آثاره الموجودة في الكون وذلك من باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽³⁾ وعلى ذلك فهناك بعض العناصر في الكون المنظور ندرك آثارها مثل (الجاذبية الأرضية، والمغناطيس، وغيرهما) دون أن نرى كنهها وجوهرها؛ لأن الله قد أخفاها عنا لحكم جليلة.

(1) سلسلة الكون المنظور، كتاب الله المنظور، د / منصور محمد حسب النبي، 10 / 15.

(2) سورة الأنبياء، آية: 22.

(3) سورة يونس، آية: 101.

الفصل الخامس

نعمة إخفاء بعض العناصر المدركة بآثارها

توطئة

من المعلوم لدى الدارسين أن كل ما في الكون يتحرك، وهذا ما يسمى بالتجاذب الحركي في الكون وكل ذلك؛ لينتظم الكون البديع، ومن ينظر إلى السماء يجد أنها مرفوعة بلا عمد دون أن نراها جاء ذلك جلياً في القرآن الكريم حيث قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾⁽¹⁾. فالتعبير يحتمل أنها بلا عمد، وأنها بعمد لا تُرى. وأن العمَد التي لا ترى، والرفع بلا عمد يعودان إلى أنها ممسكة بالقدرة الإلهية.. وأضيف أن علماء عصرنا يقولون إن الجاذبية بين الكواكب والنجوم بعضها وبعض تمسك كلاً في موقعه بالنسبة لغيره. أقول وهذا يصلح أن يكون تفسيراً للعمَد التي لا تُرى⁽²⁾ ومن هنا "فإن كتل الأجرام السابحة في الفضاء الفسيح، الهائلة ثقلاً وكثافة وحيزاً، وإن كان يظهر لنا أنها لا تتركز على شيء يدعمها ويرفع ثقلها الهائل، فإن هناك شيئاً محققاً يمسكها ويتحكم فيها قبضاً وبسطاً، بإرادة الله وحسن تدبيره، وهذا الشيء الخفي هو "قانون الجاذبية"، الذي اهتدى إلى إدراكه علماء الطبيعة بعد جهد جهيد، فالعمد التي لا ترى هي "الجاذبية" التي تجذب الثقل إلى الأثقل، والكبير إلى الأكبر"⁽³⁾.

وعلى ذلك فإن التوازن الذي وضعه الله تعالى للكون لا يتم إلا عن طريق الجاذبية الأرضية التي لا يراها البشر، وهذا التوازن يسمى في العلم الحديث بالميزان المحسوب أعني أن كل شيء يسير في الكون بحساب ولولا ذلك لوقعت

(1) سورة الرعد من الآية: 2.

(2) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة: الأولى، 2010 م، 3 / 1521.

(3) التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري (المتوفى: 1414 هـ) دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1405 هـ - 1985 م، 3 / 223.

السماء على الأرض وأنهار العالم كله.

"فإن الكل يجري والكل يدور أو يطوف في فلك خاص، وإن جميع الأجسام تسبح في الفضاء الكوني (الأيدورجين Aydrogen) الذي ينتشر في أرجاء الكون، فإذا نظرنا مثلاً إلى دوران القمر حول الأرض كنموذج لانتزان الأجرام السماوية فسوف نجد أن الأرض تجذب القمر إليها في اتجاه مركز الدوران ولكن القمر يتغلب على قوة الجذب بقوة أخرى مساوية ومضادة تعرف بالقوة المركزية الطاردة التي يعانيتها أي جسم متحرك في مسار دائري، وبذلك تتعادل القوتان تماماً كما تتعادل كفتا الميزان، ويظل القمر دائرياً في مداره في حالة اتزان إلى ما شاء الله ولا يقع على الأرض، وصدق تعالى بقوله: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾⁽¹⁾ وقوله ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾⁽²⁾ حقاً إنه ميزان إلهي محسوس بحسبان، ولولا التوازن من قوة الجاذبية والقوة المضادة المركزية لوقعت السماء على الأرض"⁽³⁾.

وإذا كان الأمر كذلك فإن هناك أشياء تتدرج تحت الجاذبية الأرضية من ناحية الخفاء وعدم رؤيتها وإنما يرى الإنسان ما يصدر عنها من آثار، وهذه الآثار تدل دلالة قاطعة على أن هناك مسبب لها؛ لأنه يستحيل صدور شيء بدون علة، وهذا الشيء الخفي إنه المغناطيس وجذبه للأشياء عند وجود الشرط، وهذا ما يتناوله البحث في هذا الفصل، ثم يعرج الحديث أيضاً عن الضغط الجوي وحاجة البشرية إليه وما هي الحالة التي يكون عليها البشر حينما ينقطع عنهم الأكسجين،

(1) سورة الحج من الآية: 65 .

(2) سورة الرحمن، الآيات: 5 - 7.

(3) الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، الدكتور/ منصور حسب النبي، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، 1991م، ص62، 63.

فلسفة نعمة الخفاء في الدين والعلم وأثرها في العقيدة الإسلامية

وما هي الآثار العقدية المترتبة على وجود هذا التيار الخفي الذي لا نراه بأبصارنا وإنما ندرك آثاره التي قد يعجز العقل البشري عن تحليل وفلسفة هذا التيار الخفي؟، وذلك من خلال ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نعمة إخفاء الجاذبية الأرضية وأثر ذلك على سلوك الإنسان ومعتقدده.

المبحث الثاني: نعمة إخفاء المجال المغناطيسي وأثر ذلك على سلوك الإنسان ومعتقدده.

المبحث الثالث: نعمة إخفاء الغلاف الجوي وأثر ذلك على حياة الإنسان ومعتقدده الإسلامي.

المبحث الأول

نعمة إخفاء الجاذبية الأرضية

وأثر ذلك على سلوك الإنسان ومعتقد

المدلول اللغوي لمصطلح للجاذبية (1) For gravity

الجاذبية هي "الحالة التي يجذب بها صاحبها غيره يقال فلان له جاذبية يستميل غيره إليه وفي المغناطيسية قوة تجاذب الأجسام عند دلكها وفركها"⁽²⁾.

المدلول الاصطلاحي: الجاذبية: هي قوة التجاذب التي تعمل بين جميع الأجسام بسبب كتلتها أي كمية المادة التي تتكون منها"⁽³⁾ وقيل إنها "تاموس كوني موجود في طبيعة الأشياء كلها ويعمل في صمت في السموات والأرض وما بينها، فكل الأجسام المادية تتجاذب وفقاً لقانون معين"⁽⁴⁾ ومن هنا فإن الجاذبية الأرضية سنة كونية من سنن الله تعالى، وهي "هدف كوني يؤدي إلى الإيمان"⁽⁵⁾.

(1) في سنة 1917م أطلق "ألبرت أينشتاين" Albirt Aynshtayn نظريته عن النسبية العامة لشرح طبيعة الجاذبية، وأشارت النظرية إلى أن الكون الذي نحيا فيه غير ثابت، فهو إما أن يتمدد أو ينكمش وفقاً لعدد من القوانين المحددة له، وجاء ذلك على عكس ما كان "أينشتاين" Aynshtayn وجميع معاصريه من الفلكيين وعلماء الفيزياء النظرية يعتقدونه انطلاقاً من محاولاتهم اليأسية لمعارضة الخلق، وقد أصاب "أينشتاين" الذعر عندما اكتشف أن معادلاته تنبئ رغم أنه بأن الكون في حالة تمدد مستمر، ولذلك عمد إلى إدخال معامل من عنده أطلق عليه اسم الثابت الكوني ليُلغى حقيقة تمدد الكون؛ من أجل الادعاء لثباته واستقراره، ورغم دوران الأجرام التي يحتويها، ثم عاد ليعترف بأن تصرفه هذا كان أكبر خطأ علمي اقترفه في حياته. وقد قام العالم الهولندي "وليام ديسيتير" Wilyam Disitr بنشر بحث في نفس السنة 1917 م استنتج فيه تمدد الكون انطلاقاً من النظرية النسبية ذاتها، ومنذ ذلك التاريخ بدأ الاعتقاد في تمدد الكون يلقي القبول من أعداد كبيرة من العلماء، فقد أجبرت ملاحظات كل من "سليف" Sayulfar و"ديسيتير" Disitir وكل من "هوب" Hub و"هيوماسن" Hiumasin جميع الفلكيين الممارسين وعدد من المشتغلين بالفيزياء النظرية وفي مقدمتهم ألبرت "أينشتاين" نفسه على التسليم بحقيقة توسع الكون، تراجع: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير مناهج جامعة المدينة العالمية، ص104.

(2) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة باب الجيم، 1 / 112.

(3) أطلس العالم الكبير، ص34.

(4) للكون إله، د / صبري الدمرداش، ص285.

(5) سلسلة الكون كتاب الله المنظور، آيات ودلالات، منصور حسب النبي، 11 / 5.

ومن المعلوم لدى الدارسين أن الجاذبية الأرضية هي التي تجعل كل كوكب في مساره لا يتعداه إلى غيره ومن ثم فإن لها أهمية عظيمة في حياة الموجودات على الإطلاق. وعلى هذا فإن الجاذبية الأرضية لها أهمية بالغة في حياة الإنسان خاصة والكون بما فيه من جماد وحيوان على جهة العموم.

أهمية الجاذبية

بدايةً نحن نحس بالجاذبية الأرضية ونحن على ظهر المعمورة ولكن كيف ذلك؟ والجواب "وهو أننا نحس بالجاذبية على سطح الأرض فعندما نحمل شيئاً في أيدينا مثلاً وندعه يفلت فهو لا محالة ساقط على الأرض بفعل جاذبيتها"⁽¹⁾، ومن أهميتها أنها "من أهم مفردات الكون وهي إحدى قوى الكون والوجود في ضبط وربط الكرة الأرضية والقمر والشمس وكواكب المجموعة الشمسية، وكل ما في هذا الكون من نجوم ومجرات وعناقيد مجرية، ولولا الجاذبية لفلت كل شيء من عقاله وتداخلت الكواكب والنجوم والمجرات واصطدمت مع بعضها وتفجرت وأنهارت"⁽²⁾، ومن أهميتها أن قوة الجاذبية قد أخفاها الله عن أعيننا "لكن أهميتها تكمن في دورها العظيم في بناء السموات والأرض فهي تعمل بين الأجسام الكتلية كحامل لها وتسمى موجات الجاذبية"⁽³⁾.

الجاذبية في القرآن الكريم ودلالاتها العقدية

إن القرآن الكريم قد تحدث عن الجاذبية الأرضية قبل العلم الحديث بملايين

(1) للكون إله، د / صبري الدمرداش، ص284.

(2) الموسوعة الكونية الكبرى، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية، د / ماهر أحمد الصوفي، تقديم، د/ محمد سعيد رمضان البوطي، 5، 6 / 123.

(3) بناء الكون ومصير الإنسان، هشام طالب، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى 1427هـ، 2006م. ص218.

السنين، وهذا إن دلَّ فإنما يدل على أن القرآن الكريم لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وبينها، والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾⁽¹⁾ ومن الأمور التي جاء بها القرآن الكريم ثم اكتشفها العلم الحديث ما يسمى بقانون الجاذبية، يقول ربنا في سورة المرسلات ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾⁽²⁾ ﴿٢٥﴾ ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾⁽²⁾ والكفت: سترك الشيء كفته أكفته كفتا. وكل شيء ضممته إليك فقد كفته⁽³⁾.

معنى الكفت

أشار العلم الحديث إلى أن "من صفات الأرض أنها تكفت أي تجذب وتضم وتقبض، وهذه الآية السابقة إشارة واضحة إلى الجاذبية، فكل شيء على سطح الأرض ينجذب إليها وما وزن الشيء يتناسب مع حجم الأرض فالشيء الذي على وجه الأرض والذي يزن مائة كيلو غرام يزن على القمر سدس هذا الوزن، والإنسان الذي وزنه على سطح الأرض ستون كيلو غرامًا يزن على القمر عشرة كيلو غرامات فوزن الشيء هو قوة جذبها نحو الأرض ووزن الشيء على سطح القمر هو جذبها إلى مركز القمر"⁽⁴⁾.

ويقول الدكتور / محمد راتب النابلسي: "فالأرض من صفاتها أنها تكفت، أي تجذب، وتضم، وتقبض، وهذه الآية فيها إشارة واضحة جلية إلى الجاذبية، فكل شيء على سطح الأرض ينجذب إليها، وما وزن الأشياء في حقيقة الأمر إلا قوة جذبها نحو الأرض، ووزن الشيء يتناسب مع حجم الأرض، فالشيء الذي

(1) سورة الأنعام من الآية: 38.

(2) سورة المرسلات، الآيتان: 25 - 26.

(3) جمهرة اللغة، أبو بكر الأزد، 1 / 405.

(4) موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، مكتبة بن حجر،

الطبعة الثانية، 1424 هـ، 2003 م، ص 210 - 211

على وجه الأرض، والذي يزن مائة كيلو غرام يزن على القمر سدس هذا الوزن، والإنسان الذي وزنه على سطح الأرض ستون كيلوغراماً يزن على القمر عشرة كيلو غرامات! فوزن الشيء هو قوة جذبته نحو الأرض، ووزن الشيء على سطح القمر هو قوة جذبته إلى مركز القمر⁽¹⁾.

الآيات القرآنية التي تشير إلى قانون الجاذبية الغير مرئي

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾⁽²⁾ "أي أن الله يمنع السموات أن تضطرب من أماكنها، فترتفع أو تنخفض ويمنع الأرض من مثل ذلك، ويحفظهما برباط خاص، وهو ما يسميه العلماء نظام الجاذبية، فجميع العوالم من الأرض والقمر والشمس والسيارات الأخرى تجرى في مدارات خاصة بهذا النظام الذي وضع لها، ولولا ذلك لتحطمت هذه الكرات المشاهدة، وزالت عن أماكنها، لكنها به ثبتت في مواضعها، واستقرت في مداراتها"⁽³⁾.

وهذا التوازن الذي خلقه الله تعالى وجعله بين هذه الكواكب بعضها البعض حيث يقع كل فلك في مكان معين ومحدد لا ينفك عنه لحظة؛ لأنه لو انفك عن محله لحدث خلل في هذا التوازن العظيم، لذلك جعل الله تعالى هذه الجاذبية "من شأنها أن تجعل الأرض تجذب إليها بعض كواكب السماء القريبة منها لتسقط عليها ولكنه - سبحانه - جعل في مقابل الجاذبية ما يسميه علماء الفلك بقوة الطرد المركزي، وهي مساوية لقوة الجاذبية، فيقع الجرم الفلكي بين قوتين متعادلتين مما يتيح له البقاء متوازياً في فلكه المرسوم، ولكن حينما يأذن الله بنهاية الخلق

(1) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، النابلسي، 2 / 49.

(2) سورة فاطر من الآية: 41.

(3) تفسير المراغي، 22 / 137.

تضعف إحدى القوتين عن نظيرتها فيصطدم بعض الكواكب ببعضها الآخر⁽¹⁾ وهذا الاصطدام يؤدي إلى خلل في المجموعة الشمسية وبالتالي ينهار الكون. يقول صاحب المنار "وقد كون الله السماء بنظام كنظام البناء، وسوى أجرامها على هذه الصفة المشاهدة وأمسكها بسنة الجاذبية فلا تقع على الأرض، ولا يصطدم بعضها ببعض، إلا إذا جاء يوم الوعيد"⁽²⁾ ولا يختل هذا النظام ولا ينحل إلا إذا حان وقت انفكاكه، وعدم ترابطه وفي هذه الحالة يشير الموقف إلى مجيء القيامة وأهوالها. وعلى هذا فإن الإنسان والجان لا يستطيعان الهروب من أقطار السموات والأرض قبل مجيء القيامة؛ لأن ذلك الهروب يشير إلى عدم الخرق من أقطار السموات والأرض كما يقول الحق جل وعلا: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾⁽³⁾

يقول الإمام الألوسي "والأمر للتعجيز لا تَنْفُذُونَ لا تقدرُونَ على النفوذ إلا بِسُلْطَانٍ أي بقوة وقهر وأنتم عن ذلك بمعزل"⁽⁴⁾ وعلى هذا فإن القدرة الإلهية حاجزة بينهم وبين ما يريدون إنفاذه وضد القدرة هنا العجز، والأقطار جمع قطر⁽⁵⁾ والمراد به "هو الخطُّ المستقيم المنصَّبُ للدائرة"⁽⁶⁾. ونلاحظ في الآية الكريمة أمرين: الأول: أن الأرض كروية، والأمر الثاني: أن قانون الجاذبية موجود ولذلك فإن العلم الحديث يشير إلى ذلك "فهذه الآية الكريمة توضح عدة معانٍ: الاستطاعة

(1) سورة المرسلات، الآيتان: 25 - 26.

(2) تفسير المنار، 1 / 157.

(3) سورة الرحمن، الآية: 33.

(4) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، 14 / 111.

(5) يقول الراغب الاصفهاني "القطر: الجانب، وجمعه: أقطار وقطراته: ألقيته على قطره، وتقطر: وقع على قطره، ومنه: قطر المطر، أي: سقط، وسمي لذلك قطرًا" يراجع: المفردات في غريب القرآن، ص 677.

(6) التعريفات الفقهية، محمد عويم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م، ص 176.

والنفوذ هروبًا من جاذبية الأرض كما تفيد الآية كروية الأرض والسموات بدليل لفظ (أقطار) وغير ذلك من أنوار قرآنية، ومن الجدير بالذكر أن سرعة الهروب تزداد بازدياد كتلة الجرم السماوي المطلوب مغادرته كما أن سرعة الهروب تزداد بنقص نصف قطر الجرم طبقًا لقوانين الجاذبية⁽¹⁾، والنداء القرآني للتقلين إنما يفيد أن هناك إمكانات وآلات من خلالها يتوصل الإنسان إلى ما يريده وكل ذلك على سبيل المجاز وليس على سبيل الحقيقة والنفوذ في الآية الكريمة لا يتوقف على الآلات فقط وإنما يشمل نفوذ البصر عن طريق الميكروسكوب.

ويؤكد القرآن فيها حقيقة قاطعة أن بإمكان الإنسان اكتشاف الأبعاد السحيقة للكون من خلال الوصول إليها إن استطاع أن يركب الوسيلة الملائمة ألا وهي العلم، والركوب الذي هو وسيلة العلم تعبير مجازي للآية، وهي إحدى المعاني اللغوية لكلمة {سلطان}، والمثير هنا أن لفظ (إن) وليس (إذا) أو (لو) جاء؛ لأن (إن) تفيد جواز الحدوث المستقبلي بينما (لو) و(إذا) شرطيتان لا تفيدان الحدوث المستقبلي، كما أن النفوذ لغويًا لا يقتصر على نفوذ المركبات فقط فهو لفظ يشمل نفوذ البصر عبر التلسكوبات أيضًا⁽²⁾.

ومن هنا فإن الإنسان كلما ارتفع فوق سطح الأرض بعيدًا عن جاذبيتها فإنه يحس بالضيق وعدم التنفس لفقدانه قانون التوازن البيئي الذي وضعه الله له "ولا يستطيع أحد الإفلات إلا من خلال طرق مخصوصة بين كل حزمة منهما والأخرى، ومن هنا كان تحدي الله للإنس والجن أن يصعدوا إلى السماء"⁽³⁾.

(1) الكون كتاب الله المنظور، آيات ودلالات، الجاذبية سنة الله في الكون، الدكتور / منصور حسب النبي، دار الفكر العربي، 2010م، ص6 وما بعدها.

(2) سلسلة ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية، الدكتور المهندس خالد فائق صديق العبيدي (معاصر)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 2004م، 3 / 57.

(3) أسرار الفضاء، أحمد حسن عرابي، دار الوثائقي للدراسات القرآنية، دمشق، الطبعة الأولى 1430هـ، 2009م، ص10.

فوائد الجاذبية الأرضية: وإخفاء ذلك عن البشر

الجاذبية الأرضية لها عدة منافع وقد غفل كثير من الناس عن معرفتها حيث إن القرآن الكريم قد ذكرها في بعض السور خاصة السور المكية التي تحدثت عن العقيدة، ومن السور المكية سورة النمل، ففي قول الله تعالى ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلْ خِلَالَهَا أَنْهَرًا وَجَعَلْ لَهَا رِوْسًا﴾⁽¹⁾ "فمن جعل هذه الأشياء التي على سطح الأرض تستقر عليها، وتتجذب إليها؟ ما هو الوزن في حقيقته؟ الهواء منجذب إلى الأرض، والبحر منجذب إلى الأرض، وكل ما على الأرض منجذب إليها، ولو أن الإنسان طار في الفضاء، فوصل إلى نقطة انعدام الجاذبية، لانعدم وزنه"⁽²⁾ ومن هنا فإن الجاذبية الأرضية لها فوائد بالنسبة للأرض وأيضًا لها فوائد بالنسبة للعالم العلوي أعني السموات وما فيها.

يقول الدكتور / صبري الدمرداش: "ومن فوائد الجاذبية بالنسبة للأرض، فإنه لما كانت الحياة على سطح كوكبنا لا تستقيم بغير وجود غلاف جوي مناسب كما سبق أن أوضحنا، ولاستقرار هذا الغلاف ممسوكًا من قبل الأرض، فإنَّ وزنها كان يجب أن يتعدى قيمة معينة حتَّى يتمكَّن من جذب هذا الغلاف حتَّى لا يهرب إلى الفضاء فتصير الأرض جرداء قاحلة مثلما حدث للقمر. وهكذا شاءت إرادة الله أن تصل الأرض إلى كتلة تمكنها من جذب غلاف جوي مناسب"⁽³⁾، وعلى هذا فإن القيمة الوزنية لكوكبنا الأرضي لا بد أن تتعدى قيمة معينة حتى تتمكن من جذب هذا الغلاف حتى يعيش كل ما فوق هذا الكوكب، وإلا فإن الكل ينعدم في حالة عدم تمكن الأرض من جذب هذا الغلاف الجوي.

(1) سورة النمل من الآية: 61.

(2) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، 2 / 8.

(3) للكون إله، الدكتور/ صبري الدمرداش، / 286.

إخفاء أعمدة الجاذبية الأرضية عن مدركات البشر

وللجاذبية الأرضية فائدة تعود على الأجرام السماوية من كواكب ونجوم وغيرها، وتلعب الجاذبية دوراً مهماً في الكون كله ومن ينظر في السماء يجد أنها مرفوعة بلا عمد لكنها مرفوعة على أعمدة قد أخفاها الله عن البشر وهذه الأعمدة تسمى الجاذبية.

إخفاء أعمدة الجاذبية عن بصر العباد:

ومن ينظر إلى السماء يجد أنها مرفوعة بدليل قول الله تعالى: ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾⁽¹⁾ "أي ألا يشاهدون السماء وقد رفعت رفعا سحق المدى بغير عمد؟"⁽²⁾، وهذه الأعمدة الغير مرئية⁽³⁾، يراد بها العناية الإلهية التي لا يعجزها شيء في خلق السموات وما فيها ومن ثم فقد "خلقها بغير عمد مرئية على التقيد للرمز إلى أنه تعالى عمدها بعمد لا ترى وهي عمد القدرة، وعلى قول علماء الهيئة في زماننا عمد الجاذبية ولا يخرج ذلك عن قدرة مودعها (جَلَّالٌ) "⁽⁴⁾ نعم إن من

(1) سورة الغاشية، آية: 18.

(2) تفسير المراغي، 30 / 137.

(3) الآراء الواردة في العمد: نذكر منها:

الرأي الأول: أن لها عمد ولكن لا ترى، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس حيث نقل عن الإمام الطبري قولاً عن عكرمة قال عكرمة، عن ابن عباس ﴿يَغَيِّرُ عَمَدَ تَرَوْنَهَا﴾ قال: لعلها بعمد لا ترونها. وقال: ثنا العلاء بن عبد الجبار، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن بن مسلم، عن مجاهد قال: إنها بعمد لا ترونها. قال: ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لعلها بعمد لا ترونها. حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد، عن سماك، عن عكرمة في هذا الحرف ﴿حَاقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ قال: ترونها بغير عمد، وهي بعمد.

والرأي الثاني: أنها مرفوعة بغير عمد، وقد ذهب إلى هذا الرأي: مجاهد والحسن وقتادة وغير واحد أنهم قالوا: لها عمد ولكن لا ترى، وقال إياس بن معاوية: السماء على الأرض مثل القبة يعني بلا عمد، إلخ.. يراجع بالتفصيل: جامع البيان للإمام الطبري، 132/20، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، 4 / 368.

(4) ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألويسي (المتوفى: 1342هـ) تحقيق: زهير الشاويش، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- لبنان، الطبعة: الثانية، 1418 هـ - 1997م، ص 117.

ينظر ويتأمل في الكون يجد أنه يسير وفق قوانين محكمة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ينفك عنها ومن ثم فالجاذبية الأرضية هي التي تحكم العالم السفلي. "فكل كتلة في هذا الكون تجذب الكتلة الأخرى، بقدر حجم كتلتها، وبقدر المسافة فيما بينهما، فلو أن هذا القانون وحده كان هو المسيطر، وما دامت كل كتلة تجذب أختها فلا بد أن يصبح الكون كله كتلة واحدة"⁽¹⁾، وعلى هذا فإن السموات مرفوعة بأعمدة لا ترى للناظرين بل قد أخفاها الخالق (جَلَّالَ) عن العباد ليتعرفوا على من رفعها؟ ومن أمسكها؟ إنه الخالق القائل: ﴿إِنْ أَمْسَكْهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾⁽²⁾ "فإن الله يمسكهما من أن يعلما، ويمسكهما من أن يتحول نظام حركتهما، كما قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آيِلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾"⁽³⁾ فالله يريد استمرار انتظام حركة الكواكب والأرض على هذا النظام المشاهد المسمى بالنظام الشمسي وكذلك نظام الكواكب الأخرى الخارجة عنه إلى فلك الثوابت، أي إذا أراد الله انقراض تلك العوالم أو بعضها قيض فيها طوارئ الخلل والفساد والخرق⁽⁴⁾ بعد الالتئام والفتق⁽⁵⁾ بعد الرتق⁽⁶⁾، فتفككت وانتشرت إلى ما لا يعلم مصيره إلا الله

(1) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د/ محمد راتب النابلسي، 7/2.

(2) سورة فاطر من آية: 41.

(3) سورة يس من الآية: 40.

(4) الالتئام: التأم الشيء: انضم وتماسك، والتأم الشيطان: اتفقا، والالتئام هو الأحكام والاتساق، أي خلو أجزاء البرهان، أو المذهب أو الكتاب، من التناقض، فإذا قلت: فلان ملتئم الأفكار اشترت بذلك إلى أن أفكاره متماسكة تؤلف كلا منطقيا متسقاً. وليس في هذا القول مبالغة في المدح، لأن من طبيعة العقل أن تكون أحكامه متماسكة. وضد الالتئام الاضطراب أو التفكك، وهو مذموم. يراجع: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، 1/ 116.

(5) الفتق: الفصل بين المتصلين، وهو ضد الرتق، والفعل - كنصر فتقا. وقد ورد مرة واحدة مع ضده في: ﴿كَانَّا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمْ﴾ سورة الأنبياء من الآية: 30، أي: فصلنا بينهما بالهواء. يراجع: مخطوطة الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، 2003 - 2008 م، 3 / 238.

(6) يقول الراغب "الرتق: الضم والالتحام، خلقه كان أم صنعة، قال تعالى: ﴿كَانَّا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمْ﴾ سورة الأنبياء من الآية: 30، أي: منضمين، والرتقاء: الجارية المنضمة الشفرين، وفلان راتق وفاتق في كذا، أي: هو عاقد وحال، يراجع: المفردات في غريب القرآن، ص341

تعالى وحينئذ لا يستطيع غيره مدافعة ذلك ولا إرجاعها إلى نظامها السابق فربما اضمحلت⁽¹⁾ أو اضمحل بعضها، وربما أخذت مسالك جديدة من البقاء. وفي هذا إيقاظ للبصائر لتعلم ذلك علما إجماليا وتتدبر في انتساق هذا النظام البديع⁽²⁾ وعلى ذلك فالسموات متماسكة بقانون الجاذبية الأرضية الغير منظور؛ لأن من شأن تلك الأعمدة ألا ترى.

يقول الدكتور / صبري الدمرداش: "فالسموات مرفوعة بأعمدة من شأنها ألا ترى وهي أعمدة الجاذبية التي كشفها العلم منذ نزول القرآن بأكثر من ألف عام، ولنتأمل قول الحق جل وعلا ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَوْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾⁽³⁾ وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾⁽⁴⁾ نجد أن لفظ البناء يأتي في القرآن لوصف السماء بينما يأتي لفظ البنين متعلقًا بما يبني الإنسان على الأرض ولهذا الفرق دلالة فالبنين الذي يضعه الإنسان على الأرض يتكون من لبنات متجاورات بينها طبقات أسمنتية مرتبة، أما البنين في السماء فلبناته الأجرام العظمى التي تربطها الجاذبية غير المرئية رغم المسافات الشاسعة بينها"⁽⁵⁾.

انعدام الحياة في عدم وجود الجاذبية

من المعلوم لدى الدارسين أن الأرض التي نعيش عليها بها نعم لا تعد ولا تحصى قد منَّ الله تعالى بها على الإنسان ومن أجل النعم التي أنعم الله بها علينا نعمة (إخفاء الجاذبية الأرضية) عن مدارك البشر؛ لأن هذه القوة تجذب الأشياء

(1) الاضمحلال: اضمحلَّ السحابُ، بالحاء: إذا انقشع، واضمحَلَّ الشيء: إذا ذهب، يراجع: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، 402/6.

(2) التحرير والتنوير، بن عاشور، 328/22.

(3) سورة النازعات من الآية: 27.

(4) سورة غافر من الآية: 64.

(5) للكون إله، الدكتور/ صبري الدمرداش، ص288، 289.

سواء أكانت ثقيلة أم خفيفة، وهذه القوة يترتب عليها تماسك الأرض فهي الكوكب الوحيد الذي جاء تصميمه مناسباً تماماً للحياة المريحة والمستقرة.

يقول الدكتور حسين جوده "قوة الجاذبية التي تعمل على إدماج وتماسك أجزاء الأرض، وتتأثر الأجسام الثقيلة الوزن بقوة الجاذبية أكثر من الأجسام الخفيفة. بينما تتأثر الأجسام الخفيفة ومنها الغازية بقوة الطرد أكثر من الثقيلة، ولهذا نرى ترتيباً في غلافات الأرض، بحيث يكون أبعداً عن مركز الأرض أخفها وزناً وهو الغلاف الجوي، ثم تزداد مواد الأرض ثقلاً كلما اقتربنا من مركز الأرض؛ ولذلك كانت الكتلة الباطنية أشد ثقلاً من الغلاف الصخري بنحو أربعة أمثال"⁽¹⁾ ومن هنا فإن للجاذبية الأرضية قوة تأثير على الأجسام الخفيفة منها والثقيلة.

والسؤال ماذا يحدث لو كانت جاذبية الأرض أقل مما هي عليه مثل القمر؟ كيف تكون الحياة لولا قوة الجذب؟ كيف يستقر الماء على وجه الأرض لولا جذب الأرض له؟ كيف يبقى الهواء مرتبطاً بالأرض لولا جذب الأرض له؟

لولا إن الأرض تجذب الهواء لأصبح الهواء ثابتاً والأرض متحركة، ومع حركة الأرض وسكون الهواء تنشأ تيارات من الأعاصير تزيد سرعتها عن ألف وستمئة من الكيلو مترات في الساعة، وهذه السرعة كافية لتدمير كل شيء على سطح الأرض من جعل الهواء مرتبطاً بالأرض؟ إنها الجاذبية، من جعل البحار مرتبطة بالأرض بفعل الجاذبية " إن انعدام الوزن حالة لا تطاق، قال تعالى:

﴿أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾⁽²⁾ فجعلها تدور وهي مستقرة، وجعل الأشياء تستقر عليها، وتتجذب إليها، وما الأوزان إلا قوة للجذب، قال تعالى: ﴿لَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ

(1) قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، جودة حسنين جودة - فتحي محمد أبو عيانة، دار المعرفة الجامعية، ص59.

(2) سورة النمل من الآية: 61.

كَفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتٌ ﴿١﴾ وقد توهم بعضهم أن الأرض في النهاية تجذب الإنسان إليها ليُقبر فيها، ولكن الله (ﷻ) يقول: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتًا ﴿٢﴾﴾ إن الإنسان الحي مرتبط بالأرض، منجذب إليها، وهذا هو وزنه، فما معنى أن هذا الإنسان يزن ثمانين كيلوغراما؟ يعني ذلك أن قوة جذبته للأرض تعادل هذا الرقم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتًا ﴿٣﴾﴾.. أليس هذا كلام الله (ﷻ)؟ هذه النظريات العلمية، أو هذه الحقائق العلمية التي قطع بها إنما وردت الإشارة إليها في القرآن الكريم^(٤). ومن هنا فإن الجاذبية الأرضية إنما هي منقادة وخاضعة لله تعالى لذلك أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوِيَ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿٥﴾﴾ يقول العلم الحديث "في الآية السابقة" أنها دليل على أن الله تعالى حكم عليهما بأمرين:

الأول: انقيادهما للجاذبية وكانا طوعًا فيها؛ فالسمااء انجذبت للأرض والأرض انجذبت للشمس.

الثاني: تجزؤهما وصارت طبقات والأرض تشققت فصارت تسع سيارات فهذا الأمر قبلناه بالإكراه ولكنهما امتثلتا أمر ربهما فلم يمتنعا ولذلك ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿٦﴾﴾.

(1) سورة المرسلات الآيتان: 25، 26.

(2) سورة المرسلات الآيتان: 25، 26.

(3) سورة المرسلات الآيتان: 25، 26.

(4) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د/ محمد راتب النابلسي، 2/ 50.

(5) سورة فصلت من الآية: 11.

(6) سورة فصلت من الآية: 11، ويراجع: الكون والقرآن كتاب يبحث في علم الفلك، محمد علي حسن الحلبي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى سنة 2010 م. ص 57.

وفي خاتمة المطاف نجد أن الجاذبية الأرضية الغير منظورة لو انعدمت؛ لانهار الكون بأسره ولا يبقى على وجه الأرض أحد وذلك؛ لأن هذا القانون قد وضعه الله تعالى للخلقة من أجل استقامة الحياة وبدونه لا يمكن أن توجد الحياة. ذكر هذا المعنى الدكتور/ صبري الدمرداش في كتابه (للكون إله) فقال: "ماذا يمكن لو انعدمت الجاذبية؟" والجواب على هذا السؤال وهو "على المستوى الكوني ينفرط العقد وينهار البناء على مستوى أرضنا فإن كل شيء عليها يتركها ويندفع في الفضاء حتى سطحها نفسه يتخلى عنها ولن يلبث دورانها أن يبيدها ذاتها إلى أجزاء تتناثر وتتطاير، ولكن دعونا من قبل التخیل العلمي نتصور ما يمكن أن يحدث في غرفة خلت بطريقة (ما) من الجاذبية ماذا يمكن أن يحدث؟ في تلك الغرفة يمكن أن تسير على السقف أو على الجدران بالسهولة نفسها التي تسير بها على الأرض دون خشية السقوط كما أنك لن تستطيع صب الماء من الإناء في كوب بل إنك لن تحتاج أصلاً لمثل ذلك الإناء بل يكفي أن تترك قبضة من الماء في الهواء كي تظل معلقة به، ويمكنك أن تحمل بسهولة مكتباً ثقیلاً بإصبع واحد لتضعه على السقف حيث يستقر عليه، كما تستطيع أن تضرب بقدميك الهواء حتى تصطدم بشيء آخر بل يمكنك أن تخلع معطفك وتعلقه في الهواء على لا شيء، وإذا أحضرت ميزانك فإنك تستطيع أن تزن عليه بالضبط صفراً من الكيلو جرامات، ويمكنك أن تضع بكل سهولة فيلاً وزنه ستة أطنان على أنفك وتجعله في غاية الاتزان وهذه امور طبيعية في منطقة انعدام الوزن"⁽¹⁾.

ومن هنا فإن انعدام التوازن يؤدي إلى انعدام الحياة كلية وذلك حينما تتقلب الموازين التي وضعها الله تعالى في الكون وهذا إن دلَّ فإنما يدل على رحمة الله تعالى الذي جعل لكل شيء سبباً، فسبب اتزان الأرض الجاذبية، ودورانها حول

(1) للكون إله، دكتور / صبري الدمرداش، / 290 - 292.

نفسها كما أثبت العلم الحديث، وعلى ذلك فإن الحركة التي يتحرك بها هذا الكون إنما تنبع من محرك يُحرك ولا يتحرك، وهذا المحرك واجب الوجود لذاته لا يحتاج إلى علة في وجوده ولا يحتاج إلى سبب، ومن ثم فإن هناك عدة آثار عقدية تترتب على إخفاء الجاذبية الأرضية.

الآثار العقدية المترتبة على نعمة إخفاء الجاذبية الأرضية

أولاً: اضطرار العالم إلى ممسك⁽¹⁾ فالعالم "عبارة عن كل ما سوى الله من الموجودات؛ لأنه يعلم به الله من حيث أسمائه وصفاته"⁽²⁾ وإذا كان العالم كل ما سوى الله فهو يحتاج إلى موجد يوجده، وهذا الموجد يسمى بالعلة الفاعلية⁽³⁾ ومن هنا فالعلم يحتاج إلى مدبر دبره وصانع قد أحكمه.

لذلك يقول صاحب كتاب إيثار الحق على الخلق: "اتفق المسلمون وغيرهم على أن العالم في الهواء أرضه وسماؤه وما فيه من البحار والجبال وجميع الأثقال وقد ثبت بضرورة العقل أن الثقل لا يستمسك في الهواء إلا بممسك وأن هذا الإمساك الدائم المتقن لا يكون بما لا يعقل من الرياح كما زعمت الفلاسفة على أن الرياح تحتاج إلى خالق يخلقها ثم إلى مدبر يقدرها مستوية الأنفاس موزونة

(1) دلائل التوحيد، للشيخ جمال الدين القاسمي، صححه وضبطه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1405 هـ 1984م. / 46.

(2) التعريفات، للرجاني، 1/ 145.

(3) وقد أخذ فلاسفة الإسلام، وفلاسفة القرون الوسطى في أوربة بهذه النظرية الأرسطية، وقدموا العلة الغائية على سائر العلل. مثال ذلك قول ابن سينا: والغاية تتأخر في حصول الوجود على المعلوم، إلا أنها تتقدم سائر العلل في الشئبة قال: «و من البين أن الشئبة غير الوجود في الأعيان، فإن المعنى له وجود في الأعيان، ووجود في النفس وأمر مشترك، فذلك المشترك هو الشئبة، والغاية بما هي شيء فإنها تتقدم سائر العلل، وهي علة العلل في أنها علل.. وبما هي موجودة في الأعيان قد تتأخر... وذلك؛ لأن العلل إنما تصير عللا بالفعل لأجل الغاية، وليست هي لأجل شيء آخر، وهي توجد أولاً نوعاً من الوجود فتصير العلل عللا بالفعل، ويشبه أن يكون الحاصل عند التمييز هو أن الفاعل الأول والمحرك الأول في كل شيء هو الغاية، يراجع: المعجم الفلسفي الدكتور جميل صليبا، 96/2، وما بعدها.

القوة لا يزيد منها شيء على شيء حتى تعتدل اعتدالا أتم من اعتدال الفاعل المختار فإن الفاعل المختار لو قصد الاعتدال التام حتى يستوي على رأسه حفنة مملوءة ماء لم يستطع تمام الاعتدال إلا بريضة شديدة فكيف تعتدل عواصف الرياح وتقع موزونة وزن القراريط في الصنجات المعدلة حتى يستوي عليها ثقل الأرض والجبال من غير رب عظيم قدير عليم مدبر حكيم أ.هـ⁽¹⁾ ومن هنا فإن العالم بما فيه يحتاج إلى مبدع وخالق وقد أوجد العالم العلوي والسفلي بقدرته تعالى ومحض إرادته.

ثانيًا: العناية الإلهية في خلق الجاذبية:

من الأدلة المعروفة عند جمهور المتكلمين على إثبات وجود الله (دليل العناية)⁽²⁾ وهذا الدليل متمثل في رعاية الله لخلقه بأن خلقهم وسخر لهم كل ما في الكون لخدمتهم ورعايتهم، وعلى فإن هناك قوة خفية تدبر أمر هذا الكون بنظام وإتقان بديع تعجز عنه قوي البشر مهما بلغت من القوة، وبهذا تشهد الفطرة السليمة بوجوده تعالى، ومن ينكر وجوده تعالى فهو الإنسان الذي فقد عقله وحواسه التي تشهد بذلك، ولذلك أمر الله تعالى بالتدبر والتفكير بجميع المدركات حتى ندرك وجوده تعالى.

وعن دليل العناية يحدثنا أبو الوليد بن رشد، فيقول: " إذا استقرئ الكتاب العزيز، وجدت الطريقة الشرعية البرهانية التي ينبه القرآن عليها تنحصر في جنسين:

أحدهما: طريق الوقوف على العناية بالإنسان وخلق الموجودات من أجله،

(1) إثبات الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن الفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليمني (المتوفى: 840هـ) دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الثانية، 1987م، ص54.

(2) العناية هي علم الله بما ينبغي أن يكون عليه الوجود حتى يكون على أحسن نظام وأكملة. يراجع: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، 1/ 210.

ولنسمي هذا بدليل العناية⁽¹⁾ فإذا نظرنا لهذا الكون من عرشه لفرشه - ويقصد بعرشه السماء وما فوقها وما بينها من عوالم يعلمها الله، والعرش وما حوله وما احتوى، أما فرشه فأقصد بها العوالم الأرضية وما بها من مخلوقات لا يعلم إحصائها إلا الله - ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخَصَّى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾⁽²⁾ ومن هنا نجد ان هذا التناسق العظيم، وهذا الصنع العجيب المتقن، كما قال تعالى ﴿صُنِعَ اللَّهُ الْذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾⁽³⁾، دليل عظيم على وجود الصانع الحكيم الذي قال في كتابه: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾⁽⁴⁾، ومن خلال النص السابق: نرى أن الله تعالى أوجد أشياء لا تعد ولا تحصى، وهذا إن دل فإنما يدل على عنايته تعالى بخلقه، ودليل العناية عند فيلسوف قرطبة مبني على مقدمتين⁽⁵⁾:

إحدهما: أن جميع التي هاهنا موافقة لوجود الإنسان، والأخرى: أن هذه الموافقة هي ضرورة من فعل فاعل قاصد لذلك مريد، والنتيجة⁽⁶⁾ وجود فاعل مريد جعل الموجودات موافقة للإنسان، وهذا الفاعل المريد هو الله⁽⁷⁾. ويقول صاحب كتاب دلائل التوحيد: "فكما إذا رأينا مسكنًا مهيبًا للسكنى فيه

(1) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1998م، ص76.

(2) سورة الجن من الآية: 28.

(3) سورة النمل من الآية: 88.

(4) سورة لقمان، الآية: 11.

(5) المقدمة: تطلق تارة على ما يتوقف عليه الأبحاث الآتية، وتارة تطلق على قضية جعلت جزء القياس، وتارة تطلق على ما يتوقف عليه صحة الدليل، مقدمة الكتاب: ما يذكر فيه قبل الشروع في المقصود لارتباطها، ومقدمة العلم، ما يتوقف عليه الشروع، فمقدمة الكتاب أعم من مقدمة العلم، بينهما عموم وخصوص مطلق، يراجع: التعريفات للجرجاني، باب الميم: 1 / 225.

(6) النتيجة: ما ينتج من مقدمتين كقولك كل إنسان حي وكل حي نام فنتيجة ما بين المقدمتين: كل إنسان نام، مفاتيح العلوم، الخوارزمي، 1 / 171.

(7) مناهج الأدلة، بن رشد، ص80 .

على القوانين الموافقة لتوالى الفصول والأمطار علمنا أن حكيمًا هيأه وأعدده للسكنى، وكما إذا رأينا مركبًا سائرًا بالبخار نحو نقطة مقصودة علمنا أن قائدًا يقوده، فهكذا قلّ فهكذا قلّ من نظر إلى هذه الدنيا، وشاهد ما هي عليه من النظام والترتيب المحكم، وارتباط العلل بمعلولاتها وخدمة بعضها بعضًا علم أن العالم مجموع مبدعات فائقة المدارك والمشاعر أبدعها قادر حكيم، وحي قيوم، وإلا فلو جاز أن يكون مثل هذا بغير صانع، ولا موجد لجاز أن يصبح دور معمورة، وأسفار مكتوبة، وثياب منسوجة، حلي مصنوعة بغير بان، ولا كاتب، ولا ناسج، ولا صانع، وهو محال ببداهة العقل⁽¹⁾ ومن هنا فإن الموجد لهذا الكون بما فيه الجاذبية الأرضية وغيرها من الأمور الخفية والتي تعد من أعظم نعم المنعم على الخليقة من أجل أن يتعرفوا عليه ويؤمن به وحده (جَلَّالٌ).

والعلم الحديث يحدثنا حول دليل العناية، يقول (كلود. م. هاثاواي Claude M. Hathaway) مستشار هندسي "وعلى ذلك فإنه مما لا يتفق مع العقل والمنطق أن يكون ذلك التصميم البديع للعالم من حولنا إلا من إبداع إله اعظم لا نهاية لتدبيره وإبداعه وعبقريته، حقيقة أن هذه طريقة قديمة من طرق الاستدلال على وجود الله، ولكن العلوم الحديثة قد جعلتها أشد بيانًا، وأقوى حجة منها في أي وقت مضى.

إن المهندس يتعلم كيف يمجّد النظام، وكيف يقدر الصعاب التي تصاحب التصميم عندما يحاول المصمم أن يجمع بين القوى والمواد، والقوانين الطبيعية في تحقيق هدف معين، إنه يقدر الإبداع بسبب ما واجهه من الصعاب والمشكلات عندما يحاول أن يضع تصميمًا جديدًا⁽²⁾ ومن خلال ما سبق يظهر أن الكون كله إنما هو عبارة عن صنعة اتقنها صانعها، ولا يخفى عليه من أمرها شيء سواء

(1) دلائل التوحيد، للشيخ / جمال الدين القاسمي: ص34.

(2) الله يتجلى في عصر العلم، 1 / 95.

أكان صغيراً أم كبيراً وهذه الطريقة التي أبدعها الخالق في الكون العريق إنما تعد دليلاً قوياً من أدلة وجود الله تعالى، والتي أنكرها المنكرون والجاحدون.

ثالثاً: من الآثار المترتبة على قانون الجاذبية (طريق الحركة):⁽¹⁾

والحركة هي الخروج من القوة إلى الفعل على سبيل التدرج، ومعنى التدرج هو وقوع الشيء في زمان بعد زمان. أو هي شغل الشيء حيزاً بعد أن كان في حيز آخر، أو هي كونان في آنين ومكانين، بخلاف السكون الذي هو كونان في آنين ومكان واحد⁽²⁾ وإذا كانت الحركة ضد السكون فإن الكون يتحرك بحركة خفية هذه الحركة ينشأ عنها قانون الجاذبية " لذلك يحدثنا العلم الحديث عن حركة الكون بأسره فيقول: "إن المجرات والنجوم والكواكب جميعاً في حركة دائبة، وأن هذه الحركة تؤدي إلى تمدد مستمر، وتتبئ الأجهزة بحسابات قد تكون قريبة من الصواب، وقد تكون مخطئة، ومن هذه الحسابات، أن سرعة تمدد الجزء الذي تتركه حواسنا من هذا الكون هي 235 مليون ميل في الدقيقة، وأن هذا التمدد قد نشط من 18 ألف مليون سنة "من السنين التي نعرفها على الأرض"، وأنه بدأ بانفجار هائل تعارف العلماء على تسميته "بج بانج"، وكل المجرات وما تضمنه من أجرام تتحرك في نظام وتوقيت رباني محكم، بما يؤكد التوازن المطلق الذي شاء الرحمن أن يكون في كل مخلوقاته، كبيرها وصغيرها فهناك تجاذب بين الأجرام السماوية والأرض كالتجاذب بين الأرض، والأجسام الواقعة على سطحها، وهناك توازن بين قوى التجاذب بحيث لا تختل حركة الأجرام في دورانها في أفلاكها"⁽³⁾، وصدق الحق من قائل: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا

(1) دلائل التوحيد، جمال الدين القاسمي، ص 41 .

(2) المعجم الفلسفي، د / جميل صليبا، 1 / 457.

(3) القرآن وعلوم الأرض، محمد سميح عافية، ص 27.

وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾^(١). وعلى ذلك فإن الحركة في الكون ما هي إلا دليل قاطع على وجود محرك يُحرك ولا يتحرك "فكل حركة في الوجود فهي ترتقي إلى هذا المحرك بالذات لا بالعرض"^(٢) وهو الذي يوجد مع كل متحرك في حين ما يتحرك ووجوده شرط في وجود جميع الموجودات وشرط في حفظ السموات والأرض وما بينهما وإلى ذلك الإشارة يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(٤) ورأيت بعضهم يسمي هذا الدليل (برهان القهر والدوران) فإن جميع

(1) سورة الرحمن الآيات: 1 - 8.

(2) يقول أبو حامد الغزالي "كل متحرك إما أن يكون قسرياً أو طبيعياً أو إرادياً، وكل محرك فإما أن يكون منبعثاً عن ذات المتحرك كالطبيعة فيحركة الحجر إلى أسفل والإرادة في حركة الحيوان مع القدرة، وإما أن يكون المحرك خارجاً ولكن يحرك على طريق القسر كدفع الحجر إلى فوق. وكل ما يتحرك بمعنى في ذاته فإما أن لا يشعر ذلك الشيء بالحركة ونحن نسميه طبيعة كحركة الحجر إلى أسفل، وإما أن يشعر به ونحن نسميه إرادياً ونفسانياً فصارت الحركة بهذه التقسيمات الحاصرة الدائرة بين النفي والإثبات إما قسرية طبيعية وإما طبيعية وإما إردية، وإذا بطل قسمان تعين الثالث ولا يمكن أن يكون قسرياً؛ لأن المحرك القاسر إما جسم آخر يتحرك بالإرادة أو بالقسر وينتهي لا محالة إلى إرادة، ومهما أثبت في أجسام السموات متحرك بالإرادة فقد حصل الغرض، فأى فائدة في وضع حركات قسرية وبالأخرة لا بد من الرجوع إلى الإرادة، وإما أن يقال: إنه يتحرك بالقسر والله هو المحرك بغير واسطة وهو محال، لأنه لو تحرك به من حيث أنه جسم وأنه خالقه للزم أن يتحرك كل جسم فلا بد وأن تختص الحركة بصفة به يتميز عن غيره من الأجسام وتلك الصفة هي المحرك القريب إما بالإرادة أو الطبع. ولا يمكن أن يقال إن الله يحركه بالإرادة؛ لأن إرادته تناسب الأجسام نسبة واحدة، فلم استعد هذا الجسم على الخصوص لأن يراد تحريكه دون غيره؟ ولا يمكن أن يكون ذلك جزافاً فإن ذلك محال كما سبق في مسألة حدث العالم وإذا ثبت أن هذا الجسم ينبغي أن يكون فيه صفة هو مبدأ الحركة بطل القسم الأول وهو تقدير الحركة القسرية. ولا أن يكون طبيعياً لأنه يعود إلى المكان المهروب عنه. فهو إذا إرادياً فيبقى أن يقال: هي طبيعية وهو غير ممكن لأن الطبيعة بمجرد ما قط لا تكون سبباً للحركة لأن معنى الحركة هرب من مكان وطلب لمكان آخر، فالمكان الذي فيه الجسم إن قائمة، ولكن إن نقل إلى مكان لا يلائمه هرب منه إلى الملازم كما هرب من وسط الماء إلى حيز الهواء. والحركة الدورية لا يتصور أن تكون طبيعية لأن كل وضع وأين يفرض الهرب منه فهو عائد إليه، والمهروب عنه بالطبع لا يكون مطلوباً بالطبع ولذلك لا ينصرف زق الهواء إلى باطن الماء ولا الحجر ينصرف بعد الاستقرار على الأرض فيعود إلى الهوى. فلم يبق إلا القسم الثالث وهي الحركة الإرادية، يراجع: تهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة - مصر - الطبعة: السادسة، ص 218 - 220.

(3) سورة فاطر من الآية: 41.

(4) سورة البقرة من الآية: 255.

ما نراه بالعين مقهور بالتوازن وكذا عموم الكواكب ودائرة حول محاورها ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁽¹⁾ وكذلك المياه، والنباتات والحيوانات دائرة ومقهورة بالانتقال من مكان لآخر وأما الثبوت فهو نسبي مثل الأجسام الصغيرة ننظرها ثابتة بالنسبة لبعضها كلها مقهورة بالدوران مع الأجسام الكبيرة كالأرض دائرة بما فيها وما عليها وبالضرورة⁽²⁾ كل مقهور مفتقر إلى قاهر فوقه⁽³⁾.

رابعًا: أنها حجة على المنكرين والجاحدين لوجود الله:

فالمنكر لوجود الله تعالى نسأله من الذي أمسك السموات والأرض ومنعهما من الزوال؟ ومن الذي خلق الجاذبية الأرضية التي بسببها يستقيم أمر العالم أجمع؟ لذلك من شبههم التي بها ينكرون وجود الله أن الكون بأسره ممسوك بفضل الجاذبية.

يقول الدكتور غالب على عواجي: "من شبههم على نفي وجود الإله الخالق والحافظ لهذا الكون ما زعموه بعد اكتشاف نظام الجاذبية في علم الفلك من أن هذا الكون محفوظ بقانون الجاذبية ومتماسك بسببها لا بقدرة إله خالق، ولا شك أن هذا الفهم تافه سخيف؛ إذ يقال لهم: هل نظام الجاذبية ينفي وجود إله خالق قادر، أم أنه على العكس يدل على وجود الإله (ﷻ) الذي خلق الجاذبية ذاتها؛ لتعمل وفق ما أراد وقدر لا وفق ما تريد هي؛ إذ لا إرادة لها ولا وجود لها من نفسها، فهي قد وجدت بعد أن لم تكن، وهذا الترتيب العجيب في الكون يفوق كل قدرة، ويفوق كل تدبير، لقد حيرَ العقول وتضاءلت دون إدراكه الأفهام، فكيف ينسب هذا كله إلى الجاذبية المحدثثة المخلوقة؟"⁽⁴⁾

(1) سورة يس من الآية: 40.

(2) الضرورة: مشتقة من الضرر، وهو النازل مما لا مدفع له، التعريفات، ص138.

(3) دلائل التوحيد، للقاسمي، ص44.

(4) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د./ غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية-جدة، الطبعة: الأولى 1427هـ-2006م، 2 / 1167.

ومن هنا فإن الجاذبية الأرضية التي اكتشفوها ولم يخترعوها فالقرآن الكريم قد ذكر هذه القضية منذ نزوله على قلب الرسول الأعظم (ﷺ) وقد قيل أن أول من اكتشف قانون الجاذبية وهو (نيوتن Newton) حيث اعترف بأنه لم يعرف سر الجاذبية وإنما سرها مكمون في أن هناك قوة خفية أوجدتها إن هذه القوة هي الله تعالى وحده" فموقف "نيوتن" المعروف هنا بأنه جعل الأجسام من خلق الله سبحانه، وكذا صفاتها الذاتية هي في الأصل من خلق الله سبحانه، وإن كان كغيره يجعل تلك الصفات مستقلة في نشاطها كالحركة مثلاً، فحسب القانون الأول للحركة بأن الجسم يبقى في حركته على خط مستقيم بسرعة ثابتة ما لم يؤثر فيه مؤثر خارجي، وهو أخيراً يجعل هذه الجاذبية مما أضافه الله إلى العالم حتى يحافظ عليه كما هو، فهي خاصية جعلها الله سبحانه في هذا العلم المادي، ولكن المادة يمكن معرفتها بالحس وكذلك صفاتها، فنحن مثلاً نشاهد حركتها، ولكن الجاذبية لا تدخل في هذا الإطار"⁽¹⁾.

ومن هنا فإن وجود الجاذبية الأرضية إنما هو حجة على أولئك الذي يجحدون وجود الله تعالى بحجة أن الكون يسير وفق معطيات ونظريات معينة فأقولهم هذه واهية مثلها ﴿كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ أُتْخَذَتْ يَتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنَكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾.

إن القدرة الإلهية هي التي أوجدت الأشياء لا عن مثال سابق بل أوجدتها وأحكمتها من العدم المحض فسبحانه من خالق حكيم في صنعه عليم به لا يخفى

(1) النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية: حسن بن محمد حسن الأسمرى، رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة الدكتوراه، من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، طبع على نفقة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، 1433هـ - 2012م، ص 171.

(2) سورة العنكبوت من الآية: 41.

عليه شيء من أمره كُبر أم صغر بل الكون كله بأسره في علمه، ومن نعم الله على الإنسان أن جعل في هذا الكون قانونًا يسمى في العلم الحديث بالجاذبية، وهذه القوة الخفية من شأنها أنها تمسك الأشياء من أجل أن لا تميد الأرض بمن عليها، ومن أجل استقرار الحياة على هذا الكوكب جعلها الله تعالى عنونا ورمزًا للقدرة الإلهية، وقد أخفاها عنا من أجل أن نعظم خالقها ونقدره حق قدره وصدق الحق حيث قال: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾.

(1) سورة النمل آية: 93.

المبحث الثاني نعمة إخفاء المجال المغناطيسي، وأثر ذلك على سلوك الإنسان ومعتقد

المجال المغناطيسي

جاء في معجم متن اللغة العربية أن "المغناطيس" "دخيلة": نوع من الحديد يجذب غيره ويتجه إلى الشمال والجنوب. سمي به؛ لأنه أول ما وجد في بلد اسمه مغنيسية من أعمال الأناضول في آسية الصغرى⁽¹⁾.

تعريف المغناطيس في العلم الحديث

هو "كل مادة تتمتع بخاصية جذب الحديد"⁽²⁾ وقيل بأنه "معدن واسع الانتشار في الطبيعة ومعروف منذ القدم ومكون أولى في الصخور النارية"⁽³⁾، ومن هنا فإن المغناطيس عبارة عن قوة خفية لا ترى بالعين المجردة، وقد جعل الله تعالى هذه القوة الخفية ليبين للناس مظاهر قدرته في الكون.

ومن هنا يظهر أن المجال المغناطيسي له منافع عظيمة تعود للإنسان بوجه خاص وتعود على الكون بأسره بوجه عام، وحينما ننظر في جنبات الكون العظيم نجد أن من مظاهر القدرة الإلهية في الكون نعمة المجال المغناطيسي فهذه النعمة لا تقدر بثمن؛ لما لها من فوائد تعود على النفس البشرية من جهة ومن جهة أخرى لو لا تقدير الله لهذه النعم لم يجد الإنسان راحة في بدنه ولا في مسكنه،

(1) معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق) دار مكتبة الحياة - بيروت، 1380 هـ، 1960م، 5 / 327، مفاتيح العلوم، للخورزمي، 281/1.

(2) تجارب علمية مع المغناطيس، ندى محمود الصيني، الرياض، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، 1433 هـ 2012م، ص 5، مجلة المنار، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: 1354 هـ) وغيره من كتاب المجلة، مطبعة المنار، 1923 م، 64 / 14.

(3) موجز دائرة المعارف الإسلامية، 30 / 9520.

وبالتالي يجب عليه أن يشكر الله تعالى على هذه النعم، وبهذا تظهر أهمية المجال المغناطيسي⁽¹⁾.

العلم الحديث يتحدث عن نعمة إخفاء المجال المغناطيسي

يقول الدكتور الكحيلي: "ونجد في كتاب الله تعالى إشارة رائعة في آيتين يحدثنا عن أحداث يوم القيامة فيقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾⁽²⁾ وفي السورة التي التالية ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾⁽³⁾ ومعنى (سُجِّرَتْ) أي ارتفعت درجة حرارتها وأُحميت وسُخِّنَتْ، ويؤكد العلماء أن المجال المغناطيسي للأرض في الماضي كان أقوى كثيراً من اليوم ولا يزال يتناقص باستمرار، وقد يأتي ذلك اليوم حيث ينعدم هذا المجال ويسمح لريح الشمس باختراق غلاف الأرض وملامسة البحار مما يؤدي إلى رفع درجة حرارتها وتفكك الماء إلى هيدروجين وأكسجين وهذا المزيج يعتبر متفجراً وخطيراً، وبعد ذلك تحدث انفجارات عنيفة"⁽⁴⁾ ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾⁽⁵⁾

(1) وقد اهتم به علماء المسلمين وبنوا كثيراً من خواصه وأهمها جذب لقطعة من الحديد إذا قربت منه. وخصص البيروني في كتابه "الجمهر في معرفة الجواهر" فصلاً للمغناطيس، وأشار إلى الصفة المشتركة بين المغناطيس والعنبر (الكهرباء) وهي جذبهما للأشياء، وبين أن المغناطيس يتفوق على العنبر في هذه الصفة. وأشار البيروني إلى أن أكثر خامات المغناطيس موجوده في بلاد الأناضول وكانت تصنع منها المسامير التي تستخدم في صناعة السفن في تلك البلاد، أما الصينيون فكانوا يصنعون سفنهم بضم وربط ألواح الأخشاب إلى بعضها بحبال من ألياف النباتات، ذلك أن هناك جبال من حجر المغناطيس مغمورة في مياه بحر الصين كانت تنتزع مسامير الحديد من أجسام السفن فتفتكك وتغرق في الماء. وأشار البيروني إلى رواسب المغناطيس في شرقي أفغانستان وبين أن الأجزاء السطحية من تلك الرواسب ضعيفة المغناطيسية بالمقارنة مع الأجزاء الداخلية منها والسبب هو تعرض الأجزاء السطحية من تلك الرواسب للشمس "يراجع: السابق نفسه 30/ 9520.

(2) سورة التكوين آية: 6.

(3) سورة الانفطار آية: 3.

(4) موسوعة الكحيلي، للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، 25 / 50.

(5) سورة يوسف آية: 105.

ويقول أيضًا.. فما أكثر الآيات الكونية التي ننتعم بها ونستفيد منها ولا نعطي لها اهتمامًا. ومن هذه الآيات حقيقة المجال المغناطيسي للأرض، ولقد زود الله هذه الأرض بغلاف يحميها وهو عبارة عن مجال مغناطيسي قوي جدًا، فأتساءل تشكل الأرض قُذفت بكميات هائلة من النيازك الحديدية التي نزلت نزولًا إلى الأرض واستقرت في نواة الأرض عبر الملايين من السنين، وهذا ما ساهم بإعطاء الأرض هذه الميزة التي لا تتوافر في بقية الكواكب إلا بشكل ضئيل لا يكفي لحمايتها⁽¹⁾..

يقول صاحب كتاب كشف الأسرار النورانية: "اعلم أن المغناطيس سيال واحد؛ ولكن جعل الله تعالى فيه خاصيتين: إحداهما جنوبية والأخرى شمالية، وجعل تعالى السيل الكهربائي متنوعًا إلى نوعين: أحدهما زجاجي والآخر راتنجي على حسب تسلطه في أفراد المعادن، وأيضًا هو سار في السائلات الجوية، ويكون على حسب تجمع وقوته زجاجيًا أو راتنجيًا؛ وذلك إذا سح المطر مرتين وتخلل بينهما زمن قليل فإنه قد يتفق أن أحدهما يتكهرب بكهربائية مخالفة لكهربائية الآخر، وإن كانا متساويين في الشدة، ويندرجًا وجود أقطار غير مكهربة، ولا يشاهد ذلك إلا في الأمطار التي تحصل في المسافة التي تخلل بين سحتي مطر مختلفتي الكهربية أو حينما يكون المطر خفيفًا"⁽²⁾.

المغناطيس وجسم الإنسان

من المعلوم لدى الدارسين أن المغناطيس إنما يتفاعل مع بعض الأشياء التي يجذبها فمثله كمثل الجاذبية الأرضية إلا أن الله تعالى قد جعل للمغناطيس

(1) موسوعة الكحيلي، للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، 25 / 43.

(2) كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية، الإمام الفاضل والطبيب العالم محمد بن أحمد الأسكندراني الدمشقي، المتوفى سنة 1299 هـ، اعتنى به أحمد فريد المزين، دار الكتب العلمية. بدون ط، 2 / 39.

بعض الأشياء التي يجذبها والبعض الآخر التي لا يتفاعل معها ومن ثم فإنه له فوائد تعود على الإنسان.

فوائده بالنسبة للإنسان

من الناحية الطبية فقد أكد العلماء أن قانون الاجتذاب سار في البدن وهذا الاجتذاب يماثل قوة المغناطيس في جذبته للأشياء.

يقول الفيلسوف الرئيس ابن سينا في كتابه (القانون في الطب): "وأما الجاذبة فإن حاجتها إلى الحرارة أشد من حاجتها إلى اليبس لأن الحرارة قد تعين في الجذب بل لأن أكثر مدة فعلها هو التحريك. وحاجتها إلى التحريك أمس من حاجتها إلى تسكين أجزاء التها وتقبيضها باليبوسة ولأن هذه القوة ليست تحتاج إلى حركة كثيرة فقط بل قد تحتاج إلى حركة قوية. والاجتذاب يتم إما بفعل القوة الجاذبة كما في المغناطيس التي بها يجذب الحديد وأما باضطرار الخلاء كاجتذاب الماء في الزراقات. وأما الحرارة كاجتذاب لهب السراج الدهن وإن كان هذا القسم الثالث عند المحققين يرجع إلى اضطرار الخلاء بل هو هو بعينه فإذا متى كان مع القوة الجاذبة معاونة حرارة كان الجذب أقوى. وأما الدافعة فإن حاجتها إلى اليبس أقل من حاجتهما أعني الجاذبة والماسكة لأنها لا تحتاج إلى قبض الماسكة ولا لزم الجاذبة وقبضها واحتوائها على المجذوب بإمساك جزء من الآلة ليلحق به جذب الجزء الآخر"⁽¹⁾.

كما يستعمل المغناطيس في علاج العين جاء ذلك في كتاب القانون في الطب حيث ذكر "دواء المغناطيس المتخذ للظفرة وأيضاً دواء طين ساموس المذكور في باب النفاخات. أكثره يعرض في الصفاق القرني. العلامات: وجع

(1) القانون في الطب، الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس (المتوفى: 428هـ) تحقيق: وضع حواشيه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية. بيروت، 2 / 181.

شديد وتمدد في عروق العين ونخس قوي يتأذى إلى الأصداع وخصوصا كما يتحرك صاحبه وحمرة في صفاقات العين وصداع وسقوط شهوة الطعام والتألم بكل ما فيه حرارة وهو مما لا يطمع في برئه وإن طمع في تسكينه. وليس يوجع السرطان في عضو من الأعضاء كإيجاعه إذا عرض في العين⁽¹⁾.

ومن هنا فإن المغناطيس له فوائد عديدة وتتميمًا للفائدة فإنه "يستخدم في الطب القديم لإزالة البلغم ومنع التشنج، وأشار الأطباء العرب إلى أنه إذا أمسك المريض حجر المغناطيس زالت التقلصات العضلية من أطرافه، وكانوا يستخدمون حجر المغناطيس في تخليص الجسم من قطع الحديد التي تدخل فيه بطريق الخطأ وذلك بإمرار المغناطيس فوق جسم المصاب"⁽²⁾، وعلى ذلك فإن المغناطيس قد زود الله تعالى به أرضنا وهذا إن إدل فإنما يدل على فضل الله تعالى على جميع مخلوقاته.

الشفق القطبي

يقول العلماء إن ظاهرة الشفق عمومًا من أجمل الظواهر الكونية وأكثرها خدمة لنا من دون أن نحس بها أو نقدر قيمتها، ومن ثم فقد ذكر الله تعالى لنا هذه النعمة وذلك ضمن قوله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽³⁾، ومن المعلوم لدى الدارسين أن الله تعالى قد هيا أسباب المعيشة على الأرض بأن جعلها فراشًا ومهادًا... إلخ. "وإذا نظرت إلى الأرض كيف خلقت، رأيته من أعظم آيات فاطرها وبديعها، خلقها سبحانه فراشًا ومهادًا، وذلها لعباده، وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعاشهم، وجعل فيها السبل لينتقلوا فيها في حوائجهم

(1) السابق نفسه: 2/ 181.

(2) موجز دائرة المعارف الإسلامية، 2/ 181.

(3) سورة النحل آية: 18.

وتصرفاتهم، وأرساها بالجبال فجعلها أوتادًا تحفظها لئلا تميد بهم، ووسع أكنافها، ودحاها فمدها وبسطها، وطحاها فوسعها من جوانبها، وجعلها كفاتا للأحياء تضمهم على ظهرها ما داموا أحياء، وكفاتا للأموات تضمهم في بطنها إذا ماتوا، فظهرها وطن للأحياء وبطنها وطن للأموات⁽¹⁾.

يقول العلم الحديث "وهنا يتجلى القسم الإلهي بهذه الظاهرة عندما قال تبارك وتعالى: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالْشَّفَقِ﴾"⁽²⁾ ويقول العلماء إن ظاهرة الشفق عمومًا من أجمل الظواهر الكونية وأكثرها خدمة لنا من دون أن نحس بها أو نقدر قيمتها، وهنا يتذكر المؤمن قول الحق تبارك وتعالى ونعمه الغزيرة: ﴿وَلَا تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ولو تأملنا هذه الآية ولماذا ربط الله بين نعمته التي لا تحصى وبين المغفرة والرحمة، يمكن أن ندرك أننا إذا أردنا أن نحظى برحمة الله ومغفرته، ينبغي علينا أن نشكر نعمة الله تعالى..⁽³⁾

وتحدث ظاهرة الشفق القطبي، والسبب "أن الشمس ترسل مجالات مغناطيسية تكونت بنتيجة حدوث انفجارات على سطح الكوكب إلا أن هذه الإنجازات تبعث مجالات مغناطيسية شمسية محملة بالطاقة الهائلة ذات الأيونات⁽⁴⁾ العالية الشحنة إلى الأرض ويطلق على هذه الطاقة الضخمة للأيونات اسم الرياح الشمسية وهي ضارة جدًا لجميع الكائنات الحية على كوكب الأرض، وعندما تلامس الرياح الأرض يتولى المجال المغناطيسي مسؤوليته، فيحجب هذه الرياح من إلحاق الضرر بالكائنات الحية بواسطة أيونات، وبفضل تركز طاقة

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، 2 / 569.

(2) سورة الانشقاق آية: 16.

(3) سورة الانشقاق الآية: 16.

(4) التبادل الأيوني: (كم) تفاعل كيميائي معكوس بين مادة صلبة ومزيج سائل، يتم خلاله تبادل الأيونات، يستخدم في فصل النظائر المشعة، يراجع: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، 1 / 174.

مغناطيسية هائلة في أقطاب الكرة الأرضية تتجذب هذه الأيونات إليها بشكل أكبر⁽¹⁾.

ومن هنا فإن الشفق الأحمر ما هو إلا دلالة إلهية من الله تعالى على عباده (جَلَّالَهُ) ولكن العباد غافلون عنها، ومن رحمة الله أن أخفى المجال المغناطيسي عن العباد رحمة بهم.

حكمة إخفاء المغناطيسية عن مدارك البشر

وتظهر الحكمة في إخفاء المغناطيسية عن مدارك البشر فلا يدركون منها إلا آثارها المترتبة عليها وهي:

أولاً: بيان كمال القدرة الإلهية في خلق الأشياء غير المنظورة عن البشر: من رحمة الله تعالى أن نعمه لم تقتصر على الإنسان فحسب بل تمتد فتشمل كل كائن حي على وجه الأرض، ومن هنا فقد وجد العلماء أن جميع الحيوانات تستفيد بطريقة أو بأخرى من هذا المجال المغناطيسي للتوجه ومعرفة المكان الذي تهاجر أو تعود إليه، ومن ثم فقد جاء القرآن الكريم معبراً عن تسخير الطير في جو السماء وهن في العلو من يسكنهن إلا خالقهن (جَلَّالَهُ) قال تعالى ﴿الْمَرِيرُوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾⁽²⁾.

قال الفخر الرازي: "هذا دليل آخر على كمال قدرة الله تعالى وحكمته، فإنه لولا أنه تعالى خلق الطير خلقة معها يمكنه الطيران، وخلق الجو خلقة معها يمكن الطيران فيه لما أمكن ذلك فإنه تعالى أعطى الطير جناحاً يبسطه مرة ويكسره

(1) ظاهرة الشفق القطبي، رحاب نصر فاضل، قسم علوم الفيزياء، كلية التربية للعلوم، ابن الهيثم، 5/.

(2) سورة النحل آية: 79.

أخرى مثل ما يعملها السابح في الماء، وخلق الهواء خلقة لطيفة رقيقة يسهل بسببها خرقه والنفاذ فيه، ولولا ذلك لما كان الطيران ممكناً. وأما قوله تعالى: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾⁽¹⁾ فالمعنى: أن جسد الطير جسم ثقيل، والجسم الثقيل يمتنع بقاءه في الجو معلقاً من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه، فوجب أن يكون الممسك له في ذلك الجو هو الله تعالى، ثم من الظاهر أن بقاء في الجو معلقاً فعله وحاصل باختياره، فثبت أن خالق فعل العبد هو الله تعالى. قال القاضي: إنما أضاف الله تعالى هذا الإمساك إلى نفسه؛ لأنه تعالى هو الذي أعطى الآلات التي لأجلها يمكن الطير من تلك الأفعال، فلما كان تعالى هو المسبب لذلك لا جرم صحت هذه الإضافة إلى الله تعالى⁽²⁾.

"فإذا لم يكن في الإنسان نظر يرى به ما بداخل كيانه، كما يقول الله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾"⁽³⁾ - فليقم نظره على هذا العالم الخارجي.. وليوجه مدار نظره على هذا الطير السابح في السماء، الصَّافَّ بأجنحته على هذا العالم الأثيري، وليسأل نفسه: من يمسك هذا الطير أن يقع على الأرض؟ ومن أعطاه تلك القدرة التي يقهر بها جاذبية الأرض، ويخرج بها عن سلطان هذه الجاذبية، فلا يسقط كما يسقط لإنسان القوى العاقل إذا هوى من فوق شجرة، أو دابة مثلاً؟ إن القدرة القادرة - قدرة الحكيم العليم - هي التي تمسك بهذا الطير السابح، أو الصاف على موج الأثير.. في جو السماء! ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾⁽⁴⁾ أليس في هذا آية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد؟ بلى إنها لآية لقوم لا يمكرون

(1) سورة النحل من الآية: 79.

(2) مفاتيح الغيب، للرازي، 20 / 252.

(3) سورة الذاريات الآية: 21.

(4) سورة النحل من الآية: 79.

بآيات الله، ولا يخونون أنفسهم بما تحدثهم به من الحق، فينكرونه في عناد ومكابرة⁽¹⁾.

ومن خلال ما سبق يظهر لي أن القدرة الإلهية التي أوجدت أشياء لا نرى إلا آثارها ومنها المغناطيس وقوته فلولا هذه القوة على عالم الطير ما وجدنا طائراً يطير بجناحيه في جو السماء؛ لكن كمال قدرته التي تعلقت بالممكنات هي التي جعلت الطير في هذه المكانة العالية ولا يستطيع أحد أن يمسه إلا الله فدل ذلك على أن الله تعالى هو القادر. ومن هنا فإن الإنسان لا يرى المجال المغناطيسي لأن قوته لا تتحمل ذلك بل إن الطيور هي التي ترى المجال المغناطيسي: ولقد سخر الله لهذه الطيور ما تهتدي به في رحلاتها وهذا ما تخبرنا به الأبحاث العلمية الجديدة.

يقول البروفسور أستاذ علم "الأعصاب الحسي" (Sensory nerves) في جامعة أولدن برغ في ألمانيا: تشير الدراسات إلى أن الطيور مزودة بأجهزة خاصة في عيونها تتصل مع خلايا عصبية في الدماغ، تمكنها من رؤية خطوط المجال المغناطيسي للأرض بلون أزرق، وهذا ما يساعدها على التوجه، طبعاً هذه المراكز موجودة في منطقة الناصية من الدماغ ﴿مَّا مِّن دَّابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾⁽²⁾ من رحمة الله تعالى أن نعمه لم تقتصر على الإنسان بل تشمل كل كائن حي على الأرض، فقد وجد العلماء أن جميع الحيوانات تستفيد بطريقة أو بأخرى من هذا المجال المغناطيسي للتوجه ومعرفة المكان الذي تهاجر أو تعود إليه⁽³⁾.

(1) التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، 7 / 335، والمكابرة: هي المنازعة في المسألة العلمية، لا لإظهار الصواب بل لإلزام الخصم. وقيل المكابرة هي موافقة الحق بعد العلم به، التعريفات، للجرجاني، 227.

(2) سورة هود من الآية: 56.

(3) موسوعة الكحيلي، للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، 25 / 47.

ثانيًا: من استنكر قوة المغناطيس ثم شاهدها تعجب منها فهكذا يتعجبون⁽¹⁾ ومن ينظر في قوة المغناطيس وإخفائها عن مدارك العباد يرى العجب العجائب، ومن هنا فإن الإنسان الملحد ينكر وجود الله تعالى؛ لأنه لم يره وبالتالي ينكر وجوده، وينكر أيضًا البعث والجنة والنار... إلخ من أمور الغيب التي نؤمن بها عن طريق السماع من الصادق المعصوم حتى إذا شاهدها ورأوها رأي العين ندموا على ما فرطوا في جنب الله وأصبحوا من الخاسرين وكذلك مشاهدة المغناطيس. وجذبه للأشياء، وما يترتب عليها من آثار واضحة وغير مبهمة هذه الآثار يتعجب منها أولئك الذين لا يؤمنون إلا بما هو محسوس. وفي ذلك يقول الإمام الغزالي: "بل لو لم ير إنسان المغناطيس وجذبه للحديد وحكي له ذلك لاستنكره وقال: لا يتصور جذب للحديد إلا بخيط يشد عليه ويجذب فإنه المشاهد في الجذب، حتى إذا شاهده تعجب منه وعلم أن علمه قاصر عن الإحاطة بعجائب القدرة، وكذلك الملحة المنكرة للبعث والنشور إذا بعثوا ورأوا عجائب صنع الله فيه ندموا ندامة لا تتفعهم ويتحسرون على جحودهم تحسرًا لا يغنيهم ويقال لهم: ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾"⁽²⁾ كالذي يكذب بالخواص والأشياء الغريبة"⁽³⁾، والخواص: اسم جمع الخاصية بمعنى الأثر، يقال: ما خاصية ذلك الشيء؟ أي ما أثره الناشيء"⁽⁴⁾ ومن هنا فإن آثار المغناطيس واضحة فلا سبيل إلى إنكارها كما لا سبيل إلى إنكار الكرامات التي أكرم الله بها أوليائه وبعض عباد الصالحين، "واعلم أنه لا سبيل إلى إنكار الخواص فإن أثر المغناطيس مشاهد إلا أن الناس قد أكثروا فيه وخطوا الصدق بالكذب والباطل بالحق"⁽⁵⁾.

(1) تهافت الفلاسفة، الغزالي، / 303.

(2) سورة المطففين من الآية: 17.

(3) تهافت الفلاسفة، للغزالي، / 303.

(4) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي / 161.

(5) مفاتيح الغيب، للرازي، 3 / 625.

ثالثاً: العلاقة بين الجذب الإلهي وجذب المغناطيس:

إن مما يتميز به المغناطيس إنما هو خاصية الجذب "فالقضيب المغناطيسي له حركة ولكننا لا ندرك حسه ولا حركته؛ لأننا لا نملك المقاييس اللازمة لذلك"⁽¹⁾. وحركته تكون عاملاً مهماً في جعل الناس يصححون عقائدهم ويتجهون إلى خالقهم جل وعلا، والاتجاه إنما يكون عن طريق المحبة وهي "في اللاهوت المسيحي أولى الفضائل الدينية والأخلاقية، والمقصود بهذه الفضيلة أن تحب الله لذاته، وأن تحب قريبك في الله وبالله. ولهذه المحبة الدينية صفة تميزها عن كل ما عداها، لأنها مضافة إلى حب الله، فلو لا حبك لله تعالى، لما أحببت قريبك، كما تحب نفسك، ومعنى ذلك أن هذه الفضيلة لا تدل على أنواع معينة من الفعل، أو أنماط محددة من السلوك، بل تدل على المبدأ الروحي المحيط بجميع الفضائل"⁽²⁾، ومن هنا فإن الجذب الإلهي للقلوب مثله كمثل جذب المغناطيس حينما يجذب الحديد دون غيره فكما أن المغناطيس لا يجذب إلا الخواص من نوعه أو من جنسه دون غيره كذلك فإن الله تعالى يحب أهل طاعته وأهل ذكره دون غيرهم قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽³⁾.

يقول الإمام القشيري في معنى الآية "إن محبة العبد لله حالة لطيفة يجدها من نفسه، وتحمله تلك الحالة على موافقة أمره على الرضا دون الكراهية، وتقتضى منه تلك الحالة إثارة -سبحانه- على كل شيء وعلى كل أحد. وشرط المحبة ألا يكون فيها حظٌ بحال، فمن لم يفن عن حظوظه بالكلية فليس له من المحبة شظية. ومحبة الحق للعبد إرادته إحسانه إليه ولطفه به، وهي إرادة فضل مخصوص، وتكون بمعنى ثنائه سبحانه عليه ومدحه له، وتكون بمعنى فضله المخصوص

(1) تفسير الشعراوي، 4 / 2497.

(2) المعجم الفلسفي، الدكتور / جميل صليبا، 2 / 351، 352.

(3) سورة آل عمران آية: 31.

معه، فعلى هذا تكون من صفات فعله⁽¹⁾ ومن هنا فإن محبة الله تعالى لن ينالها إلا أهل الطاعة ومن اتبع رسوله وكان صحيح الاعتقاد وهذا يسمى بالجذب الإلهي.

يقول التهانوي: "كما أن المغناطيس يجذب الحديد إلى نفسه لجنسية روحانية بينهما فيعطيه خاصيته، بحيث يتأتى منه جذب حديد آخر وإعطائه إياه الخاصية المغناطيسية. ولا شك أن الخاصية المغناطيسية في الحديد ليست إلا للمغناطيس، وإن وجدت منه ظاهراً فكأن تلك الخاصية في المغناطيس تقول بلسان الحال أنا صفة المغناطيس، فهكذا الروح المظهر النبوي بالنسبة إلى الحضرة الإلهية كالحديد الأولى بالنسبة إلى المغناطيس، جذبت مغناطيس الذات إليها بخاصية المحبة الأزلية أولاً بلا واسطة، ثم أرواح أمته بواسطة روحه روحاً فروحاً، متعلقة به كالحديدات المتعلق بعضها ببعض إلى الحديد الأولى، وكل حديدية ظهر فيها خاصية المغناطيس فكأنها المغناطيس، وإن تغاير الجوهران"⁽²⁾.

رابعاً: نعمة إخفاء المغناطيس لا تقدر بثمن⁽³⁾

إن من أعظم النعم على الإنسان أن سخر له الكون بأسره ليكون له خادماً ومن ثم لا تقوم الحياة إلا إذا كانت فيه مقومات لتلك الحياة ومن أهم مقوماتها وجود قوة المغناطيس الأرضي.

يقول العلم الحديث: "لقد زود الله هذه الأرض بغلاف يحميها وهو عبارة عن مجال مغنطيسي قوي جداً، فأتى تشكّل الأرض قُذفت بكميات هائلة من النيازك الحديدية التي نزلت نزولاً إلى الأرض واستقرت في نواة الأرض عبر الملايين من السنين، وهذا ما ساهم بإعطاء الأرض هذه الميزة التي لا تتوافر في بقية الكواكب

(1) لطائف الإشارات = تفسير القشيري، 1 / 235.

(2) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، 1484/2.

(3) موسوعة الكحيلي، للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، 25 / 49.

إلا بشكل ضئيل لا يكفي لحمايتها⁽¹⁾ "...⁽²⁾ ومن هنا فإن الغلاف الأرضي لا يستغني بأي حالٍ من الأحوال عن المجال المغناطيسي؛ لأنه لو لاه لفقدت الحياة وصدق المولى حيث قال: ﴿الْمَرْتَرُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا﴾⁽³⁾ "أي من النجوم والشمس والقمر، التي ينتفعون من ضيائها وما تؤثره في الحيوان والنبات والجماد بقدرته تعالى. وكذا من الأمطار والسحب والكوائن العلوية التي خلقها تعالى لنفع من سخرت له. وكذا ما أوجد في الأرض من قرار وأشجار وأنهار وزروع وثمار، ليستعملها من سخرت له فيما فيه حياته وراحته وسعادته"⁽⁴⁾.

وخلاصة القول: إن المغناطيس له قوة وهذه القوة قد أخفاها الله عن إدراك البشر؛ وذلك ليبحثوا عن خالق تلك القوة الخفية فيستدلون على وجوده تعالى؛ لأنه سبحانه معروف بآثاره في الكون العريق.

(1) السابق نفسه، ص49.

(2) المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، محمد محمود محمددين / طه عثمان الفراء، / 141.

(3) سورة لقمان من الآية: 20.

(4) محاسن التأويل، للقاسمي، 33/ 8.

المبحث الثالث

نعمة إخفاء الغلاف الجوي

وأثر ذلك على حياة الإنسان ومعتقداته الإسلامي

مفهوم الغلاف الجوي

الغلاف الجوي عبارة عن "السقف المحيط بكوكب الأرض ويمتد من سطح الأرض إلى ارتفاع حوالي ألف كيلو متر مكونات سماء الأرض وسقفها المحفوظ"⁽¹⁾ أو هو: عبارة عن طبقة غازية تحيط بالكرة الأرضية، ويبلغ سمك هذه الطبقة حوالي 350 كيلومترًا فوق سطح البحر. وتحدث في الجزء الأسفل من الغلاف الجوي كثير من المظاهر المناخية من حرارة وتكاثف بخار الماء وتساقطه، وهذا الجزء هو الذي يهتما من الوجهة المناخية"⁽²⁾.

ونلاحظ من خلال التعريفين السابقين لنعمة الغلاف الجوي أنه يمتد فيرتفع حتى يصل إلى نسبة ألف كيلومتر. وهذا دليل واضح على رحمة الله تعالى بعباده. "و ينتهي الغلاف الجوي المحيط بالأرض عند ارتفاع نحو ألف كيلو متر فوق سطح الأرض، وتتناقص كثافة هذا الغلاف الجوي سريعاً بالارتفاع، وذلك أن أولاً: أكثر من نصف وزن الغلاف كله يتركز في ستة الكيلو مترات الأولى. ثانياً: أكثر من ثلاثة أرباع وزنه توجد في الاثني عشر كيلو متراً الأولى. ثالثاً: كثافة الهواء على ارتفاع 20 كيلو متراً فوق سطح الأرض تساوي نحو جزء واحد من مائة جزء من كثافته عند السطح، بمعنى أن 99% من كتلته توجد في الجزء الممتد من سطح الأرض حتى ارتفاع نحو 20 كيلومتراً. رابعاً: يشعر الإنسان بضيق الصدر مع الارتفاع، ويكاد يختنق على ارتفاع

(1) سلسلة الكون كتاب الله المنظور آيات ودلالات، 6 / 6.

(2) قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، جودة حسنين جودة - فتحي محمد أبو عيانة، ص221.

نحو 12 كيلومتراً⁽¹⁾ "ومن ثم فقد حفظ الله السماء الدنيا⁽²⁾ من التلوث الذي يطراً في الجو وجعلها الخالق سقفاً محفوظاً قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾"⁽³⁾ قال الفخر الرازي: "سمى السماء سقفاً لأنها للأرض كالسقف للبيت"⁽⁴⁾، وفيما كشف العلم عنه من هذا العالم العلوي، ما يبهر العقول، ويعجز الخيال.. وهو إلى جانب ما لم ينكشف أشبه بذرة من عالم الرمال، أو قطرة من عالم الماء فأين العقول التي تنتظر؟ وأين البصائر التي تستبصر؟⁽⁵⁾ وقوله (محفوظاً) أي: في بنية تكوينه؛ لأنه محكم لا اختلاف فيه، ولا يحفظ إلا الشيء النفيس، تحافظ عليه لنفاسته وأصالته"⁽⁶⁾. نعم إن ما نراه في العالم العلوي من سماء ذات أبراج لمن أعظم الأدلة على وجود الله تعالى فهو الخالق وما عداه مخلوق.

فلسفة حفظ السماء وإخفاء ذلك عن مدارك البشر

إن الحكمة في حفظ السماء تظهر في وجود السقف، ولولاه؛ لانعدمت الحياة لكل من هو على ظهر الأرض، وعلى ذلك "فإن سماء الأرض سقفاً محفوظاً حفظه الله من الهروب ولولاه لاستحالت الحياة على كوكب الأرض وهذه السماء

(1) القرآن وعلوم الأرض، محمد سميح عافية، ص33.

(2) يقول الماوردي في معنى الحفظ "فيه ثلاثة أوجه: أحدها: محفوظاً من أن تسقط على الأرض. والثاني: محفوظاً من الشياطين، قاله الفراء. والثالث: بمعنى مرفوعاً، قاله مجاهد. ويحتمل رابعاً: محفوظاً من الشرك والمعاصي يراجع: تفسير الماوردي = النكت والعيون أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، 3 / 445.

(3) سورة الأنبياء آية: 32.

(4) مفاتيح الغيب، للرازي، 22 / 139.

(5) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، 9 / 780.

(6) تفسير الشعراوي - الخواطر، 15 / 9531.

المعدنية المحفوظة نتيجة التعادل بين قوة اندفاع جزئيات الغلاف الجوي بطاقة حركتها التي تساعدها على الهروب، وبين قوة جذب الأرض لها التي تتمسك بها قريباً من سطحها هي السقف المرفوع الذي لا يهرب ولا يقع علينا بل ولا يقع ما فيه علينا فهو سقف أي مظلة واقية لنا من الإشعاعات والشهب كما في الوصف القرآني ﴿سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾⁽¹⁾ أي أن هذه السماء التي تتعدد نعم الله فيها لكن الإنسان ظلوم كفار ولا يشعر بأهمية الغلاف الجوي إلا إذا صعد فيه ونحن للأسف عن آيات السماء معرضون⁽²⁾.

ويقول العلم الحديث: "معنى محفوظاً أي حفظناها من أن تقع أو يقع ما فيها عليهم ورغم هذا فالناس معرضون عن آيات السماء فهل فكر أحد منا بأن الله قد أحاط بطبقات الغلاف الجوي كما تحيط الأم طفلها بأكثر من رداءٍ محافظة عليه فسبحان من جعل سماء الأرض التي تلونا مباشرة رداءً وغلاًفاً واقياً لهذه الأرض وحافظاً للحياة على سطحها"⁽³⁾ وبناءً على هذا فإن الغلاف الجوي قد أحاط الله تعالى به علماً وحفظاً وكل ذاك من أجل ذلك الإنسان الذي يجحد فضل الله عليه ونعمه

ومن هنا فإن السماء قد حفظها الله من أن تقع على الأرض إلا بإذن خالقها (ﷻ) فهل من مدكر؟ وهل من معتبر؟ في أن يتفكر في قدرة الله التي أحاطت بالغلاف الجوي وهذا من رحمة الله تعالى على خلقه ومن هنا "فقد أثبت العلم بما لا يقبل الشك أن السماء في معناها الواقعي والطبيعي هي كل ما يحيط بالأرض من جميع أقطارها ابتداء من الغلاف الجوي الذي يرتفع بنحو ثلاثمائة كيلومتر فوق سطح الأرض وكأنه بحر من الهواء حول الكرة الأرضية ثم إنه بعد هذا

(1) سورة الأنبياء جزء من الآية: 32

(2) سلسلة الكون كتاب الله المنظور، آيات ودلالات، د/ منصور محمد حسب النبي، 6/ 7.

(3) الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، د/ منصور حسب النبي، ص183.

الغلاف الجوي يوجد فراغ كوني تسبح فيه ملايين الأجرام السماوية في أعماقه السحيقة وهي تتجاذب فيما بينها وتتحرك في تماسك واتزان في طبقة بعد طبقة وكأنها البناء المحكم، أو كأنها السقف المبني فوق الأرض⁽¹⁾.

"ومن طبقات الغلاف الجوي ما يسمى بالطبقة السطحية (التروبوسفير Troposphere) وهذه الطبقة معناها أنها محيط التغيير الذي يحدث فيه معظم التقلبات الجوية من إثارة الرياح والسحب ونزول المطر واختلاط الهواء البارد بالساخن والرطب بالجاف، ولهذا يمكن اعتبار هذه الطبقة بمثابة المطبخ الجوي"⁽²⁾ وهذه الطبقة يقول عنها الدكتور محمد الفندي: "أنها يبلغ ارتفاعها عن خط الاستواء نحو 18 , و8 كيلومترات فقط عند كل من القطبين وتحدث كافة التقلبات الجوية في هذه الطبقة ففيها تثار السحب وينزل المطر وتحدث الأعاصير"⁽³⁾.

العلاقة بين الغلاف الجوي والجاذبية وخفاء ذلك عن مدارك البشر

إن من ينظر ويتأمل في الغلاف الجوي والجاذبية الأرضية يجده بينهما ارتباطاً وذلك من ناحية أن كلاً منهما مخفي غير منظور، وأيضاً كلاً منهما له علاقة وطيدة مع الكائنات الحية من جهة أخرى، وإذا كان الأمر كذلك فنترك المجال للعلم الحديث في هذه القضية.

يقول الدكتور منصور حسب النبي: "ولقد اتضح علمياً أن الغلاف الجوي للأرض يزيد 5900 تريليون إنه حقاً سقف هائل القرون ورغم هذا رفعه الله بلا

(1) القرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل إبراهيم، ص85.

(2) الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، د/ منصور حسب النبي /184، القرآن وعلوم الأرض محمد سميح عافية، ص33.

(3) لماذا أنا مؤمن، الدكتور/ محمد جمال الفندي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مكتبة الأسكندرية، ص72.

عمد، ولهذا يسميه الخالق . بالسقف المرفوع في القسم الإلهي ﴿وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ﴾⁽¹⁾ وكل السموات مرفوعة بغير عمد مرئية كما في قوله ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾⁽²⁾ وقوله سبحانه إشارة إلى الإرتفاع الهائل لسمائنا وإلى الأبعاد الفلكية بينها وبين السموات ﴿وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾^(٣٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا⁽³⁾ ونلاحظ هنا عبارة ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا﴾⁽⁴⁾ أي جعل قامتها عظيمة الارتفاع علاوة على أن المسافات بينها وبين السموات الأخرى فلكية تقدر ببلايين السنين الضوئية ورغم هذا فإن الله يمسك السموات برباط الجاذبية"⁽⁵⁾.

حكمة إخفاء الأكسجين عن البشر

إن من نعم الله تعالى على جميع المخلوقات الحية أن جعل لهم ما يسمى (بغاز الأكسجين) وبدأت زيادة الأكسجين تزداد يوماً بعد يوم لما لها من أهمية كبيرة في حياة الفرد على جهة العموم وحياة الكائنات على جهة الخصوص يقول العلم الحديث "واستمرت الزيادة في نسبة الأكسجين في بطء وإصرار، فمنذ بليون عام وصلت نسبة الأكسجين في الجو إلى حوالي 10% من نسبته المعروفة في الجو الراهن، ومنذ حوالي 600 مليون عام كان الأكسجين قد زاد زيادة كبيرة أوصلته إلى النسبة المعروفة حالياً تقريباً، ثم ساد الغلاف الجوي توازن في مكوناته دائماً حتى الآن"⁽⁶⁾.

(1) سورة الطور آية: 5 .

(2) سورة الرعد من الآية: 2

(3) سورة النازعات، الآيتان: 27، 28.

(4) سورة النازعات من الآية: 28.

(5) سلسلة الكون كتاب الله المنظور، آيات ودلالات، د/ منصور محمد حسب النبي، ص7.

(6) القرآن وعلوم الأرض، محمد سميح عافية، ص37.

مكونات الهواء الجوي وحركاته

من المعلوم لدى الدارسين أن الهواء يتألف من عناصر أربعة ذكرها العلم الحديث وحدد لكل عنصر نسبته المعروفة في الغلاف الجوي "وهو الغلاف الغازي، الذي يحيط بالكرة الأرضية إحاطة تامة، وهو يتكون من قطاعه الأسفل القريب من سطح الأرض من الهواء الحقيقي الذي يتركب وهو جاف ونقي من عدة عناصر غازية متحدة مع بعضها بنسب معينة، وأهمها النيتروجين "الأزوت" والأكسجين اللذان يشكلان معًا حوالي 99% من حجم الهواء " (78%) نيتروجين و(21%) أكسجين"، وأما الباقي وقدره (1%) فتشترك فيه مجموعة من العناصر الأخرى أهمها الأرجون " (0.8%)" وثاني أكسيد الكربون " (0.03%)" والأيدروجين " (01%) وعدد آخر من الغازات التي توجد بنسب ضئيلة جدًا مثل النيون والأوزون"⁽¹⁾، ومن هنا فإن العدالة الإلهية لهذا الكون العظيم قد وزعت نسبة الهواء على جميع المخلوقات وهذا من أعظم النعم على العباد؛ لأن الكل يستفيد من هذه النعمة التي لا ترى أبدًا وإنما يحس الإنسان بآثارها في الكون بأسره.

يقول كريسي موريسون: "لو كان الهواء أرفع كثيرًا مما هو، فإن بعض الشهب التي تحترق الآن كل يوم بالملايين في الهواء الخارجي، كانت تضرب في جميع أجزاء الكرة الأرضية. وهي تسير بسرعة تتراوح بين ستة أميال وأربعين ميلاً في الثانية، وكان في إمكانها أن تشعل كل شيء قابل للاحتراق. ولو كانت تسير ببطء رصاصة البندقية، لارتطمت كلها بالأرض ولكانت العاقبة مروعة. أما الإنسان فإن اصطدامه بشهاب ضئيل يسير بسرعة تفوق سرعة الرصاصة تسعين مرة، كان يمزقه إربا من مجرد حرارة مروره. إن الهواء سميك بالقدر اللازم بالضبط لمرور الأشعة ذات التأثير الكيموي التي يحتاج إليها الزرع والتي تقتل الجراثيم

(1) الجغرافيا المناخية والنباتية، عبد العزيز طريح شرف، ص/31.

وتنتج الفيتامينات، دون أن تضر بالإنسان، إلا إذا عرض نفسه لها مدة أطول من اللازم. وعلى الرغم من الانبعاثات الغازية من الأرض طول الدهور ومعظمها سام، فإن الهواء باق دون تلوث في الواقع ودون تغير في نسبته المتوازنة اللازمة لوجود الإنسان. وعجلة الموازنة العظيمة هي تلك الكتلة الفسيحة من الماء، أي المحيط الذي استمدت منه الحياة والغذاء والمطر والمناخ المعتدل والنباتات، وأخيرًا الإنسان نفسه. فدع الذي يدرك ذلك يقف في روعة أمام عظمته، ويقر بواجباته شاكرًا⁽¹⁾ إنها عظمة هذا الإله الخالق لهذا الكون والصانع لا يغيب عنه شيء مما خلق وذرا ومن هنا تظهر أهمية التنفس في الحياة!

أهمية التنفس في حياة الكائنات الحية

من المعلوم لدى الدارسين في الطب أن التنفس من أهم مقومات الحياة على جهة العموم، ومن ثم فالكائن الحي قد يستغني عن الطعام والشراب مدة زمنية معدودة ولا يستغني عن التنفس أبدًا لمدة قصيرة، وهذا إن دل فإنما يدل على أن التنفس له أهمية كبيرة جدًا في حياة الكائنات.، ومن هنا فإنه "لا يستفيد الجسم بالطعام الذي هو في حاجة إليه، ولا يصل الطعام إلى خلاياه إلا باحتراقه ولا يتم الاحتراق إلا من خلال الأكسجين، فلا بد من دخول الهواء إلى الجسم ولا بد من التنفس ومن هنا يبدأ أهمية الجهاز التنفسي في الإنسان"⁽²⁾.

المعنى اللغوي والشرعي والفسولوجي للتنفس

فسر أهل اللغة العربية التنفس الذي ورد في قول الله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا

(1) العلم يدعو للإيمان، كريسي موريسون، ص17.

(2) فسيولوجيا جسم الإنسان، الدكتور عصام حمدي الصفدي، دار اليازوري العلمية، الطبعة الأولى 2003 م ص93.

نَفَسٌ ﴿١﴾ بمعانٍ متعددة: منها ما جاء في لسان العرب لابن منظور قوله: "وتنفس الصبح أي تبلج وامتد حتى يصير نهارًا بينا. وتنفس النهار وغيره: امتد وطال. ويقال للنهار إذا زاد: تنفس، وكذلك الموج إذا نضح الماء. وقال اللحياني: تنفس النهار انتصف، وتنفس أيضا بعد، وتنفس العمر منه إما تراخى وتباعد وإما اتسع^(٢).

وقد ذكر الراغب أن "تنفس النهار عبارة عن توسعه. قال تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ﴾ ﴿٣﴾ وَنَفَسْتُ بِكَذَا: ضَنْتُ نَفْسِي بِهِ، وَشَيْءٌ نَفِيسٌ، وَمُنْفُوسٌ بِهِ، وَمُنْفَسٌ" ^(٤) بينما ذكر صاحب الكشف في تفسيره للتنفس الوارد في الآية، فقال: "ومعنى تنفس الصبح إذا أقبل الصبح: أقبل بإقباله روح ونسيم، فجعل ذلك نفسا له على المجاز" ^(٥). ومن خلال ما سبق من أقوال لبعض أهل اللغة وأقوال لبعض المفسرين يظهر أن التنفس عبارة عن التوسع الذي يأتي بعد ظلمة الليل البهيم وستره.

التنفس من الناحية الفسيولوجية والعلمية

هذه العملية الفسيولوجية التي تأتي عن طريق الإرادة الكونية التي لا يعلمها إلا الله وحده ولذلك فإن التنفس عبارة عن "مجموعة من العمليات التي تمكن الجسم من الحصول على حاجته من الأكسجين وتخليصه من ثاني أكسيد الكربون" ^(٦)، وتلك العمليات التي تجعل الجسم في حالة يقظة ومن ثم فإن عملية التنفس لو توقفت عن وظيفتها لمات الإنسان.

(1) سورة التكويد آية: 18.

(2) لسان العرب، ابن منظور، (6/ 237).

(3) سورة التكويد آية: 18.

(4) المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، ص 819.

(5) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، 4/ 711.

(6) فسيولوجيا جسم الإنسان، الدكتور عصام حمدي الصفدي، ص 99، مرجع سابق.

يقول العلم الحديث: "قلو توقف التنفس دقائق معدودات لمات الإنسان، لخطورة عملها فقد جهزها الله (ﷻ) بأهداب متحركة، تتحرك نحو الأعلى دائماً، فأى شيء طفيف دخل فيها تحرك نحو الأعلى، ليتجمع في الحنجرة، ويكون هو القشع، من الذي زود هذه القصبة الهوائية بهذه الأهداب المتحركة؟⁽¹⁾ فالذي زود الجسم بهذه العمليات وتلك الأجهزة إنه الخالق ﴿قَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾⁽²⁾.

الأفعال الإرادية واللاإرادية للتنفس وإخفاء ذلك عن البشر

هناك أفعال إرادية يتحكم فيها الفرد، وهناك أفعال أخرى لا يتحكم فيها، ومنها عملية التنفس التي لا يستغني عنها أي كائن على قيد الحياة، فلو تأمل الإنسان في حياته وجد أن من مكونات حياته بل من أهمها طلباً إنها عملية التنفس التي تدل على عظمة الله تعالى.

يقول الدكتور محمد راتب النابلسي: يقال: "شدة القرب حجاب"⁽³⁾، هناك آية صارخة دالة على عظمة الله (ﷻ)، لكنها لشدة قربها منا كأننا لا نراها، هي التنفس. ينام الإنسان ملء عينيه، ورئتاه تخفقان بانتظام، وينام الإنسان ملء عينيه، وقلبه ينبض بانتظام، ينام الإنسان ملء عينيه، وجهازه الهضمي يعمل بإحكام، ينام الإنسان ملء عينيه، وجهازه التنفسي يعمل بدقة عالية.

(1) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د/ محمد راتب النابلسي، ص161.

(2) سورة المؤمنون، من الآية: 17.

(3) القرب: عند الصوفية: قرب العبد من الله بكل ما تعطيه السعادة، لا قرب الحق من العبد، فإنه من

حيث دلالة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ سورة الحديد من الآية: 4. قرب علم سواء أكان العبد سعيداً أم شقيماً، وقرب العبد من الله في الحقيقة التخصيص بكثير من الصفات التي يصح أن يوصف الحق بها نحو العلم والرحمة والحكمة، وذلك يكون بإزالة الأوساخ من جهل وطيش وغضب، والحاجات البدنية بقدر الطاقة البشرية، وذلك قرب روحاني لا بدني، يراجع: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، 268، 269.

فلو أن جهاز التصفية، وجهاز الهضم، وجهاز الدوران، والقلب، والرئتين، كانت وظائفها منوطة بنا، هل منا من يستطيع أن ينام لحظة؟ أو أن يعمل لحظة؟ أو أن يجلس مع أخيه لحظة؟ هذه الآلية الكبيرة، هي الأفعال اللاإرادية، إنها تعمل بشكل مدهش، بدقة ما بعدها دقة، بحكمة ما بعدها حكمة، بتدبير ما بعده تدبير. قال العلماء: "هناك مراكز للأعمال اللاإرادية تتحكم في ضربات القلب، ووجيب الرئتين، وعملية الهضم، وعملية الإفراز، وأعمال كثيرة، لا يعلمها إلى الله؛ كأعمال الغدد الصماء، والبنكرياس، والكبد، والکظر، والدرقية، والنخامية، والتوازن الحراري، وتوازن السوائل، وتوازن دقات القلب، وأعمال كثيرة أخرى تتم بشكل لا إرادي"⁽¹⁾.

الآثار العقدية المترتبة على نعمة إخفاء الهواء عن بصر العباد

أولاً: اتصاف الله تعالى بالعلم والقدرة التامين

فالقدره الإلهية هي التي أوجدت الأشياء من عدم على وفق العلم الإلهي والإرادة الكونية هي "الصفة التي يتمكن بها الحي من الفعل، وتركه بالإرادة"⁽²⁾ وبناء على ذلك فإن الهواء الذي يتنفسه الكائن الحي إنما هو من أجل النعم ومن أعظمها على الإطلاق ومن ثم فلا يستغني الإنسان عنه بضع لحظات؛ لأن الكائن الحي لو استغنى عنه لهلك لا محالة"، والإيمان بسعة القدرة وأن في المقدرات أسباباً خفية سوى هذه الأسباب الظاهرة"⁽³⁾ ومعنى ذلك أن قدرة الله تعالى تحتوى على أسرار خفية لا يعلمها إلا الله سوى الأسباب المادية المعلومة للبشر ومن ثم فقدره الله تعالى هي التي تسير الهواء في الكون فمن ذا الذي يقدر على ذلك إلا الله.

(1) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، ص 171 وما بعدها.

(2) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، 1 / 268.

(3) إحياء علوم الدين، الغزالي، 4 / 264.

ثانيًا: وهي الاستدلال على وجوده تعالى من خلال آثاره الكونية:

يقول الدكتور / البوطي -رحمه الله-: "فأما وجود الله تعالى . فهو وجود كامل ذاتي بمعنى أنه موجود لذاته لا لعلّة مؤثّرة فيه، ومن خصائص الوجود الذاتي أنه لا يقبل العدم، وأما وجود من عداه فوجوده ناقص وتبعي، بمعنى أنه مستمد من غيره، وأنه متوقف على الموجد له، ومن خصائص هذا النوع الثاني من الوجود أنه لا بد أن يقوم بين عديمين سابق ولاحق، وعلى هذا الوجود الذاتي الكامل المطلق هو وجود الله تعالى"⁽¹⁾ فالله تعالى موجود وهو الذي أمد العالم بنعمة الهواء لا يفرق بين الكافر ومسلم فالكل عند الله سواء مهما اختلفت دياناتهم أو معتقداتهم ومن هنا فوجود الله تعالى "حقيقة عقلية كالحقائق الهندسية التي يتم بها تصور الحركات والأشكال في الأفلاك والسموات"⁽²⁾.

والاعتراف بالمنعم من أهم الأمور العقديّة التي جاء بها الإسلام ومن ثم فقضية وجوده تعالى قد شغلت عقول المفكرين قديمًا وحديثًا؛ لذا يجب الدفاع عنها؛ لأنها قضية بديهية لا يختلف عليها اثنان عاقلان، فمسألة وجود الله مطروحة بعنف وإلحاح على العقل المعاصر سواء أردنا أم لم نرد، ولا يستفيد من تجاهل هذه الحقيقة إلا أعداء الدين، ومن هنا يصبح من الواجب أن نتصدى لقضية وجود الله إثباتًا للعقيدة، ودفاعًا عنها⁽³⁾.

ومن هنا فإذا اعترف الإنسان بالنعمة فهذا يدل على وجود المنعم لذلك يقول صاحب كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: "فالنعمة ما دعا الله الخلق إليه

(1) كبرى اليقينيّات، د/ محمد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق-1417هـ - 1997م، الطبعة الثانية.ص109.

(2) الإسلام وقوانين الوجود، د / محمد جمال الفندي، الهيئة العامة للكتاب 1982م.ص31، 32.

(3) مداخل إلى العقيدة الإسلامية، د / يحي هاشم حسن فرغل، وما بعدها، ط1985م.ص 132.

من معرفته⁽¹⁾. وبناء على هذا فإن الحق جل وعلا هو مصدر جميع النعم التي لا تعد ولا تحصى على العباد فلو سألت عن العلة الأولى للأشياء لو جدت أنها الذات العلية وليست الأشياء عللاً لبعضها إذ لا بد من علة تامة⁽²⁾ "فالله موجود إذن. فما الله؟ يجب أن نضيف إلى الله جميع الصفات أو الكمالات القابلة لأن تطلق إلى اللانهاية، أي: التي لا تتضمن حدوداً جوهرية. هذه الكمالات إذا اعتبرناها في أنفسها وجدناها معقولة أي: متصورة بما يكفي من الجلاء للحكم بأنها تخص الذات الإلهية؛ وإذا اعتبرناها مطلقة إلى اللانهاية، وجدناها تفوق التعقل. والحقيقة كمال من هذه الكمالات، فإن الله الحق بالذات، وما الحقائق السرمدية والقوانين الضرورية إلا ذات الله كما قال أوغسطين، وإذا لم يكن الحق حقاً ولم يكن القانون ضرورياً بالقضاء الإلهي، كما يقول ديكرت، فمن يضمن لنا دوام الحقائق والقوانين؟ والفاعلية كمال آخر من الكمالات الإلهية، فإن الله وحده هو الفعال، ينمي النبات بمناسبة حرارة الشمس، ويفعل كل شيء بمناسبة شيء آخر، وليست المخلوقات عللاً، ولكنها وأفعالها "قرص" أو "مناسبات" لوجود موجودات وأفعال أخرى بفعل الخالق"⁽³⁾.

ثالثاً: شكر الخالق على نعمه التي لا تعد ولا تحصى:

يقول الراغب: "الشُّكْرُ: تصوّر النِّعمة وإظهارها، قيل: وهو مقلوب عن

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ) السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م، 201 / 10.

(2) إذا كانت العلة التامة موجودة وجب وجود معلولها، وإلا جاز عدمه مع وجودها ولازمه تحقق عدم المعلول لعدم العلة من دون علة، وإذا كان المعلول موجوداً وجب وجود علته وإلا جاز عدمها مع وجود المعلول ومن هنا يظهر أن المعلول ينفك وجوده عن وجود علته كما أن العلة التامة لا تنفك عن معلولها. يراجع: التمهيد في الحكمة الإلهية، على الشيراوني، مؤسسة دار النعيم، المطبعة قدس، الأولى 1417هـ، ص86، 87.

(3) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف بطرس كرم (المتوفى: 1959م) مكتبة الدراسات الفلسفية، الطبعة: الخامسة. ص100.

الكشر، أي: الكشف، ويضادّه الكفر، وهو: نسيان النعمة وسترها"⁽¹⁾ وقيل: "الشكر هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم على النعمة من اللسان والجنان والأركان"⁽²⁾ ومن ثم فالشكر "هو الإِعْتِرَافُ للمنع والاقرار بالربوبية"⁽³⁾ ومن فالشكر هو سبب قرب العبد من ربه وأيضًا سبب من أسباب زيادة النعم على العبد لذلك يقول الله تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾⁽⁴⁾

يقول الفخر الرازي: "أما الشكر فهو عبارة عن الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة، وأما الزيادة في النعم فهي أقسام: منها النعم الروحانية، ومنها النعم الجسمانية، أما النعم الروحانية فهي أن الشاكر يكون أبدا في مطالعة أقسام نعم الله تعالى وأنواع فضله وكرمه، ومن كثر إحسانه إلى الرجل أحبه الرجل لا محالة، فشغل النفس بمطالعة أنواع فضل الله وإحسانه يوجب تأكد محبة العبد لله تعالى"⁽⁵⁾.

من خلال ما تقدم نرى أن النعم الإلهية كلها من الله تعالى لقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾⁽⁶⁾، يعني من نعمة الإسلام، وصحة الأبدان وسعة الأرزاق، وكل ما أعطاكم من مال أو ولد فكل ذلك من الله تعالى، إنما هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع إنعامه"⁽⁷⁾ ومن هنا فإن أعظم نعم

(1) المفردات في غريب القرآن، ص461.

(2) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، 1 / 206 .

(3) التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلّاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ) دار الكتب العلمية – بيروت، ص100.

(4) سورة إبراهيم آية: 7.

(5) مفاتيح الغيب، الرازي، 19 / 66.

(6) سورة النحل من الآية: 53.

(7) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، 3 / 81.

الله تعالى على بعض عبادہ أن من علیہم بالإسلام وكل ما اعطوه من نعم فمن الله وحده. ومن تلك النعم نعمة الخفاء التي جعلها الله للعباد من باب اللطف ومن باب الرحمة ومن باب الجد والاجتهاد في الطاعات، وكل ذلك من أجل القرب من ربهم (ﷻ).

يقول الإمام الغزالي: "فإذن نعم الله تعالى آلات يترقى العبد بها عن أسفل السافلين خلقها الله تعالى لأجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله تعالى غني عنه قرب أم بعد والعبد فيها بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه وبين أن يستعملها في معصيته فقد كفر لاقتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فإن الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وإن عطلها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو أيضا كفر كفران إن للنعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا إنما خلق آلة للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى" (1).

ومن هنا فإن حكمة الخفاء التي جعلها الله تعالى في دينه أو ما اكتشفه العلماء من تجارب علمية قد دلَّ عليها القرآن وكلها مأخوذة منه وذلك ليتوصل العبد إلى البحث عن الإله الخالق المعبود الذي خلق الأشياء من عدم وأخفاها عن العباد من أجل أن يعرفوه فيشكروه، ومن أجل أن يعرفوا أن من أسمائه تعالى الرحيم وللعبد حظ في هذا الاسم.

يقول الإمام الغزالي: "وحظه من اسم الرحيم أن لا يدع فاقة لمحتاج إلا يسدها بقدر طاقته ولا يترك فقيرا في جواره وبلده إلا ويقوم بتعهده ودفع فقره إما بماله أو جاهه أو السعي في حقه بالشفاعة إلى غيره فإن عجز عن جميع ذلك فيعيينه بالدعاء وإظهار الحزن بسبب حاجته رقة عليه وعطفا حتى كأنه مساهم له

(1) إحياء علوم الدين، للغزالي، 4 / 84.

في ضره وحاجته سؤال وجوابه"⁽¹⁾، وعلى هذا فإن الرحمن الرحيم اللطيف بعباده لا شبيه له ولا مثل ولا ند ولا ضد تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، فذاته تعالى لا تشبه الذوات الأخرى.

يقول صاحب كتاب نفحات الولاية: "فكنه ذاته ليس واضحًا لأحد ولا حقيقة صفاته؛ لأن ذاته وصفاته لا متناهية فأني لعقل الإنسان المتناهي والمحدود أن يجد اللامتناهي واللامحدود ومع ذلك فإن آثاره الوجودية التي تجلت في كافة الوجود جعلت الإنسان يلم على سبيل الإحمال بذته وصفاته"⁽²⁾.

من خلال ما تقدم نرى أن الذات الإلهية هي التي لا تماثل الذوات الأخرى لا في الوجود ولا في الماهية بل حقيقتها أنها تخالفها، ومن ثم فإننا ما نراه في الكون العريق إنما هو أثر من آثار تلك الذات التي أوجدت الأشياء على غير مثال سابق وهي ليست محتاجة؛ لأن الاحتياج علة النقص وهو محال على الله تعالى، وإذا كان الأمر كذلك فإن العالم وما فيه قد وجد بعد أن لم يكن ففيه أشياء نراها وتسمى بالعالم المنظور، وأشياء أخرى لم نرها وتسمى بالعالم الغير مرئي.

(1) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، للغزالي، ص 64.

(2) نفحات الولاية، آية الله العظمى مكارم الشيرازي، مكتبة الروضة الحيدرية، 2005 م، 352/2.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فقد يسر لي وأعانني على إتمام هذا البحث وإكماله، وقد بذلت فيه جهدي وطاقتي.
وبعد..

فما هذا إلا جهد مقل ولا أدعي فيه الكمال، ولكن عذري أني بذلت فيه قصارى جهدي فإن أصبت فذاك مرادي، وإن أخطأت فلي شرف المحاولة والتعلم، ولا أزيد على ما قاله عبد الرحيم البيساني، إلى العماد الأصفهاني: "إني رأيت أنه ما كتَبَ أحَدُهُمْ في يَوْمِهِ كِتَابًا إِلَّا قَالَ في غَدِهِ، لَوْ غَيَّرَ هَذَا لَكَانَ أَحْسَنَ وَلَوْ زِيدَ ذَاكَ لَكَانَ يُسْتَحْسَنُ، وَلَوْ قُدِّمَ هَذَا لَكَانَ أَفْضَلَ، وَلَوْ تُرِكَ ذَاكَ لَكَانَ أَجْمَلَ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِثْلَاءِ النَّقْصِ عَلَى جُمْلَةِ الْبَشَرِ"⁽¹⁾.

(1) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة) مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية): 1941م، 1 / 14..

الفهارس

❖ قائمة المصادر والمراجع..

❖ فهرس الموضوعات..

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً: كتب العقيدة:

- (1) الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ) تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار - القاهرة الطبعة: الأولى، 1397هـ.
- (2) إبطال التأويلات لأخبار الصفات، قاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى: 458هـ)، تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي، دار إيلاف الدولية - الكويت.
- (3) أبنكار الأفكار في أصول الدين، علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الأمدي (المتوفى: 631هـ) تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة، الطبعة: الثانية / 1424 هـ - 2004م.
- (4) إحياء علوم الدين، الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، دار المعرفة - بيروت.
- (5) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوت، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة: الأولى، 1404 هـ - 1984م.
- (6) الإسلام عقيدة وشريعة، الإمام الأكبر محمود شلتوت، دار الشروق، الطبعة الثامنة عشر، 1421هـ، 2001م.
- (7) أصول الدين، الأستاذ أبي منصور عبد القاهر ابن طاهر التميمي البغدادي المتوفى سنة 429هـ - استانبول، مطبعة الدولة، ط1، 1346 هـ - 1928م.
- (8) أصول الدين، جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي (المتوفى: 593هـ)، تحقيق: الدكتور عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 - 1998م.

- (9) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُشْرُوجَردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1401هـ.
- (10) الاقتصاد في الاعتقاد، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2004م.
- (11) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: 558هـ)، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1419هـ/1999م.
- (12) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: 403هـ) دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- (13) الإيمان، ابن منده (ت: الفقيهي)، المؤلف: محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، المحقق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: 1406 - 1985.
- (14) بحر الكلام، للإمام أبي المعين ميمون بن محمد النسفي، المتوفى سنة 508هـ - دراسة وتحقيق، محمد السيد البرسي، الطبعة الأولى، 1435هـ - 2014م.
- (15) تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام، لفخر الدين والملة، الشيخ عبد القادر السنندجي الكردستاني، وحواشي متفرقة لبعض الافاضل للمحقق، السيد الشريف الجرجاني، المكتبة الأزهرية للتراث . بدون ط، ولا سنة نشر .
- (16) تلخيص المحصل المعروف بنقد المحصل، ومعه بعض الرسائل لنصير الدين الطوسي، نصير الدين الطوسي، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، 1405هـ - 1985م.
- (17) تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، للباقلاني محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم (المتوفى: 403هـ)، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، الطبعة: الأولى، 1407هـ - 1987م.
- (18) التمهيد، الإمام القاضي أبي بكر محمد ابن أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني،

عني بتصحيحه الأب تشارد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت، 1957م.

(19) التوحيد وإثبات صفات الرب (ﷻ)، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: دار الرشد - الرياض سنة النشر: 1414 - 1994.

(20) التوحيد، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ) تحقيق: د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية - الإسكندرية.

(21) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي (المتوفى: 1423هـ) مكتبة الأسد، مكة المكرمة، الطبعة: الخامسة، 1423هـ - 2003م.

(22) حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد: المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد/ حقه وعلق عليه وشرح غريب ألفاظه علي جمعة محمد الشافعي. اللقاني، إبراهيم بن إبراهيم، توفي 1631، الناشر: القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1422هـ - 2002م.

(23) حاشية الكلنبوي على شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية، الشيخ زاده أبي الفتح اسماعيل ابن مصطفى الكلنبوي المتوفى سنة (1205هـ) دراسة وتحقيق، الشيخ أجمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية.

(24) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: 535هـ) المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية - السعودية / الرياض، الطبعة: الثانية، 1419هـ - 1999م.

(25) دراسات في العقيدة الإسلامية، محمد جعفر شمس الدين، دار التعاون للطبوعات، الطبعة الرابعة 1413هـ - 1993م.

(26) دراسة في السمعيات، أ د / السيد على عقيل بن علي المهدي، الطبعة الأولى 1416هـ، 1996م، دار الحديث . القاهرة، أمام جامعة الأزهر.

(27) دلائل التوحيد، للشيخ جمال الدين القاسمي، صححه وضبطه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى 1405هـ - 1984م.

(28) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى

- الخُسْرُو جُردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) تحقيق: د. عبد المعطي قلججي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى - 1408هـ - 1988م.
- (29) رسالة التوحيد، محمد عبده بن حسن خير الله (المتوفى: 1323هـ) دار الكتاب العربي.
- (30) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار ابن أحمد الهمداني، ت، أحمد ابن الحسين بن أبي هاشم، حققه وقدم له، الدكتور / عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط3، 1416هـ - 1996م.
- (31) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر: وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث، العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- (32) شَرْحُ الْعَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ، تَصْنِيفُ: الإمام العلامة الحجة المتكلم الأصولي النظار سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (المتوفى: 793هـ)، تحقيق: د / أحمد حجازي السقا، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - الطبعة: الأولى - 1987م.
- (33) شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: العاشرة، 1417هـ - 1997م.
- (34) شرح العقيدة الطحاوية، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، الطبعة: الثانية، 1429هـ - 2008م.
- (35) شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، الناشر دار المعارف النعمانية، سنة النشر 1401هـ - 1981م باكستان.
- (36) شرح المواقف: للجرجاني-. تحقيق ونشر د/ أحمد المهدي 1996م.
- (37) شرح الناظم على الجوهرة وهو الشرح الصغير المسمى هداية المريد لجوهرة التوحيد، برهان الدين إبراهيم اللقاني المالكي المتوفى سنة 1041هـ، حققه: مروان عبد الصالحين السخاوي، دار البيضاء، درب الأتراك، الطبعة الأولى، 1430هـ، 2009م.
- (38) شرح جوهرة التوحيد، اتحاف المريد بجوهرة التوحيد العلامة عبد السلام ابن ابراهيم

- اللقاني، ومعه النظام الفريد بتحقيق جوهرية التوحيد للمرحوم/محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار الصلاح. حلب، اميول، الطبعة الأولى، سنة 1411هـ - 1990م.
- (39) العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث، د/ سعد الدين صالح، دار الصفا، الطبعة الثانية، 1411هـ - 1991م.
- (40) العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم، الشيخ / محمد أبو زهرة، عضو مجمع البحوث الإسلامية، 1339هـ - 1963م.
- (41) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم - دمشق، الطبعة الثامنة 1418هـ - 1997م.
- (42) عقيدة الإيمان بالسمعيات، الدكتور / جمال محمد سعيد عبد الغني، الطبعة الثانية، مطبعة الشمس بشبين الكوم، بدون نشر.
- (43) العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية الجويني، تحقيق وتعليق: محمد زاهر الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، 1412هـ - 1998م.
- (44) عمدة المريد لجوهرية التوحيد المسمى الشرح الكبير، برهان الدين إبراهيم المصري المالكي اللقاني، دار الكتب العلمية، 2015م.
- (45) غاية المرام في علم الكلام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدي (المتوفى: 631هـ)، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.
- (46) الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهاء الأيسر والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميس) ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (المتوفى: 150هـ) مكتبة الفرقان - الإمارات العربية، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1999م.
- (47) قواعد القواعد، الغزالي، عالم الكتب، الطبعة الثانية، 1405هـ - 1985م.
- (48) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، 1998م.
- (49) الله، كتاب في نشأة العقيدة الإلهية، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون سنة نشر.
- (50) لوايح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضوية في عقد الفرقة المرضية، السفاريني، بشرى الكئيب بلقاء الحبيب، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال

- الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) المحقق: عبد الحميد محمد الدرويش، دار يعرب للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة: الأولى، 1425هـ - 2004م.
- (51) مداخل إلى العقيدة الإسلامية، د / يحيى هاشم حسن فرغل، ط1985م.
- (52) معالم أصول الدين، الفخر الرازي، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي - لبنان.
- (53) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي، قبرص، الطبعة: الأولى، 1407 - 1987م.
- (54) المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د/عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، 1997م.
- (55) الموت وعالم البرزخ، سلسلة موسوعة الآخرة، د / ماهر أحمد الصوفي، تقديم الدكتور / محمد رمضان البوطي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، 2011م، 1432هـ.

ثانيًا: كتب التفسير وعلوم القرآن:

- (1) الإتيان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ / 1974م.
- (2) أحكام القرآن للشافعي - جمع البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، قدم له: محمد زاهد الكوثري مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1414هـ - 1994م.
- (3) أحكام القرآن، الاشبيلي القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري المالكي (المتوفى: 543هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان . الطبعة: الثالثة، 1424هـ - 2003م.
- (4) الأساس في التفسير، سعيد حوى (المتوفى 1409هـ)، دار السلام - القاهرة، الطبعة: السادسة، 1424هـ.

- (5) أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ) تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1411هـ.
- (6) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: 1403هـ) دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1415هـ
- (7) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البضاوي (المتوفى: 685هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418هـ.
- (8) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د / عبد الله شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1، 1986م.
- (9) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ) المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- (10) تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- (11) التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد ابن الحسن الطوسي المتوفى سنة 460هـ، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي.
- (12) التحرير والتتوير «تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: 1984هـ.
- (13) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تحقيق: سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1403هـ - 1983م.
- (14) تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ) المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان. الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1995م.
- (15) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي

- محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (16) تفسير الشعراوي - الخواطر، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، ط 1، 1992م.
- (17) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990م.
- (18) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م.
- (19) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ) دار الفكر العربي - القاهرة.
- (20) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2005م.
- (21) تفسير الماوردي = النكت والعيون أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت. لبنان.
- (22) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365هـ - 1946م.
- (23) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، 1418هـ.
- (24) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م.
- (25) التفسير الوسيط، د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى - 1422هـ.
- (26) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى (1393هـ =

1973 م).

- (27) تفسير جزء عم، للإمام محمد عبده، مطبعة مصر . الطبعة الثالثة 1341هـ.
- (28) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى 1421هـ - 2001م.
- (29) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ينسب: لعبد الله بن عباس (المتوفى: 68هـ) جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: 817هـ) دار الكتب العلمية - لبنان.
- (30) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، المؤلف: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي أبو عبد الله المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة. سنة النشر: 1427 - 2006.
- (31) الجواهر في تفسير القرآن، الشيخ طنطاوي جوهرى، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر.
- (32) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: 1069هـ) دار صادر - بيروت.
- (33) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الحلبي أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ) الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- (34) الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) دار الفكر - بيروت.
- (35) روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادى، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ) جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى 1422 - 2001م.
- (36) روح البيان في تفسير القرآن، الشيخ اسماعيل حقي الإسلامبولي الحنفي الخلوتي، البرسوي، المتوفى سنة 1137هـ، استانبول، عثمان بك، مطبعة العثمانية، سنة النشر

1938م.

- (37) روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ) دار الفكر - بيروت.
- (38) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ) دار إحياء التراث العربي بيروت.
- (39) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422هـ.
- (40) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ) مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، عام النشر: 1285هـ.
- (41) السراج في بيان غريب القرآن، محمد بن عبد العزيز بن أحمد الخضيري، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م.
- (42) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - 1407هـ.
- (43) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ) تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1415هـ.
- (44) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ) المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م.
- (45) لطائف الإشارات تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ) تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر الطبعة: الثالثة.
- (46) ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (المتوفى: 1342هـ) تحقيق:

- زهير الشاويش، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الاسلامي - لبنان، الطبعة: الثانية، 1418هـ - 1997م.
- (47) مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام ابن علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضي. بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1427هـ.
- (48) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، الكجراتي جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتّي (المتوفى: 986هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، 1387هـ - 1967م.
- (49) محاسن التأويل المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - 1418هـ.
- (50) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، 2 دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى - 1422هـ.
- (51) مختصر تفسير ابن كثير (تحقيق) محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، الطبعة: السابعة، 1402هـ - 1981م.
- (52) مخطوطة الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، 2003 - 2008م.
- (53) المصحف المفسر، محمد فريد وجدي، مطبعة العلوم، 1368هـ - 1948م.
- (54) المصرية العامة للكتاب، 1976م.
- (55) معارج التفكير ودقائق التدبر تفسير تدبري للقرآن بحسب ترتيب النزول وفق منهج كتاب قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله (ﷻ)، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القم دمشق، الطبعة الأولى 1420هـ - 2000م.
- (56) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417هـ - 1997م.

- (57) معجزة القرآن، الشيخ الشعراوي، دار أخبار اليوم، 1981م.
- (58) معجزة القرآن، الشيخ محمد متولى الشعراوي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988م.
- (59) معجزة القرآن، للشيخ/ محمد متولى الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، المختار الإسلامي، للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1398هـ - 1978م.
- (60) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة: الأولى، 2010م.
- (61) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (المتوفى: 606هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت. الطبعة: الثالثة - 1420هـ.
- (62) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (المتوفى: 502هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي، باب خفي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت. الطبعة: الأولى - 1412هـ.
- (63) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

ثالثاً: كتب الحديث وعلومه:

- (1) إتحاف ذوي المروءة والإنافة بما جاء في الصدقة والضيافة، شهاب الدين أحمد بن محمد، ابن حجر الهيتمي (المتوفى: 974هـ) تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع.
- (2) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988م.
- (3) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملاء الأعلى، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلمي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى:

- 795هـ) تحقيق: جسم الفهيد الدوسري مكتبة دار الأقصى - الكويت، الطبعة: الأولى، 1406 - 1985م.
- (4) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ) المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، 1323هـ.
- (5) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: 1353هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- (6) تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، المؤلف: جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (المتوفى: 742هـ)، المحقق: عبد الصمد شرف الدين، طبعة: المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، الطبعة الثانية: 1403هـ، 1983م.
- (7) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار القلم - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1984م.
- (8) التحفة الربانية في شرح الأربعين حديثاً النووية - ومعها: شرح الأحاديث التي زادها ابن رجب الحنبلي، إسماعيل بن محمد بن ماضي السعدي الأنصاري (المتوفى: 1417هـ) مطبعة دار نشر الثقافة - الإسكندرية، الطبعة: الأولى، 1380هـ.
- (9) تذكرة المحبين في شرح أسماء سيد المرسلين، الشيخ أبي عبد الله محمد ابن قاسم الرصاع، (المتوفى سنة 894هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.
- (10) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف المؤلف: عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: 656هـ) المحقق: إبراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1417.
- (11) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ) المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م.
- (12) التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري (المتوفى: 1414هـ) دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1405هـ - 1985م.
- (13) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي زين

- الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السّلامي، البغدادي، ثمّ الدمشقي، (المتوفى: 795هـ) تحقيق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1424هـ - 2004م.
- (14) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- (15) الجلالة في الحديث النبوي، الكورونا في الطب الحديث، الأستاذ الدكتور/ جوهرة صالح المجد الضبيبان، أستاذ الحديث المساعد، حولة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالأسكندرية، جامعة الأزهر، المجلد الثالث، العدد الحادي والثلاثون.
- (16) حاشية السندي على سنن النسائي (مطبوع السنن) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، 1406 - 1986م.
- (17) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) حقق أصله، وعلق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية - الخبر، الطبعة: الأولى 1416هـ - 1996م.
- (18) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (السلسلة الصحيحة). المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، سنة النشر: 1415 - 1995.
- (19) سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- (20) سنن أبي داود المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي المَحِسْتَانِي (المتوفى: 275هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- (21) سنن الترمذي المؤلف: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4،

- 5) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر الطبعة: الثانية، 1395هـ - 1975م.
- (22) السنن الكبرى المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخُراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2001م.
- (23) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: 1420هـ) دار ابن كثير - دمشق، الطبعة: الثانية عشرة - 1425هـ.
- (24) شرح الأربعين النووية، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، مكتبة الإمام الأجرى.
- (25) شرح صحيح البخارى، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م.
- (26) شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلْقَاضِي عِيَّاضِ الْمُسَمَّى إِكْمَالُ الْمُعْلَمِ بِقَوَائِدِ مُسْلِمٍ، عِيَّاضُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيَّاضِ بْنِ عَمْرٍوَنِ الْيَحْصَبِيِّ السَّبْتِيِّ، أَبُو الْفَضْلِ (المتوفى: 544هـ) المحقق: الدكتور يَحْيَى إِسْمَاعِيلُ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م.
- (27) شرح كتاب الرشيدية في شرح الرسالة الشريفة في آداب البحث والمناظرة للشيخ عبد الرشيد الجونغوري الهندي المتوفى سنة 1083هـ - شرح فضيلة الشيخ عبد الرشيد مولوي - حفظه الله -، بدون سنة نشر - طبعة المطبع المصطفائي سنة 1886م.
- (28) شرح مشكل الآثار المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى - 1415هـ، 1494م.
- (29) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: 544هـ) مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (المتوفى: 873هـ): دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1409هـ - 1988م.

- (30) صحيح ابن خزيمة المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: 311هـ) المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت.
- (31) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (32) عمل اليوم والليلة، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) تحقيق: د. فاروق حمادة: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1406هـ.
- (33) غريب الحديث، ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم (المتوفى: 276هـ) تحقيق: د/ عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، الطبعة: الأولى، 1397هـ.
- (34) الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى 401هـ) تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعته: أ. د. فتحي حجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى 1419هـ - 1999م.
- (35) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- (36) فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلمي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ) تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1996م.
- (37) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414هـ.
- (38) فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتنمة الخمسين للنووي وابن رجب - رحمهما الله -، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، دار ابن القيم، الدمام المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م.

- (39) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، دار الشروق، الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، 1423هـ - 2002م.
- (40) فيض الباري على صحيح البخاري (أماي) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (المتوفى: 1353هـ) المحقق: محمد بدر عالم الميرتهي، أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بدابهيل (جمع الأمالي وحررها ووضع حاشية البدر الساري إلى فيض الباري) دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1426هـ - 2005م.
- (41) فيض القدير شرح الجامع الصغير المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر الطبعة: الأولى، 1356.
- (42) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمى: الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج) الهزري محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهزري، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، المستشار برابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة، دار المنهاج - دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م.
- (43) المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة: الثانية، 1406 - 1986.
- (44) المجموع شرح المذهب (مع تكملة السبكي والمطيعي)، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) تحقيق: محمد نجيب المطيعي، طبعة الإرشاد.
- (45) المختار من كنوز السنة، الدكتور / محمد عبد الله دراز، اعتنى بنشره، عبد الله إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ / خليفة بن حمد، أمير دولة قطر، بدون ط.
- (46) مُخْتَصَرُ مِنْهَاجِ الْقَاصِدِينَ، نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (المتوفى: 689هـ) قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، مكتبة دار البيان، دمشق، 1398هـ - 1978م.
- (47) المسالك في شرح مؤطاً مالك، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ) قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السليمانى

- وعائشة بنت الحسين السليماني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1428هـ - 2007م.
- (48) مستخرج أبي عوانة المؤلف: أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني (المتوفى: 316هـ) تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي الناشر: دار المعرفة - بيروت الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م.
- (49) المستدرك على الصحيحين المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1411 - 1990.
- (50) مسند أبي داود الطيالسي المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (المتوفى: 204هـ) المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر - مصر الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1999.
- (51) مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2001م.
- (52) مسند الإمام الشافعي، ترتيب السندي ط: دار الكتب العلمية - بيروت.
- (53) مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1412هـ - 2000م.
- (54) مسند الشهاب المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكيم القضاعي المصري (المتوفى: 454هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، 1407 - 1986.
- (55) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (56) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو

- اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ) المكتبة العتيقة ودار التراث.
- (57) مصابيح الجامع، محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف بالداميني، وبابن الدماميني (المتوفى: 827هـ) اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م.
- (58) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ط: دار العاصمة - السعودية.
- (59) معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: 388هـ) المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى 1351هـ - 1932م
- (60) معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين (المتوفى: 643هـ)، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر - سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت، سنة النشر: 1406هـ - 1986م.
- (61) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (578 - 656هـ) حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميسو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت) الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1996م.
- (62) المنتقى شرح الموطأ: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: 474هـ) مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، 1332هـ.
- (63) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1392.
- (64) موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ) تحقيق: بشار عواد معروف - محمود خليل، مؤسسة الرسالة، سنة النشر: 1412هـ.
- (65) موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ) صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، عام النشر: 1406هـ - 1985م
- (66) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان

- بن قَائِمَاز الذهبي (المتوفى: 748هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1382هـ - 1963م.
- (67) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (المتوفى: 606هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.
- (68) نواذر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، المؤلف: محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (المتوفى: نحو 320هـ)، المحقق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل - بيروت.
- (69) نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) تحقيق: عصام الدين الصبابي، دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، 1413هـ - 1993م.

رابعاً: كتب المعاجم اللغوية:

- (1) اتفاق المباني وافتراق المعاني، سليمان بن بنين بن خلف بن عوض، تقي الدين، الدقيقي المصري (المتوفى: 613هـ) المحقق: يحيى عبد الرؤوف جبر، دار عمار - الأردن، الطبعة: الأولى، 1405هـ - 1985م.
- (2) أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م.
- (3) أطلس العالم الكبير، طبع 1999 م بيروت . لبنان.
- (4) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: 370هـ) مطبعة دار الكتب المصرية، 1360هـ - 1941م.
- (5) الأنساب (أنساب العرب) بدون، ط، وبدون نشر.
- (6) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ) المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- (7) تاج العروس من جواهر القاموس محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو

- الفيض، الملقَّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- (8) تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري: تاريخ الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ، دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - 1387هـ.
- (9) التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م.
- (10) التعريفات، للشريف الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين (المتوفى: 816هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.
- (11) تهذيب اللغة محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.
- (12) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ) عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت- القاهرة . الطبعة: الأولى، 1410هـ-1990م.
- (13) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م.
- (14) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق 12هـ) عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت . الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م.
- (15) الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: 328هـ) تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 1992م.
- (16) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة:

الثامنة، 1426هـ - 2005م.

- (17) قاموس المورد الحديث، د/ رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، طبع في لبنان 1314/.
- (18) الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1997م.
- (19) الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: 285هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة . الطبعة: الطبعة الثالثة 1417هـ - 1997م.
- (20) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ) تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري: مؤسسة الرسالة - بيروت، بدون سنة نشر.
- (21) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منثور (المتوفى: 711هـ) دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414هـ.
- (22) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط (إبراهيم مصطفى وآخرون) دار الدعوة.
- (23) مجمل اللغة، لأحمد بن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - 1406هـ - 1986م.
- (24) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: 458هـ] تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م.
- (25) مختار الصحاح، للرازي زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (المتوفى: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م.
- (26) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ) المحقق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت . الطبعة: الأولى، 1417هـ 1996م.
- (27) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم

- الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية - بيروت. بدون سنة الطبع.
- (28) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة: الأولى، 2010م.
- (29) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ) المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني الناشر: دار الحرمين - القاهرة.
- (30) معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ) دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1995م.
- (31) معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، الدكتور ف. عبد الرحيم، دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، 1432هـ - 2011م.
- (32) معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، الدكتور أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م.
- (33) المعجم العربي لأسماء الملابس «في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث» إعداد: د. رجب عبد الجواد إبراهيم (كلية الآداب - جامعة حلوان) تقديم: أ. د/ محمود فهمي حجازي (كلية الآداب - جامعة القاهرة، عضو مجمع اللغة العربية) راجع المادة المغربية: أ. د/ عبد الهادي التازي (عضو الأكاديمية المغربية ومجمع اللغة العربية بالقاهرة) دار الآفاق العربية، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، 1423هـ - 2002م.
- (34) المعجم الفلسفي بألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، الدكتور جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني - بيروت - لبنان - 1982م.
- (35) معجم اللغة العربية المعاصرة، د / أحمد مختار عبد الحميد عمر الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م.
- (36) معجم اللغة العربية، معجم البيولوجيا في علوم الأحياء والزراعة، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1404هـ - 1984م.
- (37) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، دار الجنوب. فلسطين.
- (38) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث. دار الحديث.

القاهرة، 1988م.

- (39) معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، الشيخ أبو بكر أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: 1429هـ) دار العاصمة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة: الثالثة، 1417هـ - 1996م.
- (40) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- (41) معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: 350هـ) تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، عام النشر: 1424هـ - 2003م.
- (42) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلجعي - حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة، الطبعة: الثانية، 1408هـ - 1988م.
- (43) معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق) دار مكتبة الحياة - بيروت، عام النشر: [1377 - 1380هـ] 1379هـ - 1960م.
- (44) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب - القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2004م.
- (45) معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل مخطوطة الجمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، 2003 - 2008م.
- (46) مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي (المتوفى: 387هـ) المحقق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة: الثانية.
- (47) مقاييس اللغة، لابن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، باب نعم، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.
- (48) منتخب من صحاح الجوهري، الفارابي أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ).
- (49) موجز دائرة المعارف الإسلامية، تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت،

ر. هارتمان الأجزاء (أ) إلى (ع): إعداد وتحرير / إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتاوي، عبد الحميد يونس، الأجزاء من (ع) إلى (ي): ترجمة / نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، المراجعة والإشراف العلمي: أ. د. حسن حبشي، أ. د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، أ. د. محمد عناني، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1998م.

(50) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد الحنفي التهانوي المحقق: رفيق العجم - علي دحروج الناشر: مكتبة لبنان سنة النشر: 1996.

خامسًا: كتب الفلسفة:

- (1) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف بطرس كرم (المتوفى: 1959 م) مكتبة الدراسات الفلسفية، الطبعة: الخامسة.
- (2) تبسيط الفلسفة، الدكتور / رجب بو دبوس، الدار الجماهيرية. الطبعة الأولى، 1425م.
- (3) تهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة - مصر. الطبعة: السادسة.
- (4) ديكرات مبادئ الفلسفة، د / عثمان أمين، دار الثقافة للنشر والتوزيع بدون تاريخ.
- (5) رسالة أسباب حدوث الحروف، للشيخ الرئيس بن سينا، ت محمد حسان الطيان، ويحيى مير علم، تقديم ومراجعة الأستاذ الدكتور / شاكِر الفحام، والأستاذ: أحمد راتب النفاخ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- (6) العناية الإلهية ومشكلة الشر في الفكر الفلسفي، الدكتور / نائر على الحلاق، دار النوادر، الطبعة الأولى 1435هـ، 2014م.
- (7) الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، د/ إبراهيم مذكور، سميركو للطباعة والنشر
- (8) قضية المنهجية في الفكر الإسلامي، د/ عبد الحميد أبو سليمان، بتصرف يسير، المعهد العالي للفكر الإسلامي، سنة النشر 1409هـ - 1989م.

سادسًا: كتب الأخلاق:

- (1) الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية، د/ يعقوب المليجي، مؤسسة الثقافة الجامعية. الإسكندرية، 1405هـ - 1985م.
- (2) موسوعة الأخلاق، خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع،

الكويت الطبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م.

سابعًا: كتب الطب:

- (1) تسهيل المنافع في الطب والحكمة، الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الأزرق اليمني، ضبطه وصححه، محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية.
- (2) تفوق الطب الوقائي في الإسلام، من الابحاث المختارة في المؤتمر العلمي الاول عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الدكتور/ عبد الحميد القضاة، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، الطبعة الأولى 1408هـ - 1987م.
- (3) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د/ محمد على البار، الطبعة الرابعة 1403هـ 1983م، جدة.
- (4) الرحمة في الطب والحكمة، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة 911هـ، دار الكتب العلمية.
- (5) روائع الطب الإسلامي، العلامة الدكتور الطبيب محمد نزار الدقر، اختصاصي بالأمراض الجلدية والتناسلية والعلاج التجميلي - دكتور " فلسفة " في العلوم الطبية كاتب متخصص في الطب الإسلامي المصدر: موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.55a.net
- (6) الطب النبوي المعروف بالمنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي، أبي الفضل جلال الدين السيوطي، تحقيق وتخريج، حسن مقبولي الاهدل، مؤسسة الكتاب الثقافية . بيروت . لبنان، الطبعة الثاني 1423هـ - 2002م.
- (7) الطب النبوي المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ) المحقق: مصطفى خضر دونمز التركي الناشر: دار ابن حزم الطبعة: الأولى، 2006م.
- (8) الطب الوقائي في الإسلام تعاليم الإسلام الطبية في ضوء العلم الحديث، الدكتور / أحمد شوقي الفنجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، 1991م.
- (9) الطب محراب للإيمان، دكتور / خالص جليبي كنجو، رسالة أعدت لنيل لقب دكتوراه في الطب، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد فايز المط، مؤسسة الرسالة.
- (10) القرآن والطب الحديث، د / صادق عبد الرضا على، دار المؤرخ العربي، الطبعة الأولى، 1991م.

- (11) مدخل إلى الطب الإسلامي، الأستاذ الدكتور / على محمد مطاوع، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1985م.
- (12) من إعجاز القرآن الكريم والسنة المطهرة في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة، الدكتور / عبد الجواد الصاوي، الهيئة العالمية للكتاب والسنة، 1433هـ - الطبعة الأولى.

ثامناً: كتب الفقه الإسلامي:

- (1) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ) ضبطه، محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية.
- (2) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ) تحقيق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيخ، دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1997م.
- (3) الأم، للإمام الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ) دار المعرفة - بيروت، بدون طبعة، سنة النشر: 1410هـ/1990م.
- (4) البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى 478هـ) المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1418هـ - 1997م.
- (5) التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م.
- (6) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي (المتوفى: 1423هـ) مكتبة الأسد، مكة المكرمة، الطبعة: الخامسة، 1423هـ - 2003م.
- (7) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1999م.

- (8) حكمة التشريع الإسلامي وفلسفته، الشيخ على أحمد الجرجاوي، مراجعة خالد العقاد، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1424هـ، 2003م.
- (9) الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميس) ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (المتوفى: 150هـ) مكتبة الفرقان - الإمارات العربية، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1999م.
- (10) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، الدكتور/ سعدي أبو حبيب، دار الفكر. دمشق - سورية، الطبعة: الثانية 1408هـ = 1988 م، تصوير: 1993م.
- (11) المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ) دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1414هـ - 1993م.
- (12) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة، الطبعة: الثانية، 1408هـ - 1988م.
- (13) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة، الطبعة: الثانية، 1408هـ - 1988م.
- (14) ولوغ الكلب بين استنباطات الفقهاء واكتشافات الأطباء، المؤتمر العالمي للإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ١ / نجيب بوحنيك، بدون ط.
- (15) اليد البسطى في تعيين الصلاة الوسطى، الإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق ودراسة د / عبد الحكيم الأنيس، الألوكة.

تاسعاً: كتب الفرق الإسلامية:

- (1) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليميني الشافعي (المتوفى: 558هـ)، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1419هـ/1999م.
- (2) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر (المتوفى: 471هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب - لبنان. الطبعة: الأولى، 1403هـ - 1983م.
- (3) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن

- سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) تحقيق: علي بن محمد الدخيل
الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1408هـ.
- (4) الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله
البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: 429هـ) دار الآفاق الجديدة -
بيروت الطبعة: الثانية، 1977م.
- (5) فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام، وبيان موقف الإسلام منها، د / غالب عواجي،
المكتبة العصرية الذهبية . جدة، الطبعة الرابعة 1422هـ - 2001م.

عاشراً: كتب الفيزياء :

- (1) الأشعة من حولنا، د/ محمد فاروق أحمد، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية،
الرياض 1422هـ - 2002م.
- (2) تجارب علمية مع المغناطيس، ندى محمود الصيني، الرياض، مدينة الملك عبد
العزيز للعلوم والتقنية، 1433هـ 2012م، مجلة المنار، محمد رشيد بن علي رضا
(المتوفى: 1354هـ) وغيره من كتاب المجلة، مطبعة المنار، 1923م.
- (3) تحت المجهر الحواس، فرانسيسكا باينز Francesca Pines، دار الفاروق
للاستثمارات الثقافية. بدون ط.
- (4) تصميم ومحاكاة كاشف الأشعة تحت الحمراء وآبار كمية، يوسف مفتاح، الجمهورية
الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2010م.
- (5) تصوير ما لا تراه العين بالأشعة غير المرئية فوق البنفسجية . تحت الحمراء . أشعة
x أشعة الجاما، لواء / عبد الفتاح رياض، دار النهضة العربية . القاهرة.
- (6) التلوث الضوضائي من منظور إسلامي، الإدارة العامة للتوعية البشرية، سنة النشر
2011م.
- (7) الشمس النجم الذي يهبنا الحياة، بول برگا، ترجمة محيي الدين عبد الغنى، المركز
القومي للترجمة، الطبعة الأولى 2016م.
- (8) ظاهرة الشفق القطبي، رحاب نصر فاضل، قسم علوم الفيزياء، كلية التربية للعلوم،
ابن الهيثم، جامعة بغداد . العراق 2019م.
- (9) عجائب الميكروبات السبع، الدكتور / عبد الحميد القضاة، المكتبة الوطنية، الطبعة
الأولى، 1424هـ - 2003م.

- (10) فسيولوجيا جسم الإنسان، الدكتور عصام حمدي الصفدي، دار اليازوري العلمية، الطبعة الأولى 2003م.
- (11) موسوعة الفيزياء الكونية العلوم الفضائية، الأستاذ: / على مولا، بدون نشر ولا طبع.
- (12) الميكروبات والإنسان، د/جون لو سيجيت، ترجمة د/ عزت شعلان، عالم المعرفة، 1985م.
- (13) الميكروبات وكرامات الشهداء، الدكتور/ عبد الحميد القضاة، المملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة الثانية، 1425هـ - 2004م.
- (14) الميكروبيولوجيا الزراعية، الدكتور/ وجدي عبد المنعم مشهور، سنة الطبع 2007م.
- (15) الميكرون ملأين المتر، معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، الدكتور ف. عبد الرحيم، دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، 1432هـ - 2011م.

الحادي عشر: كتب الاعجاز العلمي:

- (1) الإعجاز العلمي في الإهلاك بالصيحة، د / محمود محمد الشوري، المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، حراء . مكة. العدد 55.
- (2) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المرحلة: ماجستير، تأليف: مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية.
- (3) الإعجاز العلمي في القرآن، د / السيد الجميلي، مكتبة الهلال، دار الوسام، بيروت . لبنان، الطبعة الثانية، 1992م.
- (4) إعجاز القرآن في حواس الإنسان دراسة في الأنف والأذن والحنجرة في ضوء الطب وعلوم القرآن والحديث، د/ محمد كمال عبد العزيز، مكتبة القرآن . بولاق . القاهرة.
- (5) الإعجاز القرآني، محمد عادل القليقلي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1997م.
- (6) الإعجاز في السنة النبوية، الدكتور/ صالح ابن أحمد رضا، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى 1421هـ 2001م، مجلد 1.
- (7) مقال للدكتور جون هونو لارسن كبير أطباء المستشفى الرسمي في كوبنهاجن، مجلة الإعجاز العلمي، العدد 3، مقالة ذبح الحيوان قبل موته، العدد الثالث في ربيع الثاني، 1418هـ.
- (8) موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد،

- مكتبة بن حجر، الطبعة الثانية، 1424هـ - 2003م.
- (9) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د/ محمد راتب النابلسي، دار المكتبي، سورية، دمشق - الحلبوني - جادة ابن سينا، الطبعة: الثانية 1426هـ 2005م.

الثاني عشر: كتب التصوف الإسلامي:

- (1) التصوف الإسلامي بين أنصاره وخصومه، للأستاذ الدكتور / عبد الرحمن محمد المراكبي، 1431هـ - 2010م.
- (2) التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ) دار الكتب العلمية - بيروت
- (3) التمهيد في الحكمة الإلهية، على الشيراوي، مؤسسة دار النعيم، المطبعة قدس، الأولى 1417هـ.
- (4) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، (المتوفى: 795هـ) تحقيق: الدكتور محمد الأحمد بن أبي النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1424هـ - 2004م.
- (5) الجفر، السيد محمد ماض أبو العزائم، دار الكتاب الصوفي، الطبعة الثالثة، 1411هـ، 1990م.
- (6) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ) السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م.
- (7) الدرر الغزالية في شرح الحكم العطائية، فضيلة الشيخ المربي العلامة . الشيخ حازم نايف أبو غزالة، دار الياقوتة للطباعة والنشر، المملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة الأولى، سنة 1335هـ، 2014م.
- (8) الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (812 - 893هـ) المحقق: سعيد بن غالب كامل المجيدي، أصل الكتاب: رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1429هـ - 2008م.
- (9) الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)

تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة

(10) شرح أسماء الله الحسنى، الإمام العارف بالله أبي الحكم عبد السلام ابن عبد الرحمن بن محمد بن برجان اللخمي الإشبيلي، المتوفى سنة 526هـ، تقديم د/ أحمد شفيق، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية.

(11) شرح الجامي على فصوص الحكم للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، الملا عبد الرحمن ابن أحمد بن محمد الملقب بنور الدين المتوفى سنة 898هـ، المتوفى سنة 638هـ، ضبطه وصححه واعتنى به الشيخ الدكتور / عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الزرقاني، دار الكتب العلمية.

(12) العرفان النظري . مبادئه وأصوله، يد الله يزدان بناه، تدوين عطاء انزلي، ترجمة على عباس الموسوي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، سنة 2014م.

(13) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ) دار ركابي للنشر - الغورية، مصر . الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1999م.

الثالث عشر: الرسائل العلمية:

رسائل الماجستير:

(1) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المرحلة: ماجستير، تأليف: مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية.

(2) صور السماء والأرض في القرآن دراسة بلاغية، نوال على عبد الرحمن خضر، رسالة ماجستير في اللغة العربية، في جامعة النجاح الوطنية في نابلس - فلسطين، عام 2011م.

(3) الغيبيات وأثرها على الفرد والمجتمع في سورتي الكهف ويس، رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، إعداد الطالبة / وفاء زياد أحمد حجو، نوقشت سنة 1433هـ - 2012م.

رسائل الدكتوراه:

- (1) أصول الإيمان بالغيب وآثاره، فوز بنت عبد اللطيف بنت كامل القردي، رسالة دكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، 1426هـ.
- (2) ألفاظ الظهور والخفاء في القرآن الكريم دراسة دلالية، رسالة تقدمت بها الباحثة: سهام عبود وهيب الزبيدي، إلى مجلس كلية التربية للبنات . جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وأدائها إشراف الأستاذ الدكتور / كاسد ياسر الزبيدي، نوقشت سنة 1423هـ - 2002م.
- (3) الإيمان بالغيب، للباحث: بسام سلامة، نال بها درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود نوقشت عام 1400هـ، ونشرت عام 1403هـ.
- (4) التنبؤات بالغيب عند الفلاسفة المنتسبين للإسلام، أطروحة نالت بها الباحثة: حياة بنت سعيد أخضر درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى، عام 1420هـ.
- (5) الخفاء بين القرآن الكريم ونهج البلاغة، بحث تقدمت به الطالبة: نبأجاش كطان الجبوري وهو جزء من متطلبات شهادة البكالوريوس إلى قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية. جامعة القادسية، إشراف م. م. باقر مليح، نوقشت سنة 1438هـ - 2017م.
- (6) الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (812هـ - 893هـ) المحقق: سعيد بن غالب كامل المجيدي، أصل الكتاب: رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1429هـ - 2008م.
- (7) الطب محراب للإيمان، دكتور / خالص جلبي كنجو، رسالة أعدت لنيل لقب دكتوراه في الطب، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد فايز المط، مؤسسة الرسالة.
- (8) علم الغيب في الشريعة الإسلامية، تأليف الدكتور / أحمد بن عبدالله الغنيمة، الجامعة الإسلامية 1425هـ، الطبعة الأولى المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي.
- (9) النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية،: حسن بن محمد حسن الأسمر، رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة الدكتوراه، من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، طبع على نفقة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، مركز

التأصيل للدراسات والبحوث، جدة - المملكة العربية السعودية . الطبعة: الأولى، 1433هـ - 2012م.

الرابع عشر: كتب الغيبات والعلوم الكونية:

- (1) آكام المرجان في أحكام الجان، محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقي الحنفي، أبو عبد الله، بدر الدين ابن تقي الدين (المتوفى: 769هـ) المحقق: إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن - مصر - القاهرة.
- (2) الإنسان والغيب، ا. د / حبيب الله حسن أحمد، مصر للخدمات، القاهرة، حقائق القبة.
- (3) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى.
- (4) عالم الغيب بين الوحي والعقل دراسة مقارنة في ضوء القرآن والسنة، الدكتور/ يحي مراد، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان.
- (5) عالم الغيب وأسراره، عبد المعز خطاب، دار الاعتصام، بدون سنة نشر.
- (6) عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي، عثمان جمعة ضميرية، راجعه فضيلة الشيخ ناصر بن حمد الراشد، مكتبة السواري . جدة . الطبعة الأولى، 1408هـ، 1988م.
- (7) عالم الغيب والشهادة، مرتضى مطهري، الطبعة الثانية كانون الثاني، 1424هـ، 2004م.
- (8) عالم الملائكة الأبرار، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة: الثالثة، 1403هـ - 1983م.
- (9) الغيب والعقل دراسة في حدود العقل البشري، إلياس بلكا، المعهد العالي للفكر الإسلامي، هرندي - فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى 1429هـ، 2008م.
- (10) الغيب، الشعراوي، مكتبة الشروق، قطاع الثقافة.

الخامس عشر: كتب العلوم الكونية:

- (1) بناء الكون ومصير الإنسان، نقض لنظرية الانفجار الكوني الكبير، حقائق مذهلة في العلوم الكونية والدينية، هشام طالب، دار المعرفة . بيروت، الطبعة الأولى 1427هـ - 2006م.
- (2) التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، حنفي أحمد، دار المعارف، الطبعة الثالثة.
- (3) التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيقات الدكتور / هدى شلبي، تونس، 1406هـ - 1985م.
- (4) رحلة الإنسان من عالم الذر حتى حياة البرزخ، د/ محمد حسين على الصغير، مؤسسة البلاغ، دار سلوني، الطبعة الأولى، 1423هـ، 2002م.
- (5) الرؤية الكونية التوحيدية، معاونة العلاقات الدولية في منظومة الإعلام الإسلامي، آية الله الشهيد مرتضي المطهري، طهران . الطبعة الثانية، 1409هـ، 1989م.
- (6) كبرى اليقينيّات الكونية، د/ محمد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت . لبنان - 1417هـ - 1997 م، الطبعة الثانية.
- (7) للكون إله قراءة في كتاب الله المنظور والمسطور، الدكتور / صبري الدمرداش، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الثانية، 1427هـ 2006م.
- (8) لله العلم، الدكتور/ بشير التركي، 1399هـ - 1979م.
- (9) لماذا أنا مؤمن، الدكتور محمد جمال الفندي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مكتبة الأسكندرية.
- (10) الله والعلم الحديث، عبد الرازق نوفل، مكتبة طايغ، دار الجيل قصر اللؤلؤة . الفجالة.
- (11) الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيّات الأرض، أشرف على تحريره: جون كلوفر مونسيما، ترجمة: الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: الدكتور محمد جمال الدين الفندي، دار القلم، بيروت - لبنان.
- (12) من عجائب الخلق في الكون العظيم، محمد إسماعيل الجاويش، الدار الذهبية.
- (13) الموسوعة العلمية الملونة، موسوعة الفلك، الكون، البنية والتلوث، الفانا مصطفى حمود إشراف الدكتور. محمد حمود، دار الفكر اللبناني . بيروت، الطبعة الثالثة 1997م.
- (14) الموسوعة الفلكية، خليل البدوي، دار عالم الثقافة . عمان . الأردن، الطبعة الأولى 1999م.

- (15) موسوعة الفيزياء الكونية العلوم الفضائية، الاستاذ: / على مولا، بدون نشر ولا طبع.
- (16) الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين.
- (17) موسوعة الكحيلي، للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- (18) الموسوعة الكونية الكبرى آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية وفي خلق الأرض وتأمين معاشها، الدكتور / ماهر أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى 2010 م، 1428هـ.
- (19) الموسوعة الكونية الكبرى آيات الله في نشأة الكون والحياة في السماء الدنيا والسماوات السبع، د / ماهر أحمد الصوفي، قدم لهذه الموسوعة، د/ محمد رمضان البوطي، وآخرون، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- (20) الموسوعة الكونية الكبرى، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية، د / ماهر أحمد الصوفي، تقديم، د/ محمد سعيد رمضان البوطي.
- (21) الموسوعة الكونية الكبرى، آيات العلوم الكونية وفق أحداث الدراسات الفلكية والنظريات العلمية، الدكتور/ ماهر أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، صيدا . بيروت، الطبعة الأولى 1428 هـ - 2007م.
- (22) الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في الجبال والصحارى والنباتات، د/ ماهر الصوفي، المكتبة العصرية . صيدا بيروت.
- (23) الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في الموت ونهاية الكون وقيام الساعة وبعث الخلائق وتبديل دوران الأرض، الدكتور / ماهر أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، صيدا . بيروت، الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007م.
- (24) موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر .
- (25) موسوعة الملك عبد الله بن عبد العزيز، للمحتوى الصحي، 21، مايو، 2013م. <https://kaahe.org/ar-sa/Pages/Home/Home.aspx>
- (26) موسوعة عالم الإنسان في ضوء القرآن والسنة من منظور علمي بحثي، نشأة الإنسان وخلقها، د/ أحمد شوقي إبراهيم، دار نهضة مصر .
- (27) النجوم من ولادتها حتى تصبح ثقبًا سوداء، آلان داير، ترجمة جمال عبد الرحيم، الرياض . الطبعة الأولى 1435 هـ - 2014م.

السادس عشر: كتب الجغرافيا:

- (1) ثقب الأوزون وآثاره، بحث تكميلي من كلية التربية، جامعة الخرطوم، قسم الاحياء الباحثة: مناهل صلاح على، إشراف الدكتورة / علوية عبد الرحمن نشر سنة 2013م.
- (2) الجغرافيا المناخية والنباتية، عبد العزيز طريح شرف، دار المعرفة الجامعية الطبعة: الحادية عشرة.
- (3) جغرافية المناخ والنبات، الدكتور / يوسف عبد المجيد فايد، دار النهضة العربية.
- (4) قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية: جودة حسنين جودة، فتحي محمد أبو عيانة، دار المعرفة الجامعية.
- (5) المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، محمد محمود محمددين، وطه عثمان الفراء، دار المريخ، الطبعة: الرابعة ردمك: 1960م.
- (6) المقدمات في الجغرافيا الطبيعية، دكتور عبد العزيز طريح شرف، مركز الإسكندرية للكتاب.

السابع عشر: كتب المنطق:

- (1) المرشد السليم في المنطق القديم والحديث د/ عوض الله جاد حجازي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الرابعة.
- (2) معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، عام النشر: 1961م.
- (3) موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب، فريد جبر - سميح دغيم - رفيق العجم - جيار جهامي، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت. الطبعة: الأولى - 1996م.

الثامن عشر: كتب علم النفس:

- (1) الاكتئاب المرض.. والعلاج، الدكتور/ لطفي الشربيني، دار منشأة المعارف، ط شركة جلال للطباعة.
- (2) السنة النبوية وتوجيه المسلم إلى الصحة النفسية، الدكتورة / هناء يحيي أبو شهبه، بحث مقدم إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن، إبريل 2007م.
- (3) العلاج النفسي للاضطرابات النفسية من منظور إسلامي، الاكتئاب نموذجًا، الدكتورة/

أسماء بوعود، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين
سطيف2، مجلة العلوم الاجتماعية، 199، العدد 19، ديسمبر، عام 2014م.

التاسع عشر: كتب الشيعة:

- (1) التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد ابن الحسن الطوسي المتوفى سنة 460هـ، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي.
- (2) الرؤية الكونية التوحيدية، معاونية العلاقات الدولية في منظومة الإعلام الإسلامي، آية الله الشهيد مرتضي المطهري، طهران . الطبعة الثانية، 1409هـ، 1989م.
- (3) نفحات الولاية، آية الله العظمى مكارم الشيرازي، مكتبة الروضة الحيدرية، 2005م.

العشرون: كتب أدب البحث والمناظرة:

- (1) رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، د/ محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، سنة الطبع 1427هـ . 2007م.
- (2) شرح كتاب الرشيدية في شرح الرسالة الشريفة في آداب البحث والمناظرة للشيخ عبد الرشيد الجونغوري الهندي المتوفى سنة 1083هـ - شرح فضيلة الشيخ عبد الرشيد مولوي بدون سنة نشر - طبعة المطبع المصطفائي سنة 1886م.

الواحد والعشرون: كتب الأديان والمذاهب المعاصرة:

- (1) الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، الدكتور / محمد عبد الله دراز، دار القلم، بدون ط، ولا سنة نشر .
- (2) الرد على شبهات العصر، محمد فتح الله كولن، دار النيل للنشر، الطبعة الأولى، 2014م.
- (3) السيوف المشرقة ومختصر الصواعق المحرقة، وهو: مختصر لكتاب (الصواعق المحرقة لإخوان الشياطين والزندقة) نصير الدين محمد الشهير بخواجه نصر الله الهندي المكي، اختصره وشذبه: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي التناء الألووسي (المتوفى: 1342هـ) تحقيق: الدكتور مجيد الخليفة، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأول 1429هـ - 2008م.

- (4) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ) مكتبة الخانجي - القاهرة.
- (5) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية-جدة، الطبعة: الأولى 1427هـ-2006م
- (6) الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ)، مؤسسة الحلبي.
- (7) النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية،: حسن بن محمد حسن الأسمرى، رسالة علمية تقدّم بها المؤلف لنيل درجة الدكتوراه، من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، طبع على نفقة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة - المملكة العربية السعودية . الطبعة: الأولى، 1433هـ - 2012م.

الثاني والعشرون: كتب السير والتاريخ:

- (1) تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري: تاريخ الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ، دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - 1387هـ.
- (2) ديوان الضعفاء، للذهبي، ط: مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة.
- (3) ديوان ترجمان الاشواق، الشيخ: محي الدين ابن علي ابن العربي، اعتنى به . عبد الرحمن المصفاوي، دار المعرفة . بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1425هـ - 2005م.
- (4) سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، 1405هـ / 1985م.
- (5) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: 1420هـ) دار ابن كثير - دمشق، الطبعة: الثانية عشرة - 1425هـ.

الثالث والعشرون: كتب أخرى تتعلق بالبحث:

- (1) أسرار المخلوقات، للغزالي، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة - تونس د. ط.
- (2) إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى: 1308هـ) دراسة وتحقيق وتعليق: محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الأستاذ المساعد بكلية التربية جامعة الملك سعود - الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية، الطبعة: الأولى، 1410هـ - 1989م.
- (3) إغاثة اللفهان في مصايد الشيطان، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (691 - 751) حققه: محمد عزيز شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1432هـ.
- (4) تعريف عام بدين الإسلام، على الطنطاوي، دار الوفاء . المنصورة، الطبعة الرابعة عشر، 1412هـ، 1992م.
- (5) تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ / 2001م.
- (6) جامع الأفكار ونافذ الأنظار، محمد مهدي بن أبي ذر النراقي، مؤسسة انتشارات حكمت.
- (7) حطّم صنمك وكن عند نفسك صغيراً، مجدي الهلالي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، عام النشر: 1424هـ - 2004م.
- (8) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد، نهضة مصر . الطبعة الرابعة، سنة 2005م.
- (9) الحكمة في مخلوقات الله، للإمام أبي حامد الغزالي الطوسي، تحقيق الدكتور / محمد رشيد قباني، بيروت، الطبعة الأولى 1978م، 1398هـ.
- (10) الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية. 1424هـ.
- (11) الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير، الإمام عثمان عمرو بن محمد بن بحر الجاحظ، المتوفى سنة 255هـ - دار الندوة الإسلامية، بيروت - لبنان، طبع سنة 1987م - 1988م.

- (12) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، 1415هـ - 1994م.
- (13) الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: 328هـ) تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 1992م.
- (14) الزهد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 1999م.
- (15) الساعة وأشراتها في القرآن والحديث الصحيح، الدكتور/ حمودة محمد داود، دار التوفيق النموذجية، 1982م.
- (16) سنن التدوال ومآلات الحضارة، دكتور، محمد هيشور، وزارة الاوقاف والشئون الإسلامية، الطبعة الأولى . دولة الكويت، 1434هـ، 2013م.
- (17) شأن الدعاء المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: 388هـ) المحقق: أحمد يوسف الدقاق الناشر: دار الثقافة العربية الطبعة: الأولى، 1404هـ - 1984 م الثالثة، 1412هـ - 1992م.
- (18) طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، 1394هـ.
- (19) الطريق إلى الله (هو الله)، ياسين رشدي، نهضة مصر للطباعة والتوزيع.
- (20) فضل علماء المسلمين على الحضارة الاوربية، الدكتور / عز الدين فراج، دار الفكر العربي . مدينة نصر . القاهرة، الطبعة الأولى 1423هـ - 2002م.

فهرس الموضوعات

التمهيد: التعريف بالمصطلحات المتعلقة بالبحث.....	3
أولاً: التعريف بالمصطلحات	5
تحديد مصطلح (فلسفة)	5
تحديد مصطلح (الحكمة)	6
تحديد مصطلح (نعمة)	9
تحديد مصطلح (الخفاء)	10
تحديد مصطلح (قضايا)	13
تحديد مصطلح (الدين)	14
تحديد مصطلح (العلم)	16
تحديد مصطلح (الأثر)	18
تحديد مصطلح (العقيدة)	19
تحديد مصطلح (الإسلامية)	20
ثانيًا: مرادفات مصطلح (الخفاء)	22
1. الموارد القرآنية لمفهوم الخفاء في القرآن الكريم	22
2. الألفاظ المترادفة لكلمة (خفاء)	23
الأول: (الاستبطن)	23
الثاني: (أَغْطَشَ)	24
الثالث: (أفل)	25
الرابع: (أندلس)	27
الخامس: (التبس)	27

- 28 السادس: (بَطْنٌ)
- 29 السابع: (التواري)
- 30 الثامن: (جَنٌّ)
- 31 التاسع: (حجاب)
- 33 العاشر: (خبأ)
- 34 الحادي عشر: (خسف)
- 35 الثاني عشر: (خُنس - كُنس)
- 36 الثالث عشر: (دَسَّ)
- 37 الرابع عشر: (دَسَّاهَا)
- 37 الخامس عشر: (دفين)
- 38 السادس عشر: (الستر)
- 39 السابع عشر: (سَرَّ)
- 39 الثامن عشر: (ضَمُر)
- 40 التاسع عشر: (طمس)
- 41 العشرون: (ظلة وظلل)
- 42 الحادي والعشرون: (عَتَمَ)
- 42 الثاني والعشرون: (غَرَبَ)
- 43 الثالث وعشرون: (غَطَى)
- 44 الرابع والعشرون: (الغموض)
- 45 الخامس والعشرون: (غَمَضَ)
- 45 السادس والعشرون: (غيابة الجب)
- 46 السابع والعشرون: (الغيب)
- 47 الثامن والعشرون: (فج)

48	التاسع والعشرون: (كَتَمَ)
49	الثلاثون: (كَفَّرَ)
50	الحادي والثلاثون: (كَمَّ)
50	الثاني والثلاثون: الكُمُون
52	الثالث والثلاثون: (كُنَّ)
53	الرابع والثلاثون: (كَنَّهُ - أَكْنَأًا)
54	الخامس والثلاثون: (مجهول)
55	السادس والثلاثون: (مغلق)
55	السابع والثلاثون: (همس)
56	الثامن والثلاثون: (وقي)
56	التاسع والثلاثون: (وَلَجَّ)
57	الأربعون: (يغشى)
59	ثالثًا: أنواع الخفاء في الفكر الإسلامي
59	أنواع الخفاء ودلالاته العقدية
59	النوع الأول: الخفاء المحمود
66	النوع الثاني: الخفاء الغير محمود ودلالاته العقدية

الباب الأول

نعمة الخفاء في بعض قضايا الدين

79	الفصل الأول: نعمة خفاء الذات العلية من فرط العظم
81	مدخل
84	المبحث الأول: الذات الإلهية [تعريفها، وصفاتها، وأفعالها]

84	مفهوم الذات الإلهية.....
86	الصفات الإلهية الواجبة للذات الإلهية.....
87	أولاً: تعريف الصفة.....
87	ثانياً: أقسام الصفات
89	صفتي السمع والبصر
89	تعريف صفة البصر.....
91	صفة الكلام الإلهي وإخفاؤها عن سمع البشر
92	تنزيه كلام الله تعالى عن صفات الحوادث.....
92	كلام الله تعالى ليس بصوت ولا حرف.....
93	هل العباد يسمعون الذات الإلهية مباشرة؟.....
97	الآثار العقدية على إخفاء سمع الله ورؤيته عن العباد
97	من الآثار العقدية نفي كون القرآن الكريم مخلوقاً.....
99	من الآثار المترتبة على إخفاء سمع الله عن البشر (محدودية العقل).....
102	المبحث الثاني: خفاء الذات الإلهية عن سمع وبصر العباد وأسبابه
102	إخفاء الذات الإلهية عن سمع وبصر العباد
103	خفاء الذات الإلهية والإيمان بها
103	أسباب إخفاء الذات الإلهية.....
118	الآثار العقدية المترتبة على خفاء الذات الإلهية.....
122	المبحث الثالث: المستثنى من من قاعدة الخفاء.....
122	رؤية النبي (ﷺ) لربه في الدنيا وعدم وقوعها لغيره من الأنبياء
123	الآيات التي استدلت بها على إثبات الرؤية للنبي ليلة المعراج
131	الفصل الثاني: نعمة الخفاء من شدة القرب

توطئة	133
المبحث الأول: قرب الله تعالى من العبد والأدلة على ذلك.	135
قرب الله من العباد	135
أدلة القرآن الكريم على إثبات مقام القرب الإلهي	136
فلسفة القرب الإلهي	139
المبحث الثاني: اعتقاد العبد في قرب الله وما يترتب على ذلك.	141
عقيدة القرب الإلهي وعلاقتها بتقويم الأخلاق	141
مقام الإحسان في المنظور الإسلامي	142
حال المراقبة	144
من آثار القرب الإلهي حُسن التوفيق في جميع الأمور	145
 الفصل الثالث: نعمة الخفاء وخروج الموضوع من دائرة الإحساس.	147
توطئة	149
المبحث الأول: الملائكة وطبيعة اختفائهم عن أكثر الناس دون الخاصة منهم	151
اختفاء الملائكة عن بصر العباد	151
الإشكالات التي ترد على عدم رؤية الملائكة والرد عليها	151
رؤية النبي (ﷺ) لسيدنا جبريل	155
هل يمكن للبشر رؤية الملائكة والاتصال بهم؟	156
اتصال العالم الملائكي بالعالم البشري	158
الآثار المترتبة على عدم رؤية الإنسان للملائكة	161
المبحث الثاني: الجن وطبيعة اختفائهم عن أكثر الناس دون الخاصة منهم. ..	163
عالم الجن في الفكر الإسلامي	163
نعمة إخفاء عالم الجن عن أعين وبصر العباد	166

- 169 عدم رؤيتنا لعالم الجن هل يقتضي هذا عدم وجودهم؟
- 172 مذاهب العلماء في مسألة رؤية الجن
- 180 **المبحث الثالث:** اعتقاد العبد بوجود الملائكة والجن حوله...
- 180 أولاً: اعتقاد العبد في وجود الملائكة
- 187 ثانياً: اعتقاد الإنسان في وجود الجن وأثر ذلك على عقيدته وسلوكه
- 191 **الفصل الرابع:** نعمة الخفاء وخروج الموضوع عن دائرة الإحساس والإدراك ..
- 193 مدخل
- 195 **المبحث الأول:** نعمة إخفاء سؤال القبر عن الأحياء، وأثر ذلك في السلوك الإنساني
- 195 سؤال القبر
- 196 فلسفة إخفاء سؤال القبر عن مدارك البشر
- 196 الإيمان والتسليم بما يكون في القبر
- 198 فلسفة إخفاء صوت الجنازة عن الإنسان دون غيره
- 199 أقوال العلماء في مسألة أن الميت يسمعه كل شيء دون الإنسان
- 200 لماذا ستر الله عنا عذاب القبر؟.....
- 201 **المبحث الثاني:** نعمة إخفاء حال الضمة أو الضغطة للميت عن الأحياء ...
- 201 المراد بضمة القبر
- 204 الحكم المترتبة على إخفاء عذاب القبر ونعيمه وضغطته
- 208 ماذا لو علم الناس بما ستره الله عنا في القبور؟.....
- 211 أثر اعتقاد العبد في أحوال القبر الثلاثة على سلوكه.....
- 212 حياة البرزخ وأثرها في سلوك الفرد والمجتمع.....
- 212 الخوف والخشية من الموقف.....
- 213 حسن الظن بالله حال الاحتضار.....
- 214 محبة لقاء الله تعالى.....

217	الفصل الخامس: نعمة الخفاء في الغيب الخفي.....
219	توطئة.....
221	المبحث الأول: ضروريات الغيب الخفي، وأثرها في العقيدة.....
221	ماهية الغيب الخفي.....
224	ضروريات الغيب الخفي.....
225	الغيب الخفي (المطلق) وضرورياته.....
234	المبحث الثاني: أنواع الغيب الخفي، وأثرها في العقيدة.....
234	أنواع الغيب الخفي.....
235	أقسام الغيب الخفي في المنظور الإسلامي.....
251	الحكمة من حجب الله علم الغيب عن مدارك البشر.....
253	المبحث الثالث: نعمة إخفاء مفاتيح الغيب الخمسة، وأثرها في العقيدة.....
253	هل يمكن لأحد من البشر أن يعلم شيئاً من هذه المفاتيح؟.....
255	المفتاح الأول: علم الساعة.....
259	المفتاح الثاني: إخفاء نزول الغيث عن البشر وأثر ذلك في المعتقد الإسلامي.....
268	المفتاح الثالث: إخفاء معرفة ما في الأرحام ودلالته العقدية.....
273	المفتاح الرابع: إخفاء مسألة الرزق، وأثر ذلك على المعتقد الإسلامي ...
276	المفتاح الخامس: إخفاء (مكان الموت) ودلالته العقدية.....
283	الفصل السادس: نعمة إخفاء معرفة أوقات بعض الشعائر التعبدية.....
285	مدخل.....
287	المبحث الأول: نعمة إخفاء معرفة وقت الصلاة الوسطى وأثر ذلك... ..
287	أقوال أهل العلم في تحديد الصلاة الوسطى.....

290	حكمة إخفاء معرفة تحديد وقت الصلاة الوسطى.....
293	المبحث الثاني: نعمة إخفاء معرفة وقت ليلة القدر وأثر ذلك في الاعتقاد والأخلاق
293	ليلة القدر والحكمة من إخفائها في المنظور الإسلامي
294	الحكمة من إخفاء هذه الليلة عن العباد.....
298	المبحث الثالث: الدعاء وإخفاء موعد استجابته، وأثر ذلك على المعتقد الإنساني ..
298	تعريف الدعاء
299	الدعاء وعلاقته بالعقيدة الإسلامية.....
300	نعمة إخفاء موعد استجابة الدعاء.....
303	الحكمة في إخفاء وقت ساعة الإجابة يوم الجمعة.....

الباب الثاني

فلسفة نعمة الخفاء في بعض قضايا العلم

307	الفصل الأول: نعمة الخفاء من فرط الصغر.....
309	مدخل
313	المبحث الأول: التعريف بالكائنات الدقيقة التي لا ترى بالعين المجردة.....
313	تعريف الميكروبات.....
314	تعريف البكتريا.....
314	تعريف الفيروسات
315	خطورة الفيروسات.....
315	الفيروس ونشأة الحياة
316	إخبار القرآن الكريم عن هذه الميكروبات
316	المدلول اللغوي لكلمة الثرى

- أقوال العلماء حول الآية الكريمة 317
- ماذا تحت الثرى بمفهوم المعاصرين؟ 319
- المبحث الثاني:** نعمة إخفاء فايروس كورونا (كوفيد 19) وعلاقة ذلك باعتقاد الإنسان 322
- الكورونا في الطب الحديث 322
- كيف تنتقل العدوى؟ 323
- خطورة فايروس كورونا على المجتمع الإنساني 324
- الإجراءات الوقائية والتدابير الصحية للوقاية من فايروس كورونا 324
- موقف العقيدة الإسلامية من فايروس كورونا (كوفيد 19) الخفي 329
- وسائل الوقاية من فايروس كورونا في الفكر الإسلامي 331
- فلسفة نعمة إخفاء هذا الفايروس الذي لا يرى بالعين المجردة 335
- ما الحل إذن لكي يقف الإنسان على حقيقة ضعفه أمام هذا الفايروس ... 338
- المبحث الثالث:** نعمة إخفاء رؤية الكائنات الدقيقة، وعلاقة ذلك باعتقاد الإنسان .. 339
- الحكمة في خلق الميكروبات 339
- الحكمة من خلق هذه الكائنات الخفية 340
- وظائفها الإيجابية 341
- نعمة إخفاء هذه الميكروبات 342
- فساد الحياة على جهة العموم 343
- الميكروبات جند من جنود الله 343
- الآثار المترتبة على إخفاء هذه الكائنات الدقيقة 345
- موقف العقيدة الإسلامية من الميكروبات، والفيروسات الغير مرئية 352
- أهمية نظافة الفم والأسنان من البكتريا 353
- السواك في الشريعة الإسلامية 354
- نظرة الإسلام لصحة الفرد والاعتناء بها 355

367	الفصل الثاني: نعمة الخفاء من شدة البعد
369	توطئة
371	المبحث الأول: التعريف بالأجرام السماوية من نجوم وكواكب وأسمائها... .
372	التعريف بالأجرام السماوية.....
375	تعريف المجرات.....
376	أنواع المجرات.....
378	نشأة المجرات في الكون.....
378	شكل المجرة.....
379	الدلائل العقدية في الكون.....
386	الأجرام السماوية العظيمة.....
386	ما حقيقة النجوم؟
386	حكمة الله تعالى في خلق النجوم وكثرتها
387	إخفاء مواقع النجوم ودلالاتها العقدية.....
389	أعداد النجوم في السماوات.....
393	المبحث الثاني: نعمة إخفاء بُعد الأجرام السماوية عن الأرض وأثر ذلك....
393	بُعد الأرض وأثر ذلك في سلوك الإنسان ومعتقده
394	قضية التلاؤم بين الأرض والشمس والقمر.....
395	معقولية زمن دوران الأرض حول نفسها وإخفاء ذلك عن مدارك البشر ..
396	الأرض مسطحة
396	إخفاء تسطیح الأرض عن أعين الناظرين والآثار المترتبة على ذلك
397	الثنائيات وخفاؤها عن مدارك البشر
398	الليل والنهار آيتان من آيات الله الكونية.....
398	إخفاء اختلاف الليل والنهار عن مدارك البشر

- 399 الآثار العقديّة من تقليب الليل والنهار
- 403 مقادير الليل والنهار وإخفاء ذلك عن البشر
- 404 إخفاء العلاقة بين الليل والنهار عن مدارك البشر
- 405 أضرار سرمدية الليل والنهار على الكائنات وإخفاء ذلك عن البشر
- 406 حكمة سرمدية الليل وأضرارها وإخفاء ذلك عن مدارك البشر
- 409 مظاهر التقدير في الكون وإخفاؤها عن مدارك البشر
- 409 بُعد الشمس والقمر عن الأرض وإخفاؤه عن مدارك البشر
- 413 الفصل الثالث: نعمة الخفاء من شدة الكثرة.
- 415 تمهيد
- 418 المبحث الأول: تسبيح الكون وإخفاؤه عن مدركات البشر وأثر ذلك في سلوك الإنسان
- 419 الكون كله كائن حي
- 420 إخفاء تسبيح الجمادات
- 421 سجود ما في الكون لله تعالى وإخفاء ذلك عن البشر
- 421 حكمة سجود الكائنات لله تعالى
- 421 أقوال العلماء حول كيفية سجود الكائنات لله وإخفاء ذلك عن مدارك البشر ...
- 425 المبحث الثاني: صور تسبيح المخلوقات لله تعالى وإخفاء ذلك عن مدركات البشر
- 425 إخفاء تسبيح الجبال عن مدركات البشر
- 426 الجبال في العلم الحديث
- 427 الحكمة من خلقها
- 434 حكمة إخفاء تسبيح الجبال وسجودها عن البشر
- 437 فلسفة تسليم الحجر على النبي (ﷺ) وإخفاء ذلك عن الصحابة
- 438 إخفاء تسبيح الرعد والبرق

- 439 الأدلة على تسبيح الرعد وإخفاء ذلك عن البشر
- 441 نعمة إخفاء شدة صوت الرعد والبرق عن مسامعنا في العلم الحديث
- 441 فلسفة تسبيح الرعد حمداً والملائكة خيفة وإخفاء ذلك عن البشر
- 442 إخفاء تسبيح السموات والأرض عن مدارك البشر
- 443 التسبيح لا يكون إلا انصياعاً لفطرة الله تعالى وتوحيده
- 444 فلسفة تسبيح الجمادات ودواب الأرض وإخفاء ذلك عن مدارك البشر
- 446 حكمة إخفاء تسبيح الكون ودلالته في العلم الحديث

- 451 الفصل الرابع: نعمة الخفاء من شدة الارتفاع والانخفاض
- 453 توطئة
- 455 المبحث الأول: نعمة إخفاء الأشعة فوق البنفسجية وأثر ظهورها الضار على الإنسان
- 455 تعريف الأشعة البنفسجية
- 455 الأشعة فوق البنفسجية في العلم الحديث
- 455 تعريف الإشعاع الشمسي ونصيب الأرض منه
- 457 تركيب الإشعاع الشمسي الواصل إلى جو الأرض
- 458 أقسام الأشعة في العلم الحديث
- 459 أهمية الأشعة فوق البنفسجية في الطبيعة
- 460 التأثيرات الضارة للأشعة فوق البنفسجية
- 463 فلسفة إخفاء الأشعة فوق البنفسجية في العلم الحديث
- 465 حكمة إخفاء الأشعة فوق البنفسجية عن أنظار البشر في العلم الحديث
- 466 لخطورة الأشعة فوق البنفسجية أخفاها الله عنا
- 467 ماذا يحدث لو رأينا الأشعة فوق البنفسجية؟
- 468 أضرار تلك الرؤية أكبر من منافعها فأخفاها الله عنا

- 470 القرآن الكريم يكشف لنا طرق الوقاية من ضرر الأشعة فوق البنفسجية..
- 474 رؤية الأشعة فوق البنفسجية وضررها في العلم الحديث
- 475 سبب كسوف الشمس وخسوف القمر
- 476 فلسفة الكسوف والخسوف وإخفاء ذلك عن مدارك البشر
- 477 الكسوف والخسوف في العلم الحديث ودلالاتهما العقدية
- 479 **المبحث الثاني:** نعمة إخفاء الأصوات المرتفعة على سمع الإنسان... ..
- 479 أولاً: نعمة الخفاء من فرط العلو.....
- 495 ثانياً: نعمة الخفاء من فرط الانخفاض
- 501 **الفصل الخامس:** نعمة إخفاء بعض العناصر المدركة بآثارها.....
- 503 توطئة.....
- 506 **المبحث الأول:** نعمة إخفاء الجاذبية الأرضية وأثر ذلك على سلوك الإنسان ومعتقده
- 506 المدلول اللغوي لمصطلح للجاذبية.....
- 507 أهمية الجاذبية.....
- 507 الجاذبية في القرآن الكريم ودلالاتها العقدية
- 508 معنى الكفت
- 509 الآيات القرآنية التي تشير إلى قانون الجاذبية الغير مرئي
- 512 فوائد الجاذبية الأرضية: وإخفاء ذلك عن البشر
- 513 إخفاء أعمدة الجاذبية الأرضية عن مدركات البشر
- 515 انعدام الحياة في عدم وجود الجاذبية
- 519 الآثار العقدية المترتبة على نعمة إخفاء الجاذبية الأرضية.....
- 528 **المبحث الثاني:** نعمة إخفاء المجال المغناطيسي وأثر ذلك على سلوك الإنسان ومعتقده
- 528 المجال المغناطيسي.....
- 528 تعريف المغناطيس في العلم الحديث
- 529 العلم الحديث يتحدث عن نعمة إخفاء المجال المغناطيسي

530	المغناطيس وجسم الإنسان
531	فوائده بالنسبة للإنسان
532	الشفق القطبي
534	حكمة إخفاء المغناطيسية عن مدارك البشر
541	المبحث الثالث: نعمة إخفاء الغلاف الجوي وأثر ذلك على حياة الإنسان
541	مفهوم الغلاف الجوي
542	فلسفة حفظ السماء وإخفاء ذلك عن مدارك البشر
544	العلاقة بين الغلاف الجوي والجاذبية وخفاء ذلك عن مدارك البشر
545	حكمة إخفاء الأكسجين عن البشر
546	مكونات الهواء الجوي وحركاته
547	أهمية التنفس في حياة الكائنات الحية
547	المعنى اللغوي والشرعي والفسولوجي للتنفس
548	التنفس من الناحية الفسيولوجية والعلمية
549	الأفعال الإرادية واللاإرادية للتنفس وإخفاء ذلك عن البشر
550	الآثار العقدية المترتبة على نعمة إخفاء الهواء عن بصر العباد
557	الخاتمة
559	الفهارس
561	المصادر والمراجع
603	فهرس الموضوعات